

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وقف لله تعالى)

يوزع مجاناً

مَوَارِدُ الظَّمَانِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم واحكام وقواعد ومواعظ وآداب واخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفوريته

عبد العزيز المحمَّد السَّليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الأول

الطبعة التاسعة عشر

طبع على نفقة جماعة من المحسنين

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

- بالله يَا نَاطِرًا فِيهِ وَمُنْتَفِعًا
- مِنْهُ سَلِ اللَّهُ تَوْفِيقًا لَجَامِعِهِ
- وَقُلْ أَنَلُّهُ إِلَهَ الْعَرْشِ مَغْفِرَةً
- وَأَقْبَلْ دُعَاةَ وَجَنِّبْ عَن مَّوَانِعِهِ
- وَخُصْ نَفْسَكَ مِنْ خَيْرِ دَعَوَاتٍ بِهِ
- وَمَنْ يَقُومُ بِهَا يَكْفِي لِطَابِعِهِ
- وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مَا بَدَأَ قَمَرٌ
- أَوْ كَوَّكَبٌ مُسْتَنِيرٌ مِنْ مَطَالِعِهِ

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا ،
فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفَا لِلَّهِ ، أَوْ أَعَانَ عَلَى
طَبَعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيْعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ . فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ﷺ
أَنَّهُ قَالَ :

« إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ فِي السَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ : صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ
فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَّ بِهِ ، وَمُنْبَلَّهُ » الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .
وَوَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ
عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ
غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيَاً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » مَتَّفَقٌ
عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ
مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا
تَرَكَهُ .

أَوْ مُصْحَفًا وَرَثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ
صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ
وَابْنُ حُرَيْمَةَ .

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تُجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَيْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى
مَسْجِدًا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

ملاحظة : لا يسمح لأي إنسان أن
يختصره أو يتعرض له بما يُسمونه تحقيقاً
لأن الاختصار سبب لتعطيل الأصل
والتحقيق أرى أنه اتهام للمؤلف ، ولا
يُطبع إلا وقفاً لله تعالى على من ينتفع به
من المسلمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

الحمدُ لله الذي تَفَرَّدَ بالجلالِ والعظمةِ والعِزِّ والكبرياءِ والجمالِ
وأشكرُهُ شَكَرَ عَبْدٌ مُعْتَرِفٌ بالتقصيرِ عن شكرِ بعضِ ما أولِيَهُ مِنَ الانعامِ
والأفضالِ وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ﷺ .

وَبَعْدُ فَبِمَا أَنِي رَأَيْتُ كِتَابَ الْمَنَاهِلِ الْحَسَانَ مَطْلُوبًا وَمَرْغُوبًا فِيهِ وَرَأَيْتُ أَنِي
أَوْسَعُهُ وَأَزِيدُ فِيهِ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةً مَا بَيْنَ حِكْمٍ وَأَحْكَامٍ وَقَوَاعِدَ وَمَوَاعِظَ وَأَدَابٍ
وَأَخْلَاقٍ وَقِصَائِدَ زُهْدِيَّاتٍ لِيَكُونَ جَامِعًا نَافِعًا صَالِحًا وَمُنَاسِبًا لِرَمَضَانَ وَغَيْرِهِ
وَالْعَالَمِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَاللَّائِمَةَ وَغَيْرِهِمْ وَبَذَلْتُ وَسْعِي وَأَعْتَنَيْتُ جُهْدِي فِي تَهْذِيبِهِ
وَتَنْقِيحِهِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْ أَكْمَلْتُ تَشْكِيلَهُ لِيَعُذِبَ لِلسَّامِعِ وَالقَّارِئِ وَيَسْهُلَ
عَلَيْهِ .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ الْحَلِيمَ الْكَرِيمَ الْقَرِيبَ الْمُجِيبَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لِرُجُوعِهِ الْكَرِيمِ
مُقْرَبًا لَنَا وَلِمَنْ قَرَأَهُ وَسَمِعَهُ لَدَيْهِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ وَأَنْ يَأْجَرَ مَنْ طَبَعَهُ وَمَنْ
أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ وَمَنْ تَسَبَّبَ لَطَبَعِهِ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلَهُ
وَلِوَالِدَيْنَا وَوَالِدَيْهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عبد العزيز بن محمد السَّلْمَان

وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ الْجَامِعَ الْمُسَلِّيَ لِقَارِيئِهِ وَسَامِعِهِ :

(مَوَارِدُ الظَّنِّ لِذُرُوسِ الزَّمَانِ)

حِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنَانِ

أَسِيرٍ خَلْفَ رِكَابِ النُّجُبِ ذَا عَرَجٍ
مُؤَمَّلًا جَبْرًا مَا لَأَقَيْتُ مِنْ عِوَجِ

فِي أَنْ لِحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا
فَكَمْ لِرَبِّ السَّمَاءِ فِي النَّاسِ مِنْ فَرْجِ
وَإِنْ ظَلَلْتُ بِقَفْرِ الْأَرْضِ مُنْقَطِعًا

فَمَا عَلَيَّ عَرَجٌ فِي ذَلِكَ مِنْ حَرَجِ
(هَذَا الْكِتَابِ وَقَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ

الانْتِفَاعَ بِهِ .

بِاللَّهِ يَا قَارِئًا كُنْتِي وَسَامِعَهَا
وَاسْتَرْتُ بِطُفْئِكَ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ خَطَاءِ
فَكَمْ جَوَادِ كَتَبِي وَالسَّبْقِ عَادَتُهُ
وَكَتْمِ حُسَامِ نَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثَلَمِ
وَكَتْمِ نَاسِخِ أَمْحَى لِمَعْنَى مُغَيَّرًا
وَالْعُدْرِ يُقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ وَالشَّيْمِ

وقال آخر :

أَنَا الْعِلْمُ لَا تُعْجَلْ لِغَيْبِ مُصَنِّفِ
فَكَمْ أَفْسَدَ الرَّاوي كَلَامًا بِنَقْلِهِ
وَكَم نَاسِخَ أَمْحَى لِمَعْنَى مُغَيَّرًا
وَلَمْ تَتَيَقَّنْ زَلَّةً مِنْهُ تُعْرِفِ
وَكَم حَرَّفَ الْمَنْقُولَ قَوْمٌ وَصَحَّفُوا
وَجَاءَ بِشَيْءٍ لَمْ يُرِدْهُ الْمُصَنِّفُ

٦ - الأركان الستة وكيفية الإيمان بها :

الأول : الإيمان بالله جلّ جلاله :

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور .

وأنة المستحق لأن يُفردَ بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة ، وأنه المتصفُ بصفات الكمال المنزه عن كل عيبٍ ونقص ، وهذا هو الأساس الأول الذي يقوم بناء شخصيّة المسلم عليه .

٢ - الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأنّ لله ملائكةٌ موجدين مخلوقين من نور ، وأنهم كما وصفهم الله عبادةً مكرمون يُسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها .

ويجبُ الإيمان على التفصيلِ بمن وردَ تعيينه باسمه المخصوص كجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان ومالك ، فجبريلُ هو الموكلُ بأداء الوحي وهو الروح الأمين ، وميكائيلُ الموكلُ بالقطر ، وإسرافيلُ الموكلُ بالصّور ، وملاكُ الموتِ الموكلُ بقبض الأرواح .

ومنهم الموكلُ بأعمال العباد ، وهم الكرامُ الكاتبون ، ومنهم الموكلُ بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات ، ومنهم الموكلُ بالجنة وتعيمها وهم رضوان ومن معه .

ومنهم الموكلُ بالنار وعذابها وهم مالك ومن معه ، ومنهم الموكلُ بفتنة القبر وهم منكر ونكير ، ومنهم حملة العرش .

ومنهم الموكَّلُ بالنُّطْفِ في الأرحامِ وكتابة ما يراد بها ، ومنهم ملائكةٌ يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ثُمَّ لَا يُعُودُونَ ، ومنهم ملائكةٌ سَيَّاحُونَ يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ وغير ذلك .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَنْ لَمْ يَرَدْ تَعْيِينُهُ بِاسْمِهِ الْخَصُوصِ أَوْ تَعْيِينُ نَوْعِهِ الْخَصُوصِ لِجَمَالِ اللَّهِ وَأَعْلَمَ بَعْدَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَلَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ الْآيَةُ .

فَجَعَلَ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِيمَانُ بِهِذِهِ الْجُمْلَةُ وَسَمَّى مَنْ آمَنَ بِهِذِهِ الْجُمْلَةَ مُؤْمِنِينَ ، كَمَا جَعَلَ الْكَافِرِينَ مَنْ كَفَرَ بِهِذِهِ الْجُمْلَةَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الْآيَةُ .

وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ » الْحَدِيثُ فَهَذِهِ الْأَصُولُ اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَمْ يُؤْمِنَ بِهَا حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ إِلَّا الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَنُورْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَيَّ وَجِهَكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمُ وَيَا كَرِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

٣ - الركن الثالث : الإيمان بكتب الله :

الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن الله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق وصدق ولا يعلم عددها إلا الله .

وأنه يجب الإيمان بها جملة إلا ما سمي منها وهي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى فيجب الإيمان بها على التفصيل .

قال الله : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ وقال : ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ وقال : ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ﴾ وقال : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ فيجب الإيمان بها على التفصيل والبقية إجمالاً .

ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به حقيقة ، كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله ، وأنه المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف .

قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

ومنزلة القرآن من الكتب المتقدمة كما ذكر الله فيه قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ . وقال : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ . وقال : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

قال المفسرون : مهيمناً مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ، ومصداقاً لها يعني يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو المردود .

وله يخضع كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه . وقال الله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ .

ويجب على كل أحد إتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه ، قال الله : ﴿ وهذا الكتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ وقال : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فقال : « خذوا بكتاب الله وتمسكوا به » وفي حديث علي مرفوعاً : « إنها ستكون فتن . قلت ما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله » وذكر الحديث .

ومعنى التمسك به والقيام بحقه حفظه وتلاوته ، والقيام به آناء الليل والنهار ، وتدبر آياته وإحلال حلاله وتحريم حرامه ، والانقياد لأوامره والانزجار بزواجه ، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه ، والعمل بمحكمه ، والإيمان بمتشابهه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه لتحريف الغالين المبطلين والنصيحة له بكل معانها والدعوة إليه على بصيرة .

وفي جواب أهل العلم والإيمان : السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ، وهو أعلى منها درجة ، فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً .

وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين ،
وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل
بأنواع الحجج والبراهين .

وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها وبين ما حُرف منها
وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة ، وبين أيضاً ما كتّموه مما أمر
الله ببيّانه .

اللَّهُمَّ وَقِّمْنَا لِمَا وَقَّعْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
علينا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا تَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَعْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا
بِدُنُونَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُونِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مُنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحِّبِهِ .

(فَضْلٌ)

٤ - الركن الرابع : الإيمان بالرسل :

الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في
معاشهم ومعادهم . اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقه ، بل
أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين .

فيجب الإيمان بمن سمي الله منهم في كتابه على التفصيل ، والإيمان جملة بأن

لله رسلا غيرهم ، وأنبياء لا يحصى عددهم إلا الله ولا يعلم أسماءهم إلا هو
جل وعلا .

قال الله تعالى : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم
نقصصهم عليك ﴾ وَعَدَدُ المذكورين في القرآن خمسة وعشرون وهم : آدم ،
نوح ، إدريس ، صالح ، إبراهيم ، هود ، لوط ، يونس ، إسماعيل ، إسحق ،
يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، اليسع ، ذو الكفل ،
داود ، زكريا ، سليمان ، إلياس ، يحيى ، عيسى ، محمد صلى الله عليه وسلم ،
وعليهم أجمعين .

موضوع الرسالة

وموضوع الرسالة التبشير والتنذير قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ .

والحكمة في ذلك دعوة أمهم إلى عبادة الله وحده . قال تعالى : ﴿ ولقد
بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وأفضل المرسلين
أولو العزم ، وهم المذكورون في سورة الشورى .

قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴾ الآية ، وقال : ﴿ وإذا أخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ .

وأفضل أولياء الله أنبيأؤه ، وأفضل أنبيأئه المرسلون ، وأفضل المرسلين أولوا
العزم ، وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المتقين
وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا .

صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب
لواء الحمد والحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة
الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة
أخرجت للناس .

وجمع له ولأمته من الفضائل والحاسن ما فرق فيمن قبلهم وهم آخر الأمم
خلقاً وأولهم بعثاً ، ومن حين بعثه الله جعله الفاروق بين أوليائه وبين أعدائه .
فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه ظاهراً وباطناً ، ومن
ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أوليائه ، بل من خالفه كان من
أعدائه وأولياء الشيطان . أه .

ما يجوز على الرسل وما يجب علينا نحوهم

الواجب علينا نحو الرسل والأشياء التي تجوز عليهم والأدلة على صدقهم
وما أيدهم الله به : يجب علينا تصديقهم وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على
ما أمروا به وبينوه بياناً واضحاً شافياً كافياً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله
ولا يحل خلافه .

قال الله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وقال : ﴿ آمن
الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ الآية ، ويجب علينا الإيمان بأنهم
معصومون من الكبائر .

وأما الصغائر فقد تقع منهم ، والكتاب والسنة يدلان على ذلك ولكن
لا يقرون عليها ، بل يوفقون للتوبة منها ويجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم .

وَمَنْ كَفَرَ بِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ كَفَرَ بِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ
بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ .

فَمَنْ رَدَّ نُبُوَّتَهُ لِلْحَسَدِ أَوْ لِلْعَصِيْبَةِ أَوْ لِلتَّشْهِي تَبِيْنُ أَنْ إِيْمَانَهُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ إِيْمَانًا شَرْعِيًّا وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ غَرَضٍ وَهَوَى وَعَصِيْبَةِ هـ .

وَيَجِبُ الْإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِمْ وَالإِثْتَارُ بِأَمْرِهِمْ ، وَالْكَفُّ عَنْ مَا نَهَوْا عَنْهُ ، وَيَجِبُ
الْإِعْتِقَادُ أَنَّهُمْ أَكْمَلُ الْخَلْقِ عِلْمًا وَعَمَلًا ، وَأَصْدَقُهُمْ وَأَبْرَهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ أَخْلَاقًا ،
وَأَنَّ اللَّهَ خَصَّهُمْ بِفَضَائِلَ لَا يُلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ ، وَبِرَأْسِهِمْ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ رَذِيلٌ .

وَيَجِبُ مَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ ، وَيَحْرَمُ الْغُلُوُّ فِيهِمْ وَرَفْعُهُمْ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِمْ ، وَيَجُوزُ
فِي حَقِّهِمْ شَرْعًا وَعَقْلًا النَّوْمُ ، وَالنِّكَاحُ وَالْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَالْجُلُوسُ وَالْمَشْيُ
وَالضَّحْكُ وَسَائِرُ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا تُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمْ الْعَالِيَةِ .

فَهُمْ بَشَرٌ يَعْتَرِيهِمْ مَا يَعْتَرِي سَائِرَ أَفْرَادِهِ فِيمَا لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ ،
وَتَمْتَدُّ إِلَيْهِمُ الْأَيْدِي الظُّلْمَةُ وَيَنَالُهُمُ الْاضْطِهَادُ ، وَقَدْ يَقْتُلُ الْأَنْبِيَاءُ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ
بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ .

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا أَوْلَى مِنْ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ أَشْيَاءٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكُنِي أَصْلِي وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ ،
وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ » ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْرُضُ وَيَتَأَلَّمُ وَيَشْتَكِي ، وَكَانَ
يَصْبِيهِ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ ، وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَالغَضَبُ وَالضَّجْرُ وَالتَّعَبُ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ
مِمَّا لَا نَقْصَ عَلَيْهِ فِيهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِبْتَ ، وَإِذَا سُئِلَتْ بِهِ أُعْطِيَتْ ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتُ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَالِكَ الْمَلِكِ يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ، يَا مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبَدِّلَهَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَجْوَدَ الْأَجْوَدِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وأما الأدلة على صدق الرسل فكثيرة ، وأعظمها شهادة الله لهم بأنهم صادقون قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وقال عز شأنه : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

وقال عز من قائل عن إسماعيل عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ وقال عن إبراهيم : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ وقال : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزِّ عَمَّا يُصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب إلى غير ذلك من الأدلة ، فهم أصدق الخلق على الإطلاق ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة .

فمن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الذي أعجز الورى كلهم ، ومثل انشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء ،

إلى سدرة المنتهى ، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وكفاية الله أعداءه وعصمته من الناس ، وإجابة دعائه ، وإعلامه بالمغيبات الماضية ، والمستقبلية .

فالقرآن جاء به ذكر عن آدم ونشأته وما وسوس به إليه إبليس وما وقع له من الهبوط إلى الأرض بعد أن كان في الجنة وحدثنا عن نوح عليه السلام وما لقيه من قومه من أذى وسخرية .

وما دعا الله به وما أرشده الله إليه من صنع الفلك وركوبه وإنجائه وأصحاب السفينة ودعوته لابنه وعصيانه له ، وانهمار السماء ، وتفجر الأرض عيوناً ، وغرق الكافرين ، ونجاة المؤمنين .

وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام ، وما تم عند ولادته ، وما وقع له في مصر ، وما حدث له في مدين ، وما رآه في جبل الطور ، وما كلف به من أعباء الرسالة ، وما دار بينه وبين فرعون من حوار ، وما جرى من السحرة ، وما انتهى إليه أمر فرعو وملئه وموسى وقومه .

وأخبر القرآن الكريم عن عيسى وأمه عليهما السلام ، وما وقع لهما من الخوارق ، وما صنعه لهما بنو إسرائيل من مكائد ، وأخبره عن غيرهم من الأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذا قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ الآيات .

وقال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك ﴾ الآية . وقال : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها عن مشاهدة ولكن أعلمه أيها الذي

لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ .

وأخبر صلى الله عليه وسلم بأمر غيبية عن القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وعد اللذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ الآية ، وتحقق الوعد وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين ﴾ الآية . وقال : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ وقوله : ﴿ سبهم الجمع ﴾ الآية ، فكان ما أخبر به على أتم الوجوه .

ومن هذا الباب إخباره عن مكنون الضمائر فيما أتى به من القرآن فقال : ﴿ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

قال الشيخ : ومثل إخبار أهل الكتاب قبله ، وبشارة الأنبياء به . ومثل إخبار الكهان والهواتف به ، ومثل قصة الفيل ، التي جعلها الله آية في عام مولده من العجائب الدالة على نبوته .

ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين ، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه ، وبعد مبعثه ، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله من غير أن يعلمه إياها بشر ا ه .

وكما أيد الله موسى بالآيات البينات ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ وكما أيد الله سائر رسله ، مع انضمام ذلك إلى أحوالهم الجليلة ، وأخلاقهم الفاضلة الجميلة ، من سلامة الفطرة والعفاف ، والكرم والشجاعة ، والعدل والنصح .

وقال : ولا ريب من أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مجملًا مقراً بما بلغه من تفصيل الجملة غير جاحد لشيء من تفاصيلها أن يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول وأمر به غير مقدور للعباد ، إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول اه .

وقال : ضمن الله السعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله وتوعد بالشقاء لمن لم يفعل ذلك ، فطاعة الرسول هي مناط السعادة وجوداً وعدماً ، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس فدل الخلق بما بينه لهم .

وقال تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فمن اجتهد بطاعة الله ورسوله بحسب الاستطاعة كان من أهل الجنة والله يرفع درجات المتقين المؤمنين بعضهم على بعض بحسب إيمانهم وتقواهم ، اه .

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، واجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّحِيمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

٥ - الركن الخامس : الإيمان بالبعث :

البعث لغة التحريك والإثارة وشرعاً إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها ، فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي ، كما ذكر الله تعالى : ﴿ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ .

وقال : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ الآيتين .

وقال : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة ﴾ .

﴿ وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعثون خلقاً جديداً ، قل كونوا حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ .

وقال : ﴿ أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ .

وقال : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾ .

وقال : ﴿ وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾

وقال : ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾ الآيتين .

وقال : ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ ، وقال : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة

تبعثون ﴾ .

وقال : ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ .

- وقال : ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ .
- وقال : ﴿فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم ينظرون﴾ .
- وقال : ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ .
- وقال : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا﴾ .

٦ - الركن السادس : الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر : التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته .

وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تديره ، ولا محيد لأحد عن القدر المقدر ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ، وأن الله خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي .

ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون « وبهذا الركن تتم الأركان الستة .

الفصل الأول في التوبة من المعاصي

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَايَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَّ الذُّنُوبَ حِجَابٌ عَنِ اللَّهِ ، وَالانْصِرَافُ عَنِ كُلِّ مَا يُبْعَدُ عَنِ اللَّهِ وَاجِبٌ ، وَإِنَّمَا يَتَمُّ ذَلِكَ بِالْعِلْمِ وَالنَّدَمِ وَالْعَزْمِ ، فَانَّهُ مَتَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الذُّنُوبَ أَسْبَابُ الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى الذُّنُوبِ وَلَمْ يَتَوَجَّعْ بِسَبَبِ سُلُوكِهِ طَرِيقَ الْبُعْدِ ، وَإِذَا لَمْ يَتَوَجَّعْ لَمْ يَرْجِعْ ، وَالتَّوْبَةُ : الرَّجُوعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، فَإِن كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ ، فَلَهَا ثَلَاثَةٌ شُرُوطٍ :

الأولُ : الإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا ، وَعَلَامَتُهُ مُفَارَقَةُ الذَّنْبِ فَوْرًا .

الثاني : النَّدَمُ عَلَى فِعْلِهَا ، وَعَلَامَتُهُ طُولُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَ وَوَرَدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » .

الثالث : العزمُ أن لا يعودَ إلى معصيةِ أبداً ، وَعَلَامَتُهُ التَّدَارُكُ لِمَا فَاتَ وَاصْلَاحُ مَا يَأْتِي ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي تَفْرِيطاً فِي عِبَادَةِ قَضَائِهَا ، أَوْ مَظْلَمَةٍ أَدَّاهَا ، أَوْ خَطِيئَةٍ لَا تُوجِبُ غَرَامَةً حَزَنَ إِذْ تَعَاطَاهَا .

فإن فقدَ أحدَ الشُّرُوطِ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِأَدْمِيٍّ ، فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ ، الثَّلَاثَةُ الشُّرُوطُ الْمَذْكُورَةُ وَالرَّابِعُ : أَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مَالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ ، إِنْ كَانَ مَوْجُوداً أَوْ رَدَّ بَدَلَهُ عِنْدَ تَلْفِهِ مِنْ قِيَمَةٍ أَوْ مِثْلٍ ، وَإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا إِنْ كَانَ عَاقِلاً حَلِيمًا ، يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ نَادِماً تَائِباً عَفَا عَنْهُ وَسَامَحَهُ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْغَفْرُ لَهُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةِ الْغَيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اِعْتَبْتَهُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ بِقَدْرٍ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » .

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ ، وَبَيَّنَّ مَا لِلتَّائِبِينَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْأَجْرِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

قال ابن القيم رحمه الله : والنُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ، الْأَوَّلُ : تَعْمِيمُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَاسْتِغْرَاقُهَا بِهَا بِحَيْثُ لَا تَدْعُ ذَنْبًا إِلَّا تَنَاوَلْتَهُ ، وَالثَّانِي : إِجْمَاعُ الْعَزْمِ وَالصَّدْقِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَبْقَى تَرَدُّدٌ

وَلَا تَلُومُوا وَلَا أَنْتَظِرُوا بَلْ يُجْمَعُ كُلُّ إِرَادَتِهِ وَعَزِيمَتِهِ مُبَادِرًا بِهَا .

الثالث : تَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّوَابِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي اخْتِلَاصِهَا وَوُقُوعِهَا لِمَحْضِ الْخَوْفِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيهَا لَدَيْهِ ، وَالرَّهْبَةَ مِمَّا عِنْدَهُ ، لَا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وَحَرَمَتِهِ وَمَنْصِبِهِ وَرِيَاسَتِهِ ، أَوْ لِحِفْظِ حَالِهِ أَوْ لِحِفْظِ قُوَّتِهِ وَمَالِهِ أَوْ اسْتِدْعَاءِ حَمْدِ النَّاسِ أَوْ لِهَرَبِ مَنْ ذَمَّهُمْ أَوْ لِثَلَا يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ أَوْ لِقَضَاءِ نَهْمَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ لِإِفْلَاسِهِ وَعَجْزِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهَا وَخُلُوصِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَه .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِلذُّنُوبِ التَّائِبِينَ ، فَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » رواه مسلم .
وقال ﷺ : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » رواه البخاري .

وقال ﷺ : « لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضِ فَلَاحٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَآتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ

إذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ فَاخَذَ بِخَطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ
أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » الحديث رواه مسلم .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ
وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »
رواه مُسْلِمُ .

والأحاديثُ في هذا كَثِيرَةٌ ، والاجماعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى وُجُوبِ التَّوْبَةِ لِأَمْرِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِهَا ، وَلِأَنَّ الذُّنُوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعَدَاتٌ عَنِ اللَّهِ فَيَجِبُ الْهَرَبُ
مِنْهَا عَلَى الْفُورِ وَلِيُحَذِّرَ الْإِنْسَانَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ .
وَوُجُوبُ التَّوْبَةِ مِنَ الْكِبَائِرِ أَهْمٌ وَأَكْثَرُ ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الصَّغِيرَةِ أَيْضًا كَبِيرَةٌ ،
فَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ وَتَوَاتُرِ الصَّغَائِرِ عَظِيمُ
التَّأثيرِ فِي تَسْوِيدِ الْقَلْبِ وَهُوَ كَتَوَاتُرِ قَطْرَاتِ الْمَاءِ عَلَى الْحَجَرِ ، فَإِنَّهُ يُحْدِثُ
فِيهِ حُفْرَةً لَا مَحَالَةَ مَعَ لِينِ الْمَاءِ وَصَلَابَةِ الْحَجَرِ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرِصِدَ قَلْبَهُ
بِاسْتِمْرَارٍ وَيُرَاقِبَ حَرَكَاتِهِ وَيُسْجَلَ تَصَرُّفَاتِهِ وَلَا يَتَسَاهَلَ وَلَا يَقُولَ إِنَّهَا مِنَ
التَّوَابِ الصَّغِيرِ وَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ
الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجْلِ يَهْلِكُنَّهُ » .

شِعْرًا : وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرَّمًا

تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ

وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَلْقَيْسَ هُدُهُدُ

وَحَرَّبَ حَفْرُ الْفَارِ سَدَّ مَارِبِ

آخر : لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا لَانَ جَانِبُهُ وَلَوْ يَكُونُ قَلِيلَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَلِذَّبَابِيَّةِ فِي الْجُرْحِ الْمَدِيدِ يَدُ تَنَالُ مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ
آخر : وَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَا كَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصْرُ
فَإِنَّ السُّيُوفَ تُحْزِرُ الرِّقَابَ بَ وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرَ

وقال الآخر :

لا تحقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصِمَةٍ

إِنَّ الْبَعُوضَةَ تُدْمِي مُقَلَّةَ الْأَسَدِ

وكما أن خير الأعمال الصالحة أدومها وإن قل ، وأيضاً الكبائر قلما

تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر ، فمثلاً الزنا - والعياذ بالله -
قلما يقع فجأة بل تتقدم عليه مرادة أو قبلة أو لمس .

شعرا :

أأحورُ عن قصدي وقد برح الخفا
وأرى شؤون العين تمسك ماءها
وأخال ذاك لِعبرةٍ عرضت لها
ولقل لي طول البكاء لهفوتي
إن المعاصي لا تقيم بمنزل
ولو أنني داويت معطب دائها
ولعفت مؤزدها المشوب برنقها
وهزمت جحفل عيها بإنابة
وهجرت ذنبا لم تنزل غرارة
سحقتهم وديارهم سحق الرحا
ولقد يخاف عليهم من ربهم
إن الجواد إذا تطلب غاية
شتان بين مشمر لمعاده
إني دعوتك ملحفا لتجيرني

ووقفت من عمري القصير على شفا
ولقبل ما حكك السحاب الوكفا
من قسوة في القلب أشبهت الصفا
فلربما شفع البكاء لمن هفا
إلا لتجعل منه قاعاً صفصفا
بمراهم التقوى لوأفقت الشفا
وغسلت رين القلب في عين الصفا
وسللت من ندم عليها مرهفا
بمؤمليها الممحضين لها الوفا
فعليتهم وعلى ديارهم العفا
يوم الجزاء النار إلا إن عفا
بلغ المدى منها وبذ المقرفا
أبدأ وأخر لا يزال مسوفا
مما أخاف فلا ترد الملحفا

قال بعض العلماء من عجيب ما نقذت من أحوال الناس كثرة ما

ناحوا على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف والتحسر على الأرزاق

بدم الزمان وأهله وذكر نكد العيش فيه .
وقد رأوا من انهدام الإسلام وشعث الأديان وموت السنن وظهور
البدع وارتكاب المعاصي وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يُجدي والقبیح
الذي يُؤبق ويُؤذي .

فلا أجد منهم من ناح على دينه ولا بكى على فارطِ عمره ولا آسى
على فانتِ دهره .

وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم في الأديان وعظم الدنيا في
عيونهم ضد ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ وينوحون على
الدين أه .

وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
آخر :

تفكر في نقصان مالك دائماً وتغفل عن نقصان دينك والعمر
وثبتك خوف الفقر عن كل طاعة وخيفة حال الفقر شر من الفقر

اللهم وفقنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك وأرشدنا إلى السعي فيما
يرضيك وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك وهب لنا ما وهبته لأوليائك
وأحبابك واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين
برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

الفصل الثاني

قال ابن القيم رحمه الله : وللمعاصي من الآثار المضرة بالقلب
والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله ، فمنها أنها مدد من الإنسان
يمد به عدوه عليه وجيش يقويه به على حربيه ومن عقوباتها أنها تحون العبد
أحوج ما يكون إلى نفسه . ومنها أنها تجرى العبد على من لم يكن يجترى
عليه . ومنها الطبع على القلب إذا تكاثرت حتى يصير صاحب الذنب من

الغافلين ، كما قال بعض السلف في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ هو الذنب بعد الذنب وقال : هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب . وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدا حتى يصير راناً ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً فيصير القلب في غشاوة وغلاف .

ومنها إفساد العقل فإن العقل نور والمعصية تطفىء نور العقل .
ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه .

ومنها أن ينسخ من القلب استقباحها فتصير له عادة .

ومنها أن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضاً .

ومنها ظلمة يجدها في قلبه يحس بها كما يحس بظلمة الليل .

ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن أما وهنها للقلب فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكليّة وأما وهنها للبدن فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه .

ومنها أن المعاصي تمحق بركة العمر إذ أن المعاصي كلها شرور .

ومنها شتاتة الأعداء فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا وهذا ما يفرح العدو ويسبيء الصديق .

ومنها تعسير أموره فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه .

ومنها الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير .
ومنها حرمان دعوة الرسول ﷺ ودعوة الملائكة للذين تابوا ومنها أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعاً مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ
وَالزَّرُوعِ وَالشَّجَرِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ تَطْفِئُ مِنْ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ .

وَمِنْهَا ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ
الْعَبْدِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ تَسْتَدْعِي نَسِيَانَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهُ تُخْرِجُ الْعَبْدَ
مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . وَمِنْهَا أَنَّهُ تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ
إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ . وَمِنْهَا أَنَّهُ تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ تُعْمِي بِصِيرَةِ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ .
وَمِنْهَا أَنَّهُ تُصَغِّرُ النَّفْسَ وَتَحْقِرُهَا وَتَقْمَعُهَا عَنِ الْخَيْرِ .

وَمِنْهَا أَنَّ الْعَاصِيَّ فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ وَسِجْنِ شَهْوَاتِهِ .

وَمِنْهَا سُقُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهُ
تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ . وَمِنْهَا أَنَّهُ تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ
الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ . وَمِنْهَا أَنَّهُ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ انْتَهَى .

شِعْرًا : تَبَيَّنْتُ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِي فَأَنْتَ بِعَفْلَةٍ وَاللَّهُ بِتَبَا

يُذِيْمُ عَلَيْكَ إِحْسَانًا وَفَضْلًا وَأَنْتَ تُذِيْمُ لَوْمًا أَيْنَ كُنْتَا

وَبِالْعِصْيَانِ تَخْطُرُ بِاخْتِيَالٍ سَكِرْتَ مِنَ الْغُرُورِ وَمَا صَحْوَتَا

أَفِقَ مِنْ غَفْلَةٍ وَأَنْبَ لِرَبِّ تَنَلُ مِنْهُ السَّمَاحَ إِذَا أَنْبَتَا

وَتَظْفَرُ بِالْقُبُولِ وَبِالْأَمَانِي وَفِي الدَّارَيْنِ بِالْإِسْعَادِ فُزْنَا

آخِر : أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَطْرِفُ الذَّنْبَ جَاهِدًا هُوَ اللَّهُ لَا تُخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِينَ عَصَيْتَهُ فَإِنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَافِرٌ

وَإِنْ كُنْتَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ عَصَيْتَ فَأَنْتَ الْمُسْتَهِينُ الْمُجَاهِرُ

فَأَيَّةَ حَالَيْكَ اعْتَقَدْتَ فَإِنَّهُ

عَلِيمٌ بِمَا تُطْوِي عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ : أَنَّهَا تُصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَى مَرَضِيهِ وَانْحِرَافِهِ ، فَلَا يَزَالُ مَرِيضاً مَعْلُولاً لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَغْذِيَةِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ .

فَإِنْ تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ فِي الْقَلْبِ كَتَأْثِيرِ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ ، بَلِ الذُّنُوبُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَدَاوُهَا ، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا .

وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللَّهِ أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تَعْطِي مَنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا ، وَلَا تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَاحِبَةً سَلِيمَةً ، وَلَا تَكُونَ صَاحِبَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دَاوُهَا فَيَصِيرُ نَفْسَ دَوَائِهَا .

وَلَا يَصِحُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا ، فَهَوَاهَا مَرَضُهَا ، وَشَفَاهَا مُخَالَفَتُهُ ، فَإِنْ اسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتْلَ أَوْ كَادَ .

وَكَأَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتْ الْجَنَّةُ مَأْوَاهُ ، كَذَلِكَ يَكُونُ قَلْبُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةً لَا يَشْبَهُ نَعِيمَ أَهْلِهَا نَعِيمًا أَلْبَتَةً .

بَلِ التَّفَاوُثُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمِينَ كَالْتَّفَاوُثِ الَّذِينَ بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصْدُقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبَهُ هَذَا وَهَذَا .

وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ ، بَلِ فِي دَوْرِهِمُ الثَّلَاثَةَ كَذَلِكَ .

أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْبَرْزَخِ ، وَدَارَ الْقَرَارِ ، فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ ؟ .

وأى عذابٍ أشدُّ من الخوفِ والهَمِّ والحزَنِ وضيقِ الصدرِ وإعراضِهِ عن الله والدارِ الآخرةِ وتعلُّقِهِ بغيرِ اللهِ وانقطاعِهِ عن اللهِ ؟ بكلِّ وادٍ منه شعبةٌ ، وكلُّ شيءٍ تعلقَ بهِ وأحَبَّهُ مِن دُونِ اللهِ فإنه يَسُوْمُهُ سُوءَ العذابِ .

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً غَيْرَ اللهِ عُدِبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصَلَ ، فَإِذَا حَصَلَ عُدِبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ وَالتَّغْيِصِ وَالتَّكْيِيدِ عَلَيْهِ وَأَنْوَاعِ المَعَارِضَاتِ ، فَإِذَا سَلِبُهُ اشْتَدَّ عَذَابُهُ عَلَيْهِ .

فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار . وأما في البرزخ فعذاب يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجى عوده ، وألم فوات ما فاتته من النعيم العظيم باشتغاله بضده . وألم الحجاب عن الله . وألم الحسرة التي تقطع الأكباد .

فألهمُ والعَمُّ والحسرةُ والحزْنُ تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم ، بل عمَلُها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله إلى أجسادها ، فحينئذ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر .

فأين هذا من نعيم مَنْ يرقص قلبه طرباً وفرحاً وأنساً بربه ، واشتياقاً وارتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره ؟ حتى يقول بعضهم في حال نزعه : واطرباه . ويقول الآخر : إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب .

وقال الآخر مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا لذيد العيش فيها وماذاقوا أطيب ما فيها . ويقول الآخر : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

ويقول الآخر : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة . فيا

مَنْ باع حظه الغالي بأبخس الثمن ، وغَبِنَ كُلَّ الغينِ في هذا العقد وهو يرى أنه قد غَبِنَ ، إذا لم تكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسأل المقومين .

فياعجباً مِنْ بِضَاعَةٍ مَعَكَ اللهُ مُشْتَرِيهَا ، وَثَمُنَهَا جَنَّةُ المَأْوَى ، والسفيرُ الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول ﷺ وقد بَعَثَهَا بغاية الهوان !! .

هَلْ الدُّنْيَا وما فِيهَا جَمِيعاً سِوَى ظِلِّ يَزُولُ مَعَ النِّهَارِ
تَفَكَّرْ أَيْنَ أَصْحَابِ السَّرَايَا وَأَرْبَابِ الصَّوَابِ وَالْعِشَارِ
وَإَيْنَ الأَعْظُمُونَ يَدَاً وَبِأَسَاً وَأَيْنَ السَّابِقُونَ لِذِي الفِخَارِ
وَأَيْنَ القَرْنَ بَعْدَ القَرَنِ مِنْهُمْ مِنَ الخُلَفَاءِ وَالثَّمِ الكِبَارِ
كَأَنَّ لَمْ يُخْلَقُوا أَوْ لَمْ يَكُونُوا وَهَلْ أَحَدٌ يُصَانُ مِنَ البَوَارِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصَلْ) ومن عقوباتها أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تَجِدُ عَاقِلِينَ أَحَدَهُمَا مُطِيعٌ وَالآخَرُ عَاصٍ إِلَّا وَعَقْلُ المَطِيعِ مِنْهَا أَوْفَرُ وَأَكْمَلُ وَفِكْرُهُ وَرَأْيُهُ أَسَدُّ وَالصَّوَابُ قَرِينُهُ .

ولِهَذَا تَجِدُ خِطَابَ القُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ أُولَى الأَبَابِ والعقول كقوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَا أُولَى الأَبَابِ ﴾ وقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللهُ يَا أُولَى الأَبَابِ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَبَابِ ﴾ ونظائر ذلك كثيرة .

وكيف يكون عاقلاً وَافِرَ العَقْلِ مَنْ يَعَصِي مَنْ هُوَ فِي قبضته وفي داره وهو يعلم أن يراه ويشاهده فيعصيه ، وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمه على مَسَاحِطِهِ وَيَسْتَدْعِي كل وقت غَضَبَهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتَهُ لَهُ وَإِبْعَادَهُ مِنْ قُرْبِهِ ، وَطَرْدَهُ مِنْ بَابِهِ وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُ وَخِذْلَانَهُ لَهُ وَالتَّخْلِيَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَعَدُوهُ وَسُقُوطَهُ مِنْ عَيْنِهِ .

وحرمانه من رضاه وحبه ، وقرة العين بقربه والفوز بجواره والنظر إلى وجهه في زمرة أوليائه إلى أضعاف ذلك من كرامة أهل الطاعة وأضعاف أضعاف ذلك من عقوبة أهل المعصية .

فأي عقل لمن آثر لذة ساعة أو يوم أو دهر ثم تنقضى كأنها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم ؟ بل هو سعادة الدنيا والآخرة .

ولولا العقل الذي تُقوم عليه به الحجة لكان بمنزلة المجانين ، بل قد يكون المجانين أحسن حالاً منه وأسلم عاقبة ، فهذا من هذا الوجه .
وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان لظَهَرَ لِمُطِيعِنَا نُقْصَانُ عَقْلٍ عَاصِينَا ، ولكن الجائحة عامة ، والجنون فنون .

وياعجباً لو صَحَّتِ الْعُقُولُ لَعَلِمَتْ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي يَحْصِلُ بِهِ اللَّذَةُ والفرحة والسرور وطيب العيش إنما هو في رضاء من النعيم كله في رضاء والألم والعذاب كله في سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ .

ففي رضاء قرة العيون ، وسرور النفوس ، وحياة القلوب ، ولذة الأرواح ، وطيب الحياة ولذة العيش وأطيب النعيم مما لو وُزِنَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ بنعيم الدنيا لم تَفِ بِهِ ، بل إذا حَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ أَيْسَرُ نَصِيبٍ لَمْ يَرْضَ بالدنيا وما فيها عوضاً منه .

ومَعَ هَذَا فَهُوَ يَنْعَمُ بِنَصِيبِهِ أَعْظَمَ مِنْ تَنْعَمَ الْمُتَرْفِينِ فِيهَا ، وَلَا يَشُوبُ تَنْعَمُهُ بِذَلِكَ الْحِطُّ الْيَسِيرِ مَا يَشُوبُ تَنْعَمَ الْمُتَرْفِينِ مِنَ الهموم والغوم والأحزان والمعارضات ، بل قد حَصَلَ عَلَى النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين أعظم منهما . انتهى .

لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ خَالِقَهُمْ فَآمَنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أَمَرُوا
وَالْوَجْدُ وَالشُّوقُ وَالْأَفْكَارُ قُوَّتُهُمْوَا وَلَازَمُوا الْجِدَّ وَالْإِدْلَاجَ فِي الْبُكْرِ

آخر : أَحْصُ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ عَبْدٌ خَفِيفُ الْحَاذِ مَسْكَنُهُ الْقَفَاؤُ
لَهُ فِي اللَّيْلِ حَظٌّ مِنْ صَلَاةٍ وَمِنْ صَوْمٍ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ
وَقُوْتُ النَّفْسِ يَأْتِي فِي كَفَافٍ وَكَانَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ اصْطِبَارُ
وَفِيهِ عَفَّةٌ وَبِهِ حُمُولٌ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ لَا يُشَارُ
وَقَلَّ الْبَاكِيَاتُ عَلَيْهِ لَمَّا قَضَى نَجْبًا وَلَيْسَ لَهُ يَسَارُ
فَذَلِكَ قَدْ نَجَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَلَمْ تَمَسَّهُ يَوْمَ الْبَعْثِ نَارُ

اللهم قو إيماننا بك وبملائكتك وبكُتُبِكَ وبرُسُلِكَ وباليومِ الآخر
وبالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ اللهم نور قلوبنا بطاعتِكَ وحل بيننا وبين معصيتِكَ
وأهملنا ذكركَ وشكركَ واجعلنا هداةً مهتدين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين برحمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الثالث : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ
أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ تَضُرُّ وَلَا بُدَّ ، أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقَلْبِ كَضَرِّ السُّمُومِ
فِي الْأَبْدَانِ عَلَى إِخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا فِي الضَّرْرِ . وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ
وَدَاءٌ ، إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ؟

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبْوِينَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ
وَاللَّذَّةِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى دَارِ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمِصَابِيبِ وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ
إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ صُورَتَهُ
أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ وَبَدَّلَ بِالْقُرْبِ بُعْدًا
وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلْظِي وَبِالْإِيمَانِ كُفْرًا ، وَبِمَوَالَاةِ
السُّوَيِّْ الْحَمِيدِ عِدَاوَةً وَمُشَاقَّةً وَبِزَجْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ زَجْلَ
الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، فَهَانَ عَلَى اللهِ تَعَالَى غَايَةَ الْهَوَانِ وَسَقَطَ مِنْ

عَيْنِهِ غَايَةَ السُّقُوطِ وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى فَأَهْوَاهُ ، وَمَقَّتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ
فَارْدَاهُ ، فَصَارَ قَوَادِمًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ
الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ .

فَعِيَادًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَأَرْتِكَابِ نَهْيِكَ .

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّى عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رُؤُوسِ
الْجِبَالِ . وَمَا الَّذِي سَلَطَ الرِّيحَ عَلَى قَوْمٍ عَادٍ حَتَّى أَلْقَتْهُمْ مَوْتَى عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ كَانْتُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ وَدَمَّرْتُمْ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ
وَحُرُوثِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ حَتَّى صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَّمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّى قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي
أَجْوِافِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّؤِطِيَّةِ حَتَّى سَمِعَتْ
الْمَلَائِكَةُ نَبَاحَ كِلَابِهِمْ ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ أَتَبَعَهُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَمَرَهَا عَلَيْهِمْ فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ
يَجْمَعُهُ عَلَى أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ ، وَلَا إِخْوَانِهِمْ أَمْثَالُهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنْ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلْمِ فَلَمَّا صَارَ
فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلْظِي . وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي
الْبَحْرِ ثُمَّ نَقَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ، فَلَأْجَسَادُ لِلْغَرَقِ وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرَقِ ،
وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ
بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ
يَسَ بِالصَّيْحَةِ حَتَّى خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أَوْلَى بِأَسَى شَدِيدٍ فَجَاسُوا
خِلَالَ الدِّيَارِ وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَسَبُّوا الذَّرِيَّةَ وَالنِّسَاءَ ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ وَنَهَبُوا
الْأَمْوَالَ ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدِرُوا عَلَيْهِ وَتَبَرُوا مَا عَلُوا

تُبيرا ، وَمَا الَّذِي سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَخَرَابِ
الْبِلَادِ وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ
الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ
العَذَابِ .

شعراً :

دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنْوَحُ وَأَنْدُبُ
بَدَمَعٍ غَزِيرٍ وَكَفٍ يَتَصَبَّبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنْوَحُ فَنَانِي
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الضَّعِيفَةَ تَعَطَّبُ
وَإِنِّي حَقِيقٌ بِالتَّضَرُّعِ وَالبُكَاءِ
إِذَا مَا هَذَا النُّوَامُ وَاللَّيْلُ غَيْهَبُ
وَجَالَتْ دَوَاعِي الحُزَنِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَعَارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وَانْقَضَ كَوْكَبُ
كَفَى أَنَّ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ بِخَيْلَةٍ
وَإِنِّي بِأَفَاتِ الدُّنُوبِ مُعَذَّبُ
فَمَنْ لِي إِذَا نَادَى المُنَادِي بِمَنْ عَصَى
إِلَى أَيْنَ إِجَائِي إِلَى أَيْنَ أَهْرَبُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الفَضَائِحُ كُلُّهَا
وَقَدْ قُرَّبَ المِيزَانَ وَالنَّارُ تَلْهَبُ
فِيَا طُولَ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولَ حَسْرَتِي
لِئِنْ كُنْتُ فِي قَعْرِ الجَحِيمِ أَعَذَّبُ
فَقَدْ فَازَ بِالمُلْكِ العَظِيمِ عِصَابَةُ

تَبَيْتُ قِيَاماً فِي دُجَى اللَّيْلِ تَرْهَبُ
 إِذَا أَشْرَفَ الْجَبَّارُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ
 وَقَدْ زُيِّنَتْ حُورُ الْجِنَانِ الْكَوَاعِبُ
 فَنَادَاهُمْ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً
 أَبْحَثُ لَكُمْ دَارِي وَمَا شِئْتُمْ أَطْلُبُوا

قال العلماءُ وتعظُمُ الصغيرةُ بأسبابِ منها : أن يَسْتَصْغِرَهَا الإنسانُ وَيَسْتَهينَ بها فلا يَغْتَمُّ بسببِها ولا يُبالي ، ولكنَّ المؤمنَ المُجَلَّ للهِ المُعْظَمَ له هو المستعظمُ لذنبِهِ وإن صَغُرَ فإنَّ الذنْبَ كُلِّما استعظَّمَهُ العَبْدُ صَغُرَ عِنْدَ اللَّهِ تعالى وكُلِّما استصغَرَهُ كَبُرَ عِنْدَ اللَّهِ تعالى فإنَّ استعظَامَهُ يَكُونُ عَن نُّفُورِ القلبِ مِنْهُ وكراهيَّتِهِ لَهُ .

قال ابنُ مسعودٍ : إنَّ المؤمنَ يَرى ذنبَهُ كأنَّهُ في أصلِ جَبَلٍ يَخَافُ أن يَقَعَ عليه وإنَّ الفاجرَ يَرى ذنبَهُ كذبابٍ وَقَعَ على أنْفِهِ فقال بِهِ هَكَذَا ، أخرجاه في الصحيحين . وفي البخاري من حديث أنسٍ رضي اللهُ عنه : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشعر كنا لننُعدّها على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ من الموبقاتِ .

وقال بلالُ بنُ سعدٍ رضي اللهُ عنه : لا تَنظُرُ إلى صِغَرِ الخَطِيئَةِ ولكنَّ انظُرْ إلى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ . ومنها : السُّرُورُ بها والتَّبَجُّجُ بسببِها واعتقادُ التَّمكُّنِ منها نعمةً حتى إنَّ المذنبَ المُجاهِرَ بالمعاصي لَيَفْتخِرُ بها فيقولُ : ما رَأَيْتَنِي كيفَ شَتَمْتُهُ وكيفَ مَزَّقْتَ عِرْضَهُ وكيفَ خَدَعْتُهُ في المُعامَلَةِ . ومنها : أن يَتَهَاوَنَ بِسِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

ومنها : أن يُجاهِرَ بالذنبِ ويُظهِرَهُ ويذُكِرُهُ بعدَ فِعْلِهِ ، وقد قال ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا المُجَاهِرُونَ » . ومنها : أن تَصُدِّرَ الصغيرةُ عَن عَالِمٍ يُقْتَدَى بِهِ فَذَلِكَ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهُ يَتَّبِعُهُ عَلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَيَبْقَى أثرُها بَعْدَهُ . والله أعلمُ وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

من نصيحة والد لوالده

إعلم أن من تفكّر في الدنيا قبل أن يُوجَدَ رأى مدّةً طويلةً ، فإذا تفكّرَ فيها بعد أن يُخرَجَ منها رأى مدّةً طويلةً وعَلِمَ أن اللبث في القبور طويل ، فإذا تفكّر في يوم القيامة عَلِمَ أنه خمسون ألف سنة .

فإذا تفكّر في اللبث في الجنة أو النار عَلِمَ أنه لا نهاية له . فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فَرَضْنَا ستين سنة مثلاً فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحو من خمس عشر في الصبي .

فإذا حسبَ الباقي كان أكثره في الشهواتِ والمطاعمِ والمكاسبِ فإذا خَلَصَ ما لِلْآخِرَةِ وَجَدَ فيه من الرياء والغفلة كثيراً ، فبهذا تشتري الحياة الأبدية وإنما الثمن هذه الساعات ؟

فانتبه يا بُنيَ لِنَفْسِكَ ، واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين مادام في الوقت سعة . واسقِ غُصْنَكَ ، مادامت فيه رطوبة ، واذكر سَاعَتَكَ التي ضَاعَتْ فَكَفَى بها عِظَةً .

ذَهَبَتْ لَذَّةُ الكَسَلِ فيها وفاتت مراتب الفضائل .

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يُجِبُونَ جَمْعَ كُلِّ فَضِيلَةٍ ويُبَكُونُ على فواتِ واحدةٍ منها .

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : دَخَلْنَا على عابدٍ مَرِيضٍ ، وهو يَنْظُرُ إلى رجله ويبيكي ، فقلنا : مَا لَكَ تَبْكِي ؟ فقال : ما أَغْبَرْتَا في سبيلِ الله . وبكى آخرُ ، فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : عليّ يوم مضى ما صمُّتُهُ وعليّ ليلة ذَهَبَتْ ما قمتها .

وإعلم يا بُنيَ أن الأيام تُبْسَطُ ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكلُّ نَفْسٍ خِزَانَةٌ ، فأحذر أن يذهبَ نَفْسٌ بغيرِ شيءٍ ، فترى في القيامة خِزَانَةً فارغةً فتندم ولا ينفَعُكَ الندم .

شعراً :

مَشِيْبُ النَّوَاصِي لِلْمَنُونِ رَسُوْلُ
فَصِيْحُ إِذَا نَادَى وَأَنْ كَانَ صَامِتًا
فَوَاعَجَبًا مِنْ مُوقِنٍ بِفَنَائِهِ
أَمِنَ بَعْدَ مَا جَاوَزَتْ سَبْعِينَ حَاجَةً
أُتْمِلُ أَمَالًا وَأَرْغَبُ فِي الْغِنَى
وَإِنَّ أَمْرًا دُنِيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ
فَكَمْ عَالِمٍ وَالْجَهْلُ أَوْلَى بِعِلْمِهِ
وَكَمْ مِنْ قَصِيْرٍ فِي عُلُومٍ كَثِيْرَةٍ
فَمَا الْعِلْمُ إِلَّا خَشِيَّةُ اللَّهِ وَالتَّقَى
فِيَارِبَ قَدْ عَلَّمْتَنِي سُبُلَ الْهُدَى
وِيَارِبَ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْمًا عَلَى التَّقَى

آخر :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالدُّنْيَا مُفْرَقَةٌ
وَنَحْنُ نَخْبِطُ فِي ظُلُمَاءَ لَيْسَ بِهَا
فَكَمْ نُرْتَقُ خَرْقًا لَيْسَ مُرْتَقًا
وَكَمْ نَذُلُّ وَفِينَا كُلُّ ذِي أَنْفٍ
وَكَيْفَ يَرْضَى لَيْبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ

اللهم ألهمنا القيام بحقك ، وبارك لنا في الحلال من رزقك ، ولا
تفضحننا بين خلقك ، ياخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا قاضي
الحاجات ويا مجيب الدعوات هب لنا ما سألناه وحقق رجاءنا فيما تمنيناه
وأملناه يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ما في ضمائر الصامتين ، أذقنا
برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك ، يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله
وصحبه أجمعين .

الفصل الرابع

واعلم أن التوبة إذا صححت بأن اجتمعت شروطها وانتفت موانعها قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت ، لو كانت عن أي ذنب كان وقبل طلوع الشمس من مغربها كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

وأخرج الأمام أحمد والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر أي ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض ، والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلغ ، فهذه الحالة حالة حضور الموت وبعد حضور الموت لا يقبل من العاصين توبة ولا من الكافرين رجوع كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ فَلَمَّا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ .

ومن المعوقات الضارة التسوية بالتوبة فمن أين يعلم الإنسان . أنه يبقى إلى أن يتوب فتارك المبادرة بالتوبة بين خطرتين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير ريناً وطبعاً وثانيهما أن يعاجله المرض فلا يجد مهلة للاشتغال بمحو ما وقع من الظلمة في القلب فيأتي ربه بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويجب على الإنسان أن لا يمتنع من التوبة خشية الوقوع في ذنب مرة أخرى فإن هذا ظن يدخله الشيطان في قلبه ليؤخر التوبة ولربما يقول في نفسه سأستمر في المعاصي أيام شبابي وصحتي ثم أتوب بعد ذلك ، وهكذا يسوف ويؤخر ، وإذا بالموت أو المرض يفاجئه فلا يجد متسعاً للتوبة

والرجوع إلى الله . نعوذُ باللهِ مِنْ سَوْءِ الْخَاتِمَةِ . وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ تَكَادُ تَنْخَلُجُ قُلُوبُهُمْ فِي كُلِّ مَرَضَةٍ يَمْرَضُونَهَا ، لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَرَضَةُ إِخْرَاجاً لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ تَدَارُكِ مَا فَاتَ مِنَ الْهَفَوَاتِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَلِلْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ . وَمَرَضَ مَرَّةً بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ فَقَالُوا لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : مُوقِراً بِالذُّنُوبِ فَقَالُوا : هَلْ تَشْتَهِي شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ رَبِّي بِالتَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ قَبْلَ مَوْتِي .

وقد قال العلماءُ ما مِثَالُ الْمُسَوِّفِ بِالتَّوْبَةِ إِلَّا مِثَالُ مَنْ أَحْتَاَجُ إِلَى قَلْعِ شَجَرَةٍ فَرَأَاهَا قَوِيَّةً لَا تَنْقَلِعُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ فَقَالَ : أَوْ أَخْرُهَا سَنَةً ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَرَةَ كُلَّمَا بَقِيَتْ أَزْدَادَتْ قُوَّةَ لُرُسُوحِهَا وَكَلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ أَزْدَادَ ضَعْفُهُ فَلَا حِمَاقَةَ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ حِمَاقَتِهِ إِذْ عَجَزَ مَعَ قُوَّتِهِ عَنْ مُقَاوِمَةِ ضَعِيفٍ فَأَخَذَ يَنْتَظِرُ الْغَلْبَةَ عَلَيْهِ إِذَا ضَعُفَ هُوَ فِي نَفْسِهِ وَقَوَى الضَّعِيفُ .

قال ابنُ القيمِ رحمه الله : إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعْدَهُ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالذُّلِّ وَالْإِفْتِقَارِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَصَدَّقَ اللَّجَأُ إِلَيْهِ وَدَوَامَ التَّضَرُّعِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكْنَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا تَكُونُ تِلْكَ السَّيِّئَةُ بِهِ سَبَبَ رَحْمَتِهِ حَتَّى يَقُولَ عَدُوُّ اللهِ يَا لَيْتَنِي تَرَكْتُهُ وَلَمْ أُوقِعْهُ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلْفِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ قَالُوا : كَيْفَ ؟ قَالَ : يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصِبَ عَيْنَيْهِ خَائِئِفاً مِنْهُ مُشْفِيقاً وَجَلَّلاً بِأَكْيَأَ نَادِماً مُسْتَحِيأً مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ لَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ بِهَا تَرْتَبَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ الْعَبْدِ وَفَلَاحُهُ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنْبُ سَبَبَ دُخُولِ الْجَنَّةِ .

وَيَفْعَلُ الْحَسَنَةَ فَلَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَتَكَبَّرُ بِهَا وَيَرَى نَفْسَهُ شَيْئاً

وَيُعْجَبُ بِهَا وَيَسْتَظِيلُ بِهَا وَيَقُولُ بِهَا وَيَقُولُ فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ ، فَيُورِثُهُ مِنْ
الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَجْرِ وَالْاِسْتِطَالَةِ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَسْكِينِ خَيْرًا ابْتِلَاءً بِأَمْرٍ يَكْسِرُهُ بِهِ وَيُدُلُّ بِهِ
عُنُقَهُ وَيُصَغِّرُهُ بِهِ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ خَلَاءً وَعُجْبَةً وَكِبْرَهُ وَهَذَا
هُوَ الْخُذْلَانُ الْمَوْجِبُ لِهَلَاكِهِ فَإِنَّ الْعَارِفِينَ كُلَّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنْ التَّوْفِيقَ هُوَ
أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِكَ ، وَالذَّلَّ أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ .
انتهى .

يَا مَنْ يُعِيْثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرَ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلَاءِ سَبَبٍ
سِوَى جَمِيْلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا
وَعَدَّتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ فِي صَدْرٍ
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوْفِ بِهَا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْعَرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ
بِحِمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسْطُ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
وَهُمْ يُجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرًا
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدِّ الْكَفِّ أَحْجَلُهُ
قَبَائِحُ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطُّو الخَلْقِ عَنْ نَعَمٍ

مِنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
 وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتَهُ
 فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَنَطُ
 إِرْحَمْ عِبَادًا بَضْنِكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمُوا
 غَيْرُ الدُّجْنَةِ لُحْفُ وَالشَّرَى بُسْطُ
 لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّي عَلِيَّكَ فِي نَمَطُ
 سَامِ رَفِيعِ الذَّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
 وَمَنْ يَكُنْ بِالذِّي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
 فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
 نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
 وَكُلُّ شَيْءٍ يُرْجَى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنَ الْفَوَاحِشِ
 الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَلِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ حَرِيصِينَ عَلَى الْوَقْتِ وَعَلَى حِفْظِ الْكَلَامِ
 فَلَا يَصْرَفُونَ أَوْقَاتَهُمْ إِلَّا لِلْأُخْرَى وَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا لَهَا مَبْتَعِدِينَ عَنِ النِّفَاقِ
 وَالرِّيَاءِ وَالْكَلامِ الْفَارِغِ .

فَقَدْ كَانَ الْفَضِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَالِسًا وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَجَاءَ إِلَيْهِ أُخٌّ لَهُ
 فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ . قَالَ الْمَوَائِسَةُ يَا أَبَا عَلِيٍّ . فَقَالَ هِيَ وَاللَّهِ بِالْمَوَاحِشَةِ
 أَشْبَهَ . هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ لِي وَأَتَرَيْنَ لَكَ وَتَكُذِبُ لِي وَأَكُذِبُ لَكَ فِيمَا أَنْ
 تَقُومَ عَنِّي أَوْ أَقُومَ عَنكَ .

وهكذا كان السلف لا يتلاقون إلا لله ويحترزون في جميع أعمالهم وأقوالهم حتى كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف حالكت وفي الجواب عن ذلك .

فقد قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف أنت في نفسك فقال بسلامة وعافية فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة .

وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت يقول أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا استطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهناً بعملتي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني (أي إلى الله عز وجل صاحب الخير والغنى) .

وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت قال ضعيفاً مذنباً أستوفي رزقي وأنتظر أجلي وقيل لأويس القرني كيف أصبحت قال كيف يصح رجل إذا أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي .

وهكذا كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم ومع هذا فقد كانوا دائماً يسألون الله العون والنصر والرشد والتوفيق لما يحبه ويرضاه .
شعراً :

إِذَا لَمْ يَعْنِكَ اللَّهُ فِيمَا تُرِيدُهُ فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْصُرْكَ لَمْ تَلَقْ نَاصِراً وَإِنْ عَزَّ أَنْصَارٌ وَجَلَّ قَيْلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يُرْشِدْكَ فِي كُلِّ مَسْئَلِكِ ضَلَلْتَ وَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَلِيلُ

قال بعض العلماء أعظم المعاقبة أن لا يُحسَّ المعاقبُ بالعقوبة ، وأشدُّ من ذلك أن يَقَعَ السرورُ بما هو عقوبة ، كالفرح بالمال الحرام ، والتمكين من الذنوب ، ومن هذه حاله لا يفوز بطاعة .

وإني تدبرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين فرأيتهم في عقوباتٍ لا يُحْسِنُ بها ، ومُعْظَمُهَا مِنْ قَبْلِ طَلْبِهِمْ لِلرِّيَاسَةِ . فَالْعَالَمُ مِنْهُمْ يَغْضَبُ إِنْ رُدَّ عَلَيْهِ خَطْوُهُ ، وَالْوَاعِظُ مُتَصَنِّعٌ بَوَعْظِهِ ، وَالْمُتَزَهُدُ مُنَافِقٌ أَوْ مُرَائٍ .

فأولُ عُقُوبَاتِهِمْ ، إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ شُغْلًا بِالْخَلْقِ ، وَمِنْ خَفِيِّ عُقُوبَاتِهِمْ سَلْبُ حَلَاوَةِ الْمَنَاجَاةِ ، وَلَذَّةِ التَّعَبُّدِ .

إِلَّا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ، وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، بِوَاطِنِهِمْ كَطَوَارِهِمْ بِلِأَحْلَى ، وَسَرَائِرِهِمْ كَعَلَانِيَتِهِمْ بِلِأَحْلَى ، وَهِمْمُهُمْ عِنْدَ الثَّرِيَا بِلِأَعْلَى .

إِنْ عُرِفُوا تَنَكَّرُوا ، وَإِنْ رُعِيَتْ لَهُمْ كِرَامَةٌ أَنْكَرُوا . فَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ ، وَهُمْ فِي قَطْعِ فَلَائِهِمْ تُحِبُّهُمْ بِقَاعِ الْأَرْضِ ، وَتَفْرَحُ بِهِمْ أُمَّلَاكُ السَّمَاءِ . نَسَأَلُ اللَّهَ عِزَّوَجَلَّ التَّوْفِيقَ لَا تَبَاعَهُمْ ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ .

شعراً :

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ
فَلَيْسَ بَعْدَ حُلُولِ الْمَوْتِ مَعْتَبَةٌ
وَبَادِرِ التَّوْبِ قَبْلَ الْفَوْتِ وَالنَّدَمِ
وَرَأَقِبِ اللَّهَ وَاحْذَرْ زَلَّةَ الْقَدَمِ
إِلَّا التَّرْجَاءُ وَعَفْوُ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ

آخر :

يَقُولُونَ : أَسْبَابُ الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَصَائِدُ
يُسَارُ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا فَرَحَةٌ ثُمَّ تَرْحَةٌ
فَقُلْتُ : وَأَسْبَابُ الْمُنُونِ كَثِيرٌ
وَأَشْرَاكَ مَكْرُوهٍ لَنَا وَغُرُورُ :
فَكَمْ ذَا إِلَى مَا لَا نُرِيدُ نَسِيرُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مُطْلَقٌ وَأَسِيرُ

قال أحد العلماء وأما زماننا هذا فقد قَيَّدَ الطَّمَعُ ألسنَ العلماء فسكَّتوا
إِذْ لَمْ تُسَاعِدْ أَقْوَاهُمْ أَفْعَاهُمْ ولو صدَّقوا اللهَ لكانَ خيراً لهم .

فإذا نَظَرْنَا إلى فسادِ الرِّعيَّةِ وجَدْنَا سَببَهُ فسادَ الملوكِ .

وإذا نَظَرْنَا إلى فسادِ الملوكِ وجَدْنَا سَببَهُ فسادَ العلماءِ والصالحينِ .

وإذا نظرنا إلى فسادِ العلماءِ والصالحينِ وجَدْنَا سَببَهُ ما استولى عليهم من
حُبِّ المالِ والجاهِ وانتشارِ الصُّبوتِ ونفاذِ الكَلِمَةِ ومُداهنةِ المخلوقينِ وفسادِ
النِّيَّاتِ في الأقوالِ والأعمالِ .

فإذا أَرَادَ وَاحِدٌ منهم أن يُنكَرَ على وَاحِدٍ مِنَ الرِّعيَّةِ لم يَسْتَطِعْ ذلك .

وقال وَهَيْبُ بْنُ الوَرْدِ ، لو أن عُلَمَاءَنَا عَفَا اللهُ عَنَّا وَعَنهم نَصَحُوا اللهُ في

عبادته ، فقَالُوا : يا عِبَادَ اللهِ اسْمَعُوا ما نُخَبِّرُكم عن نبيكم ﷺ وصالح

سَلَفِكم من الزهدِ في الدنيا فاعملوا به . ولا تَنظُرُوا إلى أَعْمَالِنَا هَذِهِ الفِلسَةِ ،

كانُوا قد نصحوا اللهُ في عبادته ، ولكنهم يَأْبُونَ إلا أن يَجْرُوا عِبَادَ اللهِ إلى فِتْنِهِم

وما هُم فيه .

وقال بعض العلماء : إِعْلَمْ أن للعالمِ العاملِ بعلمه حقيقةً علامات

وأمارات تُفَرِّقُ بَيْنَهُ وبين عُلَماءِ اللِّسانِ المخلطينِ المتبعين للهوى المؤثرين للدنيا

على الآخرة .

فمن علامات العالمِ الحقيقيِّ الممتازِ أن يكون متواضعاً خائفاً وجلاً

مُشْفِقاً من خَشْيَةِ اللهِ زاهداً في الدنيا قانعاً باليسير منها هَمُّهُ وشُغْلُهُ فيما يُصْلِحُ

آخِرَتَهُ .

ملتمساً للفقراءِ المتمسكينِ بدينهم الخالية بيوتهم من المِلاهِي

والمُنكَراتِ الذين ليس لهم موارد ولا مساكن يُسَعِفُهُم بما يقدر عليه من مال

وجاه مخلصاً اللهُ في ذلك لا يريد منهم جزاء ولا شكورا .

ناصحاً لعبادِ اللهِ شفيقاً عليهم رحيماً بهم ، آمراً بالمعروفِ فاعلاً له

وناهياً عن المنكرِ ، ومُجْتَنِباً لَهُ ومُسارعاً في الخيراتِ ملازماً للعباداتِ ليلاً ونهاراً

سِراً وجهاراً وملازماً لذكرِ اللهِ وحمده وشكره .

دالاً على الخير داعياً إلى الهدى ، ذَا صَمْتٍ وَتَوَادَّةٍ وَوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ مَحَبًّا
لأهل الطاعة سالكاً طريق أهل السنة والجماعة ، حَسَنُ الأخلاق ، واسعَ
الصَّدر ، لِينُ الجَانِبِ ، مَخْفُوضُ الجَنَاحِ للمؤمنين ، لا متكبراً ، ولا مُتَجَبِّراً ،
ولا طامعاً في الناس ، ولا حريصاً على الدنيا ، ولا مؤثراً لها على الآخرة .
ولا منهمكاً بجمع المال ، ولا مانعاً عن حقه ، ولا فظاً ولا غليظاً ، ولا
مُمَارِياً ، ولا مُخَاصِماً بالباطل ، ولا سَمِيءَ الأخلاق ، ولا ضَيِّقَ الصدر محباً
لأولياء الله ومبغضاً لأعدائه .

ولا مُدَاهِناً ، ولا مُخَادِعاً ، ولا غشاشاً ، ولا مُقَدِّماً للأغنياء على
الفقراء ، ولا مُرَائِياً ، ولا مُحِبّاً للولايات والرياسات .
وبالجملة فيكون مُتَّصِفاً بجميع ما يحثه عليه الكتاب والسنة مُؤْتَمِراً بما
يأمره به من الأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة .

مُجَانِباً لما يَنْتَهِي عنه كتابُ الله وسنةُ رسولِ الله ﷺ من الأخلاق
والأعمال المذمومة ، وهذه صفاتٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ وَيَتَحَلَّى بِهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ،
إِلَّا أَنْ العَالِمَ وَطَالِبَ العِلْمِ أَوْلَى أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا وَيَحَافِظَ عَلَيْهَا وَيَدْعُوَ إِلَيْهَا لِأَنَّهُ
قُدْوَةٌ يُقْتَدَى بِهَا .

وَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَعَ العَامَّةِ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِ لَهُمْ فِي بَيَانِ
الواجباتِ والمحرماتِ ونوافلِ الطاعاتِ وذكْرِ الثوابِ والعقابِ على الاحسانِ
والإساءةِ لِيَصُونَ وَقْتَهُ وَوَقْتَهُمْ عَمَّا لَا يَنْفَعُ فِيهِ ، وَيَكُونَ كَلَامُهُ بِعِبَارَةٍ يَعْرِفُونَهَا
وَيَفْهَمُونَهَا ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الأُمُورَ الَّتِي هُمْ مُلَابِسُونَ لَهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْكُتَ
حَتَّى يُسْأَلَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَوْ مُضْطَرُّونَ .

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي ، فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالذَّنْبِ قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَا لِي حِيلَةٌ ، إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوُكَ ، إِنَّ عَفْوَتَكَ ، وَحُسْنَ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي السَّرَايَا ، وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ ، وَمَنْ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنْامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا ، وَإِنِّي
أَجْنُ بَزَهْرَةَ الدُّنْيَا جُنُونًا ،
وَبَيْنَ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ ،
وَلَوْ أَنَّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا ،
لَشَرُّ النَّاسِ ، إِن لَمْ تَعْفُ عَنِّي
وَأُفْنِي العُمَرَ فِيهَا بِالتَّمَنِّي
كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ ، كَأَنِّي
قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ المِجَنِّ
اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ .

اللهم اجعلنا مِنْ عِبَادِكَ المُخْبِتِينَ ، الغُرِّ المُحَجِّبِينَ الوَفْدِ المُتَقَبِّلِينَ .
اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً ،
وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ
بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ) قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ لَطَائِفِ البَلَايَا وَفَوَائِدِهَا تَكْفِيرُ
الْخَطَايَا بِهَا وَالثَّوَابُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا ، وَهَلْ يَثَابُ عَلَى البَلَاءِ نَفْسِهِ فِيهِ
اِخْتِلَافٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ .

ومنها تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل .
ومنها زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها . قال بعضُ السلف ان العبد
ليمرضُ فيذكرُ ذنوبه فيخرجُ منه مثلُ رأسِ الذبابِ من خشيةِ الله فيغفرُ له .
ومنها انكسارهُ لله عزَّ وجلَّ وذلةُ ذلك أحبُّ إلى الله من كثيرٍ من
طاعاتِ الطائعين .

ومنها أنها تُوجِبُ لِلْعَبْدِ الرَّجُوعَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْوُقُوفَ بِبَابِهِ
والتَضَرُّعَ لَهُ وَالِاسْتِكَانَةَ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ الْبَلَاءِ وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ لَا
يَسْتَكِينُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا
يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الْمُؤْمِنُونَ ٧٧ وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الْإِنْعَامُ ٤٢ .
وفي بعضِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِنَّ اللَّهَ لَيَتِيَلَى الْعَبْدَ وَهُوَ يُجِبُهُ لِيَسْمَعَ
تَضَرُّعَهُ .

وقال سعيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَبْحَانَ مُسْتَخْرِجِ
الدُّعَاءِ بِالْبَلَاءِ وَسَبْحَانَ مُسْتَخْرِجِ الشُّكْرِ بِالرِّخَاءِ .
ومرَّ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ وَهُوَ مَفْحُومٌ فَسَأَلَ عَنْ
سَبَبِ غَمِّهِ فَقِيلَ لَهُ الدَّيْنُ قَدْ فَدَحَهُ . فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَفْتَحَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ قِيلَ
نَعَمْ قَالَ لَقَدْ بَوْرَكَ لِعَبْدٍ فِي حَاجَةٍ أَكْثَرَ مِنْهَا مِنْ دُعَاءِ رَبِّهِ كَائِنَ مَا كَانَتْ .
وكان بعضهم في الدعاء عند الشدائد يجب تعجيل إجابته خشية أن يُقَطَّعَ
عَمَّا فَتُحَّحَ لَهُ .

وقال ثابت إذا دعا الله المؤمنُ بدعوة وكل الله جبريل بحاجته فيقول
الله : لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوتَ عبدي المؤمن .
وروى مرفوعاً من وجوه ضعيفة : رأى بعضُ السلف رب العزة في نومه
فقال يا رب كم أدعوك ولا تجيبني . قال : إني أحب أن أسمع صوتك . ومنها
أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به وذلك مقام عظيم جداً .
وقد تقدمت الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه . ومنها أن البلاء يقطع قلب
المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده .
وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف
بالمؤمنين .

والبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك على أعلى المقامات
وأشرف الدرجات .

وفي الإسرائيليات يقول الله عز وجل : البلاء يجمع بيني وبينك
والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

وإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذ قريباً في الغالب .
قال تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا ﴾ يوسف ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه متى نصر الله الا
إن نصر الله قريب ﴾ البقرة ٢١٤ .

وأخبر عن يعقوب عليه السلام أنه لم ييأس من لقاء يوسف وقال
لإخوته : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) .
وقال : ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ﴾ يوسف ٨٣ .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب ، ان الكرب إذا
اشتد وعظم وتناهى وجد الإيأس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق
بالخالق استجاب له وكشف عنه .

فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام
أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام لما عرض عليه جبريل في الهواء
وقال له ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا .

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفى من
توكل عليه كما قال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ الطلاق ٣ .

قال الفضيل والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك
مولاك كما تريد .

ومنها أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه فيكون في مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلاء عنه .

ولهذا في الحديث الصحيح : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي فيدع الدعاء » .

ومنها أن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه ولا سيما بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت .

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه وتفريج الكرب ، فانه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله . على قدر الكسر يكون الخير .

قال وهب تعبد رجل زماناً ثم بدت له إلى الله حاجة فصام سبعين سبباً يأكل في كل سبت أحد عشرة ثمرة ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه فقال منك أتيت ، لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك .

فنزل إليه عند ذلك ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك .

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه علم أن نعم الله على عبده المؤمن في البلاء أعظم من نعمه عليه في الرخاء .

وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له إن إصابته سراء شكر فكان خيراً وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن » .

ومن ها هنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى بل أيهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة .

وفي المسند والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ :
« عرض على ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع
يوماً فإن جعلت تضرعت إليك وذكرك وإن شبعت شكرتك وحمدتك » .
قال عمر ما أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لإني لا أدري
الخير فيما أحب أو فيما أكره . وقال عمر بن عبدالعزيز أصبحت ومالي سرور
إلا في مواقع القضاء والقدر .

فائدة عظيمة النفع

التوحيد مَفْرَعُ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيائِهِ فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَيُنَجِّيهِمْ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا .
قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفَلَكَ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ وَأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُ فَيُنَجِّيهِمْ بِهِ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا .
وَلِذَلِكَ فَرَعَ إِلَيْهِ يُنْسُ فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَفَرَعَ إِلَيْهِ أَتْبَاعُ
الرُّسُلِ فَنَجَّوْا بِهِ مِمَّا عَذَّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ .
وَمَا فَرَعَ إِلَيْهِ فَرَعُونَ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْهَلَاكِ وَإِدْرَاكِ الْغُرُقِ لَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ .
لَأَنَّ الْإِيْمَانَ عِنْدَ الْمُعَايِنَةِ لَا يَقْبَلُ هَذِهِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ .
فَمَا دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ .
وَلِذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ الْكُرْبِ التَّوْحِيدِ وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا
مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ .
فَلَا يُلْقِي فِي الْكُرْبِ الْعَظَائِمِ إِلَّا الشِّرْكَ .
وَلَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ .
فَهُوَ مَفْرَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلْجُؤُهَا وَحِصْنُهَا وَغِيَاثُهَا .

شعرا :

أَذَلَّ الْحَرَصُ وَالطَّمَعُ الرَّقَابَا ،
إِذَا اتَّضَحَ الصَّوَابُ ، فَلَا تَدَعُهُ ،
وَجَدْتَ لَهُ عَلَى اللَّهْوَاتِ بَرْدًا ،
وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي ،
وَإِنَّ لِكُلِّ تَلْخِيصٍ لَوَجْهًا ،
وَإِنَّ لِكُلِّ مُطَّلَعٍ لِحَدًّا ،
وَكُلُّ سَلَامَةٍ تَعِدُّ الْمَنَايَا ،
وَكُلُّ مُمْلِكٍ سَيَّصِيرُ يَوْمًا ،
أَبَتْ طَرْفَاتُ كُلِّ قَرِيرٍ عَيْنٍ
كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا سَرَابٌ ،
وَإِنَّ يَكُ مُنِيَّةٌ عَجَلَتْ بِشَيْءٍ
فِيَا عَجَبًا تَمُوتُ ، وَأَنْتَ تَبْنِي ،
أَرَاكَ ، وَكُلَّمَا فَتَحْتَ بَابًا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ غُدْوَةَ كُلِّ يَوْمٍ ،
وَحُقَّ لِمُوقِنٍ بِالْمَوْتِ أَنْ لَا
يُدَبِّرُ مَا تَرَى مَلِكٌ عَزِيزٌ ،
أَلَيْسَ اللَّهُ فِي كُلِّ قَرِيْبًا ؟
وَلَمْ تَرَ سَائِلًا لِلَّهِ أَكْدَى ،
رَأَيْتَ الرُّوحَ جَذَبَ الْعَيْشَ لَمَّا
وَلَسْتَ بِغَالِبِ الشَّهْوَاتِ ، حَتَّى
فَكُلُّ مُصِيبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ
كَرْنَا أَيْهَا الْأَتْرَابُ ، حَتَّى
وَكُنَّا كَالْغُصُونِ ، إِذَا تَشَّتْ
إِلَى كَمِّ طَوْلٍ صَبَوْتِنَا بِدَارٍ ،

وقَد يَعْفُو الْكَرِيمُ ، إِذَا اسْتَرَابَا ،
فَإِنَّكَ قَلَّمَا ذُقْتَ الصَّوَابَا
كَبَرِدِ الْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا
أَخْطَأَ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا
وَإِنَّ لِكُلِّ ذِي عَمَلٍ حِسَابَا
وَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ كِتَابَا
وَكُلُّ عِمَارَةٍ تَعِدُّ الْخَرَابَا
وَمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ مَعَا تُرَابَا
بَهَا ، إِلَّا اضْطِرَابَا وَانْقِلَابَا
وَأَيُّ يَدٍ تَنَاوَلَتِ السَّرَابَا
تُسْرُ بِهِ ، فَإِنَّ لَهَا السَّرَابَا
وَتَتَّخِذُ الْمَصَانِعَ وَالْقَبَابَا
مِنَ الدُّنْيَا ، فَتَحَتِ عَلَيْكَ نَابَا
تَزِيدُكَ ، مِنْ مَنِيَّتِكَ ، أَقْتَرَابَا
يُسَوِّغُهُ الطَّعَامَ ، وَلَا الشَّرَابَا
بِهِ شَهَدَتْ حَوَادِثُهُ وَغَابَا
بَلَى ! مِنْ حَيْثُ مَا نُودِي أَجَابَا
وَلَمْ تَرَ رَاجِيًا لِلَّهِ حَابَا
عَرَفْتَ الْعَيْشَ مَحْضًا ، وَاحْتِلَابَا
تَعِدُّ لَهْنٌ صَبْرًا وَاحْتِسَابَا
تَخَفُّ ، إِذَا رَجَوْتَ لَهَا ثَوَابَا
كَأَنَا لَمْ نَكُنْ حِينًا شَبَابَا
مِنَ الرِّيحَانِ مُوْنَعَةً رَطَابَا
رَأَيْتَ لَهَا اغْتِصَابَا وَاسْتِلَابَا

أَلَا مَا لِلْكُهُولِ وَلِلتَّصَابِي ، إِذَا مَا اغْتَرَّ مُكْتَهَلُ تَصَابِي
 فَرِغْتُ إِلَى خِضَابِ الشَّيْبِ مِنِّي وَإِنَّ نُصُولَهُ فَضَحَ الْخِضَابَا
 اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ ، يَا ذَا
 الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، هَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
 اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّومُ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا
 بِهِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ،
 وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ . وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

حکم وفوائد

قال أحد العلماء: لا يَكُنْ هُمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ الْعَمَلِ ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هُمُّهُ فِي
 إِحْكَامِهِ وَإِتْقَانِهِ ، وَتَحْسِينِهِ .

فإن العبد قد يُصَلِّي وهو يَعْصِي اللَّهَ فِي صَلَاتِهِ ، وَقَدْ يَصُومُ وَهُوَ يَعْصِي اللَّهَ
 فِي صِيَامِهِ .

وقيل لآخر : كَيْفَ أَصْبَحْتَ فَبكى ، وَقَالَ أَصْبَحْتُ فِي غِفْلَةٍ عَنِ الْمَوْتِ
 مَعَ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِي ، وَأَجَلٍ يُسْرِعُ كُلَّ يَوْمٍ فِي عُمْرِي ، وَمَوْتَلٍ
 لَسْتُ أَذْرِي عِلْمًا أَهْجِمُ ثُمَّ بَكَى .

وقال آخر : لَا تَعْتَمِدْ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ يَضُرُّكَ غَدًا (أَيُّ فِي الْآخِرَةِ) وَلَا تَفْرَحْ
 بِشَيْءٍ لَا يَسُرُّكَ غَدًا ، وَأَنْفَعُ الْخَوْفُ مَا حَجَزَكَ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَأَطَالَ الْحُزْنَ
 مِنْكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَالزَّمَكِ الْفِكْرَ فِي بَقِيَّةِ عُمْرِكَ .

وقال آخر : عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ تُذَكِّرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُؤْيَتَهُ ، وَتَقَعُ هَيْبَتُهُ
 عَلَى بَاطِنِكَ ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكَ مَنْطِقَهُ .

وَيُزْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا عَمَلَهُ ، وَلَا تَعْصِي اللَّهَ مَا دُمْتَ فِي قُرْبِهِ يَعْظُكَ بِلِسَانِ
 فِعْلِهِ وَلَا يَعْظُكَ بِلِسَانِ قَوْلِهِ .

قال إسرائيل : حَضَرْتُ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيَّ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ وَقَدْ دَخَلَ
 الشَّرْطِيُّ بِطَعَامٍ لَهُ ، فَقَامَ ذُو النُّونِ فَتَفَضَّ يَدَهُ (أَيُّ قَبْضَهَا عَنِ الطَّعَامِ) .

فقيل له : إن أحاك جَاءَ به ، فقال : إنه على يَدِي ظالم ، وقال بعضهم يُوبِخُ نَفْسَهُ وَيَعْظُمُهَا : يا نَفْسُ بِادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ إِنْصِرَامِهَا ، واجتهدِي في حِرَاسَةِ لَيَالِي الْحَيَاةِ وَأَيَّامِهَا .

فكأنك بالقبورِ قد تَشَقَّقْتِ ، وبالأُمُورِ وقد تَحَقَّقْتِ ، وبوُجُوهِ الْمُتَقِينَ وقد أَشْرَقْتِ ، وبرُؤُوسِ الْعَصَاةِ وقد أَطْرَقْتِ ، قال تعالى وتقدس : ﴿ ولو تَرَى إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ يانفس أَمَا الْوَرَعُونَ فَقَدْ جَدُّوا ، وَأَمَا الْوَاعِظُونَ فَقَدْ نَصَحُوا . إِنَّتَهَى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصَّلْ) إِعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الْبَصِيرَةِ إِذَا صَدَّرَتْ مِنْهُ الْخَطِيئَةُ فَلَهُ نَظَرٌ إِلَى أُمُورٍ : أَحَدُهَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ الْإِعْتِرَافَ بِكُونِهَا خَطِيئَةً ، وَالْإِقْرَارَ عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنْبِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ خَوْفًا وَخَشْيَةً تَحْمِلُهُ عَلَى التَّوْبَةِ ، وَالثَّلَاثُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى تَمَكِينِ اللَّهِ لَهُ مِنْهَا وَتَخْلِيئِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَتَقْدِيرِهَا عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَعَصَمَهُ مِنْهَا فَيَحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَجَلَمِهِ وَكَرَمِهِ ، وَتَوْجِبُ لَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ عُبُودِيَّةً بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لَا تَحْصُلُ بَدُونِ لَوَازِمِهَا الْبَيِّنَةُ وَيَعْلَمُ ارْتِبَاطَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالْجِزَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ بِمَوْجِبِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَأَثَرِهَا فِي الْوُجُودِ وَأَنَّ كُلَّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مُقْتَضٍ لِأَثَرِهِ وَمُوجِبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ لَا بُدَّ مِنْهُ .

وَهَذَا الْمَشْهُدُ يُطْلَعُهُ عَلَى رِيَاضِ مُؤَنِقَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْإِيمَانِ وَأَسْرَارِ الْقَدْرِ وَالْحِكْمَةِ يَضِيْقُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا نِطَاقُ الْكَلِمِ فَمِنْ بَعْضِهَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ « يُرِيدُ صَاحِبَ الْمَنَازِلِ » : أَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ عِزَّتَهُ فِي قَضَائِهِ

وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَزِيزُ الَّذِي يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ وَأَنَّهُ لِكَمَالِ عَزَّتِهِ حَكَمَ عَلَى الْعَبْدِ وَقَضَى عَلَيْهِ بِأَنْ قَلْبَ قَلْبُهُ وَصَرَّفَ إِرَادَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ وَحَالَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَهُ مُرِيداً شَائِئاً لِمَا شَاءَ مِنْهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْعِزَّةِ ، إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَغَايَةُ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي بَدَنِكَ وَظَاهِرِكَ ، وَأَمَّا جَعْلُكَ مُرِيداً شَائِئاً لِمَا يَشَاءُ مِنْكَ وَيُرِيدُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ذُو الْعِزَّةِ الْبَاهِرَةِ .

فَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ عِزَّ سَيِّدِهِ وَلَا حِظَّ بِقَلْبِهِ وَتَمَكَّنَ شَهْوَدُهُ مِنْهُ كَانَ الْاِسْتِغَالُ بِهِ عَنِ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ أَوْلَى بِهِ وَأَنْفَعُ لَهُ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ نَفْسِهِ ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ عَزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَقْهُورٌ نَاصِيئُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ لَا عِصْمَةَ لَهُ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ وَلَا تَوْفِيقَ لَهُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ فَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ فِي قَبْضَةِ عَزِيزٍ حَمِيدٍ .

وَمِنْ شُهُودِ عَزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْكَمَالَ وَالْحَمْدَ وَالغِنَى التَّامَّ وَالْعِزَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ نَفْسُهُ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالذَّمِّ وَالْعَيْبِ وَالظُّلْمِ وَالْحَاجَةِ وَكُلَّمَا أَزْدَادَ شُهُودُهُ لِذَلِكَ وَنَقَصَهُ وَعَيْبَهُ وَفَقَّرَهُ أَزْدَادَ شُهُودَهُ لِعِزَّةِ اللَّهِ وَكَمَالِهِ وَحَمْدِهِ وَغِنَاهُ وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ فَنَقُصُ الذَّنْبَ وَذَلَّتُهُ يُطْلَعُهُ عَلَى مَشْهَدِ الْعِزَّةِ .

وَمِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ لَا يُرِيدُ مَعْصِيَةَ مَوْلَاهُ مِنْ حَيْثُ هِيَ مَعْصِيَةٌ فَإِذَا شَهِدَ جَرِيَانَ الْحُكْمِ وَجَعَلَهُ فَاعِلاً لِمَا هُوَ مُخْتَارٌ ، لَهُ مُرِيداً بِإِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ فَكَأَنَّهُ مُخْتَارٌ غَيْرٌ مُخْتَارٍ مُرِيدٌ شَيْءٍ غَيْرُ شَيْءٍ فَهَذَا يَشْهَدُ عِزَّةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ بِرَّهُ سُبْحَانَهُ فِي سَتْرِهِ عَلَيْهِ حَالِ
 ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ مَعَ كَمَالِ رُؤْيِيهِ لَهُ وَلَوْ شَاءَ لَفَضَحَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فَحَذِرُوهُ
 وَهَذَا مِنْ كَمَالِ بَرِّهِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْبَرُّ، وَهَذَا الْبَرُّ مِنْ سَيِّدِهِ كَانَ عَنْ كَمَالِ
 غِنَاهُ وَكَمَالِ فَقْرِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ فَيَشْتَغِلُ بِمِطَالَعَةِ هَذِهِ الْمِئْتَةِ وَمُشَاهَدَةِ هَذَا
 الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ فَيَذْهَلُ عَنْ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ فَيَبْقَى مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
 وَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِجَنَائِيهِ وَشُهُودِ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةِ فَإِنَّ الْإِشْتِغَالَ
 بِاللَّهِ وَالْغَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصِدُ الْأَسْنَى .

وَمِنْهَا شُهُودُ جِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي إِمْهَالِ رَاكِبِ الْخَطِيئَةِ
 مُطْلَقاً وَلَوْ شَاءَ لَعَاجَلَهُ بِالْعُقُوبَةِ وَلَكِنَّهُ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ فَيُحَدِّثُ لَهُ
 ذَلِكَ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمِهِ الْحَلِيمِ وَمُشَاهَدَةَ صِفَةِ الْجِلْمِ وَالتَّعَبُّدِ بِهَذَا
 الْأِسْمِ . وَالْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ ذَلِكَ بِتَوَسُّطِ الذَّنْبِ أَحَبُّ إِلَى
 اللَّهِ وَأَصْلَحُ لِلْعَبْدِ وَأَنْفَعُ مِنْ فَوْتِهَا ، وَوَجُودِ الْمَلْزُومِ بِدُونِ لِازِمِهِ مُمْتَنِعٌ
 وَمِنْهَا مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ كَرَمَ رَبِّهِ فِي قُبُولِ الْعَذْرِ مِنْهُ إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِنَحْوِ مَا تَقْدِمُ
 مِنَ الْإِعْتِذَارِ لَا بِالْقَدْرِ فَإِنَّهُ مَخَاصِمَتُهُ وَمُحَاجَّةٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَشْهَدَ فَضْلَهُ فِي مَغْفِرَتِهِ فَإِنَّ الْمَغْفِرَةَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَإِلَّا فَلَوْ
 أَخَذَ بِمَحْضِ حَقِّهِ كَانَ عَادِلاً مَحْمُوداً .

وَإِنَّمَا عَفْوُهُ بِفَضْلِهِ لَا بِاسْتِحْقَاقِكَ فَيُوجِبُ ذَلِكَ شُكْرًا لَهُ وَمَحَبَّةً
 وَإِنَابَةً إِلَيْهِ وَفِرْحًا وَابْتِهَاجًا بِهِ وَمَعْرِفَةً لَهُ بِأَسْمِهِ الْغَفَّارِ وَمُشَاهَدَةً لِهَذِهِ الصِّفَةِ
 وَتَعَبُّدًا بِمُقْتَضَاهَا وَذَلِكَ أَكْمَلُ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ .

وَمِنْهَا أَنْ يُكْمِلَ لِعَبْدِهِ مَرْتَبَةَ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنْكَسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ .

ومنها أن أسماء الرب تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها فاسم السميع البصير يقتضي مسموعاً ومبصراً ، واسم الرزاق يقتضي مرزوقاً واسم الرحيم يقتضي مرحوماً وكذلك أسماء « الغفور والعفو والتواب والحليم » يقتضي من يغفر له ويتوب عليه ويعفو ويحلم ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات إذ هي أسماء حسنى وصفات كمال ونعوت جلال وأفعال حكمة وإحسان وجود فلا بد من ظهور آثارها في العالم .

وإلى هذا أشار أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول لو « لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم » وأنت إذا فرضت الحيوان بجملته معدوماً فمن يرزق الرزاق سبحانه وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية عن العالم فلمن يغفر؟ وعمن يعفو؟ وعلى من يتوب ويحلم؟ وإذا فرضت الفاقات كلها قد سدت والعبيد أغنياء معافين فأين السؤال والتضرع والابتهال والإجابة وشهود المنية والتخصيص بالانعام والاكرام فسبحان من تعرف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات ودلهم عليه بأنواع الدلالات انتهى .

شعراً :

حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكَاسِهَا
رَيْبَ الْمَنُونِ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ
عَجَباً لِإِمْنِكَ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً
وَيَفْقِدِ الْإِنْفِ لَا تَزَالُ تُرَوِّعُ

أَفْقَدَ رَضِيَّتَ بَأْنِ تُعَلَّلَ بِالْمُنَى
 وَإِلَى الْمَنِيَّةِ كُلِّ يَوْمٍ تُدْفَعُ
 لَا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طَوْلٍ تَجَارِبُ
 دُنِيًّا تُعْرُ بَوْصِلَهَا وَسَتُقْطَعُ
 أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَايِلِ
 إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
 وَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمٍ فَقْرِكَ دَائِمًا
 الْغَيْرِ نَفْسِكَ لَا أَبَالَكَ تَجْمَعُ
 آخِر :

يَاعْبُدْ كَمْ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَعْصِيَةٍ
 يَا عَبْدُ لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَقُومُ لَهُ
 إِذَا عَرَضَتْ عَلَى نَفْسِي تَذَكُّرَهَا
 آخِر :

إِنْ كُنْتَ نَاسِيَهَا فَاللَّهُ أَحْصَاهَا
 وَوَقْفَةَ لَكَ يُدْمِي الكَفَّ ذِكْرَاهَا
 وَسَاءَ ظَنِّي قُلْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

مَا زُخِرْفُ الدُّنْيَا وَزُبْرُجُ أَهْلِهَا
 وَكُرْبُ أَقْوَامٍ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
 وَكُرْبُ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
 وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ
 كُلُّ يَدُورُ عَلَى الْبَقَاءِ مُؤْمَلًا
 وَالذَّائِمُ الْمَلَكُوتِ رَبٌّ لَمْ يَزَلْ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ
 إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامٌ
 وَتَمْضِينَ كَمَا مَضَى الْأَقْوَامُ
 أُمْسَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ رُكَامُ
 تَلَّهُوا وَتَلَعَبُ بِالْمُنَى وَتَنَامُ
 وَعَلَى الْفَنَاءِ تُدِيرُهُ الْأَيَّامُ
 مَلِكًا تَقْطَعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
 أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامُ

اللهم اغتفنا من رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَتَخَلَّصْنَا مِنْ أَشْرِ النَّفُوسِ ، وَأَذْهَبْ عَنَّا
 وَخَشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
 مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللهم طيِّبْنَا لِلْقَائِكِ ، وَأَهْلُنَا لَوَلَائِكِ ، وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكِ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِينَ بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللهم يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطِعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْإِعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تُؤَفِّقَنَا لِمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌّ كَرِيمٌ رَوْفٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فَصَّلْ) وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلتَّوْبَةِ الْمُقْبُولَةِ عِلَامَاتٌ :

مِنْهَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِمَّا قَبْلَهَا ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَزَالُ الْخَوْفُ مُصَاحِبًا لَهُ لَا يَأْمُنُ مَكَرَ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، فَخَوْفُهُ مُسْتَمِرٌّ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَ الرَّسْلِ لِقَبْضِ رُوحِهِ (٤١) : ٣٠ ﴿ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فَهَذَا يُزِيلُ الْخَوْفَ .

وَمِنْهَا انْخِلَاعُ الْقَلْبِ وَتَقَطُّعُهُ نَدْمًا وَخَوْفًا وَهَذَا عَلَى قَدْرِ عِظَمِ الْجِنَايَةِ وَصِعْرِهَا . وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عُيَيْنَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (٩ : ١١٠) ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ . قَالَ : تَقَطُّعُهَا بِالتَّوْبَةِ . وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْعَظِيمَةِ يُوجِبُ انْصِدَاعَ الْقَلْبِ وَانْخِلَاعَهُ .

وَهَذَا هُوَ تَقَطُّعُهُ وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ لِأَنَّهُ يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ حَسْرَةً عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ وَخَوْفًا مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ فَمَنْ لَمْ يَنْقَطِعْ قَلْبُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا فَرَطَ حَسْرَةً وَخَوْفًا تَقَطَّعَ فِي الْآخِرَةِ إِذَا حُقَّتِ الْحَقَائِقُ وَعَايَنَ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ وَعِقَابَ الْعَاصِينَ فَلَا بُدَّ مِنْ تَقَطُّعِ الْقَلْبِ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ .

وَمِنْ مُوجِبَاتِ التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ أَيْضاً كَسْرَةُ خَاصَّةٌ تَحْصُلُ لِلْقَلْبِ لَا يَشْبِهُهَا شَيْءٌ ، وَلَا تَكُونُ لِغَيْرِ الْمُنْذِبِ لَا تَحْصُلُ بِجُوعٍ وَلَا رِيَاضَةٍ وَلَا حُبِّ مُجَرَّدٍ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْرٌ ، وَرَاءَ هَذَا كُفَيْهِ ، تُكْسَرُ الْقَلْبُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ كَسْرَةً تَامَةً قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَالْقَتُّ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ طَرِيحاً ذَلِيلًا خَاشِعاً كَحَالِ عَبْدٍ جَانٍ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فَأُخِذَ فَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُنْجِيهِ مِنْ سَطْوَتِهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ بُدَأَ وَلَا عَنْهُ غَنَاءٌ وَلَا مِنْهُ مَهْرَبٌ وَعَلِمَ أَنَّ حَيَاتَهُ وَسَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ وَنَجَاحَهُ فِي رِضَاةِ عَنْهُ ، وَقَدْ عَلِمَ إِحَاطَةَ سَيِّدِهِ بِتَفَاصِيلِ جِنَايَاتِهِ ، هَذَا مَعَ حُبِّهِ لِسَيِّدِهِ وَشِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ وَعِلْمِهِ بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ وَذُلِّهِ وَقُوَّةِ سَيِّدِهِ وَعِزَّتِهِ . فَيَجْتَمِعُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ كَسْرَةُ وَذُلٌّ وَخُضُوعٌ مَا أَنْفَعَهَا لِلْعَبْدِ وَمَا أَجْدَى عَائِدَتُهَا عَلَيْهِ وَمَا أَعْظَمَ جَبْرُوتُهَا بِهَا وَمَا أَقْرَبَهُ بِهَا مِنْ سَيِّدِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى سَيِّدِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَسْرَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالْإِخْبَاتِ وَالانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالاسْتِسْلَامِ لَهُ .

فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحْمَتِي . أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي ، وَبِغِنَاكَ عَنِّي وَفَقْرِي إِلَيْكَ هَذِهِ نَاصِيَتِي الْكَاذِبَةُ الْخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، عَيْبُكَ سِوَايَ كَثِيرٌ وَلَيْسَ لِي سَيِّدٌ سِوَاكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ ، وَأَبْتَهَلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ ، وَذُلُّ لَكَ قَلْبُهُ .

فَهَذَا وَمِثَالُهُ مِنْ آثَارِ التَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَلْيَتَّهَمِ تَوْبَتَهُ وَلْيَرْجِعْ إِلَى تَصْحِيحِهَا فَمَا أَصْعَبَ التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ بِالْحَقِيقَةِ

وَمَا أَسْهَلَهَا بِاللِّسَانِ وَالِدُّعْوَى ، وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنَ التُّوبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَحَقَائِقُ التُّوبَةِ ثَلَاثَةٌ : وَعَدَّ مِنْهَا اتِّهَامَ التُّوبَةِ قَالَ : لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَيْهِ لَا يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ أَدَّى هَذَا الْحَقَّ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ عَلَيْهِ ، فَيَخَافُ أَنَّهُ مَا وَفَّاهَا حَقَّهَا وَأَنَّهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَبْذُلْ جُهدَهُ فِي صِحِّحَتِهَا ، وَأَنَّهَا تَوْبَةٌ عِلَّةٌ وَهِيَ لَا يَشْعُرُ بِهَا كَتُّوبَةِ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ وَالْإِفْلَاسِ وَالْمُحَافِظِينَ عَلَى حَاجَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ .

أَوْ أَنَّهُ تَابَ مُحَافِظَةً عَلَى حَالِهِ فَتَابَ لِلْحَالِ لَا خَوْفًا مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، أَوْ أَنَّهُ تَابَ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ مِنَ الْكَدِّ فِي تَحْصِيلِ الذَّنْبِ أَوْ اتِّقَاءَ مَا يَخَافُهُ عَلَى عِرْضِهِ وَمَالِهِ وَمَنْصِبِهِ أَوْ لِيُضْعِفَ دَاعِيَ الْمَعْصِيَةِ فِي قَلْبِهِ وَخُمُودِ نَارِ شَهْوَتِهِ أَوْ لِمُنَافَاةِ الْمَعْصِيَةِ لِمَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي كَوْنِ التُّوبَةِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلِحُرْمَاتِهِ وَإِجْلَالًا لَهُ وَخَشْيَةً مِنْ سُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ وَعَنْ الْبُعْدِ وَالطَّرْدِ عَنْهُ وَالْحِجَابِ عَنْ رُؤْيِهِ وَجِهِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهَذِهِ التُّوبَةُ لَوْنٌ وَتَوْبَةُ أَصْحَابِ الْعِلَلِ لَوْنٌ قَالَ :

وَمِنْ اتِّهَامِ التُّوبَةِ ضَعْفُ الْعَزِيمَةِ وَالْتِفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى الذَّنْبِ الْفَيْئَةِ بَعْدَ الْفَيْئَةِ وَتَذَكُّرُ حَلَاوَةِ مُوَاقِعَتِهِ . وَمِنْ اتِّهَامِ التُّوبَةِ طُمَأْنِينَتُهُ وَوُثُوقُهُ مِنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ تَابَ حَتَّى كَانَهُ قَدْ أُعْطِيَ مَنْشُورًا بِالْأَمَانِ فَهَذِهِ مِنْ عِلَامَاتِ التُّهْمَةِ .

وَمِنْ عِلَامَاتِهَا جُمُودُ الْعَيْنِ وَاسْتِمْرَارُ الْعُقْلَةِ وَأَنْ لَا يَسْتَحْدِثَ بَعْدَ التُّوبَةِ أَعْمَالًا صَالِحَةً لَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ .

وصايا وفوائد ومواعظ وآداب

أَوْصَى بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ بِمَوْضِعٍ بَانَ حَصَلَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَاعْمَلْ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ طَاعَةً كَاسْتِغْفَارٍ وَذِكْرِ اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَكَمَا يَشْهَدُ عَلَيْكَ يَشْهَدُ لَكَ .

قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ . وَكُلَّمَا تَذَكَّرْتَ ذَنْبًا صَدَرَ مِنْكَ قُتْبٌ عَقِبَ ذِكْرِكَ إِيَّاهُ تَوْبَةٌ نَصُوحًا وَأَكْثَرُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ .
قال الله جل وعلا ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَسْرِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

إِحْرَاصٌ عَلَى أَنْ تَنْوِيَ فِعْلَ الْخَيْرِ ، وَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِشَرٍّ فاعزِمِ عَلَى تَرْكِهِ لِلَّهِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
﴿إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بَانَ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا﴾ .

وَإِذَا تَحَدَّثَ بَانَ يَعْمَلُ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَمَا أَوْصَى بِهِ بَعْضُهُمْ قَالَ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى جَنْبِكَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَفِي الْمَلَا .

قال الله جل وعلا ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ . وَقَالَ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾ .

وقال تعالى ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولاً » .

أحرص على صيانة الوقت وثابر على إتيان جميع ما يقربك إلى الله من الأعمال وبالأخص الأكتار من كلمة الاخلاص وهي لا إله إلا الله .
وأعلم أنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يئائله شيء ، وهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى كلمة وما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفهّمه معناتها ووقفه للعمل بمقتضاها وعليك بالقيام بها اقترض الله عليك وملازمته على الوجه الأكمل الذي أمرك الله جل وعلا أن تقوم فيه .

قال الله جل وعلا ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ . وفي حديث سفيان بن عبد الله قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « استقيموا ولن تحصوا وأعملوا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » . وفي رواية للإمام أحمد سددوا وقاربوا ولا يحافظ على الصلاة إلا مؤمن » .
وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن أقوالك من جملة أعمالك قال الله جل وعلا ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

وقال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ واحذر الإقامة بين أظهر الكفار فإن في ذلك تشجيعاً للكفار وإهانةً لدين الإسلام وإعلاءً لكلمة الكفر . نسأل الله العافية فعلى المسلم أن يحفظ أولاده عن الذهاب إلى بلاد الكفار وينصح من يقبل منه من قرابته وأصدقائه وجميع المسلمين .

قال النبي ﷺ « أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين لا ترآى ناراهما » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بفهم وتدبر وتفكر ونظر فيما تتلوهُ إلى ما حمده فيه من النعوت والصفات التي وصفَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بها من أحبهُ من عباده فاتصف بها .

وما ذمهُ اللهُ في القرآن من الصفات فاجتنبها فإن الله جَلَّ وَعَلَا ما أنزلها في كتابه وذكرها لك وعرفك بها إلا لتعمل بها .

فإذا قرأت القرآن فاجمع قلبك وحضره وفكر فيما تتلو وما أشكل عليك فطالع معناه في التفسير إن كنت تحسن ذلك وإلا فاسأل أهل الذكر .

قال الله جَلَّ وَعَلَا وتقدس ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ . ولا أفضل من تلاوة كلام الله فأفضل الكلام كلام الملك العلام جل وعلا وتقدس .

وكل ذكر ورد فضله في خبر أو أثر فهو بعد كلام الله فالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد بعد التلاوة وبعدهن الصلاة على رسول ﷺ .

وعليك بمجالسة من تتفع بمجالسته في دينك من علم تستفيده أو عمل يكون فيه أو خلق حسن يكون عليه تكسبه من صحبته .

وعليك بالبداهة فإنها من الإيمان وهي ترك الزينة وعدم الترفه وورثاة

الهيئة والرضا بالدون من الثياب لما ورد في الحديث « إن البداهة من الإيمان »

وفي الحديث الآخر « إن الله عز وجل يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس »

وفي الحديث الآخر « ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه أحسبه قال

تواضعا كساه الله حلة الكرامة » رواه أبو داود .

ومن يرتضي أدنى اللباس تواضعا سيكسى الثياب العقريات في غد

اللهم أرحم غربتنا في القبور وأمنا يوم البعث والنشور واغفر لنا

ولوآلدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

[فائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ دَاوُّهُ الْمَعْصِيَةِ ، فَشِفَاؤُهُ الطَّاعَةِ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُّهُ
الْغَفْلَةِ ، فَشِفَاؤُهُ الْيَقَظَةِ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُّهُ كَثْرَةُ الْأَشْغَالِ ، فَشِفَاؤُهُ فِي تَفْرِيعِ
الْمَالِ .

فَمَنْ تَفَرَّغَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا قَلْبُهُ ، قَلَّ تَعَبُهُ ، وَتَوَفَّرَ مِنَ الْعِبَادَةِ
نَصِيْبِهِ ، وَاتَّصَلَ إِلَى اللَّهِ مَسِيرُهُ ، وَارْتَفَعَ فِي الْجَنَّةِ مَصِيرُهُ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الذِّكْرِ
وَالْفِكْرِ وَالْوَرَعِ وَالزَّهْدِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، وَغَوَائِلِ النَّفْسِ .
وَمَنْ كَثُرَ فِي الدُّنْيَا هَمُّهُ ، أَظْلَمَ طَرِيقُهُ ، وَنَصَبَ بَدَنُهُ ، وَضَاعَ وَقْتُهُ ،
وَتَشَتَّتَ شَمْلُهُ ، وَطَاشَ عَقْلُهُ ، وَانْعَقَدَ لِسَانُهُ عَنِ الذِّكْرِ ، لِكَثْرَةِ هُمُومِهِ
وَعَمُومِهِ ، وَصَارَ مُقَيَّدَ الْجَوَارِحِ عَنِ الطَّاعَةِ ، مِنْ قَلْبِهِ فِي كُلِّ وَادٍ شُعْبَةٌ ،
وَمِنْ عَمْرِهِ لِكُلِّ شِغْلٍ حِصَّةٌ .

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ فَضُولِ الْأَعْمَالِ وَالْهَمُومِ فَكُلِّ مَا شِغَلَ الْعَبْدَ عَنِ
الرَّبِّ فَهُوَ مَشْتُومٌ ، وَمَنْ فَاتَهُ رِضَى مَوْلَاهُ فَهُوَ مُحْرَمٌ ، كُلُّ الْعَافِيَةِ فِي الذِّكْرِ
وَالطَّاعَةِ ، وَكُلُّ الْبَلَاءِ فِي الْغَفْلَةِ وَالْمُخَالَفَةِ ، وَكُلُّ الشِّفَاءِ فِي الْإِنَابَةِ
وَالتَّوْبَةِ ، وَانظُرْ لَوْ أَنَّ طَبِيباً نَصْرَانِيًّا نَهَاكَ عَنِ شَرِّبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَجْلِ مَرَضٍ
فِي جَسَدِكَ لِأَطْعَمْتَهُ فِي تَرْكِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ يَصْدُقُ
وَقَدْ يَكْذِبُ وَقَدْ يُصِيبُ وَقَدْ يُخْطِئُ وَقَدْ يَنْصَحُ وَقَدْ يَعْشُ ، فَمَا بِالكَ لَا تَتْرَكَ
مَا نَهَاكَ عَنْهُ أَنْصَحُ النَّاصِحِينَ وَأَصْدُقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ لِأَجْلِ
مَرَضِ الْقَلْبِ الَّذِي إِذَا لَمْ تَشْفَ مِنْهُ فَانْتَ مِنْ أَهْلِكَ الْهَالِكِينَ .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيهَا رُمْتَ مَغْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جَدٌّ وَتَشْمِيرٌ
يَا مُدْعِي الْحُبِّ فِي شَرْعِ الْغَرَامِ وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَهُ لَكِنَّهَا زُورٌ

أَفْنَيْتَ عَمْرَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ هَذَا وَأَنْتَ بَعِيدُ الدَّارِ مَهْجُورُ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا ذُبْتَ مِنْ كَمَدٍ مَا لِلْجِرَاحِ بِجِسْمِ الْمَيْتِ تَأْثِيرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
اللهم إنا نسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا
دُعيت به أجبت ، وإذا سُئلت به أعطيت ، وإذا استُرحمت به رحمت ،
وإذا استفرجت به فرجت أن تغفر سيئاتنا وتبدلها لنا بحسنات يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصبحه أجمعين .

« موعظة »

كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى وَلَدِهِ الْحُسَيْنِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ
عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَالِدِ الْفَائِي الذَّمَّ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى ، إِلَى
الْوَلَدِ الْمُؤْمِلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةَ الْأَسْقَامِ
وَرَهِينَةَ الْأَيَّامِ وَأَسِيرُ الْمَنَايَا وَقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيحُ الشَّهَوَاتِ وَنُصْبُ الْأَفَاتِ
وَخَلِيفَةُ الْأَمْوَاتِ .

يَا بُنَيَّ إِنْ بَقِيتُ أَوْ فَنَيْتُ فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ
قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَلَا عِتْصَامَ بِحَبْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْآيَةَ وَأَيُّ سَبَبٍ يَا بُنَيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أَحْبِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَنَوِّرَهُ بِالْحِكْمَةِ وَقَوِّهِ بِالزُّهْدِ وَذَلِّلْهُ بِالْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ
بِالْفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَتَقَلِّبْ اللَّيَالِي .

وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ فَانظُرْ مَا فَعَلُوا
وَأَيْنَ حَلُّوا فَانْكَرْ مَجْدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلُوا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ وَنَزَلُوا دَارَ الْغُرْبَةِ .

وَكأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ يَا بُنَيَّ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَبِعْ دُنْيَاكَ بِأَخْرَتِكَ وَلَا
تَبِعْ أَخْرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْأَمْرَ فِيمَا لَا تَكَلِّفُ وَمَرُّ
بِالمَعْرُوفِ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنُ
مَنْ فَعَلَهُ .

وَخَضَ الغَمَرَاتِ إِلَى الحَقِّ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللّهِ لَوْمَةٌ لائِمٌ وَاحْفَظْ
وَصِيَّتِي فَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ عَنْ حُسْنِ الِارْتِيَادِ
مَعَ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ .

فَإِنْ أَصَبْتَ مِنْ أَهْلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عَنْكَ زَادَكَ فَيُؤَافِيكَ بِهِ فِي
مَعَادِكَ فَاعْتَنِمَهُ فَإِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا أَخْفُ النَّاسِ جِهْلًا .

وَاجْمَلْ فِي الطَّلَبِ وَأَحْسِنْ فِي المَكْسَبِ فَرُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ
وَإِنَّمَا المَحْرُوبُ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ وَالمَسْلُوبُ مَنْ سُلِبَ يَقِينُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى
يَعْدُلُ الجَنَّةَ وَلَا فِقْرٌ يَعْدُلُ النَّارَ وَالمَسْلُوبُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّهِ .

قال الناظم رحمه الله :

وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ وَالرَّجَا عَامِلًا لِمَا
تَخَافُ وَلَا تَقْنِطُ وَتُوقَأُ بِمَوْعِدِ
تَذَكَّرْ ذُنُوبًا قَدْ مَضَيْنَ وَتُبْ لَهَا
وَتُبْ مُطْلَقًا مَعَ فَقْدِ عِلْمِ التَّعَمُّدِ
وَبَادِرْ مَتَابًا قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ
وَتَطْوَى عَلَى الأَعْمَالِ صُحُفُ التَّزْوُدِ
فَجِئْتِيذٍ لَا يَنْفَعُ المَرَّةَ تَوْبَةً
إِذَا عَايَنَ الأَمْلَاكُ أَوْ غَرَّغَرَ الصَّيْدِي
وَلَا تَجْعَلِ الأَمَالَ جِصْنًا فَإِنَّهَا
سَرَابٌ يَغُرُّ الغَافِلَ الجَاهِلَ الصَّيْدِي

فَيَيْنَا هُوَ مُغْتَرَا يُفَاجِئُهُ الرَّدَى
فَيُضْبِحُ نَدْمَانَا يَعْضُ عَلَى الْيَدِ
وَتَوْبَةٌ حَقِّ اللَّهِ يَسْتَغْفِرُ الْفَتَى
وَيَنْدُمُ يَنْوِي لَا يَعُودُ إِلَى الرَّدَى
وَأِنْ كَانَ مِمَّا يُوجِبُ الْحَدَّ ظَاهِرًا
فَيَسْتُرُكَ أَوْلَى مِنْ مُقَرَّرٍ لِيُحَدِّدَ
وَأِنْ تَابَ مِنْ غَضَبٍ فَيُشْرَطُ رَدُّهُ
وَمَعَ عَجْزِهِ يَنْوِي مَتَى وَاتَّ يَرُدُّ
وَمِنْ حَدِّ قَذْفٍ أَوْ قِصَاصٍ مَتَابُهُ
بِتَمْكِينِهِ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَا أَبْتَدَى
وَتَحْلِيلُ مَظْلُومٍ مَتَابٌ لِنَادِمٍ
تَدَارُكُ عُدْوَانِ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ

لله دَرَّ قوم بادروا الأوقات ، واستدركوا الهفوات ، فالعين مشغولة
بالدَّمْعِ عن المحرّمات ، واللسان محبوسٌ في سِجْنِ الصَّمْتِ عن الهلكات ،
والكفُّ قد كُفَّتْ بالخوفِ عن الشهوات ، والقدّم قد قيّدت بقيد
المحاسبات .

والليل لَدَيْهِمْ يجَارُونَ فيه بالأصوات ، فإذا جاء النهارُ قطعوه
بمقاطعة اللذات ، فكم من شهوة ما بلغوها حتى الممات .

فَتَيْقُظُ لِلْحَاقِمِ مِنْ هَذِهِ الرِّقَدَاتِ ، وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي الْخِلَاصِ مَعَ
عَدَمِ الْإِحْلَاصِ فِي الطَّاعَاتِ ، وَلَا تُؤْمَلَنَّ النِّجَاةَ وَأَنْتَ مَقِيمٌ عَلَى الْمَوْبِقَاتِ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وَقَالَ ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ
كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ .

شِعْرًا :

أَحْيَيْ قَدْ طَالَ لُبُّكَ فِي الْفَسَادِ وَبِئْسَ الزَّادُ زَادَكَ لِلْمَعَادِ
صَبَا مِنْكَ الْفَوَادُ فَلَمْ تَزْعُهُ وَجِدْتَ إِلَى مُتَابَعَةِ الْفَوَادِ
وَقَادَتْكَ الْمَعَاصِي حَيْثُ شَاءَتْ وَالْفَتْكَ امْرَأً سَلِسَ الْبِقَادِ
لَقَدْ نُودِيتَ لِلتَّرْحَالِ فَاسْمَعْ وَلَا تَتَّصِمَنَّ عَنِ الْمُنَادِي
كَفَاكَ مَشِيبُ رَأْسِكَ مِنْ نَذِيرِ وَغَالَبَ لَوْنُهُ لَوْنَ السُّوَادِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

فيما يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ آرْتِكَابِهِ .

قال ابن الجوزي رحمه الله : المسلمون المُغْتَرُونَ طبقات :

الطبقة الأولى (طبقة العلماء) : وَهُمْ قَوْمٌ أَحْكَمُوا الْعِلْمَ وَتَرَكُوا
الْعَمَلَ بِهِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ حَفِظُوا الشَّرِيعَةَ فَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرٌ ، وَلَوْ حَقَّقُوا
النَّظَرَ ، لَعَلِمُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُرَادُ إِلَّا لِلْعَمَلِ وَكَأَنَّهُمْ يَزِيدُونَ مِنَ الْحُجَّةِ
عَلَيْهِمْ .

ومِنْهُمْ قَوْمٌ أَحْكَمُوا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُصَلِّحُوا الصِّفَاتِ
الْبَاطِنَةَ الْمَذْمُومَةَ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ هَذِهِ شَعْلٌ تَعْمَلُ فِي
بَيْتِ الْقَلْبِ فَتُحْرِقُ بَوَاطِنَ الْمَعْرِفَةِ .

قُلْتُ وَهَؤُلَاءِ كَمَرِيضٍ ظَهَرَ بِهِ جُرُوحٌ أَصْلُهَا فِي الْبَاطِنِ فَأَمَرَ الطَّبِيبُ
مَنْ بِهِ ذَلِكَ أَنْ يَغْسِلَ الظَّاهِرَ بِدَوَاءٍ وَأَمَرَهُ بِشُرْبِ دَوَاءٍ آخَرَ لِمَا نَشَأَ عَنْهُ
الظَّاهِرُ فَاسْتَعْمَلَ مَا لِلظَّاهِرِ وَتَرَكَ مَا لِلْبَاطِنِ فَأَزَالَ مَوْقَتًا مَا بظَاهِرِهِ وَأَمَّا مَا
فِي بَاطِنِهِ فَعَلَى حَالِهِ .

فَلَوْ شَرِبَ مَا لِلْبَاطِنِ مِنَ الدَّوَاءِ بَرَى الظَّاهِرُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَاسْتَرَاحَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي إِذَا اخْتَفَتْ فِي الْقَلْبِ ظَهَرَ أَثَرُهَا عَلَى جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ .

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ قَوْمٌ سَلِمُوا مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ ، لَكِنَّهُمْ فِي خِدْمَةِ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ فَهَمْ يُصَنَّفُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ وَمُرَادُهُمْ ذِكْرُهُمْ بِذَلِكَ وَمَدْحُهُمْ وَكَثْرَةُ اتِّبَاعِهِمْ وَهَذِهِ الْآفَةُ مِنْ خَبَايَا النُّفُوسِ لَا يَفِطِنُ لَهَا إِلَّا الْأَكْيَاسُ مِنَ النَّاسِ .

الطبقة الثانية (طبقة العباد) : فمنهم من حَقَّقُوا التَّعَبُّدَ إِلَّا أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ فَهُوَ مَغْرُورٌ بِذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ كَثِيرًا مِنَ الْفَرَائِضِ شُغْلًا بِالنَّوَافِلِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُهُ الْوَسْوَاسُ فِي نِيَّةِ الصَّلَاةِ ثُمَّ يَتْرُكُ قَلْبَهُ فِي بَاقِيهَا يَسْرَحُ فِي الْعَفَلَاتِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يُكْثِرُ التِّلَاوَةَ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا يَتْلُو ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصُومُ وَلَا يَتَحَفَّظُ مِنْ غَيْبَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى الْحَجِّ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَظَالِمِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي نَفَقَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجَاوِرُ بِمَكَّةَ وَيَنْسَى الْحُرْمَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ . قَلْتُ وَأَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الْمَالِ وَهُوَ رَاغِبٌ فِي الرِّيَاسَةِ بِالزُّهْدِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ الْفُقَرَاءِ فِي صُورِ ثِيَابِهِمْ وَمُرَقَّعَاتِهِمْ وَيَتْرُكُ أَخْلَاقَهُمُ الْبَاطِنَةَ ، فَيَشْبَعُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَنَامُ اللَّيْلَ وَلَا يَعْرِفُ وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ .

قَلْتُ وَهَؤُلَاءِ غُرُورُهُمْ عَظِيمٌ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا قَدَرُوا عَلَى تَحْقِيقِ دَقَائِقِ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَهُمْ مُخْلِصُونَ ، وَلَا وَقَفُوا عَلَى خَبَايَا النُّفُوسِ إِلَّا وَهُمْ مُنْزَهُونَ ، وَهُمْ أَحَبُّ فِي الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَيُظْهِرُونَ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لِشِدَّةِ حَرِيصِهِمْ عَلَيْهَا وَقُوَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِيهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ فَيَمُنُ يَظْهَرُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَيْهَا :

أُظْهِرُوا لِلنَّاسِ زُهْدًا وَعَلَى الدِّينَارِ دَارُوا
وَلَهُ صَلُّوا وَصَامُوا وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا
لَوْ يَرَى فَوْقَ الثَّرِيَّا وَلَهُمْ رَيْشٌ لَطَارُوا

يُحْثُونَ عَلَى الْإِحْلَاصِ وَهُمْ غَيْرُ مُخْلِصِينَ وَيُظْهِرُونَ الدُّعَاءَ إِلَى
اللَّهِ وَهُمْ مِنْهُ فَارُونَ وَيُخَوِّفُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ آمِنُونَ . وَيُذَكِّرُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ
لَهُ نَاسُونَ ، وَيُحْثُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسَّنَةِ بِالذَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَهُمْ لَهَا
نَابِذُونَ وَيَذَمُّونَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ وَهُمْ بِهَا مُتَّصِفُونَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ
أَسْمَاعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . وقوله تعالى حكاية عما قال شعيب
﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ وَوَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ
جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ . قَالَ
أَبْلَغْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَرْجُو . قَالَ : إِنْ لَمْ تَخْشَ أَنْ تَفْتَضِحَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ يَشِيرُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْآيَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ .

الطَبَقَةُ الثَّلَاثَةُ : « أَرْبَابُ الْأَمْوَالِ » فَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَحْرِصُونَ عَلَى بِنَاءِ
الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَيَكْتُبُونَ أَسْمَاءَهُمْ عَلَيْهَا لِتَخْلِيدِ ذِكْرِهِمْ وَمَنْ أَرَادَ
وَجْهَ اللَّهِ لَمْ يُبَالِ بِذِكْرِ الْخَلْقِ وَهَؤُلَاءِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّهُمْ اغْتَرُّوا
مِنْ وَجْهِهِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ اكْتَسَبُوهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالشُّبُهَاتِ وَالرُّشَاءِ
وَالجِهَاتِ الْمَحْظُورَةِ فَهَؤُلَاءِ تَعَرَّضُوا لِسَخَطِ اللَّهِ فِي كَسْبِهَا فَإِذَا غَضِبُوا اللَّهَ
فِي كَسْبِهَا فَالوَاجِبُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ وَرَدُّ الْأَمْوَالِ إِلَى أَرْبَابِهَا إِنْ كَانُوا أَحْيَاءَ
وَالِى وَرَثَتِهِمْ إِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ وَرَثَةٌ فَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ
يَصْرِفُوهَا فِي أَهْمِ الْمَصَالِحِ وَرُبَّمَا يَكُونُ الْأَهْمُ تَفْرِيقَهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ .

والوجه الثاني : أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ الإِخْلَاصَ وَقَصَدَ الخَيْرِ فِي
الانْفَاقِ وَعُلُوِّ الأَبْنِيَّةِ . وَلَوْ كُلفَ وَاحِدٌ مِنْهُم أَن يُنْفِقَ دِينَاراً عَلَى مِسْكِينٍ لَمْ
تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّ حُبَّ المَدْحِ وَالثَّنَاءِ مُسْتَكِنٌ فِي بَاطِنِهِ .

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَتَصَدَّقُونَ وَلَكِنْ فِي المَحَافِلِ وَيُعْطُونَ مَنْ عَادَتُهُ الشُّكْرُ
وَافْشَاءُ المَعْرُوفِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يُكْثِرُ الحَجَّ وَرُبَّمَا تَرَكَ جِيرَانَهُ جَبَاعاً .

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَجْمَعُونَ المَالَ وَيَسْخَلُونَ بِإِخْرَاجِهِ ، ثُمَّ يَشْتَغِلُونَ بِالعِبَادَاتِ
البَدَنِيَّةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ كَالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ جِهَادَ النَفْسِ
فِي البَخْلِ المُهْلِكِ أَوْلَى .

شِعْراً :

لَقَدْ حَابَ مَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَا دُنْيَةً وَمَا هِيَ أَنْ غَرَّتْ قُرُونًا بِاطِّئِلِ
أَتْنَا عَلَى زِيِّ العَزِيزِ بِبَيِّنَةٍ وَزَيْنَتِهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ
فَقُلْتُ لَهَا غُرِّي سِوَايَ فَإِنِّي عَرُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ
وَهَبْنَا أَتْنَا بِالْكَنُوزِ وَدُرِّهَا وَأَمْوَالِ قَارُونٍ وَمُلْكِ القَبَائِلِ
أَلَيْسَ جَمِيعاً لِلْفَنَاءِ مَصِيرُهَا وَيُطَلَّبُ مِنْ خُزَائِنِهَا بِالطَّوَائِلِ
فَعُرِّي سِوَايَ إِنِّي غَيْرُ رَاغِبٍ لِمَا فِيكَ مِنْ عِزٍّ وَمُلْكٍ وَنَائِلِ
وَقَدْ فَنَعَتْ نَفْسِي بِمَا قَدْ رُزِقْتُهُ فَشَأْنُكَ يَا دُنْيَا وَأَهْلَ العَوَائِلِ
فَأِنِّي أَخَافُ اللّٰهَ يَوْمَ لِقَائِهِ وَأَخْشَى عِقَاباً دَائِماً غَيْرَ رَائِلِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الخِزْيِ وَالبَوَارِ ، وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا

ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة : إعلم يا بُنَيَّ وَفَقَّكَ اللهُ لِلصَّوَابِ أَنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزِ الْآدَمِيُّ
بِالعقل إِلَّا لِيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ ، فَاسْتَحْضِرْ عَقْلَكَ ، وَأَعْمِلْ فِكْرَكَ ، وَاخْلُ
بِنَفْسِكَ تَعَلَّمَ بِالذَّلِيلِ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ مُكَلَّفٌ ، وَأَنَّ عَلَيْكَ فَرَائِضَ أَنْتَ مُطَالِبٌ
بِهَا .

وَأَنَّ الْمَلَائِكِينَ يُحْصِيَانِ أَلْفَاظَكَ وَنَظَرَاتِكَ ، وَأَنَّ أَنْفَاسَ الْحَيِّ تُحِطُّهُ إِلَى
أَجَلِهِ ، وَمَقْدَارُ اللَّبِثِ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالْحَبْسُ فِي الْقُبُورِ طَوِيلٌ ، وَالْعَذَابُ عَلَى
مُؤَافَقَةِ الْهَوَى وَيَبِيلٌ .

فَأَيْنَ لَذَّةُ أُمْسٍ !؟ رَحَلَتْ وَأَبْقَتْ نَدْمًا ، وَأَيْنَ شَهْوَةُ نَفْسٍ ؟ كَمْ نَكَّسَتْ
رَأْسًا ، وَزَلَّتْ قَدَمًا ، وَمَا سَعِدَ مَنْ سَعِدَ إِلَّا بِخِلَافِ هَوَاهُ ، وَلَا شَقِيَ مَنْ
شَقِيَ إِلَّا بِإِثَارِ دُنْيَاهُ .

فَاعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّهَادِ ، أَيْنَ لَذَّةُ هَوْلَاءٍ وَأَيْنَ تَعَبٌ
أَوْلَئِكَ ؟ بَقِيَ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ ، وَالذِّكْرُ الْجَمِيلُ لِلصَّالِحِينَ ، وَالْمَقَالَةُ الْقَيِّمَةُ
وَالْعِقَابُ الْوَبِيلُ لِلْعَاصِينَ .

وَكَأَنَّهُ مَا جَاعَ مَنْ جَاعَ وَلَا شَبِعَ مَنْ شَبِعَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَسَلَ عَنِ
الْفَضَائِلِ بِئْسَ الرَّفِيقُ ، وَحُبُّ الرَّاخَةِ يورث من الندم ما يربو على كل لذة ،
فَانْتَبِهْ وَاتَّعِبْ لِنَفْسِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ طَلَبَ الْفَضَائِلِ نِهَآيَةُ مُرَادِ الْمُجْتَهِدِينَ ، ثُمَّ الْفَضَائِلُ تَتَفَاوَتْ ،
فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَرَى الْفَضَائِلَ الرُّهْدَ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهَا التُّشَاغُلَ
بِالتَّعْبُدِ ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَيْسَتْ الْفَضَائِلُ الْكَامِلَةُ إِلَّا الْجَمْعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .

فاذا حصلنا رفعا صاحبها إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى ،
 وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه ، فتلك الغاية المقصودة ، وعلى قدر
 أهل العزم تأتي العزائم ، وليس كل ما يريد مراداً ولا كل طالب واجداً ،
 ولكن على العبد الاجتهاد وكل ميسر لما خلق له والله المستعان .

يَا خَالِقِي عَبْدُكَ الْخَاطِي الْحَزِينُ لَقَدْ
 مَسْتَعْفِرًا مِنْ ذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
 فَلَا تَدْعُنِي مَلِيكَ الْعَرْشِ مُطَّرِحًا
 حَسْبِي لَدَى الْمُؤَبَّاتِ الصُّمِّ أَنْتَ فَلَا
 عَلَيْكَ يَا ذَا الْعَطَا وَالْمَنِّ مُعْتَمِدِي
 فَاغْفِرْ وَأَكْرِمْ عُبِيدًا مَالَهُ عَمَلٌ
 لَكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ فَقَدْ
 فَإِنْ رَحِمْتَ عَلَيَّ مَنْ جَاءَ مُفْتَقِرًا
 وَإِنْ تُعَذِّبْ فَإِنِّي أَهْلُ ذَاكَ وَذَا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْخَلِيقَةِ مَنْ
 وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطُّهْرَ قَاطِبَةً
 مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَاهْتَزَّتْ النِّبَاتُ بِهَا

أَتَاكَ مَنْكَسِرًا فَاجْبُرْ لِمَنْكَسِرِ
 بِعَفْوِكَ الْجَمِّ يَا رَحْمَنُ لَا تَذَرِ
 بَيْنَ النَّوَائِبِ وَالْأَسْدَامِ وَالْغَيْرِ
 نَرْجُو سِوَاكَ لِنَيْلِ السُّؤْلِ وَالْوُطْرِ
 فِي كُلِّ خُطْبٍ أَتَى بِالْغَيْرِ وَالضَّرْرِ
 مِنَ الصَّوَالِحِ يَا رَحْمَنُ فِي الْعُمْرِ
 أَتَاكَ مُسْتَعْفِرًا يَخْشَى مِنَ السَّقَرِ
 فَأَنْتَ أَهْلٌ بِهِ يَارَبُّ فَاغْفِرْ
 عَدْلٌ قَوِيمٌ بِلَا لَوْمٍ وَلَا نُكْرِ
 كَفَاهُ مُعْجِزَةٌ الشَّقْ فِي الْقَمَرِ
 وَصَحْبِهِ الْمُكْرَمِينَ السَّادَةَ الْغُرَرَ
 وَمَا تَغْنَّتْ حَمَامُ الْأَيْكِ فِي السَّحْرِ

آخر :

فَدَيْتِكَ مَا هَذَا التَّرَاخِي وَأَنْمَا
 تَنْزَهُ عَنِ التَّطَوَّافِ تَلْتَمِسُ الْغِنَى
 وَمِنْ أُمَّ دَفْرٍ حَذَرَ النَّاسَ قَبْلَنَا
 هَبِ الْعُمْرَ يُحْطَى بِالْعِمَارَةِ آمِلًا
 أَلَمْ تَرَوْا وَفَدَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ حَجَّتِهِمْ

عِدَادُكَ لَوْ يَصْحُو فُوَادُ [ك] فِي السَّفْرِ
 وَحَسْبُكَ بِالنَّزْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْوَفْرِ
 فَيَاكَ وَالتَّغْرِيجَ مِنْهَا عَلَى دَفْرِ
 أَلَيْسَ مِنَ الْقَبْرِ الْمَالُ إِلَى الْقَفْرِ
 إِذَا لَهَجُوا بِالْقَرِّ سَيُقُوا إِلَى النَّفْرِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا
 أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

الفصل الثامن

الطبقة الرابعة طبقة العوام و غرورهم من وجوه : فمنهم من يصلي
 كيفما اتفق ولا يسأل عما يصلح الصلاة وما يفسدها . ومنهم من يواطب
 على النوافل كالتراويح ، ولا تكاد تجده في صلاة الجماعة ومنهم من
 يلازم مجالس الوعظ ولا يعمل بما يسمع ولا ينتهي عن قبيح ما يأتي ،
 كأن المقصود الحضور فقط قلت : لأن مجالس الذكر والإرشاد إنما
 تُفيد لكونها مرغبة في الخير وباعثة في الغالب عليه فإن لم ينشأ عنها
 ذلك فلا خير فيها وصفة هؤلاء كما قال بعض العلماء : كمثل مريض
 يحضر مجالس الأطباء ويسمع منهم ما يصفونه من الأدوية ولا يفعلها ولا
 يشتغل بها فأي فائدة يحصل عليها .

فكل وعظ لا يغير منك صفة تتغير بها أفعالك حتى تقبل على الله
 عز وجل وتعرض عن الدنيا وتقبل إقبالاً قوياً ، فإن لم تفعل ذلك كان
 زيادة حجة عليك ، وهذا غرور عظيم .

ومنهم من يتنقل بالعبادات ويهمل الفرائض .

ومنهم من يتطوع بالخير ويكثر التسبيح مع معاملته بالربا واستعمال

الغُثْرَ ، وَرُبَمَا صَاحَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَأَخَذَ أَعْرَاضَ النَّاسِ ، وَجُمُهورُ النَّاسِ .
 قَدْ اتَّكَلُوا عَلَى العَفْوِ والحِلْمِ فَهُمُ مُصِرُّونَ عَلَى ذُنُوبٍ وَخَطَايَا فإِذَا ذَكَرَتْ
 لَهُمُ العُقُوبَةَ قَالُوا : هُوَ كَرِيمٌ وَيَسُونُ أَنَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ ، وَمِنْهُمْ أَقْوَامٌ
 يَسْتَعْجِلُونَ المَعْصِيَةَ مُوَافِقَةً لِلهَوَى وَيُضْمِرُونَ أَنَا سَتُّوبٌ وَيُسَوِّفُونَ
 بِالتَّوْبَةِ ، وَمِنَ العُصَاةِ مَنْ يَغْتَرُّ بِفِعْلِ خَيْرٍ فَرَبِمَا تَصَدَّقَ أَوْ سَبَّحَ وَظَنَّ أَنَّ
 هَذَا يُقَاوِمُ ذُنُوبَهُ .

وَيَنْسَى مَا حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الغَيْبَةِ والكَذِبِ والرِّيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ
 المَعَاصِي الَّتِي تَقْضِي عَلَى الحَسَنَاتِ الَّتِي أمَثَلُ الجِبَالِ .

وَمِنَ المَغْتَرِّينَ مَنْ يَغْرُهُ صَلاحُ آبَائِهِ وَرَبِمَا قَالَ : أَبِي يَشْفَعُ لِي وَلَا
 يَدْرِي أَنَّ أباهُ فَضِّلَ بِالتَّقْوَى وَكَانَ مَعَ التَّقْوَى خَائِفًا ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ
 لَهُ ، أَوْ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ .

وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ ابْنَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ
 فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَغْرَقَ اللهُ ابْنَهُ مَعَ المُغْرَقِينَ .

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « يَا فَاطِمَةُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا » فَالعَاقِلُ مَنْ عَمِلَ عَلَى الجِرْصِ
 وَأَخَذَ بِالأَحْوِطِ فَمَنْ تَأَمَّلَ العِلْمَ وَتَصَفَّحَهُ وشَاوَرَ العَقْلَ دَلَّهُ عَلَى الحَزْمِ
 فَسَلِمَ مِنَ الاغْتِرَارِ ، وَاللَّهُ المَوْفُوقُ .

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْبَرُ عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ وَتَرَكَوا تَدْبِيرَهُ وَالعَمَلَ بِهِ ،
 وَرَبِمَا خَتَمُوهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِالسِّتِّهِمْ ، أَمَا قُلُوبُهُمْ فِيهِ فِي أودِيَةِ الدُّنْيَا تَرَدُّدٌ ،
 وَلَا تَتَفَكَّرُ فِي مَعَانِي القُرْآنِ لِتَنْزَجِرَ بِزِوَاجِرِهِ وَتَتَعَطَّ بِمَوَاعِظِهِ وَتَقِفَ عِنْدَ أوامِرِهِ
 وَنَوَاهِيهِ وَتَعْتَبِرَ بِمَوَاضِعِ الاغْتِبَارِ . فَمَنْ قَرَأَ كِتَابًا عِدَّةَ مَرَّاتٍ

وترك العمل به يُخشى عليه من العقوبة .

وَطَبَقَةُ اغْتَرَبُوا وَأَكْثَرُوا الصِّيَامَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ
الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالتَّمَلُّقِ عِنْدَ الْفُسَّاقِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ وَلَا يَعْرِفُونَ
الْوَلَاءَ وَالْبِرَاءَ وَلَا يَحْفَظُونَ بُطُونَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَلَا أَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ
الْمُحَرَّمِ وَلَا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَقُومُونَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ
وَيَأْمُرُونَهُمْ .

وطبقه أخرى أكثر من نوافل الحج من غير خروج من المظالم .
وقضاء الديون واسترضاء الوالدين ولا طلبوا لذلك الزاد الحلال وربما
صيعوا صلاة الجماعة أو الصلاة المكتوبة ، وربما كانوا لا يسألون
بالنجاسات ، وربما كان نفقة أحدهم حراماً كله هو ورفقاؤه ، وربما كان
مرايياً في إنفاقه فيعصي الله في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه للرياء ثانياً
نعوذ بالله من الغرور . وفرقة أخذت في طريق الأمر بالمعروف وإرشاد
الخلق وأنكروا على الناس وتركوا أنفسهم وأولادهم ومن يخشونهم أو
يرجونهم . وفرقة أخرى غلب عليها البخل فلا تسمح نفوسهم بأداء الزكاة
كاملةً مكملةً يخرج مقدار ربعها فقط ويتأول الباقي ويعد أنه إذا وجد فقيراً
أعطاه ويرى أن ما يدفعه إذا تقدم فقير في بعض الأيام وأعطاه كافياً وربما
كانت زكاته عدد أيام السنة مئاة من الريالات نعوذ بالله من الغرور .

قلتُ ومنهم من يدفع زكاته إلى من يخدمه أو يخدم أهله وهذا خطأ
فانتبه ونبه .

شعراً :

الموت في كل حين ينشر الكفنا
ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تَطْمِئِنَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَاتِ
 أَيْنَ الْأَجْبَةِ وَالْجِيرَانِ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَاتِ
 سَقَاهُمْ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرِ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَاتِ
 تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرَمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرِّ وَالْمِنَنَاتِ
 حَسْبُ الْجِمَامِ لَوْ آتَبَاهُمْ وَأَمَهَلَهُمْ أَلَا يَظُنُّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنَاتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها : أما
 بعد : « إنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله
 فيه للفصل بين عبادِهِ ، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت
 كل شيءٍ وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألا ترون أنكم في أسلاب
 الهالكين ، وسيرتها بعدكم الباقون كذلك حتى تُردُّ إلى خير الوارثين ، وفي
 كل يومٍ تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله قضى نحبهُ وانقضى أجلهُ فتدعونهُ في
 صدعٍ من الأرض غير مؤسِّدٍ ولا مُمهِّدٍ ، قد خلَعَ الأسبابَ ، وفارق
 الأحبابَ ، وسكنَ الترابَ ، ووَاجَهَ الحِسابَ ، غنياً عما خَلَفَ ، فقيراً إلى ما
 أسَلَفَ ، فاتقوا الله قبلَ نُزولِ الموتِ وانقضاءِ مَوَاقِيتِهِ ، وإني لأقول لكم هذه
 المقالة وما أعلم عند أحدٍ من الذنوبِ أكثرَ مما أعلمُ عندي ، ولكن استغفر الله
 وأتوبُ إليه ، ثم رفع طرفَ رِدَائِهِ وبكى حتى شهقَ ثم نزلَ ، فما عادَ إلى المنبرِ
 بعدها حتى ماتَ رحمةً الله عليه .

الذنوبِ أكثرَ ممَّا أعلمُ عندي ، ولكنَّ استغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه ، ثمَّ رفعَ
طرفَ رِدايهِ وبكى حتى شهقَ ثم نزلَ ، فما عادَ إلى المنبرِ بعدها حتى
ماتَ رحمهُ اللهُ عليه .

أَتَبْكِي لِهَذَا الْمَوْتِ أَمْ أَنْتَ عَارِفٌ
بِمَنْزِلَةِ تَبْقَى وَفِيهَا الْمَتَالِفُ
كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّبْتَ فِي اللَّحْدِ وَالشَّرَى
فَتَلْقَى كَمَا لَأَقَى الْقُرُونُ السُّوَالِفُ
أَرَى الْمَوْتَ قَدْ أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِي مَضَتْ
فَلَمْ يَبْقَ ذُو الْإِلْفِ وَلَمْ يَبْقَ آلِفُ
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْنِ فِي النَّاسِ سَاعَةً
إِذَا عُصِبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وَقَامَتْ عَلَيْهِ عُضْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ
فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وَأَخْرُ هَاتِفُ
وَعُودِرَ فِي لَحْدِ كَرِيهِ حُلُولُهُ
وَتُعَقَّدُ مِنْ لِبْنِ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
يَقِيلُ الْغَنَى عَنْ صَاحِبِ اللَّحْدِ وَالشَّرَى
بِمَا ذَرَفَتْ فِيهِ الْعُيُونُ الدُّوَارِفُ
وَمَا مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنُ
وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفُ
إِذَا عَنَ ذِكْرُ الْمَوْتِ أُوجِعَ قَلْبَهُ
وَهَيِّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبَ سَوَالِفُ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
 الْمُخْلِصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في العلم وفضله

العلمُ صفةٌ يُمَيِّزُ الْمُتَّصِفُ بِهَا تَمِيزاً جَازِماً مُطَابِقاً ، وَقِيلَ هُوَ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ
 بِحَقِيقَتِهِ ، وَالْعِلْمُ فَضْلُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَا اكْتَسَبَهُ
 الْإِنْسَانُ وَأَشْرَفُ مُتَسَبِّ وَأَنْفَسُ ذَخِيرَةٌ تُقْتَنَى وَأَطْيَبُ ثَمَرَةٌ تُجْتَنَى ، بِهِ
 يَتَوَصَّلُ إِلَى الْحَقَائِقِ وَإِذَا عَمِلَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ أُدْرِكَ رِضَا
 الْخَالِقِ .

وَالْعِلْمُ لَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَلَا
 يَضِيغُ صَاحِبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ الصَّحِيحِ الَّذِي جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَفْتَقِرُ كَاسِبُ الْعِلْمِ وَلَا يَخِيبُ طَالِبُهُ وَلَا تَنْحَطُّ مَرَاتِبُهُ
 مَا دَامَ مُطَبَّقاً لِعِلْمِهِ بِالْعَمَلِ وَلَا يَجْهَلُ شَرَفَ الْعِلْمِ إِلَّا الْجَاهِلُ لِقُصُورِ
 فَهْمِهِ عَنِ عَظِيمِ مَنَافِعِهِ وَكَرِيمِ مَوَاقِفِهِ ، وَحَامِلُهُ الصَّائِنُ لَهُ عَنِ الْأَدْنَسِ
 عَزِيزُ عِنْدَ النَّاسِ إِنْ قَالَ فَكَلَامُهُ مَرْمُوقٌ بِعَيْنِ التَّقْدِيرِ وَإِنْ أَمَرَ فَأَمْرُهُ
 مَسْمُوعٌ .

وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِلْفَضَائِلِ وَهُوَ نُورٌ زَاهِرٌ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَقُوَّةٌ هَنِيءٌ
 لِمَنْ تَقَوَّتْ بِهِ تَرْتَاحُ بِهِ الْأَنْفُسُ إِذْ هُوَ غِدَاءُهَا وَتَفْرَحُ بِهِ الْأَفئِدَةُ إِذْ هُوَ قُوَاهَا

وهو يَدُلُّ على الخيرِ ، وَعَوْنٌ على المُرُوَّةِ وهو الصاحبُ في الغُرْبَةِ
والمُؤْنِسُ في الخَلْوَةِ ، والشرفُ في النَّسَبِ ولِلْعِلْمِ آثارٌ جليَّةُ القَدْرِ كَمِ
جَلِّ بِهِ مِنْ حَقِيرٍ .

وَكُلَّمَا كان الرجلُ أَعْلَمَ كان جَلِيلاً عِنْدنا . مَضَى سلفنا الصالحُ
العامِلون بعِلْمِهِمُ الوَرَعُونَ الذين لا تَأْخُذُهُمُ في اللهِ لومةُ لائِمٍ الذين إذا
ذُكِرُوا ، وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ نَصْرِ دِينِ اللهِ والدعوةِ اليه اسْتَنارتِ المَجَالِسُ
وأسْفرتِ الوجوهُ وارتاحتِ الأنفُسُ وَقَوِيَتِ القلوبُ وَنَشِطَتِ الأبدانُ على
الطاعاتِ والعِبَاداتِ وَوَدَّ المُسْتَمِعُونَ المُحِبُونَ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَنْ يَزْدَادُوا مِنْ
أَخْبَارِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وذلكِ بما وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ العِلْمِ الدِّينِيِّ والتَّمَسُّكِ بِهِ
وآثارِهِ الجَلِيلَةِ ، وكانوا خَيْرَ الناسِ بعدَ النَّبِيِّينَ وكانوا أَشْجَعَ الناسِ لأنَّهُمْ
عَلِمُوا أَنَّ الأَجَلَ لا يُطِيلُهُ الجُبْنُ وكانوا أَغْنَى العَالَمِ نُفوساً وأَقْواماً تَوَكَّلُوا
على اللطيفِ الخبيرِ لأنَّهُمْ رَضُوا بِقِسْمَةِ مَوْلانا العليمِ الحَكِيمِ ، وكانوا
مَحْطَ رِحالِ الكَرَمِ والجودِ لأنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ البُخْلَ لا يُرِضِي اللهُ ،
وكانوا في الجِلْمِ كالجبالِ الراسياتِ لأنَّهُمْ عَرَفُوا ما لِلجِلْمِ مِنْ مزايا دُنْيا
وأخرى .

وكانوا يَسْتَقْبِلُونَ البَلَايا بالصَبْرِ الجميلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّها بِتَقْدِيرٍ وَتَصْرِيْفٍ
الحَكِيمِ الخبيرِ وكانوا دائِماً يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بالشُّكْرِ والْحَمْدِ والثناءِ على
اللهِ لِحُزْمِهِمْ أَنَّها لَيْسَتْ مِنْهُمْ ولا مِنْ سائِرِ المَخْلوقينَ بَلْ مِنَ الكَرِيمِ
الدائمِ الإحسانِ الذي عَمَّ إِحسانَهُ الخَلِيقَ كُلَّهُمْ ، وكانوا يُحِبُّونَ الخَيْرَ
لِبَعْضِهِمْ كَمَحَبَّتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ عملاً بقولِ الرسولِ الكَرِيمِ « لا يُؤْمِنُ
أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » ولِعِلْمِهِمْ أَنَّ كَرَاهَتَهُمْ لا

تُحَدِّثُ أَيَّ تَغْيِيرٍ وَقَدْ عَرَفُوا قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وكانوا لا يُجِبُونَ الشَّرَّ وَأَهْلَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ . وكانوا يُرَاقِبُونَ مَوْلَاهُمْ دَائِمًا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلِهَذَا كَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا تَحَرَّوْا مَا يُرْضِيهِ جَلًّا وَعَلَا فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِشَارَةِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ يَتَحَرَّكُونَ وَيَسْكُنُونَ لِهَذَا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابٍ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رَضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ هَكَذَا كَانُوا بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ مَوْلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ تَمَامًا .

وكانوا أزهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حَقَارَتَهَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا وَكَثْرَةَ هُمُومِهَا وَعُجُومِهَا وَإِشْغَالِهَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُقَدِّرُونَهُمْ وَيَضْرِبُونَ بِهِمُ الْأَمْثَالَ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ عَلَى قَدْرِ قِنَاعَةِ الْعُلَمَاءِ فِي الدُّنْيَا تَكُونُ مَكَانَتُهُمْ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَالتَّفَاهُفُ حَوْلَهُمْ وَالاسْتِمَاعُ لِنَصَائِحِهِمْ وَالانْقِيَادُ لِإِرْشَادَاتِهِمْ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِمْ فِيمَا يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ الْعُلَمَاءِ بِالدُّنْيَا وَتَوَجُّهِهِمْ إِلَيْهَا تَكُونُ زَهَادَةُ النَّاسِ فِي الْعُلَمَاءِ وَعَدَمُ الْيَقِينَةِ بِهِمْ وَإِتْيَانُهُمْ وَالنُّفْرَةُ مِنْهُمْ وَأَكْلُ لُحُومِهِمْ وَعَدَمُ قَبُولِ كَلَامِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَنَصَائِحِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ قَوْلًا وَلَا يَعْمَلُونَ عَلَيْهِمْ فِي مَا يَجْهَلُونَهُ وَيَحْرِضُونَ عَلَى الْبُعْدِ عَنْهُمْ وَيَسْتَقْبِلُونَهُمْ وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ كَمَا عَلِمْتَ أَوْلَى هُوَ التَّعَلُّقُ بِالدُّنْيَا ضِدُّ مَا عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ .

قال بعض العلماء : اعلم أيها الإنسان أن الدنيا منزلة وليست بدار قرار والإنسان مسافر فأول منازلِه بطنُ أمه وآخرُ منازلِه لحدُّ قبره وإنما وطنه وقراره ومكثه وأستقراره بعدها .

فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنَ الْإِنْسَانِ فَكَالْمَرْحَلَةِ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقُضِي مِنْهُ
فَكَاسْتِرَاحَةَ الْمَسَافِرِ فِي طَرِيقٍ وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكَقُرْبَةَ تَلْقَاؤِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكَقُرْسُخٍ
يَقْطَعُهُ .

وَكُلُّ نَفْسٍ كَخَطْوَةٍ يَخْطُوهَا . وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفْسٍ يَتَنَفَّسُهُ يَقْرُبُ مِنَ
الْآخِرَةِ وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَمَرَ الْقَنْطَرَةَ وَاسْتَعْجَلَ بِعِمَارَتِهَا فَنِي فِيهَا زَمَانُهُ .
وَنَسِيَ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي هِيَ مَصِيرُهُ وَمَكَانُهُ . وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ .

وَإِنَّا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا لِاسْتِعْدَادِهِ لِمَعَادِهِ وَبِكَتْفِي
مِنْهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَمَهْمَا جَمَعَهُ فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُوءًا نَاقِعًا وَيَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ
جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ ذَخَائِرِهِ رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةً وَلَا ذَهَبًا وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ .

فَإِنْ نَصِيْبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ وَجَمِيعُ مَا يُخْلِفُهُ يَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً
وَنَدَامَةً وَيَضَعُبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ فَحَلَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ .
إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طَلِبَ مِنْهُ الْحِسَابُ .

وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ مِنْ حَرَامٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ
مِنْ حَسْرَتِهِ ، حُلُولُ الْعَذَابِ فِي حُفْرَتِهِ وَمَعَ هَذَا جَمِيعُهُ إِذَا كَانَ إِيمَانُهُ صَاحِحًا
سَالِمًا لِحَضْرَةِ الدِّيَانِ . فَلَا وَجْهَ لِيَأْسِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ . فَإِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ
كَرِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ وَأَكْثَرُهَا مُنْغَصٌّ بِالتَّعَبِ مَشُوبٌ
بِالنَّصَبِ . وَبِسَبَبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَأَنْهَاءَهُ
لَهُ وَلَا فَنَاءَ . فَيَسْهُلَ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلَائِلِ لِنَيْلِ رَاحَةٍ
دَائِمَةٍ بِلَا انْقِضَاءٍ .

قال ابن القيم رحمه الله :

كُلُّ مَنْ أَثَرَ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاسْتَحَبَّهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ عَلَى

اللّه غير الحقّ في فتواه وحُكْمِهِ ، في خبره وإلزامه لأنّ أحكام الربّ سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس ، ولا سيّما أهل الرِّيَاسَةِ والذين يتبعون الشُّبُهَاتِ فإنَّهم لا تَتِمُّ لهم أغراضهم إلاّ بمُخَالَفَةِ الحقّ ودَفْعِهِ كثيراً فإذا كان العالمُ والحاكمُ مُحِبِّينَ لِلرِّيَاسَةِ مُتَّبِعِينَ لِلشُّهَوَاتِ لَمْ يَتِمَّ لهما ذلك إلاّ بِدَفْعِ ما يُضَادُّهُ مِنَ الحقِّ ولا سيّما إذا قامت له شُبُهَةٌ فَتَنَّفَقَ الشُّبُهَةُ والشُّهْوَةُ وَثَوَّرَ الهَوَى فَيَخْفَى الصَّوَابُ وَيَنْطَمِسُ وَجْهُ الحقِّ ، وإذا كان ظاهراً لا خفاءً به ولا شُبُهَةٌ فيه أقدم على مُخَالَفَتِهِ وقال لي مَخْرَجٌ بِالتَّوْبَةِ وفي هؤلَاءِ وَأشْبَاهِهِمْ قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

فَأخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعَرَضَ الْأَدْنَى مَعَ عِلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِهِ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ عَرَضَ لَهُمْ عَرَضٌ آخَرَ أَخَذُوهُ فَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ فَيَقُولُونَ هَذَا حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ وَدِينُهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ دِينَهُ وَشَرْعَهُ وَحُكْمَهُ يُخَالِفُ ذَلِكَ أَوْ لَا يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ دِينَهُ وَشَرْعَهُ وَحُكْمُهُ فَتَارَةً يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ وَتَارَةً يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا يَعْلَمُونَ بَطْلَانَهُ : قال وهؤلاء لا بُدَّ أَنْ يَتَدَبَّرُوا فِي الدِّينِ مَعَ الْفُجُورِ فِي الْعَمَلِ فَيَجْتَمِعُ لَهُمُ الْأَمْرَانِ فَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يُعْمِي عَيْنَ الْقَلْبِ فَلَا يُعْمِزُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ أَوْ يَنْكِسُهُ فَيَرَى الْبِدْعَةَ سُنَّةً وَالسُّنَّةَ بِدْعَةً فَهَذِهِ آفَةُ الْعُلَمَاءِ إِذَا أَثَرُوا الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا الرِّيَاسَاتِ وَالشُّهَوَاتِ وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي

آتِيَانَهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ
بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ
عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴿٤﴾ . فهذا مثلُ عالمِ السوءِ الذي يعملُ بِخِلَافِ
عِلْمِهِ

وِخْتِامًا فَإِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ يَتَأَسَّفُ عَلَى إِهْمَالِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُتِبَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَبْنِي عَلَيْهِمَا
الْغُبَارُ وَيُسْتَبَدَلُ بِهِمَا قَتْلُ الْوَقْتِ فِي الْوَوَكَمِ بَاعَ فُلَانٌ وَكَمْ شَرَى فُلَانٌ
وَأَيْنَ قَضِيَّتِ الْعُطْلَةُ فِيهِ وَأَيْنَ تَقْضِي الْمُسْتَقْبَلَةَ وَارْفَعِ الْجَرِيدَةَ وَأَعْطِنِي
الْأُخْرَى وَأَيْنَ الْمَجَلَّةُ الْفُلَانِيَّةُ وَمَا الَّذِي ظَهَرَ فِي التَّلْفِيزِيُونِ وَمَاذَا بِالْإِذَاعَةِ
الْفُلَانِيَّةِ هَذَا وَأَمْثَالُهُ كَثِيرٌ مِنْ نَوَاجِي مَعْلُومَاتِنَا مَعَشَرَ هَذَا الْجِيلِ يَشِبُّ
الْوَاحِدُ مِنَّا وَيَشِيبُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِسِيرِ سَلْفِنَا وَتَطْبِيقِهَا وَالْإِقْتِدَاءِ بِمَنْ أَمَرْنَا
سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا بِاتِّبَاعِهِمْ مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَامِ وَمَنْ اقْتَدَى بِهِمْ وَحَذَا حَدْوَهُمْ
وَنَهَجَ مِنْهَجَهُمْ مِمَّنْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَهُمْ مَوْلَاهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٥﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَدْعَانَا تَوَجَّهْنَا وَبِفِنَائِكَ أَنْخَنَا وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِنَ
الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَلِرَحْمَتِكَ رَجَوْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْفَقْنَا وَلِغُفْرَانِكَ
تَعَرَّضْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

هذه قصيدةٌ تحْتَوِي على الحَثِّ على طَلْبِ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا

وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ :

تَفْتُ فُوَادَكَ أَيَّامَ فِتْنَاً
وَتَنْحَتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتاً
وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ
أَلَا يَا صَاحِبَ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْساً ذَاتَ غَدْرِ
أَبَتْ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتّاً
تَنَامُ الدَّهْرَ، وَيَحْكُ، فِي غَطِيطٍ
بِهَا حَتَّى إِذَا مِتُّ أَنْتَبَهْتَا
فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ فَحَتَّى
مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟!
أَبَا بَكْرٍ دَعْوَتِكَ لَوْ أَجِبْتَ
إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَاماً
مُطَاعاً، إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
وَتَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاءٍ
وَيَهْدِيكَ الصِّرَاطَ إِذَا ضَلَلْتَا
وَتَحْمِيلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجاً
وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا أَغْتَرَبْتَا
يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيّاً
وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَكْبُرُ
تَنَالُ بِهِ مَقَابِلَ مَنْ ضَرَبْتَا

وَكَنَزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا
 خَفِيفُ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
 يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ
 وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا
 فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا
 لَأَثَرْتَ التَّعَلَّمَ واجتهدتَا
 وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوَى مُطَاعٍ
 وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فِتْنَتَا
 وَلَا يُلْهِيكَ عَنْهُ أَنْيَقُ رَوْضٍ
 وَلَا خَوْدٌ بِزِينَتِهَا كُفِّتَا
 فَكُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ الْمَعَالِي
 وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا
 فَوَاطِئُهُ ، وَخُذْ بِالْجِدِّ فِيهِ
 فَإِنْ أَعْطَاكَ الْبَارِي أَخَذْتَا
 وَإِنْ أَوْتَيْتَ فِيهِ بِطُولِ بَاعٍ
 وَقَالَ النَّاسُ : إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا
 فَلَا تَأْمَنُ سُؤَالَ اللَّهِ فِيهِ
 بِتَوْبِيخٍ ، عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا ؟!
 فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا
 وَلَيْسَ بِأَنْ تَعَالَى أَوْ رَأْسْتَا
 وَضَافِي ثَوْبِكَ الْإِحْسَانُ لَا أَنْ
 تُرَى ثَوْبَ الْإِسَاءَةِ قَدْ لَبِستَا
 وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهَمُّكَ فِي مَهَاوٍ
 فَلَيْتَكَ نِمَ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

إِذَا مَا لَمْ يُفِذْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا
 فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهَلْنَا
 سَتَجْنِي مِنْ ثَمَارِ اللَّهْوِ جَهْلًا
 وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبُرْنَا
 وَتُفْقَدُ إِنْ جَهَلْتَ ، وَأَنْتَ بَاقٍ
 وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ إِذَا فُقِدْنَا
 سَتَذْكَرُ لِلنَّصِيحَةِ بَعْدَ حِينٍ
 وَتَطْلُبُهَا إِذَا عَنَّا شُغِلْنَا
 وَسَوْفَ تَعْضُ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا
 وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةَ إِنْ نَدِمْنَا
 إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ
 وَقَدْ رَفَعُوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ سُفِلْنَا
 فَرَاغَهَا وَدَعَّ عَنْكَ الْهُوَيْنَا
 فَمَا بِالْبُطْءِ تُذْرِكُ مَا طَلَبْنَا
 وَلَا تَحْفِلُ بِمَالِكَ ، وَالْهُ عَنْهُ
 فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْنَا
 وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنَى
 وَلَوْ مُلْكُ الْأَنْامِ لَهُ تَأْتِي
 سَيَنْطِقُ عَنْكَ مَالِكَ فِي نَدِيٍّ
 وَيَكْتُبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْنَا
 وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي
 إِذَا بِالْجَهْلِ دِينَكَ قَدْ هَدَمْنَا

جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا
لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا
وَبَيْنَهُمَا بِنَصْرِ الْوَحْيِ فَرَقُ
سَتَعَلَّمُهُ إِذَا « طَه » قَرَأْنَا
لِئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لِيَوَاءَ مَالٍ
فَأَنْتَ لِيَوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْنَا
وَأِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا
فَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْنَا
وَأِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوِّمَاتٍ
فَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْنَا
وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي
فَكَمْ بِكُرِّ مِنَ الْحِكْمِ افْتَضُّنَا
وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتَارُ شَيْئًا
إِذَا مَا أَنْتَ رَبُّكَ قَدْ عَرَفْنَا
فِيَا مَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَزِيلٍ
إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنْخَتْنَا
فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي
وَأِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْنَا
وَأِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا
وَعَامَلْتَ الْإِلَهَ بِهِ رِبْحَتْنَا
فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
تَسُوؤُكَ حُقْبَةً ، وَتَسُرُّ وَفَتْنَا

وَعَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا
كَفَيْتِكَ ، أَوْ كَحُلْمِكَ إِنْ رَقَدْتَ
سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُجِيبٌ ،
فَكَيْفَ تُحِبُّ مَنْ فِيهَا سُجِنْتَ؟!
وَتَطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَلِيلٍ
سَتُطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَ
وَتَعْرِى إِنْ لَيْسَتْ بِهَا ثِيَاباً
وَتُكْسَى إِنْ مَلَأْسَهَا خَلَعْتَ
وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفَنَ خَلٍ
كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ بِمَا شَهِدْتَ
وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرْهَا ، وَلَكِنْ
لِتَعْبُرْهَا ، فَجِدْ لِمَا خُلِقْتَ
وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هُدْمًا
وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَ
وَلَا تَحْزَنْ لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْهَا
إِذَا مَا أَنْتَ فِي أَخْرَاكَ فُزْتَ
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا
مِنَ الْفَانِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَ
وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ جَهْلًا
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَ
وَكَيْفَ بِكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ رَهْنٌ
وَلَا تَذْرِي غَدًا أَنْ لَوْ غُلِبْنَا؟!

وَسَلِّ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا
 وَأَخْلِصْ فِي الدُّعَاءِ إِذَا سَأَلْتَا
 وَنَادِ إِذْ سُجِنْتَ بِهِ اعْتِرَافاً
 كَمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ بِنُ مَتَّى
 وَلَازِمِ بَابَهُ قَرْعاً عَسَاهُ
 سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا
 وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ ذَاباً
 لِتُذَكَّرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا
 وَلَا تَقْلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالُ
 وَفَكِّرْ، كَمْ ضَعِيفٌ قَدْ دَفَنْتَا
 وَقُلْ لِي : يَا نَصِيحِي لَأَنْتَ أَوْلَى
 بِنُصْحِكَ ، إِذْ بَعَقَلِكَ قَدْ عُرِفْتَا
 فَتَعَذَّلْنِي عَنِ التَّفْرِيطِ يَوْماً
 وَبِالتَّفْرِيطِ ذَهَرَكَ قَدْ قَطَعْتَا
 وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا
 وَمَا تَجْرِي بِبَالِكَ جِئِنَ شِخْتَا
 وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَيْلَا
 فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نُكِسْتَا
 وَهَذَا أَنَا لَمْ أَخْضُ بَحْرَ الْخَطَايَا
 كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى عَرِفْتَا
 وَلَمْ أَشْرَبْ حُمِيًّا أَمْ دَفَرُ
 وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا

ولم أَحِلِّ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ
 وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ، وَأَنْتَ هَكُنَا
 وَلَمْ أَنْشَأْ بَعْضَ فِيهِ نَفْعٌ
 وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ، فَمَا أَنْتَفَعْنَا
 وَنَادَاكَ الْكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ
 وَتَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا أَنْتَبَهْنَا
 وَقَدْ صَاحَبْتِ أَعْلَامًا كَثِيرًا
 فَلَمْ أُرَكَ أَنْتَفَعْتَ بِمَنْ صَحَبْنَا
 وَيَقْبُحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي
 وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى
 فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي
 وَلَوْ سَكَتَ الْمُسِيءُ لَمَا نَطَقْنَا
 فَنَفْسَكَ دُمًّا، لَا تَذُمَّمُ سِوَاهَا
 بِعَيْبٍ، فَهِيَ أَجْدَرُ إِنْ دَمَمْنَا
 وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَاءُ عَيْنَاكَ خَوْفًا
 لِذَنْبِكَ لَمْ أَقْلُ لَكَ قَدْ أَمِنْنَا
 فَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ
 أَمِرْتُ، فَمَا ائْتَمَرْتُ، وَلَا أَطَعْنَا
 فَسِرْتُ الْقَهْقَرَى، وَخَبَطْتَ عَشْوًا
 لَعَمْرُكَ لَوْ وَصِلْتَ لَمَا رَجَعْنَا
 ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَسْتَ تَخْشَى
 لِجَهْلِكَ أَنْ تَخْفَ إِذَا وُزِنْنَا

وَلَوْ وَاْفَيْتَ رَبُّكَ دُونَ ذَنْبِ
وَنَاقَشَكَ الْحِسَابَ إِذَا هَلَكْنَا
وَلَمْ يَظْلَمَكَ فِي عَمَلٍ ، وَلَكِنْ
عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْنَا
تَوَجُّعٌ لِلْمَصِيرِ عَلَى الْخَطَايَا
وَتَرْحُمُهُ ، وَنَفْسِكَ مَا رَجِمْنَا
وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَضْلِ فَرْدًا
وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى
لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا
عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْنَا
تَفِرُّ مِنَ الْهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ
فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْنَا !!
وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَانَهَا عَذَابًا
وَلَوْ كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَدَبْنَا
وَلَا تَكْذِبُ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدُّ
وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ ، وَمَا ظَنَنْتَا
أَبَا بَكْرٍ ، كَشَفْتَ أَقْلُ عَيْبِي
وَمَا اسْتَعْظَمْتَهُ مِنْهَا سَتَرْنَا
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ الْمَخَازِي
وَضَاعِفَهَا ، فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْنَا
وَمَهْمَا عَيْبَتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي
بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْنَا

وَلَا تَرْضَى الْمَعَائِبَ فَهِيَ عَارٌ
 عَظِيمٌ ، يُورِثُ الْإِنْسَانَ مَقْتًا
 وَتَهْوَى بِالْوَجِيهِ مِنَ الشُّرْبَا
 وَتُبَدِّلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتًا
 كَذَا الطَّاعَاتُ تُبَلِّغُكَ الدَّرَارِي
 وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ ، وَإِنْ بَعُدْنَا
 وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا
 فَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْنَا
 وَتَمْسِي فِي مَسَاكِينِهَا عَزِيزًا
 وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْنَا
 وَأَنْتَ الْيَوْمَ لَمْ تُعْرِفْ بِعَيْبٍ
 وَلَا دَنْسَتْ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْنَا
 وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ
 وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ ، وَلَا خَبَبْنَا
 فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشَبْتَ فِيهِ
 فَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشَبْنَا؟!
 وَدُنِسَ مِنْكَ مَا طَهَّرْتَ حَتَّى
 كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا
 طَهَّرْنَا
 وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ
 وَكَيْفَ لَكَ الْفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْنَا؟!
 فَخَفَ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ ، وَأَخْشَ مِنْهُمْ
 كَمَا تَخْشَى الضَّرَاعِمَ وَالسُّبْنَانَا

فَخَالِطُهُمْ ، وَزَايِلُهُمْ جِدَاراً
وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمِسْتَنَا
وَإِنْ جَاهَلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ : سَلَامٌ
لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلِمُ إِنْ سَلِمْتَنَا
وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ
يُزِلُّ الْعُضْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَنَا
وَلَا تَلْبَثْ بِحَيِّ فِيهِ ضَيْمٌ
يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُيِّمْتَنَا
فَغَرِّبْ ، فَالْتَّغَرَّبْ فِيهِ خَيْرٌ
وَشَرِّقْ إِنْ بِرَيْبِكَ قَدْ شَرِقْتَنَا
فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولاً
فَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهَدْتَنَا
فَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ يَكُونُ عَالٍ
عُلُوّاً وَارْتِفَاعاً كُنْتَ أَنْتَا
فَإِنْ فَارَقْتَهَا ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا
إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، فَقَدْ سَلِمْتَنَا
وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا ، وَنَظَرْتَ فِيهَا
بِإِجْلَالٍ ، فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَنَا
جَمَعْتُ لَكَ النُّصَائِحَ فَاثْمِثْلِهَا
حَيَاتِكَ ، فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَنَا
وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ ، وَزِدْتُ فِيهِ
لَأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَنَا

فلا تأخذ بتقصيري ، وسهوي
 وخذ بوصيتي لك ان رشتا
 وقد ارفقتها ستا حسانا
 فكانا قبل ذا مائة وستا
 وصلى الله ما اوراق نزار
 على المختار في شجر وحتا

موعظة : عباد الله سيصحو السكران من سُكره ، حين لا يمكنه تلافي
 أمره وسيندم المضيع على تضييعه ، إذا قابله أمر صنيعه ، وسيقصر الأمل من
 أمه وقت هجوم أجله ، وتعذر الزيادة في عمله ، والخروج من بين ماله وأهله .
 هنالكَ يستحيلُ حلُّ العيش مرًا وينقلبُ عرفُ الأمر نكرًا ، ويعلم
 جامعُ الحطام الذي أضاع به أوقاته أن الباقيات الصالحات أبقي ذكرا وأنفع
 ذخرا ، ليس في ظل الدنيا مقيلا ولا على هذه الحياة تعويل .

كيف يطمع عاقل في الإقامة بدار الرحيل ، كيف يضحك من هو
 مخوف بموجبات البكاء والنعويل ، أسمعنا الناصح فتصامنا ، وأيقظتنا الغير
 فتناومنا ، ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة ، واشترينا ما يفنى بما يبقى فتلك
 إذا صفقة خاسرة .

أين الآذان الواعية ، أين الأعين الباكية ، قول بلا فإعال وأمر
 بلا امتثال ، رسل ملك الموت في كل نفس تدنوا إلى أنفسنا وأجسادنا حيثنا تحت
 أطباق الثرى هامة .

قد أوحشت منهم ديارهم ، ودرست رؤسومهم وآثارهم ، وتقطعت
 بالبلاء أوصالهم ، ومحت أيدي الحوادث والقبور محاسن تلك الصور ،
 وأطبقت عليهم ضلمات تلك الحفر .

فَلَا شَمْسَ فِيهَا وَلَا نُورَ وَلَا قَمَرَ ، وَنَحْنُ عَمَّا قَرِيبَ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ
صَائِرُونَ ، وَبِالكَأْسِ الَّذِي شَرَبُوا مِنْهُ شَارِبُونَ ثُمَّ مَعَ هَذَا الْيَقِينِ إِلَى دَارِ
الْغُرُورِ رَاكِنُونَ .

طُوبَى لِمَنْ فِي مَرَاضِي رَبِّهِ رَغَبًا وَعَنْ مَصَارِعِ أَهْلِ اللَّهْوِ قَدْ هَرَبًا
قَدْ وَطَّنَ النَّفْسَ أَنَّ اللَّهَ سَأَلَهُ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ مَهْيَا هَرَبًا
وَاللَّتْقَى مَرْكَبٌ يَنْجُو بِرَاكِبِهِ فَيَانْجَاةَ الَّذِي مَعَ أَهْلِهِ رَكِبًا
وَاللَّهُدَى رُفْقَةٌ فَاسْعَدُ بِصُحْبَتِهِمْ فَيَا سَعَادَةَ مَنْ أَهْلَ الْهُدَى صَحْبًا
لِلَّهِ دَرٌّ عِبَادٍ قُرْبَهُ طَلَبُوا لَمْ يَطْلُبُوا فَضَّةً مِنْهُ وَلَا ذَهَبًا
سَارُوا بَعْزَمٍ وَتَشْمِيرٍ وَمَا اتَّخَذُوا فِي سَيْرِ دُنْيَاهُمْوَا لَهْوًا وَلَا لَعِبًا
الصِّدْقُ مَرْكَبُهُمْ وَالْحَقُّ مَطْلَبُهُمْ لَا زُورَ مَا رَجَّ دَعْوَاهُمْ وَلَا كَذِبًا

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَأَعْمَلِنَا
وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

ومما ورد في فضل العلم والحث على تعلمه وتعليمه ما يلي من
الآحاديث :

١ - فعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . رواه البخاري ومسلم .

٢ - وعن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهْهُ فِي الدِّينِ وَأَهْمَهُ
رُشْدَهُ » . رواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسَلَّمَ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .
رواهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا .

٤ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَها لِطالِبِ العِلْمِ رِضًا بما يَصْنَعُ وَإِنَّ العالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتانِ فِي المائِ . وَفَضَّلُ العالِمِ عَلَى العابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سائِرِ الكواكِبِ . وَإِنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأنبياءِ ، إِنَّ الأنبياءَ لَمْ يورثوا دِينارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا ورثوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحِظِّ وافرٍ » . رواهُ أبو داوودَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالبَيْهَقِيُّ .

٥ - وعن صفوان بن عسالٍ المرادي رضي الله عنه قال : أتيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ مُتَكِيٌّ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٌ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ العِلْمَ ، فَقَالَ : « مَرْحَبًا بِطالِبِ العِلْمِ إِنَّ طالِبَ العِلْمِ تَحْفَهُ المَلَائِكَةُ بِأجنحتِها ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُم بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّيَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يُطْلَبُ » . رواه أحمدُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنادٍ جَيِّدٍ

واللفظ له وابن جبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد . ورؤي
ابن ماجه نحوه باختصار ويأتي لفظه إن شاء الله تعالى .

تَرَفَّقَ بِمَنْ يَأْتِيكَ لِلْعِلْمِ طَالِبًا وَقُلْ مَرْحَبًا يَا طَالِبَ الْعِلْمِ مَرْحَبًا
فهذا الذي أوصى به سيّد الورى كما قد روى الخُدري عنه ورحبًا
ومَنْ سَهَّلَ اللَّهُ الطَّرِيقَ لِحَنَّةٍ لَهُ لَجْدِيرٌ بِالْتَّرْحِبِ وَالْحِيبَا
ورؤي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَضَعُ
الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَقْلَدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ » . رواه ابن
ماجه وغيره .

ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِقِيَّ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النَّبُوَّةِ » . رواه الطبراني في الأوسط .

٦ - ورؤي عن سخبرة رضي الله عنه قال : مرّ رجلان على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يذُكُرُ ، فقال اجلسا فإنكما على خير ، فلما
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّق عنه أصحابه قاما فقالا يا رسول
الله : إنك قلت لنا اجلسا فإنكما على خير أأنا خاصة أم للناس عامة .
فقال : « ما مِنْ عَبْدٍ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا كَانَ كُفَّارَةً مَا تَقَدَّمَ » . رواه الترمذي
مختصراً والطبراني في الكبير واللفظ له .

مختصراً والطبراني في الكبير واللفظ له . قال بعض العلماء من غرس العلم
إجتى النباهة ، ومن غرس الزهد إجتى العزة ، ومن غرس الاحسان إجتى
الحبة ، ومن غرس الفكرة إجتى الحكمة ، ومن غرس الوقار إجتى المهابة ،
ومن غرس المدارة إجتى السلامة ، ومن غرس الكبر إجتى المقت ، ومن
غرس الحرص إجتى الدلة ، ومن غرس الطمع إجتى الخزي ، ومن غرس
الحسد إجتى الحزن والكمد .

٧- وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى ، أَوْ يَرُدَّهُ عَنْ رَدًى وَمَا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَمَلُهُ » . رواه الطبراني في الكبير واللفظ والصغير إلا أنه قال فيه : حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَقْلُهُ . واسنادُهُما متقاربان .

٨- وَرَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا : لِبَابٍ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ تَطَوُّعاً وَقَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ » . رواه البزار والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ .

٩- وَعَنْ أَبِي ذَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَعْلَمُوا فَتَعْلَمَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَأَنْ تَعْلَمُوا فَتَعْلَمَ بِأَبَا مِنْ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ » . رواه ابن ماجه بإسنادٍ حسنٍ .

شعرا إذا ما شئت أن تسمو وتسمى	وتدرك راحة رُوحاً وجسماً
فقم لطريق أهل العلم سعياً	لتقفو معهموا أثراً ورسماً
فإن حصلت مطلوباً وإلا	ظفرت بأكبر الشرفين قسماً
فاكرم ما حواه المرء علم	به يهدى ويهدي من المآ
وليس يفيد الكون عبداً	إلى العلياء يسري وهو أعمى
فكم أبدى ضياء العلم رشداً	وأذهب ظلمة وأزال غمماً
فحمد ربنا إذ من لطفاً	به في رشدنا وأزال غمماً

١٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا » . رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن .

١١ - وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » . رواه البخاري ومسلم .

١٢ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تأنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » . رواه البخاري ومسلم .

شعراً :

وأعلم بأن العلم أرفع رتبة
وأجل مكتسباً وأسنى مخر
فأسلك سبيل المقتفين له تسد
إن السيادة تفتني بالدفتر

وَالْعِلْمُ الْمَدْعُوءُ حَبْرًا إِنَّمَا
 سَمَّاهُ بِاسْمِ الْحَبْرِ حَمَلُ الْحَبْرِ
 تَسْمُوا إِلَى ذِي الْعِلْمِ أَبْصَارُ الْوَرَى
 وَتَغُضُّ عَنْ ذِي الْجَهْلِ لَا بَلُّ تَزْدَرِي
 وَمُضْمَرُ الْأَقْلَامِ يَبْلُغُ أَهْلَهَا
 مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالْعِتَاقِ الضَّمْرِ
 وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ
 مَا لَمْ يُفِدْ عَمَلًا وَحُسْنَ تَبْصُرٍ
 فَاغْمَلْ بِعِلْمِكَ تُوفِ نَفْسَكَ وَزَنَاهَا
 لَا تَرْضَى بِالتَّضْيِيعِ وَزْنَ الْمَخْسِرِ
 آخر:

جَزَى اللَّهُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ مَثُوبَةً وَيَوَاهُمُ فِي الْخُلْدِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ
 فَلَوْلَا اعْتِنَاهُمْ بِالْحَدِيثِ وَحِفْظِهِ وَنَفِيَهُمْ عَنْهُ ضُرُوبَ الْأَبَاطِلِ
 وَأَنْفَاقِهِمْ أَعْمَارَهُمْ فِي طِلَابِهِ وَبَحْثِهِمْ عَنْهُ بِجِدِّ مُوَاسِلِ
 لَمَّا كَانَ يَدْرِي مَنْ غَدَا مُتَّفَقَهَا صَحِيحَ حَدِيثٍ مِنْ سَقِيمٍ وَبَاطِلِ
 وَلَمْ يَسْتَبِنْ مَا كَانَ فِي الذِّكْرِ مُجْمَلًا وَلَمْ نَدْرِي فَرَضًا مِنْ عُمُومِ التَّوَافِلِ
 لَقَدْ بَدَلُوا فِيهِ نَفُوسًا نَفِيسَةً وَبَاعُوا بِحِطِّ آجَلِ كُلِّ عَاجِلِ
 فَجُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَلَيْسَ يُعَادِيهِمْ سِوَى كُلِّ جَاهِلِ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَعْرِفَتِكَ بِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ وَأَرْزَقْنَا الرِّضَا
 بِقَضَائِكَ وَقَدْرِكَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَشِدَّةٍ وَرَخَاءٍ وَكُلِّ مَا
 تَيْسَّرَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل ١١)

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشْرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مَضْحَفًا وَرَثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » . رواه ابن ماجه باسناد حسن والبيهقي .

١٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . رواه مسلم وغيره .

١٥ - وعن أبي أمامة قال : ذكّر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاين : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على أذنكم » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ورواه البزار من حديث عائشة مختصراً قال : معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر .

١٦ - وروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في دين وفقهه واحد أشد على الشيطان »

من ألف عابِدٍ ولكلِّ شيءٍ عِمَادٌ ، وعِمَادُ هذا الدين الفقه ، وقال : أبو هريرة لأنَّ أجلس ساعةً فأفقه أحبُّ إليَّ من أن أُحيي ليلةَ القدر . رواه الدارُ قُطني والبيهقي إلا أنَّه قال : أحبُّ إليَّ من أن أُحيي ليلةً إلى الصُّباح ، وقال . المحفوظُ هذا اللفظُ من قولِ الزُّهري .

١٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مرَّ بسوقِ المدينة فوقفَ عليها ، فقال يا أهلَ السوقِ ما أعجزَكُم؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال ذلكَ ميراثُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، يُقسَّمُ وأنتم هاهنا ، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكُم منه . قالوا وأين هو؟ قال في المسجدِ فخرَجوا سِرَاعاً ووقفَ أبو هريرة لهم حتَّى رجَعوا فقال لهم : مالكم؟ فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجدَ فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يُقسَّمُ فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجدِ أحداً قالوا بلى رأينا قوماً يُصلُّون ، وقوماً يقرءون القرآنَ وقوماً يتذاكرون الحلالَ والحرامَ ، فقال أبو هريرة : ويحكُمُ فذاك ميراثُ محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم . رواه الطبرانيُّ في الأوسطِ بإسنادٍ حسنٍ .

١٨ - وعن جابرٍ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم العِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ في القلبِ فذاك العِلْمُ النافعُ وعِلْمٌ على اللسانِ فذاك حُجَّةُ الله على ابنِ آدمَ . رواه أبو بكرٍ الخطيبُ بإسنادٍ حسنٍ . ورواه ابنُ عبدِ البرِّ النَميريُّ في كتابِ العلمِ عن الحسنِ مُرسلاً بإسنادٍ صحيحٍ .

١٩ - وعن زيرِ بنِ حُبَيْشٍ قال أتيتُ صفوانَ بنَ عَسالٍ المراديَّ رضي الله عنه قال : ما جاء بك؟ قلتُ : العِلْمُ . قال فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم يقولُ : ما من خارجٍ خرَجَ من بيته في طلبِ العِلْمِ

إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ
وَابْنُ مَاجَهَ وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ
الإِسْنَادِ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ
الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِمَجْلِسَيْنِ أَحَدُهُمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَالْآخَرُونَ يَتَفَقَّهُونَ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِلَا مَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ صَاحِبِهِ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَذْكُرُونَهُ فَلِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ
وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَأَمَّا الْمَجْلِسُ الْآخَرُ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ وَإِنَّمَا
بُعِثْتُ مُعَلِّمًا وَجَلَسَ إِلَى الْفِقْهِ وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ خِيَارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا وَخِيَارُ عُلَمَائِهَا فَفَهَاؤُهَا .

شِعْرًا :

تَعَلَّمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِيهِ
وَفَضْلٌ وَعَنْوَانٌ لِكُلِّ الْمَحَامِدِ
وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً
مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْبَحْ فِي بُحُورِ الْقَوَائِدِ
تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ
إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٍ
هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سُنَنِ الْهُدَى
هُوَ الْحِصْنُ يُنَجِّي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ
فَإِنَّ فِقْيَهَا وَاجِدًا مُتَوَرَعًا
أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ أَلْفِ عَابِدِ

آخر:

ذُووا العِلْمِ فِي الدُّنْيَا نُجُومَ هِدَايَةٍ
إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَاحَ بَعْدُ جَدِيدٌ
بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ طُرّاً وَهُمْ لَهُ
مَعَاقِلٌ مِنْ أَعْدَائِهِ وَجُنُودٌ

آخر:

أَرَى العِلْمَ أَعْلَى رُتْبَةً فِي المَرَاتِبِ
فَذُو العِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفاً
فَهَيْهَاتَ لَا يَرْجُو مَدَاهُ مَنْ ارْتَقَى
سَأَمَلِي عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا
هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ العَمَى
هُوَ الذَّرْوَةُ الشَّيْءُ تَحْمِي مِنَ التَّجَا
بِهِ يَتَّجِي والنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ
بِهِ يَشْفَعُ الأَنْسَانُ مَنْ رَاحَ عَاصِياً
فَمَنْ رَامَهُ رَامَ المَارِبِ كُلِّهَا
هُوَ المَنْصَبُ العَالِي فَيَا صَاحِبَ الحِجَا
فِيانَ فَاتَتْ الدُّنْيَا وَطِيبُ نَعِيمِهَا

وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ العُلَى فِي المَوَاكِبِ
وَذُو الجَهْلِ بَعْدَ المَوْتِ تَحْتَ التَّرَائِبِ
رُقِيَّ وِلِيَّ المُلْكِ وَوَالِي الكِتَابِ
فِي حِصْرٍ عَنِ ذِكْرِ كُلِّ المَنَاقِبِ
وَذُو الجَهْلِ مَرَّ الأَدْهَرِ بَيْنَ الغِيَاهِبِ ؛
إِلَيْهَا وَيَمْشِي آمِناً فِي النُّوَابِ
بِهِ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ
إِلَى دَرَكِ النِّيرَانِ شَرُّ العَوَاقِبِ
وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ المَطَالِبِ
إِذَا نَلْتَهُ هَوْنٌ بِفَوْتِ المَنَاصِبِ
[فَعَمَّضُ] فَإِنَّ العِلْمَ خَيْرُ المَوَاهِبِ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ مِنَ الفَسَادِ وَاجْمَعْ قُلُوبَنَا عَلَى
مَحَبَّتِكَ وَخِشْيَتِكَ وَاهْدِنَا إِلَى أَقْرَبِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِكَ
الجِسَامَ مَا يَكُونُ وَسِيلَةً إِلَى حُلُولِ دَارِ السَّلَامِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَالجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل ١٢)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

الأصلُ الأولُ في العِلْمِ وَفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَبَيَانِ عُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَتَوْقُفِ كَمَالِ الْعَبْدِ وَنَجَاتِهِ فِي مَعَايِهِ وَمَعَادِهِ عَلَيْهِ .

قال اللهُ تعالى : ﴿ شهد اللهُ أنه لا إلهَ إلا هوَ والملائكةُ وأولوا العِلْمِ قائماً بالقسطِ لا إلهَ إلا هوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ استشهدَ سبحانه بأولي العِلْمِ على أَجَلٍ مشهودٍ عليه وهوَ توحيدُهُ فقال ﴿ شهد اللهُ أنه لا إلهَ إلا هوَ والملائكةُ وأولوا العِلْمِ قائماً بالقسطِ ﴾ وهذا يدلُّ على فضلِ العِلْمِ وأهليه مِنْ وُجُوهٍ . أحدها استشهادُهُمْ دونَ غيرِهِمْ من البَشَرِ ، والثاني اقترانُ شهادَتِهِمْ بِشهادَتِهِ ، والثالثُ اقترانُها بِشهادةِ ملائِكَتِهِ ، والرابعُ أنَّ في ضِمْنِ هذا تَرْكِيبَهُمْ وَتَعْدِيلَهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يستشهدُ من خلقِهِ إلا العُدُولَ ومنهُ الأثرُ المعروفُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُ هذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفِهِ عُدُولَهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ .

والخامسُ : أنه وَصَفَهُمْ بِكونِهِمْ أُولَى العِلْمِ وهذا يدلُّ على اختِصاصِهِمْ بِهِ وَأَنَّهُمْ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ ليس بمستعارٍ لَهُمْ .

السادسُ : أنه سبحانه استشهدَ بنفسِهِ وهو أَجَلٌ شاهدٌ ثم بخيارِ خلقِهِ وهم ملائِكَتُهُ والعلماءُ مِنْ عبادِهِ وَيَكْفِيهِمْ بهذا فضلاً وَشَرَفاً .

السابع : أنه استشهد بهم على أجلٍ مشهودٍ به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله والعظيمُ القديرُ إنما يستشهد على الأمر العظيم أكبر الخلقِ وساداتهم .

الثامن : أنه سبحانه جعل شهادتهم حجةً على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده .

التاسع أنه سبحانه أفرَدَ الفعلَ المتضمنَ لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعلٍ آخر غير شهادته .

وهذا يدلُّ على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامةً وإنطاقاً وتعليماً وهم الشاهدون بها له إقراراً واعتراضاً وتصديقاً وإيماناً .

العاشر : أنه سبحانه جعلهم مؤدبين لحقه عند عبادِهِ بهذه الشهادة فاذا أدوها فقد أدوا الحقَّ المشهودَ به فثبت الحقُّ المشهودُ به فوجبَ على الخلقِ الإقرارُ به وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكلُّ مَنْ ناله الهدى بشهادتهم وأقرَّ بهذا الحقِّ بسببِ شهادتهم فلهم من الأجرِ مثلُ أجرِهِ أيضاً فهذه عشرة أوجهٍ في هذه الآية .

الحادي عشر : في تفضيل العلمِ وأهله أنه سبحانه نفى التسوية بين أهله وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار . فقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كما قال تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ وهذا يدلُّ على غاية

فَضْلِهِمْ وَشَرَفِهِمْ .

الوجه الثاني عشر: أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يُبصرون فقال ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ فما ثم إلا عالم أو أعمى وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صمُّ بكم عمي في غير موضعٍ من كتابه .

الوجه الثالث عشر : أنه سبحانه أخبر عن أولي العلم بأنهم يرون أن ما أنزل إليه من ربه حق وجعل هذا ثناءً عليهم واستشهاداً بهم . فقال تعالى ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ .

الوجه الرابع عشر : أنه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم . فقال ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل على الأنبياء .

الوجه الخامس عشر : أنه سبحانه شهد لأهل العلم شهادة في ضمئها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ،

الوجه السادس عشر: أنه سبحانه سأل نبيه بإيمان أهل العلم به وأمره أن لا يعبأ بالجاهلين شيئاً . فقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا

العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴿ وهذا شرف عظيم لأهل العلم وتحت أن أهله العالمون قد عرفوه وآمنوا به وصدقوا فسواء آمن به غيرهم أو لا .

الوجه السابع عشر : أنه سبحانه مدح أهل العلم وأثنى عليهم وشرفهم بأن جعل كتابه آيات بينات في صدورهم وهذه خاصة ومنقبة لهم دون غيرهم . فقال تعالى ﴿ وكذلك أنزلنا الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴿ .

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لأرتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴿ وسواء كان المعنى أن القرآن مستقر في صدور الذين أوتوا العلم ثابت فيها محفوظ وهو في نفسه آيات بينات فيكون أخبر عنه بخبرين . أحدهما أنه آيات بينات . الثاني أنه محفوظ مستقر ثابت في صدور الذين أوتوا العلم . أو كان المعنى أنه آيات بينات في صدورهم أي كونه آيات بينات معلوم لهم ثابت في صدورهم والقولان متلازمان ليسا بمختلفين . وعلى التقديرين فهو مدح لهم وثناء عليهم في ضمنه الاستشهاد بهم فتأمل .

الوجه الثامن عشر : أنه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل ربي زدني علماً ﴿ وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه . اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا وارفعنا بما علمتنا .

الوجه التاسع عشر أنه سبحانه أخبر عن رفيعه درجات أهل العلم والإيمان خاصة . فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ .

قصيدة في الحث على طلب العلم :

يا تاركاً لمراضي الله أوطاناً
وسالكاً في طريق العلم أحزاناً
كن باذل الجد في علم الحديد تنل
كل العلوم وكن بالأصل مشتاناً
فالعلم أفضل مطلوب وطالبه
من أكمل الناس ميزاناً ورُجحاناً
والعلم نور فكن بالعلم معتصماً
إن رمت فوزاً لدى الرحمن مولاناً
وهو النجاة وفيه الخير أجمعه
والجاهلون أخف الناس ميزاناً
والعلم يرفع بيتاً كان منخفصاً
والجهل يخفضه لو كان ما كانا
وأرفع الناس أهل العلم منزلةً
وأوضع الناس من قد كان حيراناً
لا يهتدي لطريق الحق من عمه
بل كان بالجهل ممن نال خسراناً

تلقاه بين الورى بالجهل منكسراً
 لا يدر مازانه في الناس اوشانا
 والعلم يرفعه فوق الورى درجاً
 والناس تعرفه بالفضل اذعانا
 وطالب العلم ان يظفر ببغيته
 ينال بالعلم غفراناً ورضواناً
 فاطلبه مجتهداً ما عشت محتسباً
 لا تبتغي بدلاً ان كنت يقظاناً
 من ناله نال في الدارين منزلةً
 اوفاته نال خسراناً ونقصاناً
 وباذل الجد في تحصيله زمناً
 ولم يكن نال بعد الجد عرفاناً
 فلن يضيع له سعي ولا عمل
 عند الاله ولا يوليه خسراناً
 فطالب العلم ان اصفى سريره
 ينال من ربنا عفواً ورضواناً
 فالعلم يرفعه في الخلد منزلةً
 والجهل يضل به يوم الحشر نيراناً
 والجهل في هذه الدنيا ينقصه
 والعلم يكسوه تاج العز اعلاناً
 وان ترد نهج هذا العلم تسلكه
 او رمت يوماً لما قد قلت برهاناً

فَأَتَى سَمْعًا لِمَا أُبَدِي وَكُنْ يَقْظًا
وَلَا تُكُنْ غَافِلًا عَنِ ذَاكَ كَسَلَانَا
قَدْ أَلَّفَ الشَّيْخُ فِي التَّوْحِيدِ مُخْتَصِرًا
يَكْفِي أَخَا اللَّبِّ إِضْحَاحًا وَتَبْيَانَا
فِيهِ الْبَيَانُ لِتَوْجِيدِ الْإِلَهِ بِمَا
قَدْ يَفْعَلُ الْعَبْدُ لِلطَّاعَاتِ إِيْمَانَا
حُبًّا وَخَوْفًا وَتَعْظِيمًا لَهُ وَرَجَا
وَخَشْيَةً مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ إِذْعَانَا
كَذَلِكَ نَذْرًا وَذَبْحًا وَاسْتِغَاثَتُنَا
وَالِاسْتِعَانَةَ بِالْمَعْبُودِ مَوْلَانَا
وغيرُ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ
لِلَّهِ مِنْ طَاعَةٍ سِرًّا وَإِعْلَانَا
وَفِيهِ تَوْحِيدُنَا رَبَّ الْعِبَادِ بِمَا
قَدْ يَفْعَلُ اللَّهُ أَحْكَامًا وَإِتْقَانَا
خَلْقًا وَرِزْقًا وَإِحْيَاءً وَمَقْدُورَةً
بِالِاخْتِرَاعِ لِمَا قَدْ شَاءَ أَوْ كَانَا
وَيَخْرُجُ الْأَمْرُ عَنْ طَوْقِ الْعِبَادِ لَهُ
وَذَاكَ مِنْ شَأْنِهِ أَعْظَمُ بِهِ شَأْنَا
وَفِيهِ تَوْحِيدُنَا الرَّحْمَنَ أَنَّ لَهُ
صِفَاتٍ مَجْدٍ وَأَسْمَاءَ لِمَوْلَانَا
تِسْعٌ وَتِسْعُونَ إِسْمًا غَيْرَ مَا خَفِيَتْ
لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْإِنْسَانُ حُسْبَانَا

مِمَّا بِهِ أَسْتَأْتِرَ الرَّحْمَنُ خَالِقَنَا
أَوْ كَانَ عَلَّمَهُ الرَّحْمَنُ إِنْسَانًا
نُمِرُّهَا كَيْفَ جَاءَتْ لَا نُكَيِّفُهَا
بَلْ لَا نُؤَوِّلُهَا تَأْوِيلَ مَنْ مَانَا
وَفِيهِ تَبْيَانُ إِشْرَاكِ يُنَاقِضُهُ
بَلْ مَا يُنَافِيهِ مِنْ كُفْرَانٍ مَنْ خَانَا
أَوْ كَانَ يَقْدَحُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ بَدَعٍ
شَنْعَاءَ أَحَدِثَهَا مَنْ كَانَ فَتَانَا
أَوِ الْمَعَاصِي الَّتِي تُزْرِي بِفَاعِلِهَا
مِمَّا يُنْقِصُ تَوْحِيدًا وَإِيمَانَا
فَسَنَاقَ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْإِلَهِ كَمَا
قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ مَنْ كَانَ يَقْظَانَا
وَسَاقَ فِيهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَنْقُضُهُ
لِتَعْرِفَ الْحَقَّ بِالْأَضْدَادِ إِمْعَانَا
مُضْمِنًا كُلَّ بَابٍ مِنْ تَرَاجُمِهِ
مِنَ النُّصُوصِ أَحَادِيثًا وَقُرْآنَا
فَالشَيْخُ ضَمَّنَهُ مَا يَطْمَئِنُّ لَهُ
قَلْبُ الْمُؤَحِّدِ إِضْحَاحًا وَتَبْيَانَا
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مُعْتَصِمًا
يُورِثُكَ فِيْمَا سِوَاهُ اللَّهِ عِرْفَانَا
وَانظُرْ بِقَلْبِكَ فِي مَبْنَى تَرَاجُمِهِ
تَلْقَى هُنَالِكَ لِلتَّحْقِيقِ عُنْوَانَا

وَلِلْمَسَائِلِ فَاَنْظُرْ تَلَقَّهَا حِكْمًا
يَزِدَادُ مِنْهِنَّ أَهْلُ الْعِلْمِ إِتْقَانًا
وَقُلْ جَزَى اللَّهُ شَيْخَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا
قَدْ شَادَ لِلْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ أَرْكَانًا
فَقَامَ لِلَّهِ يَدْعُو النَّاسَ مُجْتَهِدًا
حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ مَثْنَى وَوَحْدَانًا
وَوَحَّدُوا اللَّهَ حَقًّا لَا شَرِيكَ لَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا أَنْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ أَرْمَانًا
وَأَصْبَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْجَهْلِ قَدْ عَلِمُوا
وَطَالَ مَا هَدَمُوا لِلدِّينِ بُنْيَانًا
وَأَظْهَرَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ وَأَنْتَشَرَتْ
أَحْكَامُهُ فِي الْوَرَى مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَا
بِالْجَهْلِ وَالْكُفْرِ قَدْ أَرَسَتْ مَعَالِمُهُ
لَا يَعْرِفُ النَّاسُ إِلَّا الْكُفْرَ أَرْمَانًا
يَدْعُونَ غَيْرَ إِلَهِ الْحَقِّ مِنْ سَفَهٍ
وَيَطْلُبُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ غُفْرَانًا
وَيَنْسِكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَا ذَبَحُوا
وَيَنْذِرُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ قُرْبَانًا
وَيَسْتَعِينُونَ بِالْأَمْوَاتِ إِنْ عَظُمَتْ
وَأَعْضَلَتْ شِدَّةً مِنْ حَادِثٍ كَانَا
وَيَنْدَبُونَ لَهَا زِيدًا لِيَكْشِفَهَا
بَلْ يَنْدَبُونَ لَهَا تَاجًا وَشُمْسَانَا

فَزَالَ نَمَّ بِهَذَا الشَّيْخِ جِئِنَ دَعَا
مَنْ صَدَّ أَوْ نَدَّ عَنْ تَوْجِيدِ مَوْلَانَا
فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو وَلِيَجْتَهُ
يَوْمًا بِنَجْدٍ وَلَا يَدْعُونَ أُوثَانَا
بَلِ الدُّعَا كُلُّهُ وَالِدَيْنُ أَجْمَعُهُ
لِيَلِهِ لَا لِسِوَى الرَّحْمَنِ إِيْمَانًا
فَاللَّهُ يُعْلِيهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مَنْزِلَةً
فَضْلًا وَجُودًا وَتَكْرِيمًا وَإِحْسَانًا
وَاللَّهُ يُؤَلِّيهِ الْطَفَافًا وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً مِنْهُ إِحْسَانًا وَرِضْوَانًا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَعْصُومِ سَيِّدِنَا
أَزْكَى الْبَرِيَّةِ إِيْمَانًا وَعِرْفَانًا
مَا نَاصَ بَرَقَ وَمَا هَبَّ النَّسِيمُ وَمَا
مَسَّ الْحَجِيجُ لِبَيْتِ اللَّهِ أَرْكَانَا
أَوْ قَهَقَهُ الرَّعْدُ فِي هَذْبَاءِ مُدْجِنَةٍ
أَوْ نَاحَ طَيْرٌ عَلَى الْأَغْصَانِ أَرْمَانَا
وَالْأَلِدِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ
عَلَى الْمَحْجَّةِ إِيْمَانًا وَإِحْسَانًا
اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ
الْيَسِيرَ مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل ١٣)

وقد أُخْبِرَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ بِرُفْعِ الدَّرَجَاتِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ ،
أَحَدُهَا هَذَا . وَالثَّانِي قَوْلُهُ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ . (وَالثَّلَاثُ) قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ
يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ (وَالرَّابِعُ)
قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ
مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ فِي ثَلَاثَةِ مِنْهَا الرَّفْعَةُ بِالدَّرَجَاتِ
لِأَهْلِ الرَّفْعَةِ بِالْجِهَاتِ فَعَادَتْ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ كُلِّهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ
اللَّذَيْنِ بِهِمَا قِيَامُ الدِّينِ .

الوجهُ العِشْرُونَ : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْكُفَّارِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

الوجهُ الحَادِي والعِشْرُونَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أُخْبِرَ أَنَّهُمْ أَهْلُ خَشْيَتِهِ بَلْ
خَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِذَلِكَ . فَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

وهذا حَصْرٌ لِخَشِيَّتِهِ فِي أُولِي الْعِلْمِ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ خَشِيَّتِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ . فَذَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجِزَاءَ الْمَذْكُورَ لِلْعُلَمَاءِ بِمَجْمُوعِ النَّصِّينِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَفَى بِخَشِيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالْأَغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا .

الوجه الثاني والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أَمْثَالِهِ الَّتِي يَضْرِبُهَا لِعِبَادِهِ يَدُلُّهُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ هُمُ الْمُتَنْفِعُونَ بِهَا الْمُخْتَصُّونَ بِعِلْمِهَا فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ وَفِي الْقُرْآنِ بِضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَثَلًا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا مَرَّ بِمَثَلٍ لَا يَفْهَمُهُ يَبْكِي وَيَقُولُ لَسْتُ مِنَ الْعَالِمِينَ .

الوجه الثالث والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ مُنَاطِرَةَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ وَعَلَبْتِهِ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ وَأَخْبَرَ عَنْ تَفْضِيلِهِ بِذَلِكَ وَرَفَعِهِ دَرَجَتَهُ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ فَقَالَ تَعَالَى عَقِيبَ مُنَاطِرَتِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ .

الوجه الرابع والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَوَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ لِيُعَلِّمَ عِبَادَهُ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْعِبَادِ بَرِبِّهِمْ وَصِفَاتِهِ
وَعِبَادَتِهِ وَحَدَّهُ هُوَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ .

الْعِلْمُ يَغْرِسُ كُلَّ فَضْلٍ فَاجْتَهِدْ
أَنْ لَا يَفُوتَكَ فَضْلُ ذَاكَ الْمَغْرَسِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يِنَالُهُ
مَنْ هَمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسٍ
إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يَزْهَوُ بِهِ
فِي حَالَتَيْهِ عَارِيًّا أَوْ مُكْتَسِبِي
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظًّا وَافِرًّا
وَاهْجُرْ لَهُ طِيبَ الرُّقَادِ وَعَبَّسٍ
فَلَعَلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ
كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخَرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ

آخر :

إِذَا مَا أُعْتَزَرَ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ
فَعِلْمُ الْفَقِيهِ أَوْلَىٰ بِاعْتِزَازِ
فَكَمْ طِيبٌ يَفُوحُ وَلَا كَمِيسِكِ
وَكَمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِي

آخر :

يَاطَلِبُ الْعِلْمَ لَا تَرَكْنَ إِلَى الْكَسَلِ
وَاسْتَعْمَلِ الصَّبْرَ فِي كَسْبِ الْعُلُومِ وَقُلْ
وَاعْجَلْ فَقَدْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ بِلا عَمَلٍ

آخر :

الْفَقِيهُ أَنْفَسُ شَيْءٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ
فَاكْسِبْ لِنَفْسِكَ مَا أَصْبَحَتْ تُجْهَلُهُ
مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ
فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ

آخر:

إِذَا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هُدًى وَسِيرَتُهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقَهُ حُسْنًا
فَبُشِّرْهُ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ فِتْنَةً تَغْشِيهِ حِرْمَانًا وَتَوْسِعُهُ حُرْنًا

آخر:

عَوْدُ بَنِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصَّغْرِ
كَيْمَا تَقْرَأَ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
فَإِنَّمَا مَثَلُ الْأَدَابِ تَجْمُعُهَا
فِي عُنُقِ الْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا
وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَدِيثُ الْغَيْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ
يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرْرِ

فائدة

لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك وأن
العلماء العاملون بعلمهم البعيدون عن الرياء وحب الظهور يحبونك
ويكرمونك لكان ذلك سبباً دعياً إلى وجوب طلبه فكيف بسائر فضائله في
الدنيا والآخرة .

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ويحتقر عند
الناس حتى عند أهله وأقربائه وجيرانه فكيف بسائر رذائله ومساوئه في
الدنيا والآخرة .

ولو لم يكن من فضل العلم إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوسوس

المُضَيِّبَةِ والأفكارِ الرديئةِ ومَطَارِحِ الآمالِ التي لا تُفيدُ غيرَ الهمِ والغَمِّ لكانَ ذلكَ أعظمَ داعٍ فكيفَ ولهُ مِنَ الفضائلِ والمحاسِنِ ما يطولُ ذِكْرُهُ .

أَلَا رَبُّ مَنْ قَدْ أَنْحَلَ الزُّهُدُ جِسْمَهُ كَثِيرَ صَلَاةٍ دَائِمُ الصُّومِ عَابِدُ
يَرُومِ وَصَالاً وَهُوَ بِالطَّرْقِ جَاهِلُ إِذَا جُهِلَ الْمُقْصُودُ قَدْ خَابَ قَاصِدُ
قَلِيلٌ مِنَ الأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ

اللهمَّ أعفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لِرُومِ الطَّرِيقِ
إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَسِرّاً لَنَا مَا يَسِّرُهُ لِأَهْلِ
مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا
فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (فِصْل)

الوجهُ الخامسُ والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ أَهْلَ العِلْمِ بِالْفَرَحِ ،
بِمَا آتَاهُمْ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ النَّاسُ فَقَالَ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ
وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ وَفَسَّرَ اللهُ الفَضْلَ
بِالإِيمَانِ وَرَحْمَتَهُ بِالقُرْآنِ وَالإِيمَانِ وَالقُرْآنُ هُمَا العِلْمُ النَافِعُ وَالعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالمُهْدَى وَدِينُ الحَقِّ وَهُمَا أَفْضَلُ عِلْمٍ وَأَفْضَلُ عَمَلٍ .

الوجهُ السادسُ والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهِدَ لِمَنْ آتَاهُ العِلْمُ بِأَنَّهُ قَدْ
آتَاهُ خَيْراً كَثِيراً فَقَالَ تَعَالَى ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ
فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ قَالَ أَبُو بِنْتِةٍ وَالجُمْهُورُ الحِكْمَةُ إِصَابَةُ الحَقِّ
وَالعَمَلُ بِهِ وَهِيَ العِلْمُ النَافِعُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ .

الوجهُ السابعُ والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَدَّدَ نِعْمَهُ وَفَضَّلَهُ عَلَى رَسولِهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ مِنْ أَجْلِهَا أَنَّ آتَاهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا
لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا

لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٤﴾ .

الوجه الثامن والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَأَمَرَهُمْ بِشُكْرِهَا وَأَنْ يَذْكُرُوهُ عَلَى إِسْدَائِهَا إِلَيْهِمْ فَقَالَ تَعَالَى ﴿٤﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ .

الوجه التاسع والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَنْ عَرَفَهُمْ فَضَّلَ آدَمَ بِالْعِلْمِ وَعَجَزَهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا عَلَّمَهُ قَالَ لَهُمْ ﴿٤﴾ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤﴾ فَعَرَفَهُمْ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِعِلْمِهِ بِظَاهِرِهِمْ وَبِاطْنِهِمْ وَبِغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِصِفَةِ الْعِلْمِ وَعَرَفَهُمْ فَضَّلَ نَبِيَّهُ وَكَلِمِيهِ بِالْعِلْمِ وَعَجَزَهُمْ عَمَّا آتَاهُ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ .

وَيَبِّانُ فَضْلَ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ وُجُوهٍ . أَحَدُهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ فِي آدَمَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا كَانَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُظْهِرَ لِمَلَائِكَتِهِ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ فَظَهَرَ لَهُمْ أَحْسَنُ مَا فِيهِ وَهُوَ عِلْمُهُ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَأَنَّ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ وَنَظِيرُ هَذَا مَا فَعَلَهُ بِنَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ إِظْهَارَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ كُلِّهِمْ أَظْهَرَ لِلْمَلِكِ وَأَهْلِ مِصْرَ مِنْ عِلْمِهِ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ مَا عَجَزَ عَنْهُ عُلَمَاءُ التَّعْبِيرِ فَحِينَئِذٍ قَدَّمَهُ وَمَكَّنَهُ وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ خَزَائِنَ الْأَرْضِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ حَبَسَهُ عَلَى مَا رَأَاهُ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ حُسْنُ صُورَةِ عِلْمِهِ وَجَمَالُ مَعْرِفَتِهِ أَطْلَقَهُ مِنْ

الْحَبْسِ وَمَكَنَهُ فِي الْأَرْضِ فَذَلَّ عَلَى أَنْ صُورَةَ الْعِلْمِ عِنْدَ بَنِي آدَمَ أَبِيهِ
وَأَحْسَنُ مِنَ الصُّورَةِ الْحِسِّيَّةِ وَلَوْ كَانَتْ أَجْمَلُ صُورَةٍ . وهذا وجهٌ مستقلٌ
في تفضيلِ الْعِلْمِ مضافاً إلى ما تقدّمَ فتمَّ به ثلاثينَ وَجْهًا .

الوجهُ الحادي والثلاثون : أنه سُبْحَانَهُ ذمُّ أهلِ الْجَهْلِ في مواضعٍ
كثيرةٍ من كتابِهِ .

الوجه الثاني والثلاثون أن الْعِلْمَ حَيَاةٌ وَنُورٌ ، والخيرُ كله سَبَبُهُ النُّورُ
والحياةُ فَإِنَّ النُّورَ يَكْشِفُ عن حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَيُبَيِّنُ مَرَاتِبَهَا والحياةُ هي
الْمُصَحِّحَةُ لصفاتِ الكمالِ المَوْجِبَةُ لِتَسْدِيدِ الْأَقْوَالِ والأَعْمَالِ فَكَلَّمَا
تَصَرَّفَ مِنَ الْحَيَاةِ فَهُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ كَالْحَيَاءِ الَّذِي سَبَبُهُ كَمَالُ حَيَاةِ الْقَلْبِ
وَتَصَوُّرُهُ حَقِيقَةُ الْقُبْحِ وَنُفْرَتُهُ مِنْهُ وَضِدُّهُ الْوَقَاحَةُ وَالْفُحْشُ وَسَبَبُهُ مَوْتُ
الْقَلْبِ وَعَدَمُ نُفْرَتِهِ مِنَ الْقُبْحِ وَكَالْحَيَاةِ الَّذِي هُوَ الْمَطْرُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ كُلِّ
شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ كَانَ مَيِّتًا بِالْجَهْلِ قَلْبُهُ
فَأَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ .

الوجهُ الثالثُ والثلاثون : أن اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَعَلَ صَيْدَ الْكَلْبِ
الْجَاهِلِ مَيْتَةً يَحْرُمُ أَكْلُهَا وَأَبَاحَ صَيْدِ الْكَلْبِ الْمُعَلَّمِ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَرَفِ
الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يُبَاحُ إِلَّا صَيْدُ الْكَلْبِ الْعَالِمِ وَأَمَّا الْكَلْبُ الْجَاهِلُ فَلَا يَجِلُّ
أَكْلُ صَيْدِهِ فَذَلَّ عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ .
شعرا :

إذا ما أناسٌ فآخرونا بما لهم فإنني بميراثِ النَّبِيِّينَ فآخِرُ
ألم تر أن الْعِلْمَ يُذَكِّرُ أَهْلَهُ بكلِّ جَمِيلٍ فِيهِ وَالْعَظْمُ نَآخِرُ
سَقَى اللَّهَ أَجْدَانًا أَجَنَّتْ مَعَاشِرًا لهمْ أَبْحَرُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ زَوَآخِرُ

وقال رحمه الله :

الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبه وإيثاره
مرضاته ، المستلزمة لمعرفته ، ونصب للعباد علماً لا كمال لهم إلا به .
وهو : أن تكون حركاتهم كلها موافقة على وفق مرضاته ومحبه ،
ولذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه .

فكمال العبد الذي لا كمال له إلا به ، أن تكون حركاته موافقة لما
يجبه الله منه ويرضاه له . ولهذا جعل إتباع رسوله ﷺ دليلاً على محبه .
قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

فالمحب الصادق يرى خيانة منه لمحبوبه أن يتحرك بتحرمة إختيارية
في غير مرضاته ، وإذا فعل فعلاً مما أبيع له بموجب طبيعته وشهوته تاب
منه كما يتوب من الذنوب ، ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب بها
مباحاته كلها طاعات .

فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومه وصومه واجتهاده ،
وهو دائماً بين سراء يشكر الله عليها ، وضراء يصبر عليها ، فهو سائر إلى
الله تعالى دائماً في نومه ويقظته .

قال بعض العلماء : الأكياس عاداتهم عبادات الحمقى والحمقى
عباداتهم عادات .

شعراً : لا يحقر الرجل العظيم دقيقةً
فكباير الرجل الصغير صغائر
آخر : دع التعليل والتسوية وأقبل
أدم بالحزم إقبالاً عليه
ونق القلب من شبهات زيغ
ورد حوض الشريعة مع صفاء
ورق النفس بالعرفان تزكو
في السهو فيها لوضيع معاذر
وصغائر الرجل الكبير كباير
على مولاك نغم نيل حظ
عسى تحظى بتوفيق وحفظ
تراه معنوياً ثم لفظي
وجانب كل ذي حسد وعيظ
وتظفر بالمنى من كل وعظ

وقال بعض السلف : حبذا نوم الأكياس وفطرهم يغبنون به سهر الحمقى وصومهم ، فالمحب الصادق إن نطق نطق الله وبالله ، وإن سكت سكت الله وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فسكونه إستعانة على مرضات الله فهو لله وبالله ومع الله .

ومعلوم أن صاحب هذا المقام ، أحوج خلق الله إلى العلم ، فإنه لا تتميز له الحركة المحبوبة لله من غيرها ولا السكون المحبوب لله من غيره إلا بالعلم . فليست حاجته إلى العلم كحاجة من طلب العلم لذاته . ولأنه في نفسه صفة كمال ، بل حاجته إليه كحاجته إلى ما به قوام نفسه وذاته .

ولهذا إشتدت وصاة شيوخ العارفين لمريديهم بالعلم وطلبه ، وإنه من لم يطلب العلم لم يفلح ، حتى كانوا يعدون من لا علم له من السفلة .

قال ذو النون وقد سئل من السفلة فقال : من لم يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه .

وقال أبو يزيد : لو نظرتم إلى الرجل وقد أعطي من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدوناه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود ومعرفة الشريعة .

وقال أبو حمزة البزازي : مَنْ عَلِمَ طَرِيقَ الْحَقِّ سَهَّلَ عَلَيْهِ سُلُوكَهُ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقَةِ إِلَّا مَتَابَعَةُ الرَّسُولِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ .

وقال محمد بن الفضل الصوفي الزاهد : ذهاب الإسلام على يدي أربعة أصناف من الناس .

- صِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ .
- وَصِنْفٌ يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .
- وَصِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ .
- وَصِنْفٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ .

قلت : الصنف الأول : من له علم بلا عمل ، فهو أضر شيء على العامة ، فإنه حجة لهم في كل نقيصة ونخسة .

والصنف الثاني : العابد الجاهل ، فإن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله .

وهذان الصنفان هما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله : إحدروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم ، فإذا كان العلماء فجرة ، والعباد جهلة ، عمت المصيبة بهما ، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة .

والصنف الثالث : الذين لا علم لهم ولا عمل ، وإنما هم كالأنعام

السائمة والصنف الرابع : نواب إبليس في الأرض ، وهم الذين يشبثون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين ، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين الجن ، فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه .

فهؤلاء الأربعة الأصناف ، هم الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله عليه وهؤلاء كلهم على شفا جرف هار ، وعلى سبيل الهلكة .

وَمَا يَلْقَى الْعَالِمُ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُلْقَاهُ مِنَ الْأَذَى وَالْمَحَارِبَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ .

والله يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي سَخَطِهِ ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي مَرْضَاتِهِ إنه بعباده خبير بصير .

ولا ينكشف سِرُّ هذه الطوائف وطريقتهم إلا بالعلم ، فعاد الخير بحدافيره في العلم وموجبه ، والشر بحدافيره إلى الجهل وموجبه .

ذَرُّوا الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا نُجُومٌ هِدَايَةٌ إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَاحَ بَعْدَ جَدِيدٍ
بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ طُرّاً وَهُمْ لَهُ مَعَاوِلٌ مِنْ أَعْدَائِهِ وَجُسُودٌ
وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِنَقْلِهِ فَمَنْ كَانَ يَرْوِي عِلْمَهُ وَيُفِيدُ
هُمُومًا وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَاحْتَوُوا مِنَ الْفَضْلِ مَا عَنْهُ الْأَنَامُ رُقُودٌ
وَهُمْ كَمَصَائِيحِ الدُّجَى يُهْتَدَى بِهِمْ وَمَا لَهُمُومًا بَعْدَ الْمَمَاتِ خُمُودٌ
اللهم وفقنا لاتباع الهدى وجنبنا أسباب الهلاك والشقا واغفر لنا
ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصل

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ :

فالعلماء بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء والذين يُهْتَدَى بِهِمْ فِي
ظلمات الجهل والشبه والضلالِ فإذا فُقدوا ضلَّ السالكُ .

وقد شبه العلماء بالنجوم ، والنجوم فيها ثلاث فوائد : يُهْتَدَى بِهَا فِي
الظلمات ، وهي زينة للساء ، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع
منها .

والعلماء في الأرض يجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة : بهم يُهْتَدَى
في الظلمات ، وهم زينة للأرض ، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون
الحق بالباطل ويُدْخِلُونَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ .

وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس في هدى . وبقاء العلم بقاء
حَمَلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَ حَمَلَتُهُ وَمَنْ يَقُومُ بِهِ وَقَعَ النَّاسُ فِي الضَّلَالِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ
الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ « إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ صَدُورِ
الرِّجَالِ وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعِلْمُ فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ جَهَالاً
فَسئِلُوا فَأُفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » .

وخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ فقال « هذا أو أن يُخْتَلَسَ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ » .

فقال زيادُ بنُ لبيدٍ يا رسول الله كيف يُخْتَلَسُ منا العِلْمُ ، وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نسائنا وأبنائنا .

فقال « ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة ، هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ، فماذا تُغني عنهم ؟ » .

قال جبير بن نفير : فلقيت عبادة بن الصامت فقلت ألا تسمع ما يقول أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذي قال .

فقال صدق أبو الدرداء ، لو شئت لأخبرتكم بأول علم يُرفع من الناس : الخشوع ، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه خاشعاً . وخرجه النسائي من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه .

وفي حديثه « فذكر ﷺ ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله » قال جبير بن نفير : فلقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال : صدق ، ألا أخبرك بأول ذلك ؟ يُرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعاً .

وخرج الإمام أحمد من حديث زياد بن لبيد عن النبي ﷺ أنه ذكر شيئاً فقال « ذاك عند أو أن ذهاب العلم » فذكر الحديث وقال فيه « أوليس اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ؟ » ولم يذكر ما بعدها .

ففي هذه الاحاديث ان ذهاب العلم بذهاب العمل وان الصحابة

فَسَرُوا ذَلِكَ بِذَهَابِ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ مِنَ الْقُلُوبِ وَهُوَ الْخُشُوعُ . كَذَا رَوَى
عَنْ حَدِيثَةٍ : أَنْ أَوَّلَ مَا يَرْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ الْخُشُوعُ .

فَإِنَّ الْعِلْمَ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ عَلْمَانُ : عِلْمُ اللِّسَانِ فَذَاكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى
ابْنِ آدَمَ ، وَعِلْمُ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ . وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ مَرْسَلًا
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ « إِنْ أَقْوَامًا
يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُونَ تَرَاقِيهِمْ وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ وَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ » .

فَالْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا بَاشَرَ الْقَلْبَ فَأَوْقَرَ فِيهِ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ وَخَشِيَّتَهُ
وَإِجْلَالَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، وَمَتَى سَكَنَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْقَلْبِ خَشَعُ
فَخَشَعَتِ الْجَوَارِحُ تَبَعًا لَهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ » .

وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُوجِبُ الْخُشُوعَ لِلْقَلْبِ فَهُوَ عِلْمٌ
غَيْرُ نَافِعٍ . وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ
« سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا وَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » .

وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ فَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ كَمَا قَالَ ﷺ
« وَالْقُرْآنُ حُجَّةُ اللَّهِ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » فَذَاذَا ذَهَبَ مِنَ النَّاسِ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ
بَقِيَ الظَّاهِرُ عَلَى اللِّسَانِ حُجَّةً .

ثُمَّ يَذْهَبُ الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ بِذَهَابِ حَمَلَتِهِ وَلَا يَبْقَى مِنَ الدِّينِ
إِلَّا أَسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ فَيَبْقَى الْقُرْآنُ فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ يُسْرَى بِهِ
فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِي الْمَصَاحِفِ وَلَا فِي الْقُلُوبِ شَيْءٌ .

وَمِنْ هُنَا قَسَمَ مَنْ قَسَمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعِلْمَ إِلَى بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ : فَالْبَاطِنُ
مَا بَاشَرَ الْقُلُوبَ فَأَثْمَرَ لَهَا الْخَشْيَةَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّعْظِيمَ وَالْإِجْلَالَ وَالْمَحَبَّةَ

والأنس والشوق . والظاهر ما كان على اللسان فيه تقوم حجة الله على ابن آدم .

وكتب وهب بن منبه إلى مكحول : انك امرؤ قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام شرفاً فأطلب بما بطن من علم الإسلام محبةً وزُلفى . وفي رواية أنه كتب إليه : انك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلةً وشرفاً فأطلب بباطن علمك عند الله منزلةً وزُلفى . واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى .

فاشار وهب بعلم الظاهر إلى علم الفتاوي والاحكام والحلال والحرام والقصص والوعظ وهو ما يظهر على اللسان ، وهذا العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وتقدمه عندهم فحذره من الوقوف عند ذلك والركون إليه والاتفات إلى تعظيم الناس ومحبتهم فان من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله وانحجب بنظره إلى الخلق عن الحق .

واشار بعلم الباطن إلى العلم الذي يبشر القلوب فيحدث لها الخشية والاجلال والتعظيم ، وأمره أن يطلب بهذا المحبة من الله والقرب منه والزُلفى لديه .

وكان كثير من السلف كسفيان الثوري وغيره يُقسّمون العلماء ثلاثة أقسام : عالم بالله وعالم بأمر الله ويُشرون بذلك إلى من جمع بين هذين العلمين المشار إليهما الظاهر والباطن .

وهؤلاء أشرف العلماء وهم الممدوحون في قوله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال ﴿ إن الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ﴾ إلى قوله ﴿ ويزيدهم خشوعاً ﴾ .

وقال كثير من السلف : ليس العلم كثرة الرواية ولكن العلم الخشية

وقال بعضهم : كَفَى بِخَشِيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا . وَيَقُولُونَ
أَيْضًا : عَالِمٌ بِاللَّهِ لَيْسَ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَيْسَ لَهُمْ اتِّسَاعٌ فِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِ .

وَيَقُولُونَ : عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ
الظَّاهِرِ الَّذِينَ لَا نَفَاذَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ الْبَاطِنِ وَلَيْسَ لَهُمْ خَشْيَةٌ وَلَا خُشُوعٌ ،
وهؤلاءِ مَذْمُومُونَ عِنْدَ السَّلَفِ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : هَذَا هُوَ الْعَالِمُ
الْفَاجِرُ .

وهؤلاء الذين وَقَفُوا مَعَ ظَاهِرِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَصِلِ الْعِلْمُ النَّافِعُ إِلَى
قُلُوبِهِمْ وَلَا شَمُّوا لَهُ رَائِحَتَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْغَفْلَةُ وَالْقَسْوَةُ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ
الْآخِرَةِ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَمَحَبَّةُ الْعُلُوفِ فِيهَا وَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ أَهْلِهَا .

وقد مُنِعُوا إِحْسَانَ الظَّنِّ بِمَنْ وَصَلَ الْعِلْمُ النَّافِعُ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا
يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُجَالِسُونَهُمْ وَرَبِمَا ذَمُّوهُمْ وَقَالُوا لَيْسُوا بِعُلَمَاءَ ، وَهَذَا مِنْ خِدَاعِ
الشَّيْطَانِ وَغُرُورِهِ لِيُحْرِمَهُمُ الْوَصُولَ إِلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي مَدَحَهُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا .

ولهذا كَانَ عُلَمَاءُ الدُّنْيَا يُبْغِضُونَ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ وَيَسْعَوْنَ فِي أَذَاهِمُ
جُهْدَهُمْ كَمَا سَعَا فِي أَذَى سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ وَالْحَسَنِ وَسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكَ
وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ .

وذلكَ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ خُلَفَاءُ الرِّسَالِ وَعُلَمَاءُ السُّوءِ فِيهِمْ شَبْهُ مِنْ
اليَهُودِ وَهُمْ أَعْدَاءُ الرِّسَالِ وَقَتْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، وَهُمْ
أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً وَحَسَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَلِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لِلدُّنْيَا لَا يُعْظَمُونَ عِلْمًا وَلَا دِينًا وَإِنَّمَا يُعْظَمُونَ الْمَالَ
وَالجَاهَ وَالتَّقَدُّمَ عِنْدَ الْمُلُوكِ .

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنْتَ حَامِلٌ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فَإِنَّمَا يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلٌ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاجِحِ الْمُتَّقِينَ وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَاجْعَلْنَا
بِفَضْلِكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفُرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فوائد نافعة حول الافتاء والاستفتاء]

إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الفتيا أمرها
عظيم ، ولقد كان السلف رحمهم الله يأبون الفتيا ، ويشددون فيها ،
ويتدافعون عكس ما عليه علماء هذا العصر .

فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب
رسول الله ﷺ يُسْتَأْذَنُ أَحَدُهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَيُرَدُّهَا هَذَا إِلَى هَذَا وَهَذَا إِلَى هَذَا
حتى ترجع إلى الأول .

وفي رواية ما منهم مَنْ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ إِلا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ إِيَّاهُ ، وَلَا
يُسْتَفْتَى عَنْ شَيْءٍ إِلا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا ، وَأَنْكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَلَى مَنْ
يَهْجُمُ عَلَى الْجَوَابِ لِحَبْرٍ أَجْرَوْكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَوْكُمْ عَلَى النَّارِ .

وقال الامام أحمد : لا ينبغي أن يجيب في كل ما يُسْتَفْتَى فِيهِ ، وقال :
لا ينبغي للرجل أن يُعْرَضَ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا حَتَّى يَكُونَ فِي خَمْسِ خِصَالٍ :

أحدها : أن تكون له نية ، وهي أن يخلص لله تعالى ، ولا يقصد
رياسةً ولا نحوها ، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

الثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة ، وإلا لم يتمكن من فعل ما
تصدى له من بيان الأحكام الشرعية .

الثالثة : أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته ، وإلا فقد عرَّضَ
نَفْسَهُ لِخَطَرٍ عَظِيمٍ .

الرابعة : الكفاية ، وإلا أَبْغَضَهُ الناس ، لأنه إحتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم ، فيتضررون منه .

الخامسة : معرفة الناس بأن يكون بصيرا بمكرهم وخداعهم ، ليكون حَذِراً منهم لئلاً يقعوه في المكروه .

وإليك ما ورد في ذلك ، نقل الميموني عن الامام أحمد رضی الله عنه أنه سئل عن حديث ، فقال سلوا أصحاب الغريب فإني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطي .

وقال أبو داود الطيالسي : سَمِعْتُ شُعْبَةَ قَالَ : سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، مَا مَعْنَى يُغَانُ ؟

قال : فقال لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ : لَوْ كَانَ عَنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ لَفَسَّرْتُ ذَلِكَ وَلَكِنْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ .
وعن الأصمعي عن مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانُوا يَتَّقُونَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَتَّقُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ .

وكان الامام أحمد يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب روى ذلك الخلال .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله وقال كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء .

وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .

وقال أحمد في رواية المروزي : كان مالك يسئل عن الشيء فيقدم ويؤخر يثبت وهؤلاء يقيسون على قوله ويقولون : قال مالك .

وعن علي بن أبي طالب رضی الله عنه قال : من علم الرجل أن

يقول لما لا يَعْلَمُ اللهُ أَعْلَمُ لأن الله عز وجل قال لرسوله ﷺ ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وصح عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : العلم ثلاثة : كتابٌ ناطقٌ وسنةٌ ماضيةٌ ولا أدري .

وقال أحمد في رواية المروزي : ليس كل شيءٍ ينبغي أن يتكلم فيه ، وذكر أحاديث النبي ﷺ كان يُسأل فيقول لا أدري حتى أسأل جبريل .

وقال عبدالله : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كان سفيان لا يكاد يفتي في الطلاق ويقول مَنْ يُحْسِنُ ذَا مِنْ يُحْسِنُ ذَا .

وقال في رواية الحارث : وَدِدْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَوْ مَا شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْبَلَاءُ يُجْرِجُهُ الرَّجُلُ عَنْ عُنُقِهِ وَيُقَلِّدُكَ .

وخاصةً مسائل الطلاق والفروج ، ونقل الأثرم عنه أنه سأله عن شيءٍ فقلتُ كيف هو عندك فقال وما عندي أنا .

وسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّمَا هُوَ يَعْنِي الْعِلْمَ مَا جَاءَ مِنْ فَوْقَ ، وقال سفيان : من فتنه الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحبَّ إليه من السكوت .

وقال المروزي : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ الْعَالِمَ يَظُنُّونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ ، فقال : قال ابن مسعود رضی الله عنه إن الذي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ لَمَجُونٌ وَأَنْكَرَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَتَهَجَّمُ فِي الْمَسَائِلِ وَالْجَوَابَاتِ .

قال : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : لَيْتَنِي اللَّهُ عَبْدٌ وَلِيَنْظُرَ مَا يَقُولُ وَمَا يَتَكَلَّمُ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ .

وقال : مَنْ أَفْتَى النَّاسَ لَيْسَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجِيلَ النَّاسَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ .

وقال في رواية القاسم : إنما يُنْبَغِي أن يُؤْمَر الناسُ بالأمر البين الذي لا شك فيه وليت الناس إذا أمرُوا بالشيء الصحيح أن لا يجاوزوه .

ونقل محمد بن أبي طاهر عنه أنه سئل عن مسألة في الطلاق ، فقال : سَلْ غيري ليس لي أن أفتي بالطلاق بشيء .

وقال في رواية ابن منصور : لا ينبغي أن يُجيبَ في كل ما يُسْتَفْتَى وضح عن مالك أنه قال : ذَلْ وإِهَانَةٌ لِلْعَالِمِ أن تجيب كُلَّ مَنْ سَأَلَكَ .

وقال أيضاً : كُلُّ مَنْ أَخْبَرَ النَّاسَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ فَهُوَ مُجَنُّونٌ ، وقال أحمد في رواية أحمد بن علي الأبار وقال له رجل حَلَفْتُ بِبَيْمِينٍ لا أُدْرِي إيش هي ، قال : لَيْتَ أَنْكَ إِذَا دَرَيْتَ دَرَيْتُ أَنَا .

وقال في رواية الأثرم : إذا هاب الرجل شيئاً فلا ينبغي أن يحمل على أن يقول .

وقال في رواية المروزي : إن الذي يُفْتَى الناسَ يَتَقَلَّدُ أَمْرًا عَظِيمًا ، وقال يُقَدِّمُ على أمرٍ عَظِيمٍ يُنْبَغِي لِمَنْ أَفْتَى أن يكون عالماً بقول مَنْ تقدم وإلا فلا يُفْتَى .

وقال في رواية الميموني مَنْ تكلم في شيء ليس له فيه إمام أخاف عليه الخطأ .

وقال الثوري : لا نزال نتعلم ما وجدنا مَنْ يعلمنا ، وقال أحمد : نحن الساعة نتعلم ، وسأله إسحاق بن إبراهيم عن الحديث الذي جاء أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار ما معناه .

قال أبو عبد الله : يُفْتَى بما لم يسمع ، وقال محمد بن أبي حرب : سمعت أبا عبد الله وسُئِلَ عن الرجل يفتي بغير علم ، قال يروى عن أبي موسى قال : يمرق من دينه .

ونقل المروزي أن رجلا تكلم بكلام أنكره عليه أبو عبد الله قال :
هذا من حبه الدنيا يُسأل عن الشيء الذي لا يحسن فيحمل نفسه على
الجواب .

ونحو هذا عن حماد وقال : كنت أسائل إبراهيم عن الشيء فيعرف في
وجهي أني لم أفهم فيعيده حتى أفهم روى ذلك الخلال وغيره .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل

قال ابن وهب عن يونس عن الزهري : أن أبا بكر الصديق رضى
الله عنه حدث رجلا بحديث فاستفهمه الرجل فقال الصديق : هو كما
حدثتُك أي أرضٍ تُقُلني إذا قلتُ بما لا أعلم .

وروى نحوه من غير وجه عن أبي هريرة مرفوعا من أفتي بفتيا غير
ثبتٍ فيها فإنما إثمها على الذي أفتاه ، وفي لفظ من أفتى بفتيا بغير علم كان
إثم ذلك على الذي أفتاه رواهما أحمد ، وروى الثاني أبو داود والأول ابن ماجه
وهو حديث جيد له طرق مذكورة في حواشي المنتقى .

وقال الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال من
أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون ، وقال مالك : عن يحيى بن
سعيد عن ابن عباس مثله .

وقال الزهري عن خالد بن أسلم قال : كنا مع ابن عمر فسأله أعرابي
أترثُ العمة ؟ فقال : لا أدري ، قال : أنت لا تدري ، قال : نعم إذهب
إلى العلماء فاسألهم ، فلما أدبر الرجل قبل ابن عمر يدهُ فقال : نعم ما قال أبو
عبد الرحمن سئل عما لا يدري فقال : لا أدري .

وقال سفيان بن عيينة والثوري عن عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه .

ولا يُسْتَفْتَى عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتوى هذا لفظ رواية الثوري ، ولفظ ابن عيينة إذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وقال أبو حُصَيْن عثمان بن عاصم التابعي : إن أحدكم يُفتى في المسألة ولو وُردت على عمر لجمع لها أهل بئر .

وقال القاسم وابن سيرين لأن يموت الرجل جاهلاً خيراً له من أن يقول ما لا يعلم ، وقال مالك عن القاسم بن محمد : إن من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه .

وقال سعيد بن جبير : ويُلِّ لِمَنْ يَقُولُ لِمَا لَا يَعْلَمُ إِنِّي أَعْلَمُ ، وقال مالك : من فقه العالم أن يقول لا أعلم فإنه عسى أن يهياً له الخير .

وقال أحمد بن حنبل : سَمِعْتُ الشافعي رضي الله عنهما سمعت مالكا سمعت محمد بن عجلان يقول : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقَاتِلُهُ ، ورواه إسحاق بن راهوية عن ابن عيينة عن داود بن أبي الزبير الزبيري عن مالك بن عجلان قال قال ابن عباس فذكره وقد سبق .

وقال عبد الرزاق عن عمر قال : سأل رجل عمرو بن دينا عن مسألة فلم يجبه ، فقال الرجل : إن في نفسي منها شيئاً فأجِبنِي .

فقال : إن يَكُنْ في نَفْسِكَ منها مثل أبي قُبَيْسٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أن يَكُونَ في نَفْسِي منها مِثْلُ الشُّعْرَةِ .

وقال ابن مهدي : سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة فطال ترداده إليه فيه ولحَّ عليه فقال : ما شاء الله يا هذا إني لم أتكلَّمُ إلا فيما أَحْتَسَبُ فيه الخير ولَسْتُ أَحْسِنُ مَسْأَلَتِكَ هَذِهِ .

وقال ابن وهب : سَمِعْتُ مالكا يَقُولُ العَجَلَةَ فِي الفَتَاوى نَوْعٌ مِنَ الجَهْلِ
والخُرْق .

وقال يحيى بن سعيد : كان سعيدُ بنُ المسيب لا يَكادُ يُفتى فُتيا
ولا يَقولُ شيئاَ إِلا قال : اللهم سَلِّمْ عَلَيَّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ . ذكره البيهقي وغيره .
ولا سيما أَن كان مَنْ يُفتى يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنه لَيْسَ أَهْلاً لِلْفَتَاوى لِفَوَاتِ
شَرِطٍ أَوْ وُجُودِ مَنايِعٍ ولا يَعْلَمُ الناسُ ذلكَ مِنْه .

فإنه يحرم عليه إفتاء الناس في هذه الحال بلا إشكال فهو يُسارِعُ إلى ما
يَحْرُمُ لا سِيَّما إِذا كان الحاملُ على ذلك عَرَضُ الدنِيا .

وأما السلف فكانوا يتركون ذلك خوفاً ولعلَّ غَيْرُهُ يَكْفِيهِ ، وقد يكون
أُذْنِي لِوُجُودِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْه .

قال ابن مُعِين : الذي يحدث بالبلدة وبها مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْه بالحديث
فهو أَحْمَقُ .

وقال مالك : ما أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنبيَ أَهْلٌ لِدَلِكِ .

وقال ابنُ عُيَيْنَةَ وَسُحُنُونَ أَجسَرُ الناسِ على الفُتيا أَقْلُهُمْ عِلْماً . وقال
سُحُنُونَ : أَشقى الناسِ مَنْ باعَ آخِرَتَهُ بِدنيا غَيْرِهِ .

وقال : فِتنةُ الجَوابِ بالصوابِ أَشدُّ مِنْ فِتنةِ المالِ .

وقال سُفيانُ أَدرَكَتُ الفُقهَاءَ وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَن يُجيبوا في المسائلِ والفُتيا
حتى لا يَجِدُوا بُدْأً مِنْ أَن يُفتوا . وقال : أَعْلَمُ الناسِ بالفُتيا أَسَكَّتُهُمْ عنها ،
وأَجْهَلُهُمْ بها أَنطَقَهُمْ فيها .

وبَكَى رَبيعةٌ فَقِيلَ ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : اسْتَفْتَيْتُ مَنْ لا عِلْمَ لَهُ وقال :
ولَبَعْضُ مَنْ يُفتى هَاهُنَا أَحَقُّ بالسَّجْنِ مِنَ السُّراقِ .

وقال بعضُ العلماءِ لِبَعْضِ الْمُفْتِينَ : إِذَا سُئِلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَا يَكُنْ هُمُّكَ تَخْلِيصَ السَّائِلِ ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هُمُّكَ تَخْلِيصَ نَفْسِكَ .

وقال عمرو بن دينار : لَمَّا جَلَسَ قَتَادَةُ لِلْفِتْيَا تَدْرِي فِي أَيِّ عَمَلٍ وَقَعْتَ ؟ وَقَعْتَ يَا قَتَادَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَقَلْتَ هَذَا يَصْلِحُ وَهَذَا لَا يَصْلِحُ .

وقال بعضهم : إِنْ الْعَالَمُ دَاخِلَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَدْخُلُ بَيْنَهُمْ .

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَتَبَدَّلَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ بِالَّذِي كَانَ .

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما وجدت أحداً تسأله غيري .

وقال آخر : إذا سئلت عن مسألة فتفكر فإن وجدت لنفسك مخرجاً فتكلم وإلا فاسكت .

وعن مالك أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة والنار .
وقال النخعي : قد تكلمت ولو وجدتُ بدأً ما تكلمت وإن زماناً أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء .

وقال ابن عيينة : ليس هذا الأمر لمن ود أن الناس إحتاجوا إليه إنما هذا الأمر لمن ود أنه وجد من يكفيه .

وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال : ما أنا على الفتيا بجريء .

(ف ص ل)

ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ » .

روي عن مجاهد أنه قال « الفقيه من يخاف الله عز وجل .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال « ألا أخبركم بالفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يدع القرآن رغبة إلى غيره » .

وقال ابن مسعود « كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار به جهلاً » .

وروي عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري « إن الفقه ليس بكثرة السرد ، وسعة الهذر ، وكثرة الرواية ، وإنما الفقه خشية الله عز وجل » .

وقال أحد العلماء إن كمال علم العالم ثلاثة ، ترك طلب الدنيا بعلمه ، ومحبة الانتفاع لمن يجلس إليه ، ورأفته بالناس .

وروي عن مطر السورقي قال سألت الحسن عن مسألة فقال فيها فقلت يا أبا سعيد يأتني عليك الفقهاء فقال الحسن تكلمت أمك يامطر ، الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة رسول الله ﷺ الذي لا يسخر بمن أسفل منه ولا يهزأ بمن فوقه ولا يأخذ على علم علمه الله إياه حطاماً .

عن الحسن قال الفقيه المجتهد في العبادة الزاهد في الدنيا المقيم على سنة رسول الله ﷺ وعنه قال الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير في دينه المجتهد في العبادة . وعن وهب بن منبه قال الفقيه العفيف المتمسك بالسنة أولئك أتباع الأنبياء .

وقال سفيان الثوري الفقيه يعدُّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة وأفقّه منه من لم يجترى على الله عز وجل في شيء لعلّه به .

وقال غيره إن الفقيه كلُّ الفقيه من فقه في القرآن وعرف مكيده

الشیطان .

وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ « إنما الفقيهُ الذي أنطقتهُ الحُشْيَةُ وأسكتتهُ الحُشْيَةُ إن قالَ قالَ بالكتابِ وإن سَكَتَ سَكَتَ بالكتابِ وإن اشْتَبَهَ عليه شيءٌ وَقَفَ عنده وَرَدَّهُ إلى عَالِمِهِ » .

وعن الحسن قال إنا لنجالسُ الرَّجُلَ فنرى إن به عيًّا وما به عيٌّ وإنه لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ قال وكيعٌ أسكتتهُ الحُشْيَةُ .

وقال الشعبي لَسْنَا بَعُلَمَاءٍ وَلَا فُقَهَاءَ وَلَكِنَّا قَوْمٌ قَدْ سَمِعْنَا حَدِيثًا فَنَحْنُ نَحْدِثُكُمْ بِهَا سَمِعْنَا إِنَّمَا الْفَقِيهَ مَنْ وَرَعَ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَالْعَالِمَ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

واستفتى رجلُ الشعبي فقال أيها العالمُ أَفْتِنِي فقال إنما العالمُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ .

وعن جابر أنه تلا قولَ الله تعالى ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .
فقال العالمُ الذي عَقَلَ عن اللَّهِ أمرُهُ فَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ .

وسئل عبدُالله بنُ المباركٍ هَلْ لِلْعُلَمَاءِ عِلْمَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا قال علامةُ العالمِ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَاسْتَقَلَّ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ .
وَرَغِبَ فِي عِلْمٍ غَيْرِهِ وَقَبِلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِهِ وَأَخَذَ الْعِلْمَ حَيْثُ وَجَدَهُ فَهَذِهِ عِلْمَةُ الْعَالِمِ وَصِفَتُهُ .

قال المروزي فذكرتُ ذلكَ لِأبي عبدِاللهِ فقال هكذا هو .
قيل لابنُ المباركِ كَيْفَ يُعْرَفُ الْعَالِمُ الصَّادِقُ فقال الذي يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَيَعْقِلُ أَمْرَ آخِرَتِهِ .

وقال الزهري لا نَثِقُ لِلنَّاسِ بِعَمَلِ عَامِلٍ لَا يَعْلَمُ .

ولا نرضي لهم بعلمِ عالمٍ لا يَعْمَلُ .

وقال الحسن كان الرجل إذا طلبَ باباً من العلم لم يلبث أن يرى أثر ذلك في تحشُّعِهِ وبصرِهِ ولسانهِ ويدهِ وزُهدِهِ وصلاتهِ وبدنهِ وإن كان الرجل لِيطلبَ البابَ من العلم فلَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها .

وروي عن أحد العلماء أنه قال أدركتُ الفقهاء بالمدينة يقولون لا يجوزُ أن ينصبَ نفسه للفتوى ولا يجوزُ أن نستفتي إلا الموثوق في عفافِهِ وعقلِهِ وصلاحِهِ ودينِهِ وورعهِ وفقههِ وحلمِهِ ورفقهِ وعلمِهِ بأحكامِ القرآنِ والمحكمِ والمتشابهِ والناسخِ والمنسوخِ .

علما بالسنة والآثار وبمن نقلها والمعمول به منها والمتروك .

علما بوجوه الفقه التي فيها الأحكام علما باختلاف الصحابة والتابعين .

فإنه لا يستقيم أن يكونَ صاحبَ رأيٍ له علم بالكتاب والسنة والأحاديث والاختلاف ولا صاحبَ حديثٍ ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه وليس يستقيم واحدٌ منهما إلا بصاحبه ومن كان من أهل العلم والفقه والصلاح بهذه المنزلة إلا أن طعمته من الناس وحاجاته منزلةٌ بهم وهو محمولٌ عليهم فليس بموضعِ الفتوى ولا موثوقٍ في فتواه ولا مأمونٌ على الناس فيما اشتبته عليهم .

نختم هذا الكلام بما قاله شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيءٍ من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعملاً بتبعاً لأمره فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين هم بإحسانٍ وأئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

وقال بعضهم موبخاً نفسه :

دَعِ التَّشَاغُلَ بِالْغَزَلَانِ وَالْغَزَلَ
ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لَا دُنْيَا ظَفِرَتْ بِهَا
تَرَكْتَ طُرُقَ الْهُدَى كَالشَّمْسِ وَاضِحَةً
وَلَمْ تَكُنْ نَاطِرًا فِي أَمْرِ عَاقِبَةٍ
يَا عَاجِزًا يَتِمَّادَى فِي مُتَابَعَةِ النَّوَى
هَلَّا تَشَبَّهْتَ بِالْأَكْيَاسِ إِذْ فَطِنُوا
فَرَطْتَ يَا صَاحِبَ فَاسْتَدْرَكَ عَلَى عَجَلٍ
هَلْ أَنْذَرْتِكَ يَقِينًا وَقَدْ زَوَّرْتَهَا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّيَالِي سَأَلْتَ أَحَدًا
وَلَا يَغُرُّكَ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ نَعِيمٍ
كَمْ مِنْ فِتْنَى جَبَرْتَهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ
إِلَّامَ تَرْفُلٍ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ عَلَى
وَالشَّيْبِ وَأَفَاكٍ مِنْهُ نَاصِحُ حَنْدِرٍ
وَلَمْ تُرْعَ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُدُهُ
وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ
وَمَالَ عَصْرُ النَّصَابِيِّ مِنْكَ مُرْتَحِلًا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ
وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ أَنْتَ فَاعِلُهُ
أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ الْمُنُونِ إِلَى
وَسَوْفَ تَأْتِي بِلَا شَكٍّ إِلَيْكَ فَمَا

يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَكُنْتَ عَنِ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي شُغْلٍ
وَمِلْتَ عَنْهَا لِمُعْجِزٍ مِنَ السُّبُلِ
أَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ أَمْ أَنْتَ فِي خَبَلٍ
نَفْسَ اللُّجُوجِ وَيَرْجُو أَكْرَمَ النُّزُلِ
فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ الْعَمَلِ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
أَوْ بَشَرْتِكَ بِعُمُرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
وَلَا الزَّمَانَ بِمَا أُمَّلْتَ فِيهِ مَلِي
صَفْوًا فَمَا سَأَلْتَ الْأَعْلَى دَخَلَ
فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا غَيْرَ مُتَقَبِلِ
فَقَابَلْتَهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
بَسَاطِ لَهْوِكَ بَيْنَ التِّيهِ وَالْجَذَلِ
فَمَا بِهِ كُنْتَ إِلَّا غَيْرَ مُهْتَبِلِ
إِنِّي أَتَمَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلِ
فَبَهْجَةِ الْعُمُرِ قَدْ وَلَّتْ وَلَمْ تَصِلِ
وَحَالَةً عَنِ طَرِيقِ الْغَيِّ لَمْ تُحَلِ
تَرَكْتَهَا بِاِكْتِسَابِ الْوِزْرِ فِي ثَقَلِ
عَلَى الضَّمَائِرِ وَالْأَسْرَارِ وَالْحَيْلِ
يُحْصَى وَلَوْ كُنْتَ فِي الْأَسْتَارِ وَالْكَلَلِ
هَذِي الْخَلِيقَةَ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلِ
أُخِرْتَ عَمَّنْ مَضَى إِلَّا إِلَى أَجَلِ

لَكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُذْ
دَعِ الْبَطَالََةَ وَالْفَرِيضَةَ وَأَبِكِ عَلَى
وَلَمْ تُحْصَلْ بِهِ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا
وَأَبْخَلْ بِدِينِكَ لَا تَبْغِي بِهِ عَوْضًا
وَاتْلُ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَّهِيًا
وَكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ عَلَيْكَ بِهِ
وَلَا زِمِ السُّنَّةَ الْغَرَاءَ تَحْظَ بِهَا

وَجَانِبِ الْخَوْضِ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ
وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ الْحَلَالِ وَلَوْ
وَأَقْنَعُ نَجْدَ غُنْيَةٍ عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ
وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ وَاتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ تَجِدْ
وَلَا تَدَاهِنُ فِتْيَ مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِهِ
وَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ لَا تَهْجُرْهُ تَشَقَّ بِهِ
وَمَنْ أَتَى لَكَ ذَنْبًا فَاعْفُ عَنْهُ وَلَا
عَسَاكَ بِالْعَفْوِ أَنْ تُجْزَى إِذَا نُشِرَتْ
وَلَا تَكُنْ مُضْمِرًا مَا لَسْتَ تُظْهِرُهُ
وَلَا تَكُنْ آيسًا وَارْجُ الْكَرِيمَ لِمَا
وَقِفْ عَلَى بَابِهِ الْمَفْتُوحِ مُنْكَسِرًا
وَارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشُّكْوَى وَسَلَّهُ إِذَا
وَلَا زِمِ الْبَابَ وَاصْبِرْ لَا تَكُنْ عَجَلًا
وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَدِرًا
فَإِنِّي عَبْدٌ سَوْءٌ قَدْ جَنَى سَفَهًا
وَعَرَهُ الْحِلْمُ وَالْإِمْهَالُ مِنْكَ لَهُ

بِالْحَزْمِ وَانْهَضْ بِعِزِّكَ مِنْكَ مُكْتَمِلٍ
شَرِّحِ الشَّبَابَ الَّذِي وَلَّى وَلَمْ يُطَلِّ
يُنَجِّيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ
وَلَوْ تَعَاظَمَ وَاحْذَرِ بَيْعَةَ السُّفْلِ
عَمَّا نَهَى وَتَدَبَّرْهُ بِلَا مَلَلٍ
فَهُوَ النَّجَاةُ لِتَالِيهِ مِنَ الظُّلَمِ
وَعَدِّ عَنْ طُرُقِ الْأَهْوَاءِ وَاعْتَزِلِ

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْذَرِ فِتْنَةَ الْجَدَلِ
حَمَلَتْ نَفْسَكَ فِيهِ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ
فِي الْقِنَاعَةِ عِزٌّ غَيْرُ مُرْتَحِلٍ
مَا تَبْتَغِيهِ بِلَا مَنْ وَلَا بَدَلٍ
يَوْمًا وَلَوْ نَلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَنْشُرْهُ تَسْعُدْ بِذِكْرِ غَيْرِ مُنْخَذِلٍ
تَحْقِدْ عَلَيْهِ وَفِي عَتْبَاهُ لَا تَطُلِ
صَحَائِفُ لَكَ مِنْهَا صِرْتٌ فِي خَجَلٍ
فَذَاكَ يَقْبَحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالرَّجُلِ
أَسْلَفَتْ مِنْ زَلَّةٍ لَكِنْ عَلَى وَجَلٍ
تَجْزَمُ بِتَسْكِينِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ عِلَلٍ
جُنَّ الظُّلَامُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُسْتَعْمِلٍ
وَاخْضَعْ لَهُ وَتَذَلَّلْ وَادْعُ وَابْتَهَلِ
عَسَاكَ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ تَسْمَحُ لِي
وَضِيْعُ الْعُمَرَيْنِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْكَسَلِ
حَتَّى غَدَا فِي الْمَعَاصِي غَايَةَ الْمُثَلِّ

وَلَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ فَإِنْ
 حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِبًا جَزَعًا
 وَلَمْ أَكُنْ بِكَ يَوْمًا مُشْرِكًا وَإِلَى
 وَكَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مِنْكَ جُدْتَ بِهِ
 رَدَدْتَنِي فَشَقَاءٌ كَانَ فِي الْأَزَلِ
 وَالْعَفْوُ أَوْسَعُ يَا مَوْلَايَ مِنْ زَلِّي
 دِينِ سِوَى دِينِكَ الْإِسْلَامِ لَمْ أَمِلْ
 وَلَيْسَ ذَاكَ بِسَعْيٍ كَانَ مِنْ قَبْلِي

اللَّهُمَّ ظَمَمْنَا أَنْفُسَنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَأَهْدِنَا بِهِدَاكَ
 وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ
 مَخْرَجًا اللَّهُمَّ اغْذِنَا بِمَعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ
 جَوَارِحَنَا مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فصل ١٥)

وَمِمَّا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَدْبَاءُ وَالْحُكَمَاءُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ
 تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا
 يُحْسِنُونَ وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ
 الْعِلْمُ لَكَ جَمَالًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
 مَرْوَانَ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقُتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدْتُمْ
 وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً عِشْتُمْ .

وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر له والأدب مال لا خوف
 عليه وقال بعض الأدباء العلم أفضل خلف والعمل به أمل شرف وقال
 بعض البلغاء تعلم العلم فإنه يقومك ويسدك صغيراً ويقدمك ويسودك
 كبيراً ويصلح زيفك وفسادك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك
 ويصح همتك وأملك .

قلت وهذا صحيح في حق العاقل اللبيب القابل لذلك دون الأحمق
 المتكبر الجاهل جهلاً مركباً قال بعضهم :

الْعِلْمُ لِلرَّجُلِ اللَّبِيبِ زِيَادَةٌ
وَنَقِیْصَةٌ لِلْأَحْمَقِ الطَّيَّاشِ
مِثْلُ النَّهَارِ يَزِيدُ أَبْصَارَ الْوَرَى
شعرا : نُوراً وَيُعْشِي أَعْيُنَ الْخُفَّاشِ

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ
عَلَى الْهُدَى لِمَنْ أَسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفَزَّ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
النَّاسُ نَوْتِي وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
آخر :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا
وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
صَغِيرٌ إِذَا التَّفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ
وَإِنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا
كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَسَائِلُ

وقال بعضهم العالمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا بِالْأُولِ وَالْجَاهِلُ
لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا وَرُبَّمَا ذَمَّ الْعَالِمَ وَعِلْمَهُ ، قال
بعضهم :

أَنَا أَنْ سَهْلًا ذَمَّ جَهْلًا
عُلُومًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلٌ
عُلُومًا لَوْ قَرَأَهَا مَا تَلَاهَا
وَلَكِنَّ الرِّضَا بِالْجَهْلِ سَهْلٌ

وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيلِ ابْنُ لَهُ مُتَجَلِّفٌ وَهُوَ يَقْطَعُ بَيْتَ شِعْرِ فَحَرَجَ
وَقَالَ إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ فَقَالَ أَبُوهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَّرْتَنِي
أَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَا أَقُولُ عَذَلْتُكَ
لَكِنْ جَهَلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَّرْتُكَ

وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي دَمِّ الْجَهْلِ فَهُوَ مَذْحٌ لِلْعِلْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ لِرَسُولِهِ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى
﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِعُوَيْمِرٍ كَيْفَ أَنْتَ يَا عُويْمِرُ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْلِمْتَ أَمْ جَهَلْتَ فَإِنْ
قُلْتَ عِلِمْتُ قِيلَ لَكَ فَمَا عِلِمْتَ فِيمَا عِلِمْتَ وَإِنْ قُلْتَ جَهَلْتُ قِيلَ لَكَ فَمَا
كَانَ عُدْرُكَ فِيمَا جَهَلْتَ أَلَا تَعْلَمْتَ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ عَنْ أَبِي
الدَّرْدَاءِ وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِنَاعَةِ الْجَهْلِ وَقُبْحِهِ وَمَهَانَتِهِ وَرَذَالَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ
وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَقَالَ آخَرُ إِنَّ الْجَهْلَ يَحْطُ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَيُصَغِّرُ ذَوِي
الْمَنَاصِبِ .

شِعْرًا :
إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِي بِلَادٍ رَأَيْتَ أَسْوَدَهَا مُسِيخَتْ قُرُودًا
آخَرَ :
وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ

فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ

وَأَنَّ أَمْرًا لَمْ يَخَيَّ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورٌ
آخِرٌ: مَعَ الْعِلْمِ فَاسْأَلْكَ حَيْثُ مَا سَأَلَكَ الْعِلْمُ
وَعَنْهُ فَكَاشِفٌ كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ فَهَمٌ
فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى
وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ حَتْمٌ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجَهْلَ يُزْرِئُ بِأَهْلِيهِ
وَذُو الْعِلْمِ فِي الْأَقْوَامِ يَرْفَعُهُ الْعِلْمُ
يَعْدُ كَبِيرَ الْقَوْمِ وَهُوَ صَغِيرُهُمْ
وَيَنْفُذُ مِنْهُ فِيهِمُ الْقَوْلُ وَالْحُكْمُ
وَأَيُّ رَجَاءٍ فِي أَمْرٍ شَابَ رَأْسُهُ
وَأَفْنَى سِنِيهِ وَهُوَ مُسْتَعْجِمٌ فَذَمُّ
يَرُوحُ وَيَغْدُو الدَّهْرَ صَاحِبُ بَطْنَةٍ
تَسْرُكَبُ فِي أَحْضَانِهَا اللَّحْمُ وَالشُّحْمُ
إِذَا سُئِلَ الْمَسْكِينُ عَنْ أَمْرٍ دِينِهِ
بَدَتْ رُحْضَاءُ الْعِيِّ فِي وَجْهِهِ تَسْمُو
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَقْبَحَ مَنْظَرًا
مِنْ أَشْيَبِ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ وَلَا حُكْمَ
هِيَ السُّوَاءُ السُّوَاءِ فَاحْذَرْ شَمَاتِهَا
فَأَوْلُهَا خِزْيٌ وَأَخْرُهَا ذَمٌّ
فَخَالِطُ رُوَاةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِيَارِهِمْ
فَصُحْبَتُهُمْ زَيْنٌ وَخِلَاطَتُهُمْ غُنْمٌ

وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ
نُجُومٌ إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمٌ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَحَ الْهُدَى
وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ

قَالَ فِي مِنْهَاجِ الْيَقِينِ وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ الْعُلُومِ شَرِيفَةٌ وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهَا
فَضِيلَةٌ وَالْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِهَا مُحَالٌ لِعَجْزِ عُقُولِ الْبَشَرِ عَنْ إِحَاطَتِهَا أَوْ لِعَدَمِ
تَنَاهِي الْأَعْمَارِ وَإِحَاطَةِ الْغَيْرِ الْمُتَنَاهِي بِالْمُتَنَاهِي مُحَالٌ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ
مَنْ يَعْرِفُ كُلَّ الْعُلُومِ؟ فَقَالَ كُلُّ النَّاسِ قُلْتُ مَا يَعْلَمُ كُلَّ الْعُلُومِ إِلَّا اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ لِلْعِلْمِ غَايَةَ فَقَدْ بَخَسَهُ حَقَّهُ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ
الَّتِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا حَيْثُ يَقُولُ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ انتهى .

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ سَأَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الْآيَةَ فَقَالُوا تَزْعُمُ أَنَّا لَمْ نُؤْتِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَهِيَ الْحِكْمَةُ ﴿ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا ﴾ قَالَ فَنَزَلَتْ ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ
يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ﴾ الْآيَةَ .

قَالَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَجَاكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَهُوَ كَثِيرٌ طَيِّبٌ وَهُوَ
فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ
بَدَأْنَا بِالنَّقِيبَةِ وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ لِنُنْقِصَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ وَنَزْدَادَ فِي كُلِّ
يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

شِعْرًا : الْعِلْمُ نُورٌ فَلَا تُهْمِلُ مَجَالِسَهُ وَاعْمَلِ جَمِيلًا يَرَى فَالْفَضْلُ فِي الْعَمَلِ
لَا تَرْقُدِ اللَّيْلَ مَا فِي النَّوْمِ فَائِدَةٌ لَا تُكْسَلَنَّ تَرَى الْجِرْمَانَ فِي الْكَسَلِ

آخر: إِحْفَظِ الْعِلْمَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ خَامِلاً رَفَعَكَ
وَاتْرِكِ الْجَهْلَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ عَالِياً وَضَعَكَ

آخر: مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعاً أَحَدٌ لَّا وَلَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبْحَرٍ زَاخِرٍ فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

وإذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيلٌ وجب صرفُ الاهتمامِ
إلى معرفة أهمِّها والعناية بأولها وأفضلها وأولى العلوم وأفضلها علمُ
الدين المبيِّن بالكتاب والسنة والمستنبط منهما لأنَّ الناسَ بمعرفة علومِ
الشرع يرشُدون ويَهْتَدُونَ وَبِجَهْلِهِ يَضِلُّونَ وَلَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ
صِفَتَهَا وَلَا شُرُوطَهَا وَلَا أَرْكَانَهَا وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى الْمَكْلُوفِ تَعَلُّمُهُ مِنْ
العلوم الدينية كُلِّ مَا يَحْتَاجُهُ فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ
العلوم الشرعيةِ أَوْ مَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا فَمُسْتَحَبٌّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلَوْ لَا
نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

قال بعضُ العلماءِ المُحَقِّقِينَ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ ﴾ وَلِيَجْعَلُوا غَرَضَهُمْ وَمَرْمَى هِمَّتِهِمْ فِي التَّفَقُّهِ إِذْ أَرَّ قَوْمَهُمْ
وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما يُتَّبَعُ بِعَظْمِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَغْرَاصِ
الْحَسِيْسَةِ وَيَوْمُونَهُ مِنَ الْمَقَاصِدِ الرَّكِيكَةِ مِنَ التَّصَدُّرِ وَالتَّرْوُسِ وَالتَّبْسُطِ
فِي الْبِلَادِ وَالتَّشْبِيهِ بِالظَّلْمَةِ فِي مَلَابِسِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ وَمَرَآكِبِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ
وَمُنَافَسَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً وَفُشْوَاءِ الضَّرَائِرِ بَيْنَهُمْ وَانْقِلَابِ حِمَالَتِي أَحَدِهِمْ
إِذَا لَمَحَ بِبَصَرِهِ مَدْرَسَةً لِآخِرٍ أَوْ شَرِذْمَةً جَثْوًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَهَالِكِهِ عَلَى أَنْ

يكون موطأ العقبِ دونَ الناسِ كلِّهم فما أبعد هؤلاءِ مِن قولِهِ عزُّ وجلِّ
 ﴿ لا يُريدونَ علوًّا في الأرضِ ولا فساداً ﴾ .

شِعْرًا : اجْعَلِ العِلْمَ يا فَتَى لَكَ قَيْدًا وَتَقِ اللهَ لا تَحْنُهُ رُيُودًا
 لا تَكُنْ مِثْلَ مَعْشَرِ فُقَهائِها جَعَلُوا العِلْمَ لِذُرَاهِمِ صَيِّدًا
 طَلَبُوهُ فَصَيَّرُوهُ مَعاشًا ثم كادُوا بِهِ البَرِيَّةَ كَيْدًا

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْتِباضٌ وَإِنَّمَا رَأَوْا رُجُلًا عَنِ مَوْقِفِ الذَّلِّ أَحْجَمًا
 وما زِلْتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِي جَانِبًا عَنِ الذَّمِّ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَعْنَمًا
 أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
 إِذَا قِيلَ هَذَا مُورِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى وَلَكِنْ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
 أَنهِنَّهَا عَنِ بَعْضِ ما قَدْ يَشِينُهَا مَخَافَةَ أَقْوالِ العِدا فِيمَ أَوْ لِمَا
 فَأَصْبِحُ عَنِ عَيْبِ اللِّيمِ مُسَلِّمًا وَقَدْ رَحْتُ فِي نَفْسِ الكَرِيمِ مُعْظَمًا
 فَإِنْ قُلْتُ زَنْدَ العِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا كَبَا حَيْثُ لَمْ تَحْمَى جِماهُ وَأَظْلَمًا
 وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفُوسِ لَعُظَمًا
 وَلَكِنْ أَهائُوهُ فَهائُوا وَدَنَسُوا مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا
 وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كَانَ كَلِمًا بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلْمًا
 وَكَمْ طالَبَ رَقِي بِنِعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّئِيسَ المُعْظَمًا
 وَكَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الحُرِّ نِعْمَةً وَكَمْ مَعْنَمٍ يَعْتَدُهُ الحُرُّ مَعْرَمًا
 وَلَكِنْ إِذَا ما اضْطَرَّنِي الضَّرُّ لَمْ أَبْتَ أَقْلُبُ فِكْرِي مُنْجِدًا ثُمَّ مُتْهِمًا
 إِلَى أَنْ أَرَى مالا أَعْصُ بِذِكْرِهِ إِذَا قُلْتُ قَدْ أَسَدَى إِلَيَّ وَأَنْعَمًا
 وَلَمْ أَتَبَدَّلْ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتِي لِأُخْدِمَ مَنْ لاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمًا
 أَشْقَى بِهِ غَرَسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً إِذَا فَاتَّباعُ الجُهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا

ثم أعلم أن من لم يضمن نفسه بوقايتها عن المحرمات ومُخْلِ
 المرؤات لم ينفعه علمه لأن العلم للعمل فكما لا ينفع السلاح للمجاهد
 ما لم يستعمله ولا الكتب النافعة المستمدة من الكتاب ما لم يطالعها
 ويتعلم منها ولا الاطعمة النفيسة المدخرة للجائع ما لم يأكل منها .
 فكذلك العلم قديماً قيل :

إذا كنت تهوى أن تعيش بذلة
 فلا تستعدن الحسام اليمانيا
 ولا تستطيلن الرماح لغارة
 ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

فصيانة النفس أصل الفضائل لأن من أهمل نفسه ثقة بما منحه
 الله من فضيلة علمه وتوكلأ على ما يلزم الناس من صيانته سلبوه فضيلة
 علمه ووسموه بقبیح تبدل له فلم يقب ما أعطي من العلم بما سلبه منه
 التبذل لأن القبيح أشيخ من الجميل والرذيلة مشهورة تنقل وتذاع بسرعة
 لما في طباع الناس من الحسد والبغض والحقد ونزاع المناقسة
 فتتصرف عيونهم عن المحاسن إلى المساوي فلا يُنصفون مُحسناً ولا
 يجاملون ولا يُسامحون مُسيئاً يذكرون المساوي كلها غالباً لا سيما إذا كان
 المرموق عالماً فإن زلته عندهم لا تقال وهفوته لا تُعذر لأن العيب الصغير
 يعظم في حق أهل المرؤات والعيب في الجاهل المغمور مغمور ولهذا
 ينبغي للعالم أن يحسن أخلاقه وخلقه ليقتدى به ويسلم عرضه من الطعن
 والاعتراضات .

قال بعض العلماء :

أيها العالم إياك الزلل واحذر الهفوة والخطب الجلل
 هفوة العالم مستعظمة إذ بها أصبح في الخلق مثل

وَعَلَى زَلَّتِهِ عُمَدَتُهُمْ فَبَهَا يَحْتَجُّ مَنْ أُحْطَأَ وَزَلَّ
 لَا تَقُلْ يَسْتُرْ عَلَيَّ الْعِلْمَ زَلَّتِي بَلْ بِهَا يَحْصُلُ فِي الْعِلْمِ الْخَلَلُ
 إِنْ تَكُنْ عِنْدَكَ مُسْتَحْقَرَةٌ فَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ جَبَلُ
 لَيْسَ مَنْ يَتَّبِعُهُ الْعَالَمُ فِي كُلِّ مَا دَقَّ مِنَ الْأَمْرِ وَجَلُ
 مِثْلُ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ جَهْلُهُ إِنْ أَتَى فَاِحْشَةً قَبْلَ قَدْ جَهْلُ
 انْظُرِ الْأَنْجُمَ مَهْمَا سَقَطَتْ مَنْ رَأَاهَا وَهِيَ تَهْوِي لَمْ يُبَلْ
 فَإِذَا الشَّمْسُ بَدَتْ كَاسِيفَةٌ وَجَلَّ الْخَلْقُ لَهَا كُلُّ الْوَجَلُ
 وَتَرَاءَتْ نَحْوَهَا أَبْصَارُهُمْ فِي انْزِعَاجٍ وَاضْطِرَابٍ وَوَجَلُ
 وَسَرَى النَّقْصُ لَهُمْ مِنْ نَقْصِهَا فَغَدَتْ مُظْلِمَةً مِنْهَا السُّبُلُ
 وَكَذَا الْعَالِمُ فِي زَلَّتِهِ يَفْتِنُ الْعَالَمَ طَرًّا وَيُضِلُّ

آخِرَ: أَرَى الْعِلْمَ كَالْمِرَاةِ يَصْدَأُ وَجْهَهُ
 وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الْخَلَائِقِ مِنْ جَالِي
 أَخُو الْعِلْمِ لَا يَعْلُو عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ
 وَذُو الْجَهْلِ إِنْ أَخْلَقَهُ حَسَنَتْ غَالِ
 وَلَوْ وَازَنَ الْعِلْمُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ حُسْنُ خُلُقٍ لَمْ يَزِنْ وَزْنَ مِثْقَالِ
 وَإِنَّ الْمَسَاوِي وَهِيَ فِي خُلُقِ عَالِمِ
 آخِرَ: لِأَقْبَحُ مِنْهَا وَهِيَ فِي خُلُقِ جُهَّالِ

وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ
 لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ
 وَرُوي عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلَّمُوهُ وَلَا
 تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ جَهْلُكُمْ بِعِلْمِكُمْ وَقَالَ فِي مِنْهَاجِ الْيَقِينِ

وينبغي لمن استدلَّ بفطرته على استحسان الفضائل واستقباح الرذائل
 أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم وينفي غفلة الأهمال
 باستيقاظ المعاناة ويرغب في العلم رغبةً متحقِّقٍ لفضائله واثقٍ بمنافعه ولا
 يلهيه عن طلبه كثرة مالٍ ووجد ولا نفوذ أمرٍ وعُلُوّ منزلةٍ فإنَّ مَنْ نفذ أمره
 فهو إلى العلم أحوج ليكون أمره ونهيه على البراهين الشرعية ومن علت
 منزلته فهو بالعلم أحقُّ ليُعرف فضله ونهيه على البراهين الشرعية .

شعراً :

تَفَنُّنٌ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
 يَفُوقُ أَمْرُوهُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
 فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
 بِهِ وَلِعَلَّمٍ أَنْتَ تُثَقِّنُهُ سِلْمٌ

آخر :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ
 فِإِطْلُبْ هُدَيْتَ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 كَمْ سَيِّدٍ بَطَلَ أَبَاؤُهُ نُجِبٌ
 كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنْبًا
 وَمُقَرِّفٍ خَامِلِ الْأَبَاءِ ذِي أَدَبٍ
 نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
 الْعِلْمُ زَيْنٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
 نَعَمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبًا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ
 عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا

وجامع العلم مغبوط به أبداً
ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به ذراً ولا ذهباً

آخر :

ولا تطلبن العلم للمال والرياء
فإن ملاك الأمر في حسن مقصد
وكن عاملاً بالعلم فيما استطعت
ليهدى بك المرء الذي بك يفتدي
حريصاً على نفع الورى وهذاهم
تئل كل خير في نعيم مؤبد

وقال في منهاج اليقين « وأعلم أن لكل مظلوب باعناً والباعث
على المطلوب شيان رغبة أو رهبة فليكن طالب العلم راغباً راهباً أما
الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته بإقامتها
وتعليمها من لا يعلمها والأمر بالمعروف ، وأما الرهبة فمن عقاب الله
تعالى لتاركي أوامره ومهملتي زواجره فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة أدت إلى
كنه العلم وحقيقة الزهد بإذن الله لأن الرغبة في الثواب أقوى الباعثين
على العلم والباعث الآخر حب التباهة ونحوها والرهبة من العقاب أقوى
السببين في الزهد وقد قالت الحكماء « أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة
وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة » فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت
السعادة الدنيوية والدنيوية وعمت الفضيلة وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال من ازداد في العلم رشداً ولم يزد في الدنيا زهداً لم

يزدّد من الله إلا بُعْداً وقال مالكُ بنُ دينارٍ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَقْمَعُهُ
فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ لَا يَنْفَعُهُ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْفَقِيهُ بِغَيْرِ وَرَعٍ كَالسِّرَاجِ
يُضِيءُ الْبَيْتَ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ . وبالتالي فالعلمُ فضلهُ يَعْرِفُهُ كُلُّ مُنْصِفٍ
وَالنَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَالَ حَرْبٌ سَمِعَتْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ
يَقُولُ النَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْعِلْمِ قَبْلَ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الإنسانُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَالْخُبْزُ وَالْمَاءُ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وقال شيخُ الإسلامِ بنُ تيميةَ في قصيدةٍ له حلٌّ بها لغزاً لفظةً
علم :

والعلمُ بالرحمنِ أولُ صاحبٍ
وأهمُّ فرضِ اللهِ في مشرُوعِهِ
وأخو الديانةِ طالبُ لمزيدِهِ
أبداً ولما يُنهِهِ بِقُطُوعِهِ
والمَرءُ حاجتُهُ إليه أشدُّ مِنْ
فقرِ الغدائِ لِعِلمِ حُكْمِ صَنِيعِهِ
في كُلِّ وَقْتٍ وَالطَّعَامِ فَإِنَّمَا
يَحْتَاجُهُ فِي وَقْتِ شِدَّةِ جُوعِهِ
وهو السَّبِيلُ إِلَى الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا
وَالصَّالِحَاتِ فَسَوَاءٌ لِمُضِيْعِهِ

آخر :

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ جَمُّ تَوَلَّدَ لِإِنْسَانٍ مِنْ كَسَلٍ
[إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ شُبِّهِ فَمَا عَلِمْتَ، وَمَا قَدْ شَدَّ عَنْكَ سَلٍ]

واعلم أن الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم فضائله ، فينبغي أن يتعب نفسه على التحصيل والجِدِّ والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم ، فإن العلم يبقى [بقاء المعلومات] والمال يفنى ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجَهَّالِ مَالٌ
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَتَّقَى لَا يَزَالُ

آخر :

فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مُفْتَاخُ الْعَالَا لَمْ يَبْقَ بَاباً لِلْسَعَادَةِ مُعَلَّقَا
ثُمَّ اسْتَمِدُّوا مِنْهُ كُلُّ قَوَاكُمُ إِنَّ الْقَوِيَّ بِكُلِّ أَرْضٍ يَتَّقَى

آخر :

لِإِحْرَاصٍ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغُ الْأَمَلَا وَلَا تُوَصِّلُ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا
فَالنَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَبَدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَنْظَأُ بِهِ وَالشَّهْدُ يَبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِي الْعَلَا

وَيُرَوَى عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشِيَّةٌ
وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلم
صدقة وبذله لإهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة
والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء
والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في
الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة للخير تقتفى آثارهم وترمق أفعالهم
وترغب الملائكة في خلقتهم وبأجنتها تمسحهم وكل رطب وباس لهم
يستغفر حتى جيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن

الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَنُورَ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ وَقُوَّةَ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ يَتَلَعُّ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَى وَمُدَارَسَتَهُ بِالْقِيَامِ .
بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ وَبِهِ يُوَحَّدُ وَبِهِ يُمَجَّدُ وَبِهِ يُتَوَرَّعُ وَبِهِ تُوَصَّلُ
الْأَرْحَامُ وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَهُوَ إِمَامٌ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ
وَيُحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءُ .

ووردَ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُجِبًّا وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ أَوْ مُعَلِّمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » .

وعن عطاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : أَغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَلَا تَكُنْ رَابِعًا فَتَهْلِكَ .

وعن الحسن أن أبا الدرداءِ قَالَ : كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُجِبًّا أَوْ مُتَّبِعًا وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ وَمَا الْخَامِسُ قَالَ : الْمُتَّبِعُ .

شعراً :

على العِلْمِ نَبِيكِي إِذْ قَدِ أَنْدَرَسَ الْعِلْمُ
وَلَمْ يَبْقَ فِينَا مِنْهُ رُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

ولكن بقي رَسْمٌ من العلمِ دارِسٌ
وعَمَّا قليلٌ سوف يَنْطَمِسُ الرَّسْمُ
فَأَنْ لِعَيْنِ أَنْ تَسِيلَ دُمُوعُهَا
وَأَنْ لِقَلْبِ أَنْ يُصَدِّعَهُ الِهْمُ
فإنْ يَفْقِدِ العِلْمَ شُرًّا وَفِتْنَةً
وَتَضْيِيعَ دِينِ أَمْرُهُ وَاجِبُ حَتْمُ
وما سَائِرُ الأَعْمَالِ إِلا ضَلَالَةٌ
إذا لَمْ يَكُنْ لِلْعَامِلِينَ بِهَا عِلْمُ
وما النَّاسُ دُونَ العِلْمِ إِلا بِظُلْمَةٍ
مِنَ الجَهْلِ لا مِصْبَاحَ فِيهَا وَلا نَجْمُ
فَهَلْ يُهْتَدَى إِلا بِنَجْمِ سَمَائِهِ
إذا ما بَدَأَ مِنْ أَفْقِهِ ذَلِكَ النُّجْمُ
فَهَذَا أَوَانُ القَبْضِ لِلْعِلْمِ فَلْيُنْحِ
عَلَيْهِ الَّذِي فِي الحُبِّ كَانَ لَهُ سَهْمُ
فَلَيْسَ بِمُبْقِي العِلْمِ كَثْرَةُ كُتُبِهِ
فماذا تَفِيدُ الكُتُبُ إِنْ فُقِدَ الفَهْمُ ؟
وما قَبْضُهُ إِلا بِمَوْتِ وَعَاتِهِ
فَقَبْضُهُمْ قَبْضٌ لَهُ وَبِهِمْ يَنْمُو
فَجِدْ وَأدِّ الجَهْدَ فِيهِ فَإِنَّهُ
لِصَاحِبِهِ فَخْرٌ وَذُخْرٌ بِهِ العُنْمُ
فَعَارَ عَلَى المَرءِ الَّذِي تَمَّ عَقْلُهُ
وَقَدْ أَمَلَتْ فِيهِ المُرُوءَةُ وَالْحَزْمُ

إِذَا قِيلَ : مَاذَا أَرْجَبَ اللَّهُ يَا فَتَى ؟
 أَجَابَ بِلَا أَذْرِي وَأَنْسَى لِي الْعِلْمُ
 وَأَقْبَحُ مِنْ ذَا لَوْ أَجَابَ سُؤَالَهُ
 بِجَهْلٍ فَإِنَّ الْجَهْلَ مَوْدِدٌ وَخَمٌ
 أُيْرَضَى بَأَنَّ الْجَهْلَ مِنْ بَعْضِ وَصْفِهِ
 وَلَوْ قِيلَ يَاذَا الْجَهْلَ فَارَقَهُ الْجِلْمُ
 فَكَيْفَ إِذَا مَا الْبَحْثُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ
 جَرَى وَهُوَ بَيْنَ الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ
 تَدُورُ بِهِمْ عَيْنَاهُ لَيْسَ بِنَاطِقِي
 فغَيْرُ حَرِيٍّ أَنْ يُرَى فَاضِلًا فَذَمُّ
 وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا كَالْحَيَاةِ إِذَا سَرَتْ
 بِجِسْمٍ حَيًّا وَالْمَيِّتُ مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ
 وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ مِدْحَةٍ لَهُ
 يَكَادُ بِهَا ذُو الْعِلْمِ فَوْقَ السُّهَى يَسْمُو
 وَكَمْ خَبِيرٍ فِي فَضْلِهِ صَحَّ مُسْنَدًا
 عَنِ الْمِصْطَفَى فَاسْأَلْ بِهِ مَنْ لَهُ عِلْمٌ
 كَفَى شَرَفًا لِلْعِلْمِ دَعْوَى الْوَرَى لَهُ
 جَمِيعًا وَيَنْفِي الْجَهْلَ مِنْ قُبْحِهِ الْفَدْمُ
 فَلَسْتُ بِمُخَصِّرٍ فَضْلَهُ إِنْ ذَكَرْتُهُ
 فَقَدْ كَلُّ عَنْ إِحْصَائِهِ النَّشْرُ وَالنُّظْمُ
 فَيَا رَافِعَ الدُّنْيَا عَلَى الْعِلْمِ غَفْلَةٌ
 حَكَمْتَ فَلَمْ تُنْصِفْ وَلَمْ يُصِبِ الْحُكْمُ

اترفعُ دُنْيَا لَا تُسَاوِي بِأَسْرِهَا
 جَنَاحَ بَعُوضٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ يَا قَدَمُ
 وَتُؤَثِّرُ أَصْنَافَ الْحُطَّامِ عَلَى الَّذِي
 بِهِ الْعِزُّ فِي الدَّارَيْنِ وَالْمُلْكُ وَالْحُكْمُ
 وَتَرْغَبُ عَنِ إِرْثِ النَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ
 وَتَرْغَبُ فِي مِيرَاثِ مَنْ شَأْنُهُ الظُّلْمُ
 وَتَزْعُمُ جَهْلًا : أَنْ بَيْعَكَ رَابِحٌ
 فَهَيْهَاتَ لِمَ تَرْبِحَ وَلِمَ يَصْدُقِ الزَّعْمُ
 أَلَمْ تَعْتَبِرْ بِالسَّابِقِينَ ؟ فَحَالُهُمْ
 دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَجَلَ هُوَ الْعِلْمُ
 فَكَمْ قَدْ مَضَى مِنْ مُتَرَفٍ مُتَكَبِّرٍ
 وَمِنْ مَلِكٍ دَانَتْ لَهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
 فَبَادُوا فَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ قَطُّ ذَاكِرًا
 وَإِنْ ذُكِرُوا يَوْمًا فَذِكْرُهُمُ الذَّمُّ
 وَكَمْ عَالِمٍ ذِي فَاقَةٍ وَرِثَاةٍ
 وَلَكِنَّهُ قَدْ زَانَهُ الزُّهْدُ وَالْعِلْمُ
 حَيَا مَا حَيَا فِي طَيْبِ عَيْشٍ وَمُدَّ قَضَى
 بَقِي ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ إِذْ فُقِدَ الْجِسْمُ
 فَكُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ حَقَّ طَالِبِهِ
 مَدَى الْعُمْرِ لَا يُوهِنُكَ عَنْ ذَلِكَ السَّأْمُ
 وَهَاجِرٌ لَهُ فِي أَيِّ أَرْضٍ وَلَوْ نَاتُ
 عَلَيْكَ فِإِعْمَالِ الْمَطِيِّ لَهُ حَتْمُ

وَأَنْفِقْ جَمِيعَ الْعُمْرِ فِيهِ فَمَنْ يَمُتْ
لَهُ طَالِباً نَالَ الشَّهَادَةَ لَاهْظُمُ
فَإِنْ نِلْتَهُ فَلْيَهْنِكِ الْعِلْمُ إِنَّهُ
هُوَ الْعَايَةُ الْعُلْيَاءُ وَاللَّذَّةُ الْجِسْمُ
فَلِلَّهِ كَمْ تَفْتَضُّ مِنْ بِكْرِ حِكْمَةٍ
وَكَمْ دُرَّةٌ تُحْطَى بِهَا وَصَفُهَا الْيَتْمُ
وَكَمْ كَاعِبٍ حَسَنَاءٍ تَكْشِفُ خِذْرَهَا
فَيُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ بِهِ يَبْرَأُ السُّقْمُ
فَيْلِكَ الَّتِي تَهْوَى ظَفِيرَتَ بَوْضِلِهَا
لَقَدْ طَالَ مَا فِي حُجَّتِهَا نَحَلَ الْجِسْمُ
فَعَانِقُ وَقِيلَ وَارْتَشِفْ مِنْ رُضَائِبِهَا
فَعَذْلُكَ عَنْ وَضَلِ الْحَبِيبِ هُوَ الظُّلْمُ
فَجَالِسِ رُوَاةَ الْعِلْمِ وَاسْمَعْ كَلَامَهُمْ
فَكَمْ كَلِمٍ مِنْهُمْ بِهِ يَبْرَأُ الْكَلْمُ
وَإِنْ أَمَرُوا فَاسْمَعْ لَهُمْ وَأَطِعْ فَهُمْ
أُولُوا الْأَمْرِ لِأَمْنِ شَأْنِهِ الْفَتْكُ وَالظُّلْمُ
مَجَالِسُهُمْ مِثْلُ الرِّيَاضِ أَنْيَقَةَ
لَقَدْ طَابَ مِنْهَا اللَّوْنُ وَالرِّيْحُ وَالطَّعْمُ
أَتَعْتَاضُ عَنْ تِلْكَ الرِّيَاضِ وَطَيْبِهَا
مَجَالِسَ دُنْيَا حَشْوِهَا الزُّورُ وَالْإِثْمُ
فَمَا هِيَ إِلَّا كَالْمَرَابِلِ مَوْضِعاً
لِكُلِّ أَدَى لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ شَمُّ

فَدُرْحَوْلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
وَأَصْحَابُهُ أَيْضاً فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ
وَمَا الْعِلْمُ آرَاءَ الرِّجَالِ وَظَنُّهُمْ
أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الظَّنَّ مِنْ بَعْضِهِ الْإِثْمُ
وَكَنْتَ تَابِعاً خَيْرَ القُرُونِ مَمْسِكاً
بِأَثَرِهِمْ فِي الدِّينِ هَذَا هُوَ الْحَزْمُ
وَصَلَّى إِلَهَ الْعَالَمِينَ مُسَلِّماً
عَلَى مَنْ بِهِ لِلْأَنْبيَاءِ جَرَى الخَتْمِ
كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلُ
عَلَى الْعِلْمِ نَبِيكِي إِذْ قَدِ انْدَرَسَ الْعِلْمُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عبادَ اللهِ انْتَهزُوا فُرْصَ الزَّمَانِ ، قبلَ تَعَدُّرِ الامْكَانِ قَبْلَ أَنْ
تُنْقَلَ مِنْ اسْمِ مَا زَالَ إِلَى خَبْرِكَانَ ، فانتبه يا من نظنه صباحٍ وإذا هو سكران .
فَمَا كُلُّ حِينٍ مُمَكِّنُ الفَوْزِ بِالْمُنَى وَلَا كُلُّ وَقْتٍ يُرْفَعُ الحُجْبُ لِلْعَبْدِ
عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ يَثِقُ بِالحَيَاةِ مِنَ المُنِيَّةِ تَقْفُوا إِثْرَهُ وَتَقِفْ لَهُ فِي دَرَبِهِ ،
كَيْفَ يَرْجُو رَاحَةَ الدُّنْيَا مِنْ لَا رَاحَةَ لَهُ دُونَ لِقَائِ رَبِّهِ .

تالله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائبٍ ميسرة المطالب
لكل طالب ، باقية علينا لا يسلبها منا سالب ، لكان الزاهد فيها هو
اللبيب الصائب ، لأنها تشغل عن الله والنعم إذا أشغلت عن المنعم كانت
من المصائب .

أَيَا رَاضِعِ الدُّنْيَا انْفِطِمِ عَنْ رِضَاعِهَا فَقَدْ أَنْ تَنَهَاكَ عَنْهَا الشَّوَابِبُ
أَلَا عَامِلٌ فِيهَا لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ أَلَا مُؤْمِنٌ فِيهَا سَيَخْلُدُ رَاغِبٌ
أَلَا آسِفٌ ذُو لَوْعَةٍ وَتَحْرِقُ أَلَا نَائِحٌ فِي مَأْتَمِ الحُزْنِ نَادِبٌ

أَلَا مُذْنَبٌ مُسْتَغْفِرٌ مِنْ ذُنُوبِهِ أَلَا خَائِفٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ رَاهِبٌ
 أَلَا خَاشِعٌ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ خَاضِعٌ أَلَا نَاحِلٌ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ ذَائِبٌ
 سَتَلْقَوْنَ مَا قَدَّمْتُمَا الْيَوْمَ فِي غَدٍ وَكُلُّ إِمْرِيءٍ يُجْزَى بِمَا هُوَ كَاسِبٌ

اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ، يا من لا تشبهه عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح البرهان ، يا من هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل التاسع في الاخلاص والنية

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَشُوبَهُ غَيْرُهُ فَإِذَا صُفِيَ عَنْ شُوبِهِ وَخَلَصَ عَنْهُ سُمِّيَ خَالِصًا ، وَيُسَمَّى الْفِعْلُ الْمُصْفَى الْمُخْلَصَ إِخْلَاصًا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْتٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ فَإِنَّمَا خُلُوصُ اللَّبَنِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ شُوبٌ مِنَ الدَّمِ وَالْفَرْتِ وَمِنْ كُلِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمْتَرِجَ بِهِ . وَالْإِخْلَاصُ يُضَادُّهُ الْإِشْرَاكُ ، وَالْمُخْلَصُ الصَادِقُ هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي لَوْ خَرَجَ كُلُّ قَدْرٍ لَهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ قَلْبِهِ وَلَا يُحِبُّ إِطْلَاعَ النَّاسِ عَلَى أَعْمَالِهِ .

وقال حُذَيْفَةُ المَرَعَشِي رَحِمَهُ اللهُ : الْإِخْلَاصُ أَنْ تَسْتَوِيَ أَفْعَالُ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَقَالَ غَيْرُهُ : الْإِخْلَاصُ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالطَّاعَةِ بِالْقَصْدِ وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِطَاعَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى دُونَ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ تَصْنَعٍ لِمَخْلُوقٍ أَوْ اكْتِسَابِ مَحَمَّدَةٍ عِنْدَ النَّاسِ أَوْ مَحَبَّةٍ مَدْحٍ مِنَ الْخَلْقِ أَوْ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي سِوَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ .

وقال آخر : نَظَرَ الْإِكْيَاسُ فِي تَفْسِيرِ الْإِخْلَاصِ فَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ هَذَا
أَنْ تَكُونَ حَرَكَتُهُ وَسُكُونُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يُمَارِجُهُ نَفْسٌ وَلَا
هَوًى وَلَا دُنْيَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْإِخْلَاصُ التَّوَقُّيُّ عَنِ مَلَاخِظَةِ الْخَلْقِ ،
وَالصَّدْقُ التَّنَقُّيُّ مِنْ مُطَاوَعَةِ النَّفْسِ فَالْمُخْلِصُ لَا رِيَاءَ لَهُ ، وَالصَّادِقُ لَا
إِعْجَابَ لَهُ .

وقال آخرُ : ثَلَاثٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِخْلَاصِ : إِسْتَوَاءُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ
مِنَ الْعَامَّةِ ، وَنِسْيَانُ رُؤْيَا الْأَعْمَالِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَاقْتِضَاءُ ثَوَابِ الْعَمَلِ
فِي الْآخِرَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْإِخْلَاصِ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال : ﴿ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا
بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ ، وقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وقال : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لِحُومَهَا
وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا قَالَهُ الْمُخْلِصُونَ مِنْ عِبَادِهِ ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ
اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ وقال : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِراً فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِيِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .
وعن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ » رواه ابنُ ماجه والحاكمُ وقال على شَرَطِ الشَّيْخِينَ .

وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ ، ثَلَاثٌ لَا يُغْلَى عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالْمَنَاصَحَةُ لِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِزَوْمُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دَعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ . رواه البزارُ بإسنادٍ حَسَنٍ ورواه ابنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ .

وعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّما يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ . رواه النسائي وغيره .

وما وردَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وعن جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال : إن بالمدينة لرجالاً ما سررتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض وفي رواية إلا شركوكم في الأجر . رواه مسلم وفي رواية حبسهم العذر .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخريهم قالت : قلت يا رسول الله كيف يُخسف بأولهم وآخريهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ، قال : يُخسف بأولهم وآخريهم ثم يُبعثون على نياتهم . متفق عليه .

وعن معن بن يزيد قال : كان أبي يزيد أخرج دنائير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد فجئت فأخذتها فأتيتها بها فقال : والله ما إياك أردت . فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن رواه البخاري .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة الحديث . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم . رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعةً ويُقاتل حميةً ويُقاتل رياءً أي ذلك في

سبيلِ اللهِ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً
اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ . متفق عليه ، وقال صلى اللهُ عليه
وسلمَ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ
نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ، قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى
اسْتَشْهَدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ
قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

ورجلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا قَالَ
فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَمِلْتُ بِهِ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ :
كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ ليقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ
قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ . ورجلٌ وَسَّعَ
اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ ، فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا فَقَالَ : مَا
عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا
لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ
فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

وفي الصحيحينِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلمَ قَالَ : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ . وعن أبي كَبْشَةَ
الأنصاري قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ
أَرْبَعَةٍ نَفَرٍ رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ ،
وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا
عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهَمَّا
فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ

في غير حَقِّهِ ، وَرَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَيَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهَمَّا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ .

وقال عُمَرُ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَصِدْقُ النَّبِيِّ ، وقال بعضهم : دُلُونِي عَلَى عَمَلٍ لَا أَزَالُ بِهِ عَامِلًا لِلَّهِ تَعَالَى فَقِيلَ لَهُ : أَنْوَ الْخَيْرِ فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ عَامِلًا وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ ، فَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ بِعَمَلٍ وَإِنْ عُدِمَ الْعَمَلُ لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ ، فَإِنَّ مَنْ نَوَى أَنْ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَامَ كُتِبَ لَهُ ثَوَابٌ مَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يَقُومُهَا فَيَنَامُ عَنْهَا إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً تُصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ فَالْمَرْءُ مَا دَامَ قَدْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَأَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ فَإِنَّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنَوْمَاتِهِ وَيَقْظَاتِهِ تُحَسَّبُ خَطَوَاتٍ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ .

قال بعضُ السلفِ : إِنِّي لَأَسْتَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتَّى فِي أَكْلِي وَشُرْبِي وَنَوْمِي وَدُخُولِ الْخَلَاءِ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ سَبَبٌ لِبَقَاءِ الْبَدَنِ وَفَرَاغِ الْقَلْبِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ فَمَنْ قَصَدَ مِنَ الْأَكْلِ التَّقْوِيَّ عَلَى الْعِبَادَةِ وَمِنَ النِّكَاحِ الْعِفَافَ وَتَحْصِينَ الدِّينِ وَتَطْيِيبَ قَلْبِ أَهْلِهِ وَالتَّوَصُّلَ إِلَى وَلَدٍ يَعْبُدُ اللَّهَ بَعْدَهُ أُثِيبَ عَلَى ذَلِكَ .

وَلَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ فَصَلِّحْ النِّيَّةَ وَاخْلَصْ الْقَلْبَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَرْفَعَانِ مَنزَلَةَ الْعَمَلِ الدُّنْيَوِيِّ الْبَحْتِ فَيَجْعَلَانِهِ عِبَادَةً مُتَقَبَّلَةً كَمَا أَنَّ فَسَادَ النِّيَّةِ يَنْزِلُ بِالطَّاعَاتِ وَتَنْقَلِبُ مَعَهُ مَعَاصِي فَلَا يَنَالُ الْمَرْءُ

بَعْدَ التَّعَبِ فِي أَدَائِهَا إِلَّا الْفَسْلُ وَالْخَسَارَةُ .

قال ابن القيم : رحمه الله لا يَجْتَمِعُ الاخْلَاصُ فِي الْقَلْبِ وَمَحَبَّةُ
الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا كَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ
وَالضَّبُّ وَالْحَوْتُ ، فَاذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِطَلَبِ الاخْلَاصِ فَأَقْبِلْ عَلَى
الطَّمَعِ أَوْلًا فَادْبَحْهُ بِسِكِّينِ الْيَأْسِ ، وَأَقْبِلْ عَلَى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ فَارْهُدْ
فِيهِمَا زُهْدَ عُشَاقِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ ، فَاذَا اسْتَقَامَ لَكَ ذَبْحُ الطَّمَعِ وَالزُّهْدِ
فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ سَهَّلَ عَلَيْكَ الاخْلَاصُ فَان قَلْتَ : وَمَا الَّذِي يُسَهِّلُ
عَلَيَّ ذَبْحَ الطَّمَعِ وَالزُّهْدِ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ قَلْتُ : أَمَا ذَبْحُ الطَّمَعِ
فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ خِزَانَتُهُ لَا
يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُؤْتَى الْعَبْدُ مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ وَأَمَا الزُّهْدُ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ
فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ مَدْحُهُ وَيَزِينُ ، وَيَضُرُّ ذَمُّهُ وَيَشِينُ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، قَالَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ
مَدَّحِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْنٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ .

فَارْهُدْ فِي مَدْحٍ مَنْ لَا يَزِينُكَ مَدْحُهُ وَفِي ذَمٍّ مَنْ لَا يَشِينُكَ ذَمُّهُ ،
وَارْغَبْ فِي مَدْحٍ مَنْ كُلُّ الزَّيْنِ فِي مَدْحِهِ وَكُلُّ الشَّيْنِ فِي ذَمِّهِ ، وَلَنْ يَقْدُرَ
عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ فَمَتَى فَقَدْتَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ كُنْتَ كَمَنْ أَرَادَ
سَفْرًا فِي الْبَحْرِ فِي غَيْرِ مَرْكَبٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

وَقَدْ يَحْجِزُ عَنْ عَمَلِ الْخَيْرِ الَّذِي يَتَمَنَّى فِعْلُهُ لِضَعْفِ بَدَنِهِ أَوْ قِلَّةِ مَالِهِ

ولكن الله المطلع على السرائر اللطيف الخبير يُشِيبُ الحَرِيصَ على فِعْلِ
الْخَيْرِ كما في الْحَدِيثِ إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ
صَاحِبِحًا مُقِيمًا .

وفي غزوة العُسرة تَقَدَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رِجَالٌ يُرِيدُونَ أَنْ يُقَاتِلُوا الْكُفَّارَ وَأَنْ يَجُودُوا بِأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ
لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فَعَادُوا وَفِي
حُلُوقِهِمْ غُصَّةٌ لِيَتَخَلَّفَهُمْ عَنِ مَيْدَانِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِيهِمْ نَزَلَ
﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمِ حِزْنًا أَلَّا يُجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾ فَتَوَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِيمَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَقَالَ لِلْجَيْشِ السَّائِرِ مَعَهُ : (إِنْ بِالْمَدِينَةِ
لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ) الْحَدِيثُ وَتَقَدَّمَ
قَرِيبًا .

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوهُ وَأَصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا
نَحْذَرُ فَإِنَّكَ تَمَحُّو مَا تَشَاءُ وَتَثَبْتَ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ .

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ ، وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفِرْعِ
الْأَكْبَرِ آمِنِينَ ، وَأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل العاشر

وقال ابن القيم رحمه الله : يَعْرِضُ لِلْعَامِلِ فِي عَمَلِهِ ثَلَاثُ آفَاتٍ
رُؤْيَتُهُ وَمَلَاخِظَتُهُ وَطَلْبُ الْعَوَضِ عَلَيْهِ وَرِضَاؤُهُ بِهِ وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ . ففِي هَذِهِ

الدرجة يَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ . فالذي يُخَلِّصُهُ مِنْ رُؤْيَا عَمَلِهِ مُشَاهَدَتُهُ لِمَنَّةِ اللَّهِ لَا مَشِيئَتَهُ هُوَ ، كما قال تَعَالَى ﴿ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَأَنَّهُ آلهٌ مَحْضَةٌ وَأَنَّهُ لَوْ خُلِي وَنَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ فِعْلِهِ الْمَصَالِحِ شَيْءٌ ، فَإِنَّ النَّفْسَ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ طَبَعَهَا الْكَسَلُ وَابْتَارَ الشَّهَوَاتِ وَالْبَطَالَةَ ، وَهِيَ مَنِيْعٌ كُلِّ شَرٍّ وَمَأْوَى كُلِّ سُوءٍ ، وَمَا كَانَ هَكَذَا لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ خَيْرٌ وَلَا هُوَ مِنْ شَأْنِهِ فَالْخَيْرُ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ وَبِهِ ، لَا مِنَ الْعَبْدِ وَلَا بِهِ ، كما قال تَعَالَى :

﴿ وَلَوْ لَا فَضَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الْآيَةَ .

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَبْدِ فَهُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِ اللَّهِ وَبِمِئْتِهِ وَإِحْسَانِهِ يَهْوَى الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ فَرُؤْيَا الْعَبْدِ لِأَعْمَالِهِ فِي الْحَقِيقَةِ كَرُؤْيَا لِيَصْفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَإِدْرَاكِهِ وَقُوَّتِهِ ، بَلْ مِنْ صِحَّتِهِ وَسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَالْكَلُّ مُجَرَّدُ عَطَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ فَالَّذِي يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ هَذِهِ الْأَفَةِ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ .

وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ طَلِبِ الْعَوَظِ عَلَى الْعَمَلِ عِلْمُهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى خِدْمَتِهِ لِسَيِّدِهِ عَوَظًا وَلَا أَجْرًا ، إِذْ هُوَ يَخْدُمُهُ بِمُقْتَضَى عِبُودِيَّتِهِ ، فَمَا يَنَالُهُ مِنْ سَيِّدِهِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَالثَّوَابِ تَفَضُّلٌ مِنْهُ وَاحْسَانٌ إِلَيْهِ وَانْعَامٌ عَلَيْهِ لَا مُعَاوَضَةَ ، إِذْ الْأَجْرَةُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا الْحُرُّ أَوْ

عَبْدُ الْغَيْرِ فَأَمَّا عَبْدٌ نَفْسُهُ فَلَا . وَالَّذِي يُخْلِصُهُ مِنْ رِضَاهُ بِعَمَلِهِ وَسُكُونِهِ
إِلَيْهِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا مَطَالَعَةُ عُيُوبِهِ وَأَفَاتِهِ وَتَقْصِيرُهُ فِيهِ وَمَا فِيهِ مِنْ حَظِّ
النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، فَقَلَّ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ وَإِنْ
قَلَّ وَلِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ .

الثاني : عِلْمُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِيَّةِ
وَأَدَابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَشُرُوطِهَا وَأَنَّ الْعَبْدَ أضعفُ وَأَعْجزُ مِنْ أَنْ يُوفِيَهَا
حَقًّا وَأَنْ يَرْضَى بِهِ لِرَبِّهِ فَالْعَارِفُ لَا يَرْضَى بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ لِرَبِّهِ وَلَا يَرْضَى
نَفْسَهُ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَيَسْتَحِي مِنْ مُقَابَلَةِ اللَّهِ بِعَمَلِهِ . وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ
يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعِمِائَةَ رَكْعَةٍ ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَهْزُهَا
وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : يَا مَا أَوْى كُلِّ سُوءٍ وَهَلْ رَضَيْتَكَ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ : آفَةُ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ
مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا وَمَنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مَغْرُورٌ .
انتهى .

وختاماً فَعَلَى الْمُسْلِمِ الْمَخْلُصِ أَنْ يَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَمْتَرِحَ
بِاخْتِلاصِ عَمَلِهِ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ رِيَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ كَمَنْ يَصُومُ لِيَتَنَفَّعَ بِالْحُمِيَّةِ
الْحَاصِلَةِ بِالصَّوْمِ وَمَعَ قَصْدِ التَّقَرُّبِ أَوْ يُعْتَقَ رَقِيقَهُ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ مَوْئِنِهِ وَسُوءِ
خُلُقِهِ أَوْ يَحُجَّ لِيَصِحَّ بَدَنُهُ بِحَرَكَةِ السَّفَرِ أَوْ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ شَرِّ يَعْزُصُ لَهُ
بِبَلَدِهِ أَوْ يَغْزُو لِيَتَمَرَّنُ عَلَى الْحَرْبِ وَيُمَارِسَهَا أَوْ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيَسْهَلَ عَلَيْهِ
طَلُبُ مَا يَكْفِيهِ مِنَ الْمَالِ أَوْ لِيَكُونَ عَزِيزاً بَيْنَ أَبْنَاءِ جَنَسِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، أَوْ
لِيَكُونَ مَالُهُ مَحْرُوساً بِعِزِّ الْعِلْمِ عَنِ الْإِطْمَاعِ ، أَوْ عَادَ مَرِيضاً لِيُعَادَ إِنْ
مَرِضَ أَوْ شَيَّعَ جَنَازَةً لِيُشَيِّعَ جَنَائِزَ أَهْلِهِ ، أَوْ فَعَلَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لِيُعْرِفَ
بِالْخَيْرِ وَيُذَكَّرَ بِهِ وَيُنْظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الصَّلَاحِ وَالْوَقَارِ أَوْ تَصَدَّقَ لِيُثْنِيَ عَلَيْهِ

وَيُقَالُ أَنَّهُ كَرِيمٌ يَبْذُلُ الْمَالَ أَوْ قَامَ بِمَشَارِعِ خَيْرِيَّةٍ لِيُشَى عَلَيْهِ فَكُلُّ هَذِهِ وَنَحْوِهَا مِنْ مُكَدِّرَاتِ صَفْوِ الْإِحْلَاصِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ لَنَا وَلَاخَوَانِنَا مِنْهَا .

وَكَمْ مِنْ أَعْمَالٍ يَتَعَبُّ الشَّخْصُ فِيهَا وَيَظُنُّ أَنَّهَا خَالِصَةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ ، وَيَكُونُ فِيهَا مَعْرُورًا لِأَنَّهُ لَا يَرَى وَجْهَ الْآفَةِ فِيهَا ، فَدَقَائِقُ الْآفَاتِ قَلَّمَا تَسَلَّمُ الْأَعْمَالُ مِنْهَا .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا عَلِمَ مَا الَّذِي يُفْسِدُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ فَلَا غِنَى بِالْعَبْدِ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا أَمَرْنَا بِاتَّقَائِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَغَيْرِهِ وَلَا سِيمَا الرِّيَاءِ إِذْ وَصِفَ بِالْخَفَاءِ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِبِ النَّمْلِ فَمَا خَفِيَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِشِدَّةِ التَّفَقُّدِ وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ بِمَعْرِفَةِ لَهُ حِينَ يَعْرُضُ وَإِلَّا لَمْ يَنْفَعِ التَّفَقُّدُ لِمَا لَا يُعْرَفُ .

فَبِالْخَوْفِ وَالْحَذَرِ يَتَفَقَّدُ الْعَبْدُ الرِّيَاءَ ، وَبِمَعْرِفَتِهِ بِبَصَرِهِ حِينَ يَعْرُضُ لَهُ . وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِحْلَاصِ أَنَّهُ يَمُدُّ جَاشَ صَاحِبِهِ بِقُوَّةٍ فَلَا يَتَبَاطَأُ أَنْ يَنْهَضَ لِلدَّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ .

وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَشْرَحُ صَدْرَ صَاحِبِهِ لِلانْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ فَتَجِدُهُ يُوَثِّرُهَا بِجَانِبِ مَنْ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ خِصَاصَةٌ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يُعَلِّمُ صَاحِبَهُ الزُّهْدَ فِي عَرَضِ الدُّنْيَا ، فَلَا يُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُنَاوِيَ الْحَقَّ أَوْ يُلْبَسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَوْ أُعْطِيَ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ الْقَاضِيَّ عَلَى تَحْقِيقِ النَّظَرِ فِي الْقَضَايَا فَلَا يَتَسَّرَعُ فِي الْقَضِيَّةِ وَيَفْصِلُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ وَيَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ الْمُعَلِّمَ أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ فِي إِضْحَاحِ مَا خَفِيَ عَلَى التَّلْمِيزِ وَأَنْ لَا

يَبْخَلُ عَلَى الطَّلَابِ بِمَا تَسَعُهُ أَفْهَامُهُمْ مِنَ الْمَبَاحِثِ الْمِيفِيدَةِ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ
أَنَّ الْاِسْتَاذَ يَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَسْأَلَكَ فِي طَرِيقَةِ التَّدْرِيسِ الْأَسَالِيبَ الَّتِي
تُجَدِّدُ نَشَاطَهُمْ وَتَحْفِزُهُمْ إِلَى التَّعَمُّقِ فِي الْمَسَائِلِ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الْاِخْلَاصِ أَنَّهُ يَمْنَعُ التَّاجِرَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَلَا يَخُونُ الَّذِي
يَأْتِمُنُهُ فِي صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْبِضَاعَةِ ، أَوْ قِيَمَتِهَا . وَمِنْ فَوَائِدِ الْاِخْلَاصِ
أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى إِجَادَةِ الْعَمَلِ وَأَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا فِيهِ وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ
يَمْنَعُ الْكَاتِبَ أَنْ يَقْلِبَ بَعْضَ الْحَقَائِقِ أَوْ يَكْسُوَهَا لَوْنًا غَيْرَ لَوْنِهَا . وَمِنْ
فَوَائِدِ الْاِخْلَاصِ أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى تَجَنُّبِ الْغِشِّ فَكُلُّ غَشَّاشٍ فَهُوَ
لَيْسَ بِمُخْلِصٍ ، وَتَقَدَّمَ حَدِيثٌ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا وَمِنْ فَوَائِدِ الْاِخْلَاصِ
أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ ، وَمِنْ فَوَائِدِ الْاِخْلَاصِ أَنَّهُ
يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ سَوَاءً .

وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى تَنْظِيمِ أَعْمَالِهِ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنْ
الْمُتَّصِفَ بِهِ يَكُونُ مُقَدَّرًا مَرْمُوقًا بِعَيْنِ الْاِحْتِرَامِ وَالْاِجْلَالِ ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ
أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْاِبْتِعَادِ عَنِ الرِّشْوَةِ ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ
صَاحِبَهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَزَيْرًا أَوْ رَئِيسًا أَوْ مَدِيرًا أَنْ يَتَحَرَّى
لِلْأَعْمَالِ الْأَتَقَى وَالْأَرْضَى ، الَّذِي تُوجَدُ فِيهِ الْمُؤَهَّلَاتُ حَقِيقَةً ، وَهِيَ
الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ وَالْحَفِظُ وَالْعِلْمُ . عَامِلًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ
اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّ الْعَمَلَ الْخَالِصَ الْقَلِيلَ مِنْهُ يُجْزِي
كَمَا فِي حَدِيثِ مَعَاذِ أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : أَخْلِصْ
الْعَمَلَ يُجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

والله لا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا
لكن بأحْسَنِهِ مَعَ الْإِيمَانِ
فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ أَحْسَانُهُ
وَالجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِحْلَاصِ أَنْ الْعَبْدَ لَا يَتَخَلَّصُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا
بِالْإِحْلَاصِ ، قَالَ اللَّهُ أَخْبَارًا عَمَّا قَالَ ابْلِيسُ لِعَنِهِ اللَّهُ : ﴿ الْإِعْبَادُ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ ﴾ ، وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِحْلَاصِ أَنَّهُ يُمَيِّزُ الْعَمَلَ مِنَ الْعُيُوبِ كَتَمْيِيزِ
اللَّبَنِ مِنَ الْفَرْثِ (وَالدم) ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّ الْمُخْلِصَ إِذَا نَامَ حَتَّى يُرِيحَ
نَفْسَهُ وَيُجْمَمَهَا لِلْعَمَلِ لِيَتَّقَى عَلَى الْعِبَادَةِ يَكُونُ نَوْمُهُ عِبَادَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ أَخْلِصُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ سِوَاءِ
أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِخَلْقِ اللَّهِ وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ بَيْنَ
الْخَلْقِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَمْ كُنْتُمْ فِي مَحَلِّ خَفِيٍّ لَا يَرَاكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَالْكَرَامُ
الْكَاتِبُونَ وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ فِي سِرٍّ أَوْ فِي الْعَمَلِ أَمْ فِي ضُرَاءِ .

ذَلِكَ الْإِحْلَاصُ هُوَ أَنْ تَعْمَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا تُرِيدُ جَزَاءً عَلَيْهِ إِلَّا
مِنَ اللَّهِ يَكُونُ ذَلِكَ قَصْدَكَ قَبْلَ الْعَمَلِ وَحِينَ مُبَاشَرَتِهِ وَيَعَدُّ الْفَرَاغَ مِنْهُ لَا
تَذْكُرُهُ بِلِسَانِكَ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِنَعْمِ اللَّهِ أَوْ لِيَقْتَدِيَ بِكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ
لِهَوَاهُ ، بِهَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ عِبَادَةً حَقًّا وَتَكُونُ أَنْتَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَبِهَذَا يَشْمَرُ
عَمَلُكَ الْقَبُولَ عِنْدَ رَبِّكَ وَعِنْدَ النَّاسِ ، وَبِهَذَا تَكُونُ أَقْوَى النَّاسِ لِأَنَّ
وَلِيكَ حَيْثُ يَكُونُ مَوْلَاكَ الْقَوِيُّ الْمَيِّتُ وَبِهَذَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَةِ فِي

هذه الدار وفي دار الجزاء .

أَمَّا إِذَا عَمِلْتَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقْبَلَ عَلَيْكَ النَّاسُ وَيَقُولُوا إِنَّكَ مِنَ الصَّالِحِينَ فَأَنْتَ إِذَا تَكُونُ مُرَائِيًّا لَا تُخْلِصَ الْعَمَلَ بَلْ تَشْرِكُ مَعَهُ النَّاظِرِينَ فَتَكُونُ فِي دَعْوَى تَمَجِّصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى لَسْتَ بِصَادِقٍ بَلْ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

وَأَنْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ حَالٌ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيَّ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ،
لَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، إِنَّ الْمُرَائِيَّ مَهْمَا أَخْفَى رِيَاءَهُ يُظْهِرُ اللَّهُ
تَعَالَى مَا فِي قَلْبِهِ لِلْعَالَمِينَ ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا « لَوْ
أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا مَنْفَذٌ لِأَخْرَجَ اللَّهُ عَمَلَهُ
لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ » .

وَلِذَلِكَ يَكُونُ لِأَعْمَالِ الْمُرَائِيَّ مِنَ السَّمَاجَةِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ مَا لَا
يَحْكِيهِ اللِّسَانُ وَلِهَذَا يَكُونُ مَرْدُودًا ثَقِيلًا عِنْدَ النَّاسِ ، وَمِنْ هَذَا تَرَاهُ يَتَوَدَّدُ
إِلَى النَّاسِ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَنُفُورُهُمْ عَنْهُ عِبْرَةٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ ثُمَّ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ
أَسْوَأُ حَالًا خُصُوصًا فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالَ فَقَدْ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى
النَّارِ وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ لَكِنَّهَا لَمَّا لَمْ يُرَدِّ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ خَالِصَةً
صَارَتْ وَبَالًا عَلَيْهِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الرِّيَاءِ .

وَقَدَّمَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ وَنَصَّه
فَإِنْ جَاءَ رَأْيِي لِلْحَدِيثِ مُعَارِضٌ
فَهَلْ مَعَ وُجُودِ الْبَحْرِ يَكْفِي تَيْمَمٌ
وَهَلْ يُوقَدُ النَّاسُ الْمَصَابِيحَ لِلضِّيَاءِ
سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ
عَلَى كُلِّ قَوْلٍ قَدْ أَتَى بِإِزَائِهِ
فَلِلرَّأْيِ فَاطْرَحْ ، وَاسْتَرْخِ مِنْ عَنَائِهِ
لِمَنْ لَيْسَ مَعْدُورًا لَدَى فَقْهَائِهِ ؟
إِذَا مَا أَتَى رَدًّا الضُّحَى بِضِيَائِهِ
مَصَابِيحُ عِلْمٍ ، بَلْ نُجُومُ سَمَائِهِ

وَيُرْقَى بِهِم ذُو الداءِ عِلَّةَ دَائِهِ
 فَهَمُّ كَالْحَيَا نَحْيَا البقاعُ بِمَائِهِ
 إِذَا مَا تَرَدَّى ذُو الرَّدَى بِرَدَائِهِ
 فَلَا رَيْبَ فِي تَوْفِيْقِهِ وَأَهْتِدَائِهِ
 زَخَارِفَ مِنْ أَهْوَائِهِ وَهَذَائِهِ
 كَخَابِطِ لَيْلٍ تَائِهِ فِي دُجَائِهِ
 وَإِلَّا بَقِيَ فِي شِكَّةٍ وَأَمْتَرَائِهِ
 بغيرِ دَلِيلٍ . فَهُوَ مَحْضُ افْتِرَائِهِ
 وَيَثْبُتُ بِالوَحْيِينِ صِدْقُ ادْعَائِهِ
 لَدَى الحُكْمِ قَاضٍ عَادِلٍ فِي قَضَائِهِ
 بِهِ يُقْتَدَى فِي جَهْلِهِ لِشِقَائِهِ
 مَتَى صَحَّ عِنْدِي لَمْ أَقُلْ بِسِوَائِهِ
 فَوَاعَجَباً مِنْ جَهْلِهِ وَجَفَائِهِ
 لِمَنْ هُوَ يَوْمَ الحِشْرِ عِنْدَ نِدَائِهِ
 وَمَا عَظَّمَ الإِنْسَانَ مِنْ رُؤْسَائِهِ
 بِمَاذَا أَجَابُوا الرُّسُلَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ
 إِذَا مَا ثَوَى فِي الرَّمْسِ تَحْتَ تُرَابِهِ
 لَدَى اللّهِ عُذْرٌ يَوْمَ فَضْلِ قَضَائِهِ
 « سِوَى حُبِّهِ رَبِّ الوَرَى وَاتِقَائِهِ »
 « وَمَنْ يَقْتَفِي آثَارَهُمْ بِأَهْتِدَائِهِ »

بِهِم يَهْتَدَى مَنْ يَقْتَدِي بِعُلُومِهِمْ
 وَنَحْيَى بِهِم مَنْ مَاتَ بِالْجَهْلِ قَلْبُهُ
 لَهُمْ حُلٌّ قَدْ زَيْنْتُهُمْ مِنَ الهُدَى
 وَمَنْ يَكُنِ الوَحْيُ المُطَهَّرُ عِلْمُهُ
 وَمَا يَسْتَوَى تَالِي الحَدِيثِ وَمَنْ تَلَا
 وَكُنْ رَاغِباً فِي الوَحْيِ لَا عَنْهُ رَاغِباً
 إِذَا شَامَ بَرَقاً فِي سَحَابٍ مَشَى بِهِ
 وَمَنْ قَالَ : ذَا حِلٍّ ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ
 وَكُلُّ فِقِيهِ فِي الحَقِيقَةِ مُدَّعٍ
 هُمَا شَاهِدَا عَدْلٍ ، وَلَكِنْ كِلَاهُمَا
 فَوَاحِرٌ قَلْبِي مِنْ جَهُولٍ مُسَوِّدٍ
 إِذَا قُلْتُ : قَوْلُ المِصْطَفَى هُوَ مَذْهَبِي
 يَرَى أَنهَا دَعْوَى اجْتِهَادٍ صَرِيحَةٍ
 فَسَلُّهُ : أَقُولُ اللّهُ : مَاذَا أَجَبْتُمْ ؟
 أَيَسْأَلُهُمْ : مَاذَا أَجَبْتُمْ مُلُوكَكُمْ ؟
 أَمْ اللّهُ يَوْمَ الحِشْرِ يَمْتَحِنُ الوَرَى
 وَهَلْ يُسْأَلُ الإِنْسَانَ عَنْ غَيْرِ أَحْمَدٍ
 وَهَلْ قَوْلُهُ : يَا رَبِّ قَلَدْتُ غَيْرَهُ
 فَهَيْهَاتَ لَا يُغْنِي الفَتَى يَوْمَ حَشْرِهِ
 « وَحُبُّ رَسُولِ اللّهِ بَلْ كُلِّ رُسُلِهِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيْمَانَ لَنَا سِرَاجاً وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِدْرَاجاً
 وَاجْعَلْهُ لَنَا سُلْماً إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْرَماً مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الحَلِيمُ
 الغُفُورُ الشُّكُورُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الحادي عشر في محاسبة النفس

اعلم وفقنا الله واياك وجميع المسلمين أنه يَجِبُ على الانسان أولاً أن يَعْلَمَ أنه عبدٌ مَرْبُوبٌ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا هَلَاكَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا ثُمَّ يُفَكِّرُ (لأي شيء خَلَقَهُ اللَّهُ وَلِمَا خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ فَيَعْلَمَ أنه لم يُخْلَقْ عَبَثًا كما قال الله أفحسبتم أنما خلَقْنَا كَمَ عبثًا) وقال ﴿ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾ وانما وُضِعَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلْبَلَاةِ وَالِاخْتِيَارِ هَلْ يَطِيعُ رَبَّهُ فَيَنْتَقِلَ إِلَى دَارِ نَعِيمٍ أَبَدِيٍّ سَرْمَدِيٍّ أَوْ يَعِصِي رَبَّهُ فَيَنْتَقِلَ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادِ .

اذا فَهِمَ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَأَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ الْعِلْمُ ثُمَّ الْعَمَلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي مَوَاضِعِهِ وَعِلَلِهِ وَأَسْبَابِهِ وَلَنْ يَجِدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ سَبِيلُ النِّجَاةِ وَالْعِلْمُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى السَّبِيلِ . قال الله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكَ ﴾ .

ثُمَّ يَتَأَمَّلُ مَا أَمَامَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ وَالْعَقَبَاتِ وَالْأَهْوَالِ الَّتِي أَوْضَحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَّهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ

على كل شيء شهيد ﴿ وقال ﴿ يومئذ يصدّر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿ وقال ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴿ وقال ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه .

- فاذا علم أنه مناقش في الحساب عن مثاقيل الدر في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أحوج ما يكون الى الحسنات وغفران السيئات تحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا اعتماده على الله ومعاونته على محاسبته نفسه ومراقبتها ومطالبتها في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه .

قال ابن القيم : رحمه الله هلاك القلب من إهمال محاسبتها ومن موافقتها وأتباع هواها وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى « دان نفسه أي حاسبها .

وذكر الامام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية « على الله . وذكر أيضاً عن الحسن لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بشريتي ؟ والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه . وقال قتادة في قوله تعالى :

﴿وكان أمره فرطاً﴾ ، أَضَاعَ نَفْسَهُ وَعُغِبَ مَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ حَافِظاً لِمَا لَهُ مُضِيْعاً لِدِينِهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعْظُ مِنْ نَفْسِهِ وَكَانَتْ الْمُحَاسِبَةُ مِنْ هِمَّتِهِ وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مُهْرَانَ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسِبَةٍ مِنَ الشَّرِيكِ ، وَلِهَذَا قِيلَ النَّفْسُ كَالشَّرِيكِ الْخَوَّانِ إِنْ لَمْ تُحَاسِبْهُ ذَهَبَ بِمَالِكَ وَقَالَ مَيْمُونُ أَيْضاً : إِنْ التَّقِيُّ أَشَدَّ مُحَاسِبَةً لِنَفْسِهِ مِنْ سُلْطَانٍ قَاضٍ وَمِنْ شَرِيكِ شَجِيحٍ .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَهْبٍ قَالَ مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ دَاوُودَ ، حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَصَدِّقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَسَاعَةٍ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحُلُّ وَيَجْمَلُ ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَوْنًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ وَإِجْمَامًا لِلْقُلُوبِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : الْمُؤْمِنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ لِلَّهِ وَإِنَّمَا يَخْفَى الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسِبَةٍ .

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَفْجُوهُ الشَّيْءُ يُعْجِبُهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشْتَهِيكَ وَإِنَّكَ لَمَنْ حَاجَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا مِنْ صِلَةٍ إِلَيْكَ هَيْهَاتَ جَيْلٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَيَفْرَطُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَيَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ : مَا أَرَدْتُ إِلَى هَذَا مَا لِي وَلِهَذَا وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى هَذَا أَبَدًا إِنْ الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ وَقَفَهُمُ الْقُرْآنُ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَلَكَتِهِمْ إِنْ الْمُؤْمِنَ أَسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي فَكَاكَ رَقَّتْهُ لَا

يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَا أَخُوذُ عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ وَفِي بَصَرِهِ
وَفِي لِسَانِهِ وَفِي جَوَارِحِهِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمَنَازِلِ : الْمَحَاسِبَةُ
لَهَا ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ ، أَحَدُهَا أَنْ تُقَاسِمَ بَيْنَ نِعْمَتِهِ وَجِنَايَتِكَ يَعْنِي تُقَاسِمَ بَيْنَ مَا
مِنَ اللَّهِ وَمَا مِنْكَ فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ لَكَ التَّفَاوُتُ وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ
وَرَحْمَتُهُ أَوْ الْهَلَاكُ وَالْعَطْبُ وَبِهَذِهِ الْمَقَاسِمَةِ تَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ رَبُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ
وَيَتَبَيَّنُ لَكَ حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَصِفَاتُهَا وَعَظَمَةُ جَلَالِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَتُفْرَدُ الرَّبُّ
بِالْكَمَالِ وَالْأَفْضَالِ وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ وَأَنْتَ قَبْلَ هَذِهِ
الْمَقَاسِمَةِ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ وَرَبُّوبِيَّةِ فَاطِرِهَا وَخَالِقِهَا .

فَإِذَا قَاسِمْتَ ظَهَرَ لَكَ أَنَّهَا مَنبِعُ كُلِّ شَرٍّ وَأَسَاسُ كُلِّ نَقْصٍ وَأَنَّ
حَدَّهَا الْجَاهِلَةُ الظَّالِمَةُ وَأَنَّهُ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بَتَزَكِّيَتِهِ لَهَا مَا زَكَتْ
أَبْدًا وَلَوْ لَا هُدَاهُ مَا اهْتَدَتْ وَلَوْ لَا إِرْشَادَهُ وَتَوْفِيقَهُ لَمَا كَانَ لَهَا وُصُولٌ إِلَى
خَيْرِ الْبَتَّةِ وَإِنَّ حُصُولَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ بَارِئِهَا وَفَاطِرِهَا ، ثُمَّ تُقَاسِمُ بَيْنَ
الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَتَعْلَمُ بِهَذِهِ الْمَقَاسِمَةِ أَيُّهُمَا أَكْثَرُ وَأَرْجَحُ قَدْرًا وَصِفَةً .

قَالَ : وَهَذِهِ الْمَقَاسِمَةُ تُشَقُّ عَلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ ، نُورُ
الْحِكْمَةِ وَسُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ ، وَتَمَيُّزُ النِّعْمَةِ مِنَ الْفِتْنَةِ يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ
الْمَقَاسِمَةَ وَالْمَحَاسِبَةَ تَتَوَقَّفُ عَلَى نُورِ الْحِكْمَةِ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي نُورَ اللَّهُ بِهِ
قُلُوبَ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ فَبِقَدْرِهِ تَرَى التَّفَاوُتَ وَتَتَمَكَّنُ مِنَ الْمَحَاسِبَةِ نُورُ
الْحِكْمَةِ هَهُنَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْهُدَى
وَالضَّلَالِ وَالضَّارَّ وَالنَّافِعِ وَالْكَامِلِ وَالنَّاقِصِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَيُبْصِرُ بِهِ
مَرَاتِبَ الْأَعْمَالِ رَاجِحَهَا وَمَرْجُوحَهَا وَمَقْبُولَهَا وَمَرْدُودَهَا كُلَّمَا كَانَ حَظُّهُ مِنْ

هذا النور أقوى كان حظُّه من المحاسبة أكمل وأتم .

أما سوء الظنِّ بالنفس فإنما احتاج إليه لأنَّ حُسنَ الظنِّ بالنفسِ يمنعُ من كمالِ التفتيشِ ويُلْبِسُ عليه فيرى المُساوئِ محاسنَ والعيوبَ كمالاً ولا يُسيءُ الظنَّ بنفسِهِ إلاَّ مَنْ عَرَفَهَا وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِنَفْسِهِ . وأما تَمييزُ النِّعَمَةِ مِنَ الفِتْنَةِ فليُفَرِّقْ بَيْنَ النِّعْمَةِ الَّتِي يَرَى بِهَا الاحْسَانَ واللُّطْفَ وَيُعَانُ بِهَا عَلَى تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ الأَبَدِيَّةِ وَبَيْنَ النِّعْمَةِ الَّتِي يَرَى بِهَا الاستدراجَ فكم من مُستدرجٍ بالنِّعَمِ وهو لا يَدْرِي مُفْتُونٌ بِثَنَاءِ الجُهَالِ عَلَيْهِ مَغْرُورٌ بِقَضَاءِ اللّهِ حَوَائِجَهُ وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عِنْدَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ عَلَامَةُ السَّعَادَةِ والنَّجَاحِ ، ذلك مَبْلُغُهُمْ مِنَ العِلْمِ وَقَدْ مُثِّلَتِ النَّفْسُ مَعَ صَاحِبِهَا فِي المَالِ ، وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَتِمُّ مَقْصُودُ الشَّرِكَةِ مِنَ الرِّبْحِ إِلاَّ بِالمِشَارَطَةِ عَلَى مَا يَفْعَلُ الشَّرِيكُ أَوَّلًا ثُمَّ بِمِطَالَعَةِ مَا يَعْمَلُ والإِشْرَافِ عَلَيْهِ وَمُرَاقِبَتِهِ ثَانِيًا ، ثُمَّ بِمَحَاسَبَتِهِ ثَالِثًا ، ثُمَّ بِمَنْعِهِ مِنَ الخِيَانَةِ أَنْ اِطَّلَعَ عَلَيْهَا رَابِعًا ، فَكَذَلِكَ النَّفْسُ يُشَارِطُهَا أَوَّلًا عَلَى حِفْظِ الجَوَارِحِ السَّبْعَةِ الَّتِي حَفِظَهَا هُوَ رَأْسُ المَالِ والرِّبْحِ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَنْ لَيْسَ لَهُ رَأْسُ مَالٍ كَيْفَ يَطْمَعُ فِي الرِّبْحِ ؟ .

وَهَذِهِ الجَوَارِحُ السَّبْعَةُ هِيَ : العَيْنُ والأُذُنُ والفَمُ واللِّسَانُ والفَرْجُ واليَدُ والرِّجْلُ هِيَ مَرْكَبُ العَطَبِ والنَّجَاةُ فَمِنْهَا عَطَبٌ مَنْ عَطَبَ بِأَهْمَالِهَا وَعَدَمِ حِفْظِهَا وَنَجَا مَنْ نَجَا بِحِفْظِهَا وَمُرَاعَاتِهَا فَحِفْظُهَا أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ وَإِهْمَالُهَا أَسَاسُ كُلِّ شَرٍّ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَهُ

مَسْئُولًا ﴿ فَإِذَا شَارَطَهَا عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْجَوَارِحِ وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى مُطَالَعَتِهَا
وَالِإِشْرَافِ عَلَيْهَا وَمُرَاقَبَتِهَا فَلَا يُهْمَلُهَا فَإِنَّهُ إِنْ أَهْمَلَهَا لَحِظَةً وَقَعَتْ فِي
الْخِيَانَةِ وَلَا بُدَّ فَإِنْ تَمَادَى عَلَى الْإِهْمَالِ تَمَادَتْ فِي الْخِيَانَةِ حَتَّى يَذْهَبَ
رَأْسُ الْمَالِ كُلُّهُ فَمَتَى أَحَسَّ بِالْخُسْرَانِ وَتَيَقَّنَهُ اسْتَدْرَكَ مِنْهَا مَا يَسْتَدْرِكُهُ
الشَّرِيكَ مِنْ شَرِيكِهِ مِنَ الرَّجُوعِ عَلَيْهِ بِمَا مَضَى وَالْقِيَامَ بِالْحِفْظِ وَالْمِرَاقَبَةِ
فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِي فَسْخِ هَذِهِ الشَّرِكَةِ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ
فَلْيَجْتَهِدْ فِي مُرَاقَبَتِهِ وَمُحَاسَبَتِهِ وَلِيَحْذَرْ مِنْ أَهْمَالِهِ ، وَيُعِينُهُ عَلَى هَذِهِ
الْمِرَاقَبَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ مَعْرِفَتُهُ أَنَّهُ كُلَّمَا اجْتَهِدَ فِيهَا الْيَوْمَ اسْتَرَاحَ مِنْهَا غَدًا إِذَا
صَارَ الْحِسَابُ إِلَى غَيْرِهِ وَكُلَّمَا أَهْمَلَهَا الْيَوْمَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحِسَابُ غَدًا ،
وَيُعِينُهُ عَلَيْهَا أَيْضًا مَعْرِفَتُهُ أَنَّ رَيْحَ هَذِهِ التِّجَارَةِ سُكْنَى الْفِرْدُوسِ وَالنَّظَرَ
إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ وَخُسْرَانِهَا دُخُولُ النَّارِ وَالْحِجَابِ عَنِ الرَّبِّ إِذَا تَيَقَّنَ هَذَا
هَانَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ الْيَوْمَ .

فَحَقُّ عَلَى الْحَازِمِ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ
مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهَا فِي حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا وَخَطَوَاتِهَا فَكُلُّ نَفْسٍ
مِنْ أَنْفَاسِ الْعُمَرِ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا خَطَرَ لَهَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا كُنْزًا مِنْ
الْكُنُوزِ لَا يَتَنَاهَى نَعِيمُهُ أَبَدُ الْأَبَادِ .

فِإِضَاعَةُ هَذِهِ الْأَنْفَاسِ أَوْ مُشْتَرَى صَاحِبِهَا بِهَا مَا يَجْلِبُ هَلَاكَهُ
خُسْرَانٌ عَظِيمٌ لَا يَسْمَحُ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ وَأَحْمَقُهُمْ وَأَقْلَهُمْ عَقْلًا وَإِنَّمَا
يُظْهَرُ لَهُمْ حَقِيقَةُ هَذَا الْخُسْرَانِ يَوْمَ التَّغَابُنِ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمَلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ﴿ يَوْمَ
تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تِجَادِلَ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ﴿
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

عَلَيْكَ بِمَنَعِ نَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا فَمَا شَيْءٌ أَلَدُّ مِنَ الصَّلَاحِ
تَاهَبٌ لِلْمِنِيَّةِ حِينَ تُغْلُو كَأَنَّكَ لَا تَعِيشُ إِلَى الرُّوَّاحِ
فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِينَا صَحِيحٍ نَعْتُهُ نُعَاتُهُ قَبْلَ الصَّبَّاحِ
وَبَادِرُ بِالْإِنَابَةِ قَبْلَ مَوْتٍ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِظَمِ الْجُنَاحِ
وَلَيْسَ أَخُو الرِّزَايَةِ مَنْ تَجَافَى وَلَكِنْ مَنْ تَشَمَّرَ لِلْفَلَاحِ

اللهم افتح لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
المسلمين برحمتك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ . « موعظة »

أيها المسلمون لقد تراكمت عليكم الذنوب وأنتم في غيكم ولهوكم
في دنياكم مشتغلون أحاطت بكم البلياء من كل جانب ولستم لإصلاح
أنفسكم تجتهدون ، كلما أوضح لكم الواعظ طريق الهداية تعاميتهم فلا
أنتم بالكروب معتبرون ولا من البلياء منزجرون أما سمعتم قول الله جل
وعلا ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم أن كيدي متين ﴾
وقوله تعالى : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ .

وقال : ﴿ أبحسبون أنما نمدهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم في
الخيرات بل لا يشعرون ﴾ وقوله ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم
مبلسون ﴾ أيها المسلم أنظر في نفسك هل تجدها عاملة بمقتضى الدين
هل أتيت بالصلاة على الوجه الأكمل واجتنبت المعاصي المنافية للدين
هل أدت الزكاة كاملة مكملة بيقين فتش هل تجد فيها حياة من الله بيقين
هل أنت سالم من الكذب والخيانة والاحتيال هل سالم من الرياء في
أقوالك وأعمالك هل أنت سالم من الربا في معاملاتك هل أنت سالم من

المُدَاهَنَةُ وَالنِّفَاقِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالْبَهْتِ وَاللَّعْنِ وَسِيءِ
 الْمَقَالَاتِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ الْغَشِّ فِي بَيْعِكَ وَشِرَائِكَ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِكَ
 هَلْ أَنْتَ صَائِنٌ لِسَانَكَ عَنِ مَا يَضُرُّكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ
 مِنَ الْكِبْرِ وَالْإِعْجَابِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ وَالْعُقُوقِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ أذِيَةِ الْجَارِ
 هَلْ قَلْبُكَ لَيْنٌ رَحِيمٌ تَرْحَمُ الْمِسْكِينَ وَتُكْرِمُ الْيَتِيْمَ هَلْ أَنْتَ تَقْضِي حُقُوقَ
 النَّاسِ بِذُوْنِ مِطَالٍ وَلِجَاجٍ هَلْ أَنْتَ تُحِبُّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضُ فِي اللَّهِ هَلْ
 أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ حَلْقِ اللَّحِيَّةِ أَوْ صَبْغِهَا أَوْ الدُّخَانِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ
 الْخَنَافِسِ وَالتَّوَالِيْتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَاتِ هَلْ بَيْتُكَ خَالٍ عَنِ
 صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمِذْيَاعِ وَالتَّلْفِزِيُونِ وَالسِّيْنِمَاتِ
 وَهَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ بَيْعِ هَذِهِ الْمُحْرَمَاتِ هَلْ قُمْتَ عَلَى أَوْلَادِكَ لِلصَّلَاةِ
 وَالتَّوَجُّهِهِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَفَقَّدَ
 لِنَفْسِكَ بِدِقَّةٍ كُلِّ يَوْمٍ وَتُعَالِجَ مَا بِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْمُهْلِكَاتِ فَإِنَّهَا
 أَشَدُّ ضَرَرًا وَفَتْكًا مِنْ أَمْرَاضِ الْبَدَنِ الَّتِي لَا نَصِيْرُ عَلَيْهَا إِنْ لَمْ نَجِدْ لَهَا
 عِلَاجًا ذَهَبْنَا إِلَى الْخَارِجِ رَجَاءً بُرْئِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(فصل)

قَالَ وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ نَوْعَانِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقِفُ عِنْدَ أَوَّلِ هِمَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ
 وَلَا يُبَادِرُ بِالْعَمَلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ عَلَى تَرْكِهِ قَالَ الْحَسَنُ : رَجِمَ
 اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَّ عِنْدَ هِمِّهِ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مَضَى وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ ، النَّوْعُ
 الثَّانِي مُحَاسَبَةُ بَعْدَ الْعَمَلِ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهَا مُحَاسَبَتُهَا عَلَى طَاعَةٍ
 قَصَّرَتْ فِيهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ فَلَمْ تُؤَقِّعْهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي .

وَحَقُّ اللَّهِ فِي الطَّاعَاتِ بِمُرَاعَاتِ سِتَّةِ أُمُورٍ وَهِيَ الْإِخْلَاصُ فِي

العمل والنصيحة لله فيه ومُتَابَعَةُ الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم فيه وشُهوْدُهُ مَشْهَدَ الاحسانِ فِيهِ وشُهوْدُ مِنةِ اللهِ عَلَيْهِ فِيهِ وشُهوْدُ تَقْصِيْرِهِ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ هَلْ وَفِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ حَقَّهَا وَهَلْ أَتَى بِهَا فِي هَذِهِ الطَّاعَاتِ ، الثاني أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ كَانَ تَرْكُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ فَعْلِهِ ، الثالث أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى أَمْرٍ مَبَاحٍ أَوْ مُعْتَادٍ لِمَ فَعَلَهُ وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللهُ وَالِدَارَ الآخِرَةَ فَيَكُونُ رَابِحًا فِيهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا وَعَاجَلَتَهَا فَيَخْسِرُ ذَلِكَ الرَّبِيْحَ وَيَفُوْتُهُ الظَّفْرُ بِهِ قَالَ : وَجِمَاعُ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَوَّلًا عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِذَا تَذَكَّرَ فِيهَا نَقْصًا تَدَارَكَهُ إِمَّا بِقَضَاءٍ أَوْ إِصْلَاحٍ ثُمَّ يُحَاسِبُ عَلَى الْمَنَاهِي فَاِنْ عَرَفَ أَنَّهُ ارْتَكَبَ مِنْهَا شَيْئًا تَدَارَكَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى الْغَفْلَةِ فَإِنْ كَانَ قَدْ غَفَلَ عَمَّا خُلِقَ لَهُ تَدَارَكَهُ بِالذِّكْرِ وَالاِقْبَالِ عَلَى اللهِ

ثُمَّ يُحَاسِبُهَا بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ لِسَانُهُ أَوْ مَشَتْ بِهِ رِجْلَاهُ أَوْ بَطَشَتْهُ يَدَاهُ أَوْ سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ مَاذَا أَرَدَتْ بِهَذَا وَلَمْ فَعَلَتْ وَعَلَى أَيِّ وَجْهِ فَعَلْتَهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُنْشَرَ لِكُلِّ حَرَكَةٍ وَكَلِمَةٍ مِنْهُ دِيْوَانٌ لِمَ فَعَلْتَهُ وَكَيْفَ فَعَلْتَهُ فَالْأَوَّلُ سُؤَالٌ عَنِ الْإِخْلَاصِ .

وَالثَّانِي سُؤَالٌ عَنِ الْمُتَابَعَةِ : فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالَ : فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقْضُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ وَقَالَ : ﴿ لَيَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ فَإِذَا سُئِلَ الصَّادِقُونَ وَحُوسِبُوا عَلَى صِدْقِهِمْ فَمَا الظَّنُّ بِالكَاذِبِينَ وَقَالَ : فَتَأْتِي كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الْأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَيَسْأَلُونَ عَنِ الْمُعْبُودِ وَعَنِ الْعِبَادَةِ وَقَالَ تَعَالَى : ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُحَاسِبَةَ تُضَعْفُ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ وَتُوقِّفُهَا وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تَحُضُّ الْإِنْسَانَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تُخَلِّصُ النَّفْسَ مِنَ الْعُجْبِ وَرُؤْيَا الْعَمَلِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُحَاسِبَةَ تَفْتَحُ لِلْإِنْسَانِ بَابَ الدَّلِيلِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَنْظُرَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تُوَجِّبُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَمُتَ نَفْسَهُ وَيَعْلَمَ أَنَّ النِّجَاةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِعَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ أَكْثَرِ النَّاسِ وَجَدْتَهُمْ بَضِدَ ذَلِكَ يَنْظُرُونَ فِي حَقِّهِمْ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَنْظُرُونَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمِنْ هُنَا انْقَطَعُوا عَنِ اللَّهِ وَحُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالتَّعَمُّمِ بِذِكْرِهِ وَهَذَا غَايَةُ جَهْلِ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ وَبِنَفْسِهِ فَمُحَاسِبَةُ النَّفْسِ هِيَ نَظَرُ الْعَبْدِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ أَوَّلًا ثُمَّ نَظَرُهُ هَلْ قَامَ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي ثَانِيًا .

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ إِذَا حَاسَبَ نَفْسَهُ فَرَأَاهَا قَدْ قَارَفَتْ مَعْصِيَةً أَوْ يَتَوَبَّ تَوْبَةً نَصُوحًا وَيُتْبِعُ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمَحُّوْهَا فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا) وَإِنْ تَوَانَى عَنْ بَعْضِ الْفَضَائِلِ أَوْ فَاتَتْهُ نِسْيَانًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدْرِكَ جَبْرًا مَا نَقَصَ بِالنَّوَافِلِ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جِئِنَ فَاتَتْهُ صَلَاةَ الْعَصْرِ فِي جَمَاعَةٍ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِأَرْضٍ كَانَتْ لَهُ قِيمَتُهَا مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ شَغَلَهُ أَمْرٌ عَنِ الْمَغْرِبِ حَتَّى طَلَعَ نَجْمَانِ فَلَمَّا صَلَّاهَا أَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ وَفَاتَتْ ابْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ رَكْعَتَا الْفَجْرِ فَاعْتَقَ رَقَبَةً وَوَرَدَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ أَحْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَجْعَلُ

على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً أو التصدق بالشيء الكثير كل ذلك مؤاخذه لها بما فيه نجاتها . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

موعظة

رَوِيَ عن عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ
بِغَيْرِ عَمَلٍ وَيُوَخِّرُ التَّوْبَةَ لِطَوْلِ الأَمَلِ وَيَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ
وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلِ الرَّاعِيَيْنِ إِنْ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَشْبَعْ وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ
يَقْتَنِعْ وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِيهِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ أَعْمَالَهُمْ وَيُبْغِضُ
المُسيئِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ يَكْرَهُ المَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ لَهُ المَوْتَ
إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاهِياً يَعْجَبُ مِنْ نَفْسِهِ إِذَا عُوْفِيَ وَيَقْنَطُ
إِذَا تَغَلَّبَهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ وَلَا يَثِقُ مِنَ الرِّزْقِ
بِمَا ضَمِنَ لَهُ وَلَا يَعْمَلُ مِنَ العَمَلِ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ إِنْ اسْتغْنَى بِطَرَوَانٍ افْتَقِرَ
قَيْطٌ وَحَزَنٌ فَهُوَ مِنَ الذَّنْبِ فِي حَالِ النِّعْمَةِ وَالمِحْنَةِ مُوقِرٌ ، يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ
وَلَا يَشْكُرُ وَيَتَكَلَّفُ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يُؤْمَرُ وَيَضِيعُ المَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الفَوْتَ
يَسْتَكْبِرُ مِنَ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْهَلُ أَكْثَرُهُ مِنْ نَفْسِهِ . مَزَاهِرُ اللُّهُوِّ مَعَ الأَغْنِيَاءِ
أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا
لِغَيْرِهِ .

شعراً :

تَجَهَّزِي بِجَهَّازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ

يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخَلِّقِي عَبْثًا

وَسَابِقِي بَغْتَةً الأَجَالَ وَأَنْكَمِشِي

قَبْلَ اللِّزَامِ فَلَا مَلْجَأَ وَلَا غَوْثًا

وَلَا تَكْذِبِي لِمَنْ يَبْقَى وَتَفْتَقِرِي
 إِنَّ الرَّدَى وَارِثُ البَاقِي وَمَا وَرَثَا
 وَأُخْشِي حَوَادِثَ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ
 وَاسْتَيْقِظِي لَا تَكُونِي كَالَّذِي بَحَثَا
 عَنْ مُدْيَةٍ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ
 فَوَافَتْ الحَرْثَ مَحْرُوثًا كَمَا حُرِّثَا
 مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جِبْهَتَهُ
 أَوْ الغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْثَا
 وَيَسْأَلُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتُهُ
 فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنَا
 فِي قَعْرِ مُوحِشَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ
 يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَا فِي جَوْفِهَا اللَّبْنَا

آخر :

وَنَفْسَكَ فَازْجُرْهَا عَنِ الغَيِّ وَالخَنَا
 وَحَازِرِ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
 وَإِنْ جِهَادَ النَّفْسِ حَتَّمْ عَلَى الفَتَى
 فَإِنْ رُمْتَ أَنْ تُحْطَى بِنَيْلِ سَعَادَةٍ
 فَبَادِرْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاسْأَلْكَ سَبِيلَهَا
 وَإِيَّاكَ دُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
 تَمَسَّكَ بِشَرَعِ اللَّهِ وَالزَّمْ كِتَابَهُ
 وَلَا تَتَّبِعْهَا فَهِيَ أَسُّ المَفَاسِدِ
 يَصُدُّ عَنِ الطَّاعَاتِ غَيْرِ المُجَاهِدِ
 وَإِنَّ التَّقَى حَقًّا لَخَيْرُ المَقَاصِدِ
 وَتُعْطَى مَقَامَ السَّالِكِينَ الأَمَاجِدِ
 وَلَا تَتَّبِعْ غَيِّ الرَّجِيمِ المُعَانِدِ
 وَإِنَّكَ صَاحِبٌ لَسْتَ فِيهَا بِخَالِدِ
 وَبِالعِلْمِ فَاعْمَلْ تَحْوِ كُلِّ المَحَامِدِ

اللَّهُمَّ أَمُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَاجْعَلْ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ
 اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتَمَدْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الثالث عشر

في موعظة جلييلة

قال بعض العلماء على قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

كشفت لنا هذه الآية الشريفة عن سنة من سنن الله تعالى : وهي أن مَنْ غَفَلَ عن تذكُّر الله فَنَسِيَهُ وَالْهَتَهُ دُنْيَاهُ عن العمل للدار الآخرة أنساه الله نفسه التي بين جنبيه فلا يسعى لما فيه نفعها ولا يأخذ في أسباب سعادتها وإصلاحها وما يكملها ولا السعي في إزالة عيبتها وأمراضها التي تؤول بها الى الفساد والدمار والهلاك وهذا من أعظم العقوبة للعامة والخاصة فأى عقوبة أعظم من عقوبة مَنْ أهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها وأسباب سعادتها وصلحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم .

ومن تأمل هذا الموضع تبين له أن أكثر هذا الخلق قد نسوا أنفسهم وضيعوها وأضاعوا حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن بخص بيع المغبون ويظهر ذلك عند الموت ويتجلى ذلك يوم التغابن يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، إنها لحسرة على كل ذي غفلة دونها كل حسرة هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

وأما الرابحون فهم الذين أنار الله قلوبهم للحق فعرفوا الدنيا وقيمتها وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من أولها إلى آخرها حتى نبيع حطنا من الله تعالى والدار الآخرة بها فكيف بما ينال العبد منها في هذا الزمن

الْقَصِيرِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَغَفْوَةِ حُلْمٍ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ الْبَتَّةِ

قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وقال ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ هَؤُلَاءِ هُمُ الْكَيْسُونَ الَّذِينَ عَلِمُوا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا كَمَا عَلِمُوا قَلَّةَ لُبِّهِمْ فِيهَا وَأَنَّ لَهُمْ دَارًا غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ دَارِ الْحَيَوانِ وَدَارِ الْبَقَاءِ اتَّجَرُوا بِتِجَارَةِ الْأَكْبَاسِ وَلَمْ يَغْتَرَوْا بِتِجَارَةِ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ فَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ التَّغَابِنِ رَيْحُ تِجَارَتِهِمْ وَمِقْدَارُ مَا اشْتَرَوْا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وفي هذا الْمَعْنَى يَقُولُ عُمَرُ : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ أَي مُتَّقَضٌ وَبَلَغَ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ فَرَجِمَ اللهُ امْرَأً أَفْكَرَ فِي أَمْرِهِ وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقَبَ رَبَّهُ وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ إِلَى أَنْ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالبُطْنَةَ فَانَهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ وَمَفْسَدَةٌ لِلْجِسْمِ وَمُؤَدِّيَةٌ لِلسُّقْمِ وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّرْفِ وَأَصْحٌ لِلْبَدَنِ وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ إِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَتُهُ عَلَى دِينِهِ .

وَمِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ أَنَّ الْعَبْدَ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فِي هَوَايِ نَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهَا لَهَا مُكْرَمٌ وَيَجْتَهِدُ فِي جَرْمَانِهَا مِنْ حُطُوطِهَا وَشَرْفِهَا وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي حِفْظِهَا وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي تَحْقِيرِهَا وَتَصْغِيرِهَا وَتَدْنِيسِهَا وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي صِلَاحِهَا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ الْآرَبُ مُهَيِّنٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ مُكْرَمٌ لَهَا وَمُذَلٌّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرَاعٍ لِحَقِّهَا وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَكُونَ مَعَ عَدُوِّهِ لِنَفْسِهِ يَبْلُغُ مِنْهَا بِفِعْلِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْهَا عَدُوُّهُ .

ما يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ
 ما يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
 فالعاقِلُ هو الذي يعملُ مُجِدِّاً لِأَجْرَتِهِ ولا يُنْسِيَهُ نَفْسِيَهُ مِنَ الدُّنْيَا.
 حَظَّهُ مِنَ الآخِرَةِ عَامِلاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ
 وَلَا تَنْسَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وَلَوْ أَنَّهُ تَأَمَّلَ قَلِيلاً لَوَجَدَ أَنَّ لَدَائِدَ الدُّنْيَا
 مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ آلامِهَا فَمِثْلاً لَذَّةِ الطَّعَامِ لا تَتَحَقَّقُ إِلا بِالْمِ الجُوعِ وَلَذَّةِ
 الشَّرَابِ لا بَدٌّ أَنْ يَسْبِقَهَا حُرْقَةُ العَطَشِ وَلَذَّةِ النَّوْمِ لا يَجِدُ الإنسانُ لها
 شَوْقاً إِلا بَعْدَ أَنْ يُضَيِّبَهُ التَّعَبُ الشَّدِيدُ وَهَنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الحِكْمَةِ
 غَفَلَ عَنْهُ الكَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ أَنَّها بِمِثَابَةِ بَرَّاطِيلِ تَحْمَلُ الإنسانَ عَلى
 قَوامِهِ وَبِقَفاءِ حَياتِهِ فَلذَّةُ الطَّعَامِ تَدْفَعُهُ إِلى أَلَّا يَهْمِلَ جِسْمَهُ مِنَ الغِذاءِ وَلِوَلَا
 ما جَعَلَ اللهُ مِنَ لَذَّةِ النِّكاحِ لا نَقْرَضُ النُّوعَ الإنسانِيَّ مِنَ الوُجُودِ ولِما
 وَجَدنا ذَابَةً تَدْبُ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ ولا طائِراً يَطِيرُ فِي السَّماءِ وَكَذلكَ
 فَرَحَةُ الأُمِّ بِطِفْلِها تُنْسِيها آلامَ الحَمَلِ وَالوَحْمِ وَالوِلادَةِ وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ
 وَالرِّضَاعِ وَالسَّهْرِ الطَّوِيلِ فِي التَّمْرِيضِ مِمَّا يَقْضَى مُضْجِعها وَنُسيها نَفْسها
 فَسُبْحانَ الحَكِيمِ العَلِيمِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيراً ، انْتَهَى
 بِتَصْرِفِ يَسِيرٍ .

موعظة

كَتَبَ الحَسَنُ الى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا كِتاباً طَويلاً قال
 فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دارُ ظَلَعينِ لِيَسْتَبَدَّ بِدارِ مَقامِ وَأَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْها أَدَمُ
 عُقُوبَةً فَاحْذَرُها يا أَمِيرَ المُؤمِنينِ فَإِنَّ الزَّادَ مِنْها تَرَكَها وَالغِنى فِيها فَقرُها
 تُذَلُّ مِنَ أَعزِّها وَتُفَقِرُ مِنَ جَمعِها كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفُهُ
 فَاحْذَرُ هَذِهِ الدَّارَ الغَرارَةَ الخِثالَةَ الخِداعَةَ وَكُنْ أَسْرَ ما تَكُونُ فِيها أَحْذَرُ ما
 تَكُونُ لَها ، سُرورُها مَشُوبٌ بِالْحُزَنِ وَصَفوُها مَشُوبٌ بِالكَدْرِ فَلَوْ كان

الْحَالِقُ لَمْ يُخْبِرْهُ عَنْهَا خَبْرًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَهَا مَثَلًا لَكُنْتُ قَدْ أَيْقَمْتُ النَّائِمَ
وَنَبَّهْتُ الْغَافِلَ فَكَيْفَ وَقَدْ جَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا زَاجِرٌ وَفِيهَا وَاعِظٌ
فَمَا لَهَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَدْرٌ وَلَا وَزْنٌ ، مَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا وَلَقَدْ
عُرِضَتْ عَلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحُهَا وَخَزَائِنُهَا لَا يَنْقُصُ عِنْدَ
اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَكَرِهَ أَنْ يُحِبَّ مَا أَبْغَضَهُ خَالِقُهُ أَوْ يَرْفَعَ مَا
وَضَعَهُ مَلِيكُهُ زَوَاهَا اللَّهُ عَنِ الصَّالِحِينَ اخْتِبَارًا وَبَسَطَهَا لِأَعْدَائِهِ اغْتِرَارًا
أَفِيظُنُّ الْمَغْرُورُ بِهَا أَنَّهُ أَكْرَمُ بِهَا وَنَسِيَّ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حِينَ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ ، وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بُسِطَ لَهُ فِي
الدُّنْيَا فَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ مَكْرًا إِلَّا كَانَ قَدْ نَقَصَ عَقْلُهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ وَمَا
أَمْسَكَ عَنْ عَبْدٍ فَلَمْ يَظُنَّهُ خَيْرًا لَهُ فِيهَا إِلَّا نَقَصَ عَقْلُهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ .

شِعْرًا : إِلَى دُنْيَاكَ أَنْظُرْ بِاعْتِبَارٍ تَجِدُهَا دَارَ ذُلٍّ مَعَ فَنَاءِ
إِلَى كَمْ تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ فِيهَا مَعَ الشَّهَوَاتِ تَسْرِي يَا مُرَائِي
أَمَا أَنْ أَنْتَبَاهَكَ مِنْ غُرُورٍ بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْأَغْيَاءِ
تَيْقِظُ وَانْتَبِهْ وَاقْبَلْ بِقَلْبٍ عَلَى مَوْلَاكَ تَظْفِرُ بِأَهْتِدَاءِ
وَقِفْ بِالْبَابِ وَاطْلُبْ مِنْهُ عَفْوًا عَسَى تَحْطَى بِصُبْحٍ أَوْ مَسَاءِ
وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

موعظة

وقال الشيخ الواسطي في بعض رسائله : إذا أراد الله بعبده خيراً
أقام في قلبه شاهداً من ذكر الآخرة يُريدُ فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة
ودوامها فيزهدُهُ في الفاني وَيُرَغِّبُهُ في الباقي فيبدأ في السير والسلوك في
طريق الآخرة وأول السير فيها تصحيح التوبة ، والتوبة لا تتم إلا
بالمحاسبة ورعاية الجوارح السبعة ، العين والأذن واللسان والبطن والفرج
واليد والرجل وكفها عن جميع المحارم والمكاريه والفضول هذا أحد

شَطْرِي الدِّينَ وَيَبْقَى الشَّطْرُ الآخِرُ وهو القيامُ بالأوامرِ فَتَحْقِيقُ الشَّطْرِ
الأوَّلِ وهو تركُ المناهي مِنْ قلبه وَقَالِه .

أما القَالِبُ فلا يَعِصِي اللَّهَ بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ وَمَتَى زَلَّ أو أخطأ
تَابَ وأما القلبُ فَتُنْقِي مِنْهُ الْمُؤَبَقَاتُ المَهْلِكَاتُ مثلُ الرِّياءِ والعُجبِ والكِبَرِ
والحَسَدِ والبُغْضِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَرَدَّ الحَقُّ واستثقاله والازْدِرَاءُ
بالخَلْقِ وَمَقْتُهُمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الكَبَائِرِ القَلْبِيَّةِ التي هي في مُقَابَلَةِ الكَبَائِرِ
القَالِبِيَّةِ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ والزَّنا والقَدْفِ وغيرِ ذلك فهذه كَبَائِرُ ظَاهِرَةٌ وَتِلْكَ
كَبَائِرُ بَاطِنَةٌ . وكلاهما ضرر .

قال : فَمَنْ انطوى على شَيْءٍ مِنَ الكَبَائِرِ البَاطِنِيَّةِ ولم يَتَبَّ حَبِطَ
عَمَلُهُ بدليل لا يدخل الجَنَّةَ مَنْ كان في قلبه مثالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وجاءَ إنَّ
الحسدَ يأكلُ الحسَنَاتِ كما تَأْكُلُ النَّارُ الحطبَ وجاءَ بقول الله تعالى :
﴿ أَنَا أُغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَأشْرَكَ مَعِيَ فيه غَيْرِي
تَرَكْتُهُ وشركه ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كان يَرجو لقاءَ رَبِّه فليَعملْ عَمَلًا
صالحًا ولا يَشْرِكْ بِعبادَةِ رَبِّه أَحَدًا ﴾ .

فَمَتَى تَنقَى القلبُ مِنْ مثلِ هذه الخبائثِ والرذائلِ طَهَّرَ وَسَكَنَتْ فيه
الرَّحْمَةُ في مكانِ البُغْضِ والتواضعِ في مُقَابَلَةِ الكِبَرِ والنَّصِيحَةُ في مُقَابَلَةِ
العِشِّ والاخلاصُ في مُقَابَلَةِ الرِّياءِ ورؤية المِنَّةِ في مُقَابَلَةِ العُجبِ ورؤية
النفسِ فعندَ ذلك تَزْكُوا الأَعْمَالُ وَتَصْعَدُ إلى اللَّهِ تعالى وَيَطْهَرُ القلبُ
وَيَبْقَى مَحَلًّا لِنَظَرِ الحَقِّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ فهذا أَحَدُ شَطْرِي الدِّينِ وهو
رِعَايَةُ الجَوَارِحِ السَّبْعَةِ عَنِ المَآثِمِ والمَحَارِمِ وانما تَصْلُحُ وَتَطْهَرُ بِرِعَايَةِ
القلبِ وَطَهَارَتِهِ مِنَ المُؤَبَقَاتِ والجَرَائِمِ وَمَعْنَى المُؤَبَقَاتِ المَهْلِكَاتِ أهـ .

وقال ابن القيم رحمه الله : والقلوب ثلاثة ، قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير فذلك قلبٌ مظلمٌ قد استراح الشيطان من إلقاء الوسواس إليه لأنه قد اتخذهُ بيتاً ووطناً وتَحَكَّم فيه بما يريدُ وتمكَّن منه غاية التمكن ، القلب الثاني : قلبٌ قد استنارَ بنورِ الإيمان وأوقد فيه مصباحهُ لكن عليه ظلمةُ الشهواتِ وعواصِفُ الأهويةِ فللشيطانِ هناك أقبالٌ وإدبارٌ ومَجالاتٌ ومَطالِعٌ فالحرُّبُ دُولٌ وسِجالٌ وتختلِفُ أحوالُ هذا الصنفِ بالقلَّةِ والكثرةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أوقاتٌ غلبتْه لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ أوقاتٌ غلبتْه عدوُّه أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ هو تارةً وتارةً .

القلب الثالثُ : قلبٌ محشُوٌّ بالإيمانِ قد استنارَ بنورِ الإيمانِ وانقشعتْ عنه حُجُبُ الشهواتِ وأقلعتْ عنه الظلماتُ فلنوره في صدره إشراقٌ ولذلك الإشراقُ إيقادٌ لودنا منه الوسواسُ احترق به فهو كالسَّماءِ التي حُرستْ بالنجومِ فلو دنا منها الشيطانُ يتخطاها رُجَمَ فأحترق .

وليسَتِ السَّماءُ بأعظمَ حُرمةٍ من المؤمنِ وحِراسَةُ الله تعالى له أتمُّ من حِراسَةِ السَّماءِ والسَّماءِ مُتعبِدُ الملائكةِ ومُستقرُّ الوحيِ وفيها أنوارُ الطاعاتِ وقلبُ المؤمنِ مُستقرُّ التوحيدِ والمحبةِ والمعرفةِ والإيمانِ وفيه أنوارها فهو حقيقٌ أن يُحرسَ ويُحفظَ من كَيْدِ العدوِّ فلا ينالُ منه إلا خُطفةٌ تحصلُ له على غِرةٍ وغِفةٍ مِنَ العَبْدِ إذ هو بشرٌ وأحكامُ البشريَّةِ جاريةٌ عليه مِنَ الغِفةِ والسَّهوِ والذَّهولِ وغِلبةِ الطَّبَعِ انتهى .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غلو صلحنا ما فيها من الغلط الاعتقادي وجعلنا على ما فيه تصليح أقواساً :

تَيَقُّضُ لِنَفْسٍ عَن هُدَاها تَوَلَّتْ وَبَادِرُ فِي التَّأخِيرِ أَعْظَمُ خَشْيَةٍ
فَحْتَامَ لَا تَلْوَى لِرُشْدِ عِنَائِها وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ غِيَّها كُلَّ بُغْيَةٍ

نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةً
 عَنِ الْفِعْلِ إِخْوَانُ التَّقَى وَالْمَبْرَةِ
 أَبُو مُرَّةٍ يَثْنِيهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
 لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دُعَيْتُ لِقُرْبَةٍ
 وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ
 وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ لَهَيْبٍ وَزَفَرَتِي
 وَلَا تَيَأَسَنْ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَحْمَةٍ
 وَلَا فَرَجٍ إِلَّا بِشِدَّةِ أَرْمَةِ
 فَلَمَّا دَعَى الْمَوْلَى أَعِيدَ لِحَنَّةٍ
 مَنَحَتْ مِنَ الْبُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ
 وَمَا حَيْلَتِي فِي أَنْ تَفْرَجَ كُرْبَتِي
 لِرَبِّكَ تَسَلَّمَ مِنْ بَوَارٍ وَخَيْبَةٍ
 إِلَيْهِ فَحَطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ
 يُقِيلُ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ كُلِّ عَشْرَةٍ
 جَنَّوَهُ مِنَ الْأَثَامِ تَوْنَةَ مُحَبِّتٍ
 عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ أَرْكَمَى الْبَرِيَّةِ

وَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَامَةٌ لِمَنْ
 إِذَا أَرْمَعَتْ أَمْرًا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا
 وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي بَالِهَا أَنْتَنَى
 وَلِي قَدَمٌ لَوْ قَدَّمْتُ لِظُلَامَةٍ
 لَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ
 وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي
 رُوَيْدَكَ لَا تَقْنُطُ وَإِنْ كَثُرَ الْخَطَا
 مَعَ الْعُسْرِ يُسِّرُ وَالتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ
 «وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جَهَنَّمَ
 فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيَتِ خَيْرًا عَلَى الَّذِي
 فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى
 «فَقَالَتْ فَطَبَّ نَفْسًا وَقَمْ مُتَوَجِّهًا
 «فَكَمْ آيِسٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَالْتَجَا
 «فَدَيْتِكَ فَأَقْصِدْهُ بِذُلِّ فَإِنَّهُ
 «إِذَا مَا أَتَوْهُ تَائِبِينَ مِنَ الَّذِي
 وَصِلَ إِلَهِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ
 لِحْدَمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ مِنْ قِبَلَتِ أَعْمَالِهِ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة :

الصَّلَاةُ لُغَةً الدَّعَاءُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَنْ صَلَاتِكَ
 سَكَنُ لَهُمْ ﴾ وَالصَّلَاةُ فِي الشَّرْعِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ مُخْصُوصَةٌ مُفْتَتِحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ

مُخْتَمَةٌ بِالتَّسْلِيمِ وَسُمِّيَتْ صَلَاةً لِأَشْتِهَائِهَا عَلَى الدَّعَاءِ وَقِيلَ لَأَنَّهَا ثَانِيَةُ الشَّهَادَتَيْنِ وَقِيلَ لَأَنَّهَا صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ .

وقيل لما تَتَضَمَّنُ مِنَ الدَّعَاءِ وَالْحُشُوعِ وَالْحَشْيَةِ ، وَقِيلَ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَّ يَتَّبِعُ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، وَالصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ قَالَ فِي مَرَاوِدِ الصَّلَاةِ لِلْقَسْطَلَانِيِّ الْحِكْمَةُ فِي فَرَضِ الصَّلَاةِ وَتَخْصِيصِهَا بِالْخُمْسِ ، أَحَدُهَا أَنَّ الْأَنْفُسَ الْبَشَرِيَّةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِلشَّهْوَةِ وَالغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ وَالشَّرِّ فِي الْعَمَلِ وَالْفِتْرَةِ عَنْهُ فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ تَذَكَرَ نَسْيَانَهَا وَتُوقِظَ غَفْلَتَهَا وَتُقَمِّعَ شَهْوَتَهَا بِقَطْعِهَا عَنْ عَادَاتِهَا وَمُنَاجَاتِهَا الَّذِي كَفَلَهَا بِنِعْمِهِ وَغَذَّاهَا بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَلَعَلَّمَهُ بِضَعْفِ قُوَاهَا لَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ الْعِبَادَةَ إِلَّا فِي أَوْقَاتٍ يَكْثُرُ الْفَرَاغُ فِيهَا مِنْ أَشْغَالِ الْعَادَاتِ وَهَذَا هُوَ الْحِكْمَةُ فِي تَنْقِيصِهَا مِنَ الْخُمْسِينَ إِلَى الْخُمْسِ .

والوجه الثاني : أن العبد في هذه الدار يَعْمَلُ لِنَجَاتِهِ فِي الدَّارِ الْأُخْرَى وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَهْوَالٍ وَمَشَاقٍ وَمَتَاعٍ وَأَمَامَ الْعَبْدِ دُونَهَا خَمْسُ عَقَبَاتٍ الْأُولَى الدُّنْيَا وَشُرُورُهَا وَأَفَاتُهَا وَمَحْدُورَاتُهَا وَشَوَاغِلُهَا وَعَلَائِقُهَا الْقَاطِعَةُ عَنْ مَزِيدِ السَّعَادَةِ ، الثَّانِيَةُ الْمَوْتُ وَمَا يُحْشَى مِنْ فِتْنَتِهِ وَشِدَّةِ سَكَرَاتِهِ وَمَا يُشَاهَدُ عِنْدَهُ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ وَالْأَلَامِ الْجَسَامِ ، الثَّالِثَةُ الْقَبْرُ وَضَيْقَتُهُ وَوَحْشَتُهُ وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَذَلِكَ صَعْبٌ خَطِيرٌ ، الرَّابِعَةُ الْمَحْشَرُ وَهُوَ لَهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَالْفَزَعِ الْأَكِيدِ ، الْخَامِسَةُ الْحِسَابُ وَمَا يُحْشَى فِيهِ بَعْدَ الْعِتَابِ مِنْ وَقُوعِ الْعِقَابِ فَكَانَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ مُسَهِّلًا لِهَذِهِ الْعَقَبَاتِ مُحْضِلًا لِنَيْلِ الْمَسْرَاتِ فِي دَارِ الْكَرَامَاتِ وَهِيَ أَجْلُ مَبَانِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ وَمَحَلُّهَا مِنَ الدِّينِ مَحَلُّ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ فَكَذَلِكَ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ .

وَهِيَ خَاتِمَةٌ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ مِنَ الدُّنْيَا فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ عَامَّةً وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة وهو يُغرغرُ بنفسه ﴿ الصلاة وما ملكت أيمانكم ﴾ رواه أحمد وأبو داود .

وهي أول ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ كما وردَ بذلكَ الحديثُ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « إنَّ أولَ ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِهِ صلواتُهُ فإن صلحتْ فقد أفلحَ وأنجحَ وإن فسدتْ فقد خابَ وخسرَ » الحديثُ أخرجه الترمذي .

وهي أكبرُ عونٍ للعبدِ على مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ قال تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبرِ والصلاةِ وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعينَ ﴾ وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبرِ والصلاةِ إن الله مع الصابرينَ ﴾ فمداومة العبدِ على الصلاةِ تقوى رغبته في الخيرِ وتسهلُ عليه الطاعاتُ وتَهونُ عليه المشاقُ وتسهلُ عليه المصائبُ وَييسرُ اللهُ لَهُ أموره وَيباركُ لَهُ في ماله وأعمالِهِ وتنهأُ عن الفحشاءِ والمنكرِ كما قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ ﴾ الآية وفي الصحيح المتفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « أرأيتم لو أن نهرًا يبابُ أحدكم يغتسلُ فيه كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ هل يبقى من درنِهِ شيءٌ قالوا لا يبقى من درنِهِ شيءٌ قال فذلكَ مثلُ الصلواتِ الخمسِ يَمْحُو اللهُ بهنَّ الخطايا » وَوردَ من حديثِ ثوبانَ رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « استقيموا ولنْ تُحصوا واعلموا أن خيرَ أعمالكم الصلاةُ » ولا يُحافظُ على الوضوءِ إلا المؤمنُ ، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « ما من أمرٍ مُسلمٍ تحضرهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسنُ وضوءَهَا وخشوعَهَا ورُكوعَهَا إلا كانتَ كفارةً لما قبلَهَا مِنَ الذنوبِ

مَا لَمْ تُوْتْ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ »

وفي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : بِرُ الوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي وَأَخْرَجَ الامامُ أحمدُ عن رجلٍ من أصحابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ قَالَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ الصَّلَاةُ لِيَوْقَتِهَا وَبِرُ الوَالِدَيْنِ (والجِهَادُ) ورواته محتج بهم في الصحيح .

اللهم جَنِّبْنَا البِدْعَ وَالمُنْكَرَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ الزَّلَّاتِ وَوَقِّفْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَأَسْكِنْنَا فِيسِيحِ الجَنَاتِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ صَاحِبُ القَلْبِ العَامِرِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ وَاجْتِزَاءِ وَتَعْظِيمِهِ وَقَفَ بِقَلْبٍ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ لَهُ قَرِيبٍ مِنْهُ سَلِيمٍ مِنْ مُعَارَضَاتِ السُّوءِ قَدْ امْتَلَأَتْ أَرْجَاؤُهُ بِالْهَيْبَةِ وَسَطَعَ فِيهِ نُورُ الإِيمَانِ وَكُشِفَ عَنْهُ حِجَابُ النُّفْسِ وَدُخَانُ الشَّهَوَاتِ فَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ مَعَانِي القُرْآنِ وَخَالَطَ قَلْبُهُ بِشَاشَةِ الإِيمَانِ بِحَقَائِقِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعُلُوِّهَا وَجَلَالِهَا الأَعْظَمِ وَتَفَرَّدِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِنُعُوتِ جَلَالِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ .

فاجْتَمَعَ هَمُّهُ عَلَى اللَّهِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ وَأَحْسَّ بِقُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ قُرْبًا لَا

نَظِيرَ لَهُ فَفَرَّغَ قَلْبَهُ لَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِ وَهَذَا الْإِقْبَالُ مِنْهُ بَيْنَ أَقْبَالَيْنِ مِنْ رَبِّهِ فَانَهُ سَبْحَانَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِ أَوَّلًا فَانَجَذَبَ قَلْبَهُ بِأَقْبَالِهِ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى رَبِّهِ حُظِيَ مِنْهُ إِقْبَالًا آخَرَ أَنْتُمْ مِنَ الْأَوَّلِ .

وَمَا هُنَا عَجِيْبَةٌ مِنْ عَجَائِبِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ تَحْصُلُ لِمَنْ تَفَقَّهَ قَلْبَهُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَخَالَطَ بِشَاشَةِ الْإِيْمَانِ بِهَا قَلْبَهُ بِحَيْثُ يَرَى لِكُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مَوْضِعًا مِنْ صَلَاتِهِ وَمَحَلًّا مِنْهَا فَإِذَا انْتَصَبَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَاهِدًا بِقَلْبِهِ قِيُومِيَّتَهُ وَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ شَاهِدًا كِبْرِيَاءَهُ .

وَإِذَا قَالَ : سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ شَاهِدًا بِقَلْبِهِ رَبًّا مُنْزَهًا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ سَالِمًا مِنْ كُلِّ نَقْصٍ

مَحْمُودًا بِكُلِّ حَمْدٍ فَحَمْدُهُ يَتَّضَمُّنُ وَصْفَهُ بِكُلِّ كَمَالٍ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ بَرَاءَتَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ تَبَارَكَ اسْمُهُ فَلَا يُذَكَّرُ عَلَى قَلِيلٍ إِلَّا كَثْرَةٌ وَلَا عَلَى خَيْرٍ إِلَّا أَنْمَاءٌ وَبَارَكَ فِيهِ وَلَا عَلَى آفَةٍ إِلَّا أَذْهَبَهَا وَلَا عَلَى الشَّيْطَانِ إِلَّا طَرَدَهُ خَاسِئًا دَاجِرًا وَكَمَالَ الْإِسْمِ مِنْ كَمَالِ مُسْمَاهُ فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ اسْمِهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فَشَأْنُ الْمُسْمَى أَعْلَى وَاجْلُ وَتَعَالَى جَدُّهُ أَيْ ارْتَفَعَتْ عَظَمَتُهُ وَجَلَّتْ فَوْقَ كُلِّ عَظَمَةٍ وَعَلَا شَأْنُهُ عَلَى كُلِّ شَأْنٍ وَقَهَرَ سُلْطَانَهُ عَلَى كُلِّ سُلْطَانٍ فَتَعَالَى جَدُّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي الْهَيْئَةِ أَوْ فِي صِفَاتِهِ كَمَا قَالَ مُؤْمِنُوا الْجِنِّ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدْرُ بِنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا فَكَمْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ تَجَلٍّ لِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قَلْبِ الْعَارِفِ بِهَا غَيْرِ الْمُعْطَلِ لِحَقَائِقِهَا وَإِذَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَدْ آوَى إِلَى رُكْنِهِ الشَّدِيدِ وَاعْتَصَمَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَقَطْعَهُ عَنْ رَبِّهِ وَيُبَاعِدَهُ عَنْ قَرْبِهِ لِيَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا .

فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَفَّ هُنَيْهَةً يَسِيرَةً يَنْتَظِرُ جَوَابَ رَبِّهِ لَهُ بِقَوْلِهِ حَمْدِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ انتظر الجواب بقوله : اثنى عليَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ انتظر جوابه بقوله مَجْدَنِي عَبْدِي .

فِيَا لَذَّةَ قَلْبِهِ وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَسُرُورَ نَفْسِهِ بِقَوْلِ رَبِّهِ : عَبْدِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَا عَلَى الْقُلُوبِ مِنْ دُخَانِ الشَّهَوَاتِ وَغَيْمِ النُّفُوسِ لَاسْتُطِيرَتْ فَرَحًا وَسُرُورًا بِقَوْلِ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَمَعْبُودِهَا حَمْدِي عَبْدِي وَأَثْنِي عَلَيَّ عَبْدِي وَمَجْدَنِي عَبْدِي ثُمَّ يَكُونُ لِقَلْبِهِ مَجَالٌ مِنْ شُهُودِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ أَصُولُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَهِيَ اللَّهُ وَالرَّبُّ وَالرَّحْمَنُ فَشَاهَدَ قَلْبُهُ مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهَا مَعْبُودًا مَوْجُودًا مَخُوفًا لَا يَسْتَجِزُ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ وَلَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ قَدْ عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الْمَوْجُودَاتُ وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَأَنْ مَنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ .

وكذلك خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَخَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وكذلك أرسلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ وَالزَّمَ الْعِبَادَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ .

• وَشَاهَدَ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قِيَوْمًا قَامَ بِنَفْسِهِ وَقَامَ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِخَيْرِهَا وَشَرِّهَا قَدْ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَتَفَرَّدَ بِتَدْبِيرِ مُلْكِهِ فَالتَّدْبِيرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ مَصِيرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ فَمَرَا سِيمُ التَّدْبِيرَاتِ نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ وَالخَفْضِ وَالرَّفْعِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَانَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْعَزْلِ وَالقُبْضِ وَالْبَسْطِ وَكَشْفِ الْكُرُوبِ وَإِغَاثَةِ

المُلْهُوفِ واجابة الْمُضْطَرِّينَ ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ لا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ ولا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ولا رَادًّا لِأَمْرِهِ ولا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ وَتُعْرَضُ الْأَعْمَالُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ عَلَيْهِ فَيَقْدَرُ الْمَقَادِيرَ وَيُوقِتُ الْمَوَاقِيتَ ثُمَّ يَسُوقُ الْمَقَادِيرَ إِلَى مَوَاقِيتِهَا قَائِماً بِتَدْبِيرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَحِفْظِهِ وَمَصَالِحِهِ .

ثم يَشْهَدُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ رَبًّا مُحْسِناً إِلَى خَلْقِهِ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ مُتَحَيِّباً إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ النِّعَمِ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً وَأَوْسَعَ كُلَّ مَخْلُوقٍ نِعْمَةً وَفَضْلاً فَوَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَوَسَّعَتْ نِعْمَتُهُ كُلَّ حَيٍّ فَبَلَغَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ فَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِرَحْمَتِهِ وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَالنَّارَ أَيْضاً بِرَحْمَتِهِ فَإِنَّهَا سَوَطُهُ الَّذِي يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جَنَّتِهِ وَيُطَهِّرُ بِهَا أَذْرَانَ الْمُؤَجِّدِينَ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَسِجْنَهُ الَّذِي يَسْجَنُ فِيهِ أَعْدَاءَهُ مِنْ خَلِيقَتِهِ .

فَتَأْمَلُ مَا فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَصَايَاهُ وَمَوَاعِظِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالنِّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَمَا فِي حَشْوِهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ فَالرَّحْمَةُ هِيَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ مِنْهُ بِعِبَادِهِ كَمَا أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ هِيَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ مِنْهُمْ بِهِ فَمِنْهُمْ إِلَيْهِ الْعُبُودِيَّةُ وَمِنْهُ إِلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ .

وَمِنْ أَحْصَرَ مَشَاهِدِ الْأَسْمِ شُهُودُ الْمُصَلِّي نَصِيئِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَقَامَهُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ وَأَهْلَهُ لِعُبُودِيَّتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ وَأَعْطَاهُ وَمَنَعَ غَيْرَهُ وَذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِ .

فَإِذَا قَالَ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فَهَذَا شَهِدَ الْمَجْدَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِسِوَى الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ فَشَهِدَ مَلِكاً قَاهِراً قَدْ دَانَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ وَعَنْتَ لَهُ

الْوُجُوهُ وَذَلَّتْ لِعَظَمَتِهِ الْجَبَابِرَةُ وَخَضَعَ لِعِزَّتِهِ كُلُّ عَزِيزٍ فَيَشْهَدُ بِقَلْبِهِ مَلِكًا عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمًا لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُ وَإِذَا لَمْ تُعْطَلْ صِفَةٌ حَقِيقَةٌ صِفَةُ الْمَلِكِ أَطْلَعَتْهُ عَلَى شُهُودِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي تَعْطِيلُهَا تَعْطِيلٌ لِمُلْكِهِ وَجَحْدٌ لَهُ فَإِنَّ الْمَلِكَ الْحَقَّ التَّامَّ الْحَقُّ لَا يَكُونُ إِلَّا حَيًّا قَيُّومًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُدَبِّرًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا أَمِيرًا نَاهِيًا مُسْتَوِيًّا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ يُرْسِلُ إِلَى أَقَاصِي مَمْلَكَتِهِ بِأَمْرِهِ فَيَرْضَى عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الرِّضَا وَيُثَبِّتُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُذَيِّبُهُ وَيَغْضَبُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَضَبَ وَيُعَاقِبُهُ وَيُهَيِّئُهُ وَيُقْصِيهِ وَيَقْصِي مَنْ يَشَاءُ ، لَهُ دَارُ عَذَابٍ وَهِيَ النَّارُ وَلَهُ دَارُ سَعَادَةٍ وَهِيَ الْجَنَّةُ . فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَقْرِبُ مَنْ يَشَاءُ .

فَمَنْ أَبْطَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ جَحَدَهُ وَأَنْكَرَ حَقِيقَتَهُ فَقَدْ قَدَحَ فِي مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفَى عَنْهُ كَمَا لَهُ وَتَمَامُهُ .

وكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ عُمُومَ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ عُمُومَ مُلْكِهِ وَكَمَالِهِ فَيَشْهَدُ الْمُصَلِّيُّ مَجْدَ الرَّبِّ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فَفِيهَا سِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِأَجْلِ الْغَايَاتِ وَأَفْضَلِ الْوَسَائِلِ .

فَأَجَلُ الْغَايَاتِ عُبُودِيَّتُهُ وَأَفْضَلُ الْوَسَائِلِ إِعَانَتُهُ فَلَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَلَا مُعَيَّنَ عَلَى عِبَادَتِهِ غَيْرُهُ فِعْبَادَتُهُ أَعْلَى الْغَايَاتِ وَإِعَانَتُهُ أَجَلُ الْوَسَائِلِ وَقَدْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي أَرْبَعَةٍ وَهِيَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ وَالزَّبُورُ وَجَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي الْقُرْآنِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهُ فِي الْمَفْصَلِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهُ فِي الْفَاتِحَةِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .

وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يعبد بالألوهية ويستعان برُبوبيته ويهدي إلى صراطٍ مُستقيمٍ بِرَحْمَتِهِ فَكَانَ أَوَّلُ السُّورَةِ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ وَالرَّبِّ وَالرَّحْمَنِ تَطَابُقًا لِأَجْلِ الْمَطَالِبِ مِنْ عِبَادَتِهِ وَعَائِنِهِ وَهِدَايَتِهِ وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِاعْطَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يُعِينُ عَلَى عِبَادَتِهِ سِوَاهُ وَلَا يَهْدِي سِوَاهُ ثُمَّ يَشْهَدُ الدَّاعِي بِقَوْلِهِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ شِدَّةَ فَاقَتِهِ وَضُرُورَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي لَيْسَ هُوَ إِلَى شَيْءٍ أَشَدَّ فَاقَةً وَحَاجَةً مِنْ إِلَيْهَا الْبَتَّةُ فَانَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ وَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَهَذَا الْمَطْلُوبُ مِنَ الدَّعَاءِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَالْهِدَايَةِ فِيهِ أَيْ هِدَايَةِ التَّفْصِيلِ وَخَلَقَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ وَارَادَتِهِ وَتَكْوِينِهِ وَتَوْفِيقِهِ لِإِقْبَاعِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِي الْمَحْبُوبِ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحِفْظِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَفْسِدَاتِهِ حَالَ فِعْلِهِ وَبَعْدَ فِعْلِهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْعَبْدُ مُفْتَقِرًا فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى هَذِهِ الْهِدَايَةِ فِي جَمِيعِ مَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ مِنْ أُمُورٍ قَدْ أَتَاهَا عَلَى غَيْرِ الْهِدَايَةِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْهَا . وَأُمُورٍ هُدَى إِلَى أَصْلِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا أَوْ هُدَى إِلَيْهَا مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامِ الْهِدَايَةِ فِيهَا لِيَزْدَادَ هُدَى .

وَأُمُورٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مِنَ الْهِدَايَةِ فِيهَا بِالْمُسْتَقْبَلِ مِثْلَ مَا حَصَلَ لَهُ فِي الْمَاضِي .

وَأُمُورٍ هُوَ خَالَ عَنِ اعْتِقَادٍ فِيهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الْهِدَايَةِ فِيهَا .

وَأُمُورٍ لَمْ يَفْعَلْهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى فِعْلِهَا عَلَى وَجْهِ الْهِدَايَةِ .

وأُمُورٍ قَدْ هُدِيَ إِلَى الإِغْتِقَادِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ وَالصَّوَابِ فِيهَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ .

فَرَضَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ هَذِهِ الْهِدَايَةَ فِي أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْهِدَايَةِ هُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِبِنْعَمَتِهِ دُونَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ وَدُونَ الظَّالِمِينَ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَالطَّائِفَتَانِ اشْتَرَكَا فِي الْقَوْلِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَيَلُّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ مُغَايِرَةً لِسَيَلِّ أَهْلِ الْبَاطِلِ كُلِّهَا عِلْمًا وَعَمَلًا فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ هَذَا الثَّنَاءِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْحِيدِ شُرِعَ لَهُ أَنْ يَطْبَعَ عَلَى ذَلِكَ بِطَابَعٍ مِنَ التَّائِمِينَ يَكُونُ كَالخَاتِمِ لَهُ وَافَقَ فِيهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَهَذَا التَّائِمِينَ مِنْ زِينَةِ الصَّلَاةِ كَرَفَعِ الْيَدَيْنِ الَّذِي هُوَ زِينَةُ الصَّلَاةِ وَاتِّبَاعاً لِلْسَّنَةِ وَتَعْظِيمَ أَمْرِ اللَّهِ وَعُبُودِيَّةَ الْيَدَيْنِ وَشِعَارُ الْإِنْتِقَالِ مِنْ رُكْنٍ إِلَى رُكْنٍ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ بِكَلَامِهِ وَاسْتِمَاعِهِ مِنَ الْإِمَامِ بِالْإِنْصَاتِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ وَشُهُودِهِ .

وقال رحمه الله والقول الجامع في تفسير الصراط المستقيم أنه الطريق الذي نصبه الله لعباده على السنة رسله ، وجعله موصلاً لعباده إليه ، ولا طريق لهم سواه ، وهو أفراد بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة ، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك ، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ، ولا تكون إرادة إلا متعلقة بمرضاته ، وهذا هو الهدى وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها .

وقال : والطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلاً لمن سلكه إلى الله فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه إلى ربه طريق العلم والتعليم قد وفر عليه زماناً مبتغياً به وجه الله

فلا يزال عاكفاً على طريق العلم حتى يصل من تلك الطريق إلى الله ويفتح له الفتح الخاص ، أو يموت في طريق طلبه فيرجى له الوصول إلى مطلبه ، ومنهم من يكون سيد عمله الذكر ، ومنهم من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى ، ومنهم من يكون طريقه الصوم ، ومنهم من يكون كثرة تلاوة القرآن ، ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنهم من يكون طريقه الحج والاعتبار ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق وتجريد الهمة ودوام المراقبة وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة ، ومنهم الجامع الفذ السالك إلى الله في كل واد الواصل إليه من كل طريق ، فهو جعل وظائف عبودية قبله قلبه ونصب عينيه وقد شارك أهل كل عمل وذلك فضل الله .

وقال رَحِمَهُ اللهُ ولما كان طالبُ الصراطِ المستقيمِ طَالِبَ أَمْرٍ أَكْثَرَ النَّاسِ نَاكِبُونَ عنه ، مُرِيدًا لِسُلُوكِ طَرِيقٍ مُرَافِقُهُ فِيهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَالْعِزَّةِ ، وَالنُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى وَحْشَةِ التَّفَرُّدِ ، وَعَلَى الْأَنْسِ بِالرَّفِيقِ .

نَبَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الرَّفِيقِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَأَنْهَمُ هُمُ الَّذِينَ « أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » .

فَأَضَافَ الصِّرَاطَ إِلَى الرَّفِيقِ السَّالِكِينَ لَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، لِيَزُولَ عَنِ الطَّالِبِ لِلْهَدَايَةِ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ وَحْشَةُ تَفَرُّدِهِ عَنِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جَنَسِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ رَفِيقَهُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ .

فَلَا يَكْتَرِبُ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَقْلُونَ قَدْرًا وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ وَلَا تَغْتَرِّبْ كَثْرَةَ الْهَالِكِينَ .

وَكُلَّمَا اسْتَوْحَشْتَنِي فِي تَفَرُّدِكَ فَانظُرْ إِلَى الرَّفِيقِ السَّابِقِ ، وَاحْرَصْ عَلَى
اللِّحَاقِ بِهِمْ ، وَغُضُّ الطَّرْفِ عَنِ مَنْ سِوَاهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا ، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ .

قَالَ وَلَمَّا كَانَ سُؤَالَ اللَّهِ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَجَلَ
الْمَطَالِبِ ، وَنَبِيْلُهُ أَشْرَفَ الْمَوَاهِبِ عَلَّمَ اللَّهُ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ
يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَمْدَهُ وَالشَّنَاءَ عَلَيْهِ وَتَمَجِيدَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ عُبُودِيَّتَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ فَهَاتَانِ وَسَيَلَّتَانِ إِلَى مَطْلُوبِهِمْ تَوَسَّلُ
إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِعُبُودِيَّتِهِ وَهَاتَانِ الْوَسِيَلَتَانِ لَا يَكَادُ يُرَدُّ
مَعَهُمَا الدُّعَاءُ .

وَيُؤَيِّدُهُمَا الْوَسِيَلَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ فِي حَدِيثِي الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ اللَّذَيْنِ
رَوَاهُمَا ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

أَحَدُهُمَا حَدِيثُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو ،
وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ
بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

فَهَذَا تَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِتَوْحِيدِهِ ، وَشَهَادَةِ الدَّاعِي لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَثَبُوتِ
صِفَاتِهِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا بِاسْمِ الصَّمَدِ .

وَهُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَالِمُ الَّذِي كَمَلَ عِلْمُهُ الْقَادِرُ الَّذِي كَمَلَتْ
قُدْرَتُهُ وَفِي رَوَايَةٍ « هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِيهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ السُّوَدَّةِ » .
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هُوَ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ .

والثاني حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو .
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات
والأرض ؛ ذا الجلال والأكرام ، يا حيُّ يا قيُّوم .
فقال لقد سألت الله باسمه الأعظم فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته .
وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين وهما التوسل بالحمد والثناء عليه
وتمجيده والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده .
ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد
الوسيلتين فالداعي به حقيقٌ بالاجابة .
ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعوه إذا قام يصلي من الليل
رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس .
« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك
الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن » .
ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار
حق ، والنبون حق والساعة حق ومحمد حق .
اللهم لك أسلمتُ ، وبك آمنتُ ، و عليك توكلتُ ، وإليك
أنبتُ ، وبك خاصمتُ ، وإليك حاكمتُ .
فاغفر لي ما قدّمتُ وما أخّرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، أنتَ إلهي
لا إله إلا أنتَ ، فذكر التوسلَ إليه بحمده والثناء عليه ، وبعبوديته ثم
سأله المغفرة .
اللَّهُم يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَيَقْدِرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا
شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ
الْمُسْتَقِيمِ ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفَرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (فصل)

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ
الشَّهَادَتَيْنِ مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا فَهُوَ السَّعِيدُ وَمَنْ أَضَاعَهَا وَأَهْمَلَهَا فَهُوَ الشَّقِيُّ
الْعَيْنِيُّ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا وَأَمَرَ بِاقَامَتِهَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ قَالَ
تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ
هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أقمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ
الشَّمْسِ ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَأقمِ الصَّلَاةَ
طَرْفِي النَّهَارِ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ قَالَ : ابْنُ عَبَّاسٍ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
بِفُرُوضِهَا وَقَالَ : الضُّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ اِقَامَةُ الصَّلَاةِ اِتِّمَامُ الرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ وَالتَّلَاوَةِ وَالخُشُوعِ وَالاِقْبَالِ عَلَيْهِ فِيهَا وَقَالَ قَتَادَةُ : اِقَامَةُ الصَّلَاةِ
المَحَافِظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَوُضُوءِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا .

وَقَالَ مُقَاتِلٌ : اِقَامَتُهَا المَحَافِظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَاسْبَاطُ الطُّهُورِ فِيهَا
وَإِتِّمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا وَالتَّشَهُدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَثُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المَحَافِظَةِ عَلَيْهَا
فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ
الْجَنَّةَ مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وَضُوءِهَا وَرُكُوعِهَا
وَمَوَاقِيتِهَا وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَآتَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً
بِهَا نَفْسُهُ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ قَالَ الْغُسْلُ مِنْ

الْجَنَابَةِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا» رواه الطبراني .

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ثَلَاثٌ أُحْلِفُ عَلَيْهِنَّ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ وَأَسْهُمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ الصَّلَاةُ وَالصُّومُ وَالزَّكَاةُ وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُؤَلِّهِ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جُعِلَ مَعَهُمْ ، الْحَدِيثَ رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ .

وعن عمر بن مرة الجهني قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَلَيْتَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ وَأَدَيْتَ الزَّكَاةَ وَصُمْتَ رَمَضَانَ وَقُمْتَهُ فَمِنْ مَنْ أَنَا ؟ قَالَ : مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَابْنُ خَزِيمَةَ وَابْنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَاللَّفْظُ لِابْنِ جِبَّانَ وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُوبِهَا مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتَ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى وَجُوبِ خَمْسِ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَفُرِضَتِ الصَّلَاةُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ قَبْلَ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ خَمْسِ سِنِينَ وَقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ ، وَاهْدِنَا إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : وَمَحْرَمُ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا عَلَى الْقَادِرِ عَلَى فِعْلِهَا
الذَّاكِرِ لَهَا إِلَّا لِنَاوِي الْجَمْعِ لِنَحْوِ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ لِأَنَّهُ يَجِبُ ائْتِاقُهَا فِي
الْوَقْتِ فَإِذَا خَرَجَ وَقْتُهَا وَلَمْ يَأْتِ بِهَا كَانَ تَارِكًا لِلْوَاجِبِ مُخَالِفًا لِلْأَمْرِ وَلَثَلَا
تَفُوتَ فَائِدَةُ التَّأْقِيتِ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهِ لِلْعُذْرِ وَتَحْرِيمِهِ لغيرِ العُذْرِ فَحَدِيثُ أَبِي
قَتَادَةَ مَرْفُوعًا لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ أَنْ تُؤَخَّرَ
الصَّلَاةُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ وَقْتُ أُخْرَى وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ
أَنَّهُ تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا وَسَمَاهُمْ مُصَلِّينَ لِكُنْهِمْ لِمَا تَهَاوَنُوا بِهَا وَأَخْرَوْهَا عَنْ
وَقْتِهَا وَعَدَّهُمْ بَوِيلَ وَهُوَ شِدَّةُ الْعَذَابِ وَقِيلَ هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ سِيرَتْ فِيهِ
جِبَالُ الدُّنْيَا لَذَابَتْ مِنْ حَرِّهِ وَهُوَ مَسْكَنٌ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلَاةِ وَيُؤَخِّرُهَا عَنْ
وَقْتِهَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَنْدَمَ وَيَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ الْمُرَادُ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فَمَنْ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَمَعِيشَتِهِ
وَضَيْعَتِهِ وَأَوْلَادِهِ عَنْ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . وَفِي حَدِيثِ
أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
كَانَتْ عَلَيْكَ أُمْرَاءٌ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ أَوْ قَالَ : يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا » .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ قَالَ ابْنُ

مَسْعُودٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَخْرُومًا عَنْ وَقْتِهَا وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ : هُوَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ العَصْرُ وَلَا العَصْرَ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَجَاحِدُ الصَّلَاةِ مَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا يَجْهَلُ وَجُوبَهَا كَمَنْ نَشَأُ بِدَارِ الإِسْلَامِ فَهَذَا يَكْفُرُ بِجَحْدِهِ لِأَنَّهُ مَكْذِبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَاجْمَاعِ الأُمَّةِ وَيَصِيرُ مُرْتَدًّا وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَجْهَلُ وَجُوبَهَا كَمَنْ نَشَأُ بِبَادِيَةِ وَكَحَدِيثِ عَهْدِ بِاسْلَامٍ فَهَذَا يُعْرَفُ وَجُوبَهَا فَإِنْ أَصَرَ عَلَى الجَحْدِ كَفَرَ .

فَإِنْ تَرَكَهَا تَهَاوُنًا وَكَسَلًا دَعَاهُ إِمَامٌ أَوْ نَائِبُهُ إِلَى فِعْلِهَا فَإِنْ أَبَى حَتَّى تَضَاقَ وَقْتُ التِّي بَعْدَهَا وَجَبَ قَتْلُهُ وَمُدَّةُ اسْتِتَابَةِ الجَاحِدِ لَوْجُوبِهَا وَتَارِكِهَا تَهَاوُنًا وَكَسَلًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا كَسَائِرِ المُرْتَدِّينَ ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِمَا وَيُدْعِيَانِ كُلُّ وَقْتِ صَلَاةٍ إِلَيْهَا فَإِنْ تَابَا بِفِعْلِهَا مَعَ إِقْرَارِ الجَاحِدِ لَوْجُوبِهَا خُلِيَ سَبِيلُهُمَا وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُمَا .

وحيثُ كَفَرَ فَانَّهُ يُقْتَلُ بَعْدَ الاسْتِتَابَةِ وَلَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ وَلَا يُرْقَى وَلَا يُسَبَّى لَهُ وَلَدٌ وَلَا أَهْلٌ كَسَائِرِ المُرْتَدِّينَ .

اللَّهُمَّ اغْصِنَا عَنِ المَعَاصِي وَالزَّلَاتِ وَوَقِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَل)

فِي الأَدِلَّةِ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ

وَالدَّلِيلُ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فإخوانكم في الدين ﴿ وَقَالَ : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ، وقال تعالى مُخْبِرًا عَنْ أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ . .
الآية .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » . رواه الجماعة الا
البخاري والنسائي .

وعن بُرَيْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
(الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ﴾ . رواه الخمسة
وفي الحديث الآخر « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئْتُ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » رواه أحمدُ باسنادٍ عَنْ مَكْحُولٍ وَهُوَ مَرْسَلٌ جَيِّدٌ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ رَوَاهُ
الترمذي .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ
حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي
بَنِي خَلْفٍ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَقَالَ عُمَرُ لَأَحْظُ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ
وَقَالَ عَلِيٌّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ .

وقال ابن حزم وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن

جَبَلٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنْ مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ فَرُصٍ وَاحِدَةٍ
مُتَعَمِّدًا حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ .

وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْبِيلِيُّ فِي كِتَابِهِ ذَهَبَ جُمْلَةٌ مِنَ
الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ مُتَعَمِّدًا لِتَرْكِهَا حَتَّى يَخْرُجَ
وَقْتُهَا مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ
عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَحْمَدُ
بْنُ حَنْبَلٍ وَاسْحَاقُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَابْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَالْحَكَمُ بْنُ
عَيْنَةَ وَأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ ، كُلُّ هَؤُلَاءِ ذَهَبُوا إِلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ حَتَّى
يَخْرُجَ وَقْتُهَا .

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ حَتَّى أَدْخَلَ
وَقْتًا فِي وَقْتٍ فَهُوَ كَافِرٌ .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمُقَرَّبِينَ
وَالْأَبْرَارِ وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ سُبُلَ الْعَافِيَةِ مُنْدَرِسَةٌ لِقَلَّةِ سُلَاكِهَا وَإِنَّ عِلَلَ الْقُلُوبِ
الْقَاسِيَةِ مُؤَذَّنَةٌ بِهَلَاكِهَا وَإِنَّ رُسُلَ الْمُنُونِ قَانِصَةٌ لَا تُفْلِتُ أَحَدًا مِنْ شِبَاكِهَا
فَمَا لِلْعَيُونِ نَازِرَةٌ وَلَا تُبْصِرُ وَمَا لِلْقُلُوبِ قَاسِيَةٌ وَلَا تُفَكِّرُ وَمَا لِلْعُقُولِ طَائِشَةٌ
لَا هِيَّةَ بِجَمْعِ الدُّنْيَا وَلَا تَشْعُرُ ، وَمَا لِلنُّفُوسِ قَاسِيَةٌ وَلَا تَذَكُرُ أَغْرَاهَا إِنْظَارُهَا
وَأَمْهَالُهَا أَمْ بَشِّرْ بِالنَّجَاةِ صَالِحُ أَعْمَالِهَا أَمْ لَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَهَا مِنَ الدُّنْيَا
زَوَالُهَا .

شعراً :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ
وَأِنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ مَغْرُورٌ
وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدُّهْرِ صُورَتَهُ
لَمْ يُمَسِّرِ مِنْهُمْ لَبِيبٌ وَهُوَ مَسْرُورٌ

تَاللهِ لَقَدْ شَمِلَتْ الْقُلُوبُ الْغَفْلَةَ فَاسْتَحْكَمَ عَلَى الْقُلُوبِ أَقْفَالُهَا ،
فَكَانَ قَدْ كَشَفَ الْمَوْتَ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ قِنَاعَهُ وَأَطْلَقَ عَلَى صِحَاحِ الْأَجْسَامِ
أَوْجَاعَهُ وَحَقَّقَ بِكُلِّ الْأَنْامِ إِيقَاعَهُ وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ دِفَاعَهُ فَخَفِقَ
مِنَ الْمَنْزُولِ بِهِ فُؤَادُهُ وَرَجِمَهُ أَعْدَاؤُهُ وَحَسَّادُهُ وَقَرَّبَ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ بِعَادُهُ
وَالْتَحَقَ بِذُلِّ الْيَتِيمِ أَوْلَادُهُ فَيَالَهُ مِنْ وَاقِعٍ فِي كُرْبِ الْحَشَارِجِ إِلَى أَنْ أُدْرَجَ
فِي تِلْكَ الْمَدَارِجِ وَقَدِمَ عَلَى اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ فِي مَنْزِلٍ لَا يَبْرُحُ مِنْهُ مَنْ
نَزَلَهُ حَتَّى يَلْحَقَ آخِرُ الْخَلْقِ أَوْلَهُ فَانْتَبَهُوا رَحِمَكُمُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يَصْلُكَكُمْ
الدُّورُ وَاسْتَدْرَكُوا مَا فَاتَكُمْ وَمَا قَصُرْتُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى
الْفُورِ . أَفِيظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيُهْمَلَهُ .

كَلَّا وَاللَّهِ لَيُبَعَثَنَّ الْخَلْقَ بَعْدَ مَا أَمَاتَهُ وَلَيَسْأَلَنَّ عَنِ الرَّسُولِ وَمَنْ
أَرْسَلَهُ وَلَيُؤْفِقِينَ كُلَّ عَامِلٍ مَا عَمِلَهُ .

شعراً :

تَبَيَّنَ ثَغْرُ الْفَجْرِ لِمَا تَبَسَّمَا
فَسُبْحَانَ مَنْ فِي الذِّكْرِ بِالْفَجْرِ أَقْسَمَا

فَصَلِّ عَلَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
عَسَى شَمَلْنَا أَوْ لَعَلَّ وَرُبَّمَا
كَمَا شَمَلْتَ آلَ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
فَأَكْرَمَ بِهِمُ الْآلَا وَصَحْبًا وَأَعْظَمًا
أَتَى بِالهُدَى نَوْرًا إِلَيْنَا وَنِعْمَةً
وَقَدْ كَانَ وَجْهَ الْكَوْنِ بِالشِّرْكِ مُظْلِمًا
فَجَلَّى بِأَنْوَارِ الْهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ
وَأَطْلَعَ فِي الْأَفَاقِ لِلدِّينِ أَنْجُمًا
أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الْخَلْقَ لَفْظُهُ
فَكُلُّ بَلِيغٍ عُذْرُهُ صَارَ أَبْكَمًا
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ كُلَّهُمْ
فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيمَا يُعَارِضُهُ فَمَا
حَوَى كُلُّ بُرْهَانٍ عَلَى كُلِّ مَطْلَبٍ
وَيَعْرِفُ هَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ أَفْهَمًا
وَأَخْبَرَ فِيهِ عَنِ عَوَاقِبِ مَنْ عَصَى
بِأَنَّ لَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ جَهَنَّمَ
وَعَمَّنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَنَّ لَهُ عَدَا
نَعِيمًا بِهِ مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ كُلَّمَا
مُحَمَّدُ الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
فَصَلِّ عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتَ مُسَلِّمًا
وَأَسْرَى بِهِ نَحْوَ السَّمَوَاتِ رَبُّهُ
وَأَرْكَبَهُ ظَهَرَ الْبُرَاقِ وَأَكْرَمًا

وَقَدْ فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا لِصُعودِهِ
 فَمَا زَالَ يَرْقَى مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ
 وَلَا قَى بِهَا قَوْمًا مِنَ الرُّسُلِ كَلِّهِمْ
 يَقُولُ لَهُ يَا مَرْحَبًا جِئِنِ سَلَمًا
 وَكَانَ بِهِ فَرَضُ الصَّلَاةِ وَحَبَّذَا
 تَرَدُّدُهُ بَيْنَ الْكَلِيمِ مُكَلِّمًا
 وَصَيَّرَهَا مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ خَمْسَةً
 فُرُوضًا وَأَمْرُ اللَّهِ قَدْ كَانَ مُبْرَمًا
 وَعَادَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ هَانِيءٍ مُخْبِرًا
 لَهَا بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنْهُ وَمُعَلِّمًا
 فَخَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُكْذِبَهُ الْمَلَأَ
 وَيَزْدَادُ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ عَمَى
 فَجَاءَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأَخْبَرَ أَلْ
 عِبَادَ فَمِنْهُمْ مَنْ بَسْتَكْذِيبِهِ رَمَى
 وَكَانَ بِهِ الصَّادِقُ خَيْرَ مُصَدِّقٍ
 فَصَدَّقَ خَيْرَ الرُّسُلِ فِي خَيْرِ السَّمَا
 مُحَمَّدًا الْمَبْعُوثَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 فَصَلَّ عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتَ مُسَلِّمًا
 وَقُمْ حَامِدًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 تَجِدُ حَمْدَهُ فِي يَوْمِ حَشْرِكَ مَغْنَمًا
 وَصَلَّ عَلَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ وَالْأَلِ كَلَّمَا

سَرَى الْبَرْقُ مِنْ أَرْجَاءِ مَكَّةَ أَوْ سَرَى
نَسِيْمٌ عَلَى زَهْرِ الرَّبِيِّ مُتَبَسِّمًا
وَرَضِي عَلَى الْأَصْحَابِ أَصْحَابِ أَحْمَدٍ
وَكُنْ لَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ مُعْظَمًا

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمَخْلِصِينَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ
دِينِكَ الْقَوِيمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفَحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَحَاسِنِ الصَّلَاةِ وَحِكْمِهَا وَحُكْمُ تَأْخِيرِهَا
وَتَرْكِهَا فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَرَاتِبَ خَمْسٍ ذَكَرَهَا الْإِمَامُ
الْمُحَقِّقُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ :

أَحَدُهَا مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمَقْرِطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا
وَمَوَاقِفِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا .

الثَّانِي : مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِفِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةَ
وَوُضُوئِهَا لَكِنْ قَدْ ضَيَّعَ مُجَاهِدَةً نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَاسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوَسْوَاسِ
وَالْأَفْكَارِ .

الثَّلَاثُ : مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ
الْوَسْوَاسِ وَالْأَفْكَارِ فَهُوَ مُشْغُولٌ بِمُجَاهِدَةِ عَدُوِّهِ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلَاتَهُ فَهُوَ فِي

صَلَاةٍ وَجَهَادٍ .

والرابع : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا
وَاسْتَغْرَقَ قَلْبَهُ مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقُوقَهَا لِئَلَّا يَضِيعَ شَيْءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ
مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا قَدْ اسْتَغْرَقَ قَلْبَهُ شَأْنَ
الصَّلَاةِ عُبودِيَّةً رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا .

الخامس : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ
أَخَذَ قَلْبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاطِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِئًا
مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ ، وَقَدْ اَضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ
وَالْخَطَرَاتُ وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ
أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ
وَجَلَّ قَرِيرٌ الْعَيْنِ .

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مُعَاقِبُ وَالثَّانِي مُحَاسِبُ وَالثَّلَاثُ مُكَفِّرٌ عَنْهُ وَالرَّابِعُ
مُنَابٌ وَالخَامِسُ مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي
الصَّلَاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فِي الْآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِكُلِّ عَيْنٍ
وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « ازْفَعُوا
الْحُجُبَ فَإِذَا التَّتَمَتْ قَالَ أَرْحُوهَا وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الْإِلْفَاتُ بِالْإِنْفَاتِ الْقَلْبِ عَنْ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِهِ فَإِذَا التَّتَمَتْ إِلَى غَيْرِهِ أَرْحِي الْحُجُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْعَبْدِ فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أُمُورَ الدُّنْيَا وَأَرَاهُ إِيَّاهَا فِي صُورَةِ الْمَرَاةِ

وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ لَمْ يَقْدِرِ الشَّيْطَانُ عَلَى أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَ اللَّهِ
تَعَالَى وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقَلْبِ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ إِذَا وَقَعَ الْحِجَابُ فَإِنْ فَرَّ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ فَرَّ الشَّيْطَانُ فَإِنَّ التَّفَتَ حَضَرَ الشَّيْطَانُ فَهُوَ هَكَذَا
شَأْنُهُ وَشَأْنُ عَدُوِّهِ فِي الصَّلَاةِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ
حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَأَذْ بِعَزِّكَ
وَالسَّعِيدُ مَنْ التَّجَأَ إِلَى جِمَاكَ وَجُودِكَ وَالدَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ
وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزَّ قُلُوبَنَا عَنْ التَّعَلُّقِ
بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْحَدِيثِ وَأَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي
صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ .

الْإِلْتِفَاتُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ قِسْمَانِ :

أَحَدُهُمَا الْإِلْتِفَاتُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .
وَالثَّانِي : التَّفَاتُ الْبَصَرِ وَكِلَاهُمَا مَنْهِيُّ عَنْهُ وَلَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى
عَبْدِهِ مَا دَامَ الْعَبْدُ مُقْبِلًا عَلَى صَلَاتِهِ فَإِذَا التَّفَتَ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَعْرَضَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ الرَّجُلِ

في صَلَاتِهِ فَقَالَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ .

وفي أَثَرِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خَيْرِ مِنِّي وَمِثَالُ مَنْ يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ بِبَصَرِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مِثْلُ رَجُلٍ قَدْ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْبَلَ يُنَادِيهِ وَيُخَاطِبُهُ وَهُوَ فِي خِلَالَ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ عَنِ السُّلْطَانِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَقَدْ انصَرَفَ قَلْبُهُ عَنِ السُّلْطَانِ فَلَا يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ لِأَنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِرًا مَعَهُ فَمَا ظَنُّ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ السُّلْطَانُ أَفَلَيْسَ أَقْلُ الْمَرَاتِبِ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَمْقُوتًا مُبْعَدًا قَدْ سَقَطَ مِنْ عَيْنَيْهِ .

فَهَذَا الْمُصَلِّي لَا يَسْتَوِي وَالْحَاضِرُ الْقَلْبِ الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَاتِهِ الَّذِي قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاثْتَلَا قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَذَلَّتْ عُنُقُهُ لَهُ وَاسْتَحَى مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَنْ يُقْبَلَ عَلَى غَيْرِهِ أَوْ يَلْتَفِتَ عَنْهُ .

وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ : إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ وَإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ فَإِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ إِقْبَالًا وَلَا تَقْرِيْبًا فَمَا الظَّنُّ بِالْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ الشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ ، وَالنَّفْسُ مَشْغُوفَةٌ بِهَا مَلَأَى مِنْهَا فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِقْبَالًا ، وَقَدْ أَلْهَتُهُ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ وَذَهَبَتْ بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ بِهَا .

اللَّهُمَّ اغْمُرْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ . وَوَقِّنَا لِامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَأَمِنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَايَاكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى

محمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْعَبْدُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ فَانهُ
قَدْ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ وَأَقْرَبِهِ وَأَغْيِظِهِ لِلشَّيْطَانِ وَأَشَدَّهُ عَلَيْهِ . فَهُوَ
يَحْرَصُ وَيَجْتَهِدُ كُلَّ الاجْتِهَادَاتِ أَنْ لَا يُقِيمَهُ فِيهِ ، بَلْ لَا يَزَالُ بِهِ يَعِدُهُ
وَيُمْنِيهِ وَيُنْسِيهِ وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ حَتَّى يَهْوَنَ عَلَيْهِ شَأْنُ الصَّلَاةِ
فَيَتَهَاوَنُ بِهَا فَيَتْرُكُهَا . فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ مِنْهُ وَعَصَاهُ الْعَبْدُ وَقَامَ فِي ذَلِكَ
الْمَقَامِ أَقْبَلَ عَدُوُّ اللَّهِ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ
فَيَذْكُرُهُ فِي الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَذْكُرْ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهَا حَتَّى رُبَّمَا كَانَ قَدْ نَسِيَ
الشَّيْءَ وَالْحَاجَةَ وَأَيْسَ مِنْهَا ، فَيَذْكُرُهُ إِيَّاهَا فِي الصَّلَاةِ لِيَشْغَلَ قَلْبَهُ بِهَا ،
وَيَأْخُذَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقُومُ فِيهَا بِمَا لَا يَنْبَغُ مِنْ إِقْبَالِ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْهِ وَكَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ مَا يَنْبَغُ الْمَقْبُولِ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْحَاضِرِ الْقَلْبَ
فِي صَلَاتِهِ فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَ فِيهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وَأَثْقَالِهِ لَمْ
تُخَفَّ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ .

فَالصَّلَاةُ أَنْمَا تُكْفِرُ سَيِّئَاتِ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا ، وَوَقَفَ
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ ، فَهَذَا إِذَا انْصَرَفَ مِنْهَا وَجَدَ خِفَّةً فِي
نَفْسِهِ ، وَأَحْسَنَ بِأَثْقَالِ وَضِعَتْ عَنْهُ ، فَوَجَدَ نَشَاطًا وَرَاحَةً وَرُوحًا حَتَّى أَنَّهُ
يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا لِأَنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِهِ وَنَعِيمُ رُوحِهِ وَجَنَّةُ قَلْبِهِ وَمُسْتَرَاخُ
فِي الدُّنْيَا فَلَا يَزَالُ كَانَهُ فِي سِجْنٍ وَضَيْقٍ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ بِهَا لَا
مِنْهَا .

الْمُحِبُّونَ يَقُولُونَ : نُصَلِّي فَنَسْتَرِيحُ بِصَلَاتِنَا كَمَا قَالَ إِمَامُهُمْ

وَقَدَوْتُهُمْ وَنَبِيَّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ وَلَمْ يَقُلْ
أَرِحْنَا مِنْهَا .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ
جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ كَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُهُ بِدُونِهَا وَكَيْفَ يُطِيقُ الصَّبْرَ عَنْهَا
فَصَلَاةُ هَذَا الْحَاضِرِ بِقَلْبِهِ الَّذِي قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ هِيَ الَّتِي تَصْعَدُ وَهِيَ
نُورٌ وَبُرْهَانٌ حَتَّى يُسْتَقْبَلَ بِهَا الرَّحْمَنُ فَتَقُولُ حَفِظَكَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا
حَفِظْتَنِي وَأَمَّا صَلَاةُ الْمُفْرَطِ الْمُضَيِّعِ لِحُقُوقِهَا وَحُدُودِهَا وَخُشُوعِهَا فَإِنَّهَا
تُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْخَلِيقُ وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا وَتَقُولُ ضَيَّعَكَ اللَّهُ
كَمَا ضَيَّعْتَنِي .

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ
أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُتِمُّ الْوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِينِهِ ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي
وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيَهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ وَقْتِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَعَالِمِهَا
شَيْئًا إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ
الْخَافِقِينَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَمَنْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وَضُوءَهَا وَأَخْرَجَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَاسْتَرْقَ
رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَمَعَالِمِهَا رُفِعَتْ عَنْهُ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ثُمَّ لَا تَجَاوِزُ شَعْرَ
رَأْسِهِ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي وَلِلَّهِ دَرُّ اسْمَاعِيلَ الْمُقْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ
حَيْثُ قَالَ :

تُصَلِّي بِإِلَّا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ

تَظَلُّ وَقَدْ أَتَمَّتْهَا غَيْرَ عَالِمٍ
تَزِيدُ إِحْتِيَاطاً رُكْعَةً بَعْدَ رُكْعَةٍ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضاً
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تُنْحَى غَيْرَ مُخْبِتٍ
تَخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً
عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْرَدٌ مَنْ نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفُهُ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
أَمَا تَسْتَجِي مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ أَنْ يَرَى
صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ الْمُرُوءَةِ
إِلَهِي اهْدِنَا فَيَمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا
إِلَى الْحَقِّ نَهْجاً فِي طَرِيقِ السُّوِيَّةِ

اللهم انظمننا في سبلك عبادك المفلحين واجعلنا من عبادك
المخلصين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الاحياء منهم والميتين برحمتك يا ارحم الراحمين
وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

(فصل)

فائدة جليلة

قال ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح وقد جعل الله سبحانه
لكل مطلوبٍ ومفتاحاً يفتحُ به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ومفتاح الحج

الإحرامُ ومفتاحُ البرِّ الصدقةُ ومفتاحُ الجنةِ التَّوْحِيدُ ومفتاحُ العِلْمِ حُسْنُ
السُّؤالِ وَحُسْنُ الاضْغَاءِ ومفتاحُ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ الصَّبْرُ ومفتاحُ المَزِيدِ
الشُّكْرُ ومفتاحُ الوِلايَةِ المَحَبَّةُ ومفتاحُ الرُّغْبَةِ فِي الآخِرَةِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا .

ومفتاحُ الإيْمَانِ التَّفَكُّرُ فِيمَا دَعَا اللهُ عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ ومفتاحُ
الدُّخُولِ عَلَى اللهِ اسْلَامَ القَلْبِ وَسَلَامَتَهُ لَهُ وَالْإخْلَاصَ لَهُ فِي الحَبِّ
والبُغْضِ لَهُ وَالْفِعْلَ وَالتَّرْكَ ومفتاحُ حَيَاةِ القَلْبِ تَدَبُّرُ القُرْآنِ وَالتَّضَرُّعُ
بِالْأَسْحَارِ وَتَرْكَ الذُّنُوبِ ومفتاحُ حُصُولِ الرِّحْمَةِ الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الخَالِقِ
وَالسَّعْيَ فِي نَفْعِ عِبِيدِهِ ومفتاحُ الرِّزْقِ السَّعْيُ مَعَ الاستِغْفَارِ وَالتَّقْوَى
ومفتاحُ العِزِّ طَاعَةُ اللهِ ومفتاحُ الاستِعْدَادِ لِلالْآخِرَةِ قَصْرُ الأَمَلِ ومفتاحُ كُلِّ
خَيْرٍ الرُّغْبَةُ فِي اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ ومفتاحُ كُلِّ شَرِّ حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولُ
الأَمَلِ .

وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْفَعِ أَبْوَابِ العِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَفَاتِيحِ الخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَلَا يُوقَفُ لِمَعْرِفَتِهِ وَمُرَاعَاتِهِ إِلَّا مَنْ عَظَّمَ حَظَّهُ وَتَوَفَّقَهُ فَإِنَّ اللهَ
سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ مِفْتَاحًا وَبَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَيْهِ كَمَا جَعَلَ
الشِّرْكَ وَالْكِبْرَ وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالغَفْلَةَ عَنِ ذِكْرِهِ وَالقِيَامَ
بِحَقِّهِ مِفْتَاحًا لِلنَّارِ وَكَمَا جَعَلَ الخَمْرَ مِفْتَاحَ كُلِّ إِثْمٍ وَجَعَلَ الغِنَاءَ مِفْتَاحَ
الرِّزَا وَجَعَلَ إِطْلَاقَ النُّظَرِ فِي الصُّورِ مِفْتَاحَ الخِيْبَةِ وَالجِرْمَانِ وَجَعَلَ
المَعَاصِي مِفْتَاحَ الكُفْرِ وَجَعَلَ الكَذِبَ مِفْتَاحَ النِّفَاقِ وَجَعَلَ الشُّحَّ وَالجِرْصَ
مِفْتَاحَ البُخْلِ وَقَطِيعَةَ الرِّجْمِ وَأَخَذَ المَالَ مِنْ غَيْرِ جَلِّهِ وَجَعَلَ الاعْرَاضَ
عَمَّا جَاءَ بِهِ الرِّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ كُلِّ بَدْعَةٍ وَضَلَالٍ وَهَذِهِ
أُمُورٌ لَا يُصَدِّقُ بِهَا إِلَّا كُلُّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ صَاحِبَةٌ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ مَا فِي

نَفْسِهِ انْتَهَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : عَلَامَةٌ تَعْظِيمِ الْأَمِيرِ وَالنَّوَاهِي رِعَايَةُ
أَوْقَاتِهَا وَحُدُودِهَا وَالتَّفْتِيشُ عَلَى أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَكَمَالِهَا وَالْحِرْصُ عَلَى
تَحْيِينِهَا فِي أَوْقَاتِهَا وَالْمُسَارَعَةُ إِلَيْهَا عِنْدَ وُجُوبِهَا وَالْحُزْنُ وَالْكَابَةُ وَالْأَسْفُ
عِنْدَ فَوَاتِ حَقِّ مِنْ حُقُوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ عَلَى فَوَاتِ الْجَمَاعَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ
تُقْبِلَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ مُنْفَرِدًا فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفًا .

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا يُعَانِي الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ يَقُوتُهُ فِي صَفَقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَلَدِهِ
مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ وَلَا مَشَقَّةٍ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا لِأَكْلِ يَدِيهِ نَدْمًا وَأَسْفًا فَكَيْفَ
وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَفُ بِهِ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ وَأَلْفِ أَلْفٍ وَمَا
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَإِذَا فَوَّتَ الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الرِّيحَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ لَا
صَلَاةَ لَهُ . وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ فَارِغٌ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ غَيْرُ مُرْتَاعٍ لَهَا فَهَذَا مِنْ
عَدَمِ تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ وَكَذَلِكَ إِذَا فَاتَهُ أَوَّلُ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ
رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ فَاتَهُ الصَّفُّ الَّذِي يُصَلِّي اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى مَيَامِينِهِ
وَلَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ فَضِيلَتَهُ لَجَالَدَ عَلَيْهِ وَلَكَانَتْ قُرْعَةً .

وَكَذَلِكَ لَوْ فَوَّتَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ الَّذِي تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ بِكَثْرَتِهِ وَكُلَّمَا
كَثُرَ الْجَمْعُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلَّمَا بَعُدَتْ الْخُطَا كَانَ كُلَّ
خُطْوَةٍ تَحُطُّ خَطِيئَةٌ وَأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً وَكَذَلِكَ لَوْ فَوَّتَ الْخُشُوعَ فِي
الصَّلَاةِ وَحُضُورَ الْقَلْبِ فِيمَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ رُوحُ الصَّلَاةِ
وَلَبَّهَا فَصَلَاةٌ بِلا خُشُوعٍ وَلَا خُضُوعٍ كَبَدْنٍ مَيِّتٍ لَا رُوحَ فِيهِ أَفَلَا يَسْتَحْيِي
الْعَبْدُ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ عَبْدًا مَيِّتًا أَوْ جَارِيَةً مَيِّتَةً ، فَمَا ظَنُّ هَذَا

العَبْدُ أَنْ تَقَعَ الْهَدِيَّةُ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِهَا مِنْ مَلِكٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَهَكَذَا سُوءُ الصَّلَاةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْخُشُوعِ وَالْحُضُورِ وَجَمْعِ الْهِمَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الْأَمَةِ أَوْ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ الَّذِي يُرِيدُ إِهْدَاءَهُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ .

وَلِهَذَا لَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَإِنْ اسْقَطْتُ الْفَرَضَ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَلَا يُثِيهَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا ، كَمَا فِي السُّنَنِ وَمَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ الْعَبْدُ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَمَا كَتَبَ لَهُ إِلَّا نِصْفَهَا إِلَّا ثُلُثَهَا إِلَّا رُبْعَهَا إِلَّا خُمُسَهَا حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا . وَيَتَّبِعِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ سَائِرَ الْأَعْمَالِ تَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى فَتَقَاضِلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِحْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ وَتَوَابِعِهَا .

وَتَفَاضِلِ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُو
 مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْإِيمَانِ
 حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا
 فِي رُتَبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ
 هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ
 وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا
 رُتَبِ مُضَاعَفَةٍ بِلا حُسْبَانِ
 هَذَا عَطَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَبِذَاكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

فَالْمَدَارُ عَلَى أَعْمَالِ الْقُلُوبِ فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ حَاضِرًا وَمُلْتَمِسًا سَمِعَهُ
لِذَا يَسْمَعُ وَلِذَا يَنْطِقُ هُوَ بِهِ مِنْ قِرَاءَةٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَسْبِيحٍ وَقَوْلِ رَبِّي اغْفِرْ لِي
وَقَوْلِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَمَعَانِي الْفَاتِحَةِ وَالتَّحِيَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
صَلَاتِهِ وَأَمَّا الْغَافِلُ الَّذِي لَا يَتَدَبَّرُ وَلَا يَتَفَهَّمُ وَيَعْبَثُ وَلَا يَهْتَمُّ لَهَا فَهَذَا
مَخْصُورُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا أَوْ مَعْدُومٌ .

شعراً :

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
تَبَارَكْتَ تَعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَسُؤْلِي وَمَوْئِلِي
إِلَيْكَ لَدَى الْأَعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
إِلَهِي لَيْتَنِي خَيَّبْتَنِي وَطَرَدْتَنِي
فَمَنْ ذَا الَّذِي عَمَّا أَحَازِرُ يُنْفَعُ
إِلَهِي لَيْتَنِي جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي
فَعَفْوِكَ عَن ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إِلَهِي لَيْتَنِي أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزْعِ
فُوَادِي فَلَئِنْ فِي سَبَبِ جُودِكَ مَطْمَعُ

إِلَهِي أَجْرِنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
 أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
 إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
 إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
 إِلَهِي لَيْسَ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حَجَّةً
 فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطُّعُ
 إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
 بِنُونٌ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
 إِلَهِي لَيْسَ لَمْ تَرَعْنِي كُنْتُ ضَائِعاً
 وَإِنْ كُنْتَ تَرَعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
 إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنِّ غَيْرِ مُحْسِنٍ
 فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
 إِلَهِي لَيْسَ قَصَّرْتُ فِي طَلْبِ التَّقَى
 فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
 إِلَهِي أَقْلِنِي عَشْرَتِي وَأَمَحْ زُلَّتِي
 فَإِنِّي مُقَرَّرٌ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ
 إِلَهِي لَيْسَ خَيَّبْتَنِي وَطَرَدْتَنِي
 فَمَا جِئْتِي يَا رَبُّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
 إِلَهِي حَلِيفُ الْحَبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرُ
 يُنَاجِي وَيَبْكِي وَالْغَفْوَلُ يَهْجَعُ
 إِلَهِي لَيْسَ تَعَفُّوْكَ فَعَفْوُكَ مُنْقِذِي
 وَإِنِّي يَا رَبُّ الْوَرَى لَكَ أَخْضَعُ

اللهم ارحم عباداً غرهم طول إمهالك وأطمعهم دوام إفضالك
 ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك وتيقنوا أن لا غنى لهم عن سؤالك وجد
 علينا وعليهم برحمتك الواسعة واغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين يا رب
 العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة

عباد الله تغير الناس في أحوالهم الدنيوية تغيراً يدهش الناظرين في
 زمن قليل ، هذه الصلاة التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين
 وهي عمود الإسلام قد أعرض عنها الكثير من الناس غير مباليين بذلك
 جهلوا ما هي الصلاة وأي قيمة قيمتها وما منزلتها بين الطاعات ، وما
 علموا أنها الصلة بين العبد وبين ربه ولذلك هي تطهر المصلي من
 جميع ذنوبه إذا اجتنبت الكبائر كالزنا واللواط وأكل الربا .

ويزيدك معرفة بها أن تعرف مالها من متعلقات . ذلك أنه إذا توضأ
 لها ذهب ذنوب أعضاء وضوئه مع ذهاب الماء فإذا تشهد بعد الوضوء
 فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء فإذا مشى إلى المسجد كان له
 بكل خطوة يخطوها تحط عنه خطيئة ورفع له درجة فإذا انتظر الصلاة فإنه
 لا يزال في صلاة .

وأما المؤذنون فهم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة ويشهد لهم كل
 ما يسمعون حتى الأشجار والأحجار .

ومن قال مثل ما يقول المؤذن ثم دعا عقبه وجبت له شفاعته النبي صلى
 الله عليه وسلم وأما قم المسجد وتنظيفه فهو مهر الحور العين في الجنات

وَمَنْ بَنَى لِيهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِصَلَاتِهِ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْمُحْرَمَاتِ
وَالْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالدِّخَانِ وَالْمَيْسِرِ وَقَوْلِ الزُّورِ
وَالسَّرِقَةِ وَالْقَتْلِ وَالْقَذْفِ وَحُضُورِ آيَاتِ اللَّهْوِ الْمَذِياعِ وَالتَّلْفِيزِ
وَالسَّيْنَمَاءِ وَالبَّكَمَاتِ وَأَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الْغَشِّ وَالرِّبَا وَالبَّخْسِ وَالمَكْرِ
وَالجِدَاعِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يُخْلُ بِالدِّينِ أَوْ يُقْصُصُ الْمُرُوَّةَ وَالشَّرَفَ ، إِذْ مِنْ
غَيْرِ الْمَعْقُولِ أَنَّ مَنْ بَلَغَ بِهِ حُبُّهُ فِي الاستِقَامَةِ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ
الَّذِي رَبَّاهُ وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ وَيَسْتَهْدِيهِ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ وَقَدْ قَدَّرَ
رَبُّهُ وَرَكَعَ لَهُ وَسَجَدَ وَحَمَدَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَشَكَرَ لَهُ أَنْ يُرَى بَعْدَ
ذَلِكَ جَوَّالًا فِي طُرُقِ الْغَوَايَةِ وَالمَأْتِمِ الَّتِي يَنْتَابُهَا الْفَسَاقُ الَّذِينَ مَرَدُّوا عَلَى
الْفُجُورِ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ . . صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ : هَذِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الصَّلَاةِ .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَنَجِّنَا مِنْ لَفَحَاتِ الْجَحِيمِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

فِي ذِكْرِ بَعْضِ فَوَائِدِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَبَيَانِ حُكْمِهَا وَأَدْلَةِ وَجُوبِهَا
وَذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ فَوَائِدِ صَلَاةِ الرَّوَاطِبِ وَالنَّوَافِلِ

إِعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّهُ شَرَعَ

لهذه الأمة الاجتماع للعبادة في اوقات معلومة ، فمنها ما هو في اليوم والليلة للمكتوبات ومنها ما هو في الاسبوع وهو صلاة الجمعة ومنها ما هو في السنة متكرر وهو صلاة العيدين لجماعة كل بلد ومنها ما هو عام في السنة وهو الوقوف بعرفة ، وذلك لأجل التواصل والتواؤد والتعاون والتأخي والتألف والتعارف والتعاطف والتراحم ، وقوة للرابطة بين المسلمين ، ومضاعفة الأجر بالاجتماع ، وكثرة الخطى ، ولتعليم الجاهل لأحكام الصلاة .

فصلاة الجماعة هي المتكرر يوماً بالاجتماع لها في المساجد وهي واجبة وجوب عين على الرجال القادرين حضراً وسفراً حتى في شدة الخوف لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوا . ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم في النار » متفق عليه .

وعن أبي هريرة أن رجلاً أعمى قال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال هل تسمع النداء قال : نعم قال : فأجب . رواه مسلم والنسائي .

وروى أبو داود عن عمرو ابن أم مكتوم أنه أتى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال : يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِ وَالسِّبَاعِ وَأَنَا ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَائِمُنِي فَهَلْ تَجِدُ لِي رُحْصَةً أَنْ أَصْلِي فِي بَيْتِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَسْمَعُ الْبِدَاءَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاجِبْ فَإِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ رُحْصَةً فَهَذَا رَجُلٌ ضَرِيرٌ شَكَا مَا يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي مَجِيئِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ لَهُ قَائِدٌ يَقُودُهُ إِلَيْهِ وَمَعَ هَذَا لَمْ يُرَخِّصْ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ فِي بَيْتِهِ فَكَيْفَ يَمَنْ يَكُونُ صَاحِبُ الْبَصَرِ مُتَوَفِّرَةً الْأَنْوَارُ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِيهِ وَمَالِهِ .

وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُجِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وَأَعْطَاهُ وَأَفْنَاهُ وَوَعَدَهُ أَنْ أَطَاعَهُ بِجَمِيعِ مَا تَطَلَّبُهُ نَفْسُهُ وَتَمَنَّاهُ ، وَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ عَصَاهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ الْبِدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ » . وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيًّا عَلَى الصَّلَاةِ حَيًّا عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وَحَدِيثٌ لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا بِالْمَسْجِدِ رُويَ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا .

عن ابن عباسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ الْبِدَاءَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُذْرًا قَالُوا وَمَا الْعُذْرُ قَالَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى » .

وعن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الجفاء كل الجفاء والكفر واليافاق من سمع مُنادي الله يُنادي إلى الصلاة
فلا يُجيبه » رواه أحمد والطبراني .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم
الشیطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية » . رواه أحمد د وأبو
داود والنسائي .

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « ما بال
أقوام يتخلفون عن الصلاة فيتخلف لتخلفهم آخرون لأن يحضروا الصلاة
أو لأبعثن عليهم من يجافي رقابهم . وقال ابن مسعود رضي الله
عنه : « من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات
الخمسة حيث يُنادي بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن
من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يُصلي هذا المتخلف في
بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لظلمتم ولقد رأيتنا وما يتخلف
عنها إلا منافق معلوم النفاق » .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « لأن تمثليء أذن ابن آدم رصاصاً
مذاباً خيراً له من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يُجب »
وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار
وهو لا يشهد الجمعة والجماعة فقال هو في النار ولما كان عتاب بن أسيد
رضي الله عنه وإلياً للنبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة فسمع
برجال يتخلفون عن الصلاة في المساجد جماعة فقال يا أهل مكة والله

لا أسمع برجال يتخلفون عن الصلاة في الجماعة في المساجد إلا
ضربت أعناقهم فعلم الصحابة رضي الله عنهم بذلك فزادته رفعة عندهم
وارتفع قدره .

وصلاة العشاء والفجر في جماعة أشد تأكيداً لما ورد عن عثمان بن
عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح
في جماعة فكأنما صلى الليل كله رواه مسلم .

وفي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد العشاء في جماعة كان له قيام
نصف ليلة ومن شهد العشاء والفجر في جماعة كان له قيام ليلة قال
الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا متفق عليه . وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس صلاة أثقل على المنافقين
من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا متفق
عليه .

وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر .
رواه الطبراني في الكبير .

وعن جندب القسري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

صَلَى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ
مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ ثُمَّ يَكْبُهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ رَوَاهُ
مُسْلِمٌ .

فَهَذَا نَهَى مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِمَنْ هُوَ فِي ذِمَّةِ
اللَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ السُّوءِ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ مَعَ جَوْرِهِ وَظُلْمِهِ وَتَعَدِّيهِ لِحُدُودِ
اللَّهِ كَانَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ يُؤْتَى بِهِ نَهَاراً صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَإِنْ
قَالَ نَعَمْ خَلَى سَبِيلَهُ مَخَافَةً أَنْ يَطْلُبَهُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذِمَّتِهِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي الْفَجْرِ
وَالْعِشَاءِ أَسَاءْنَا بِهِ الظَّنَّ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبَلِكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفِدْ بِسَبْعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً كَمَا
وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ
تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفِدْ بِسَبْعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوق خمسا وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تنزل الملائكة تضي عليه ما دام في صلاة ما لم يحدث ، تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة « متفق عليه .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَاتِّمَامِ الصُّفُوفِ مَا يَلِي فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتَمُونَ الصُّفُوفَ الْأَوَّلَ وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِينِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ

الذين يلونهم « رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَوُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاجِيَةٍ إِلَى نَاجِيَةٍ يَمْسُحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ لَا تَخْتَلَفُوا فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . رواه أبو داودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَسُدُّوا الْخَلَلَ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَلَا تَدْرُوا فُرْجَاتَ لِلشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ . رواه أبو داودَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ يَسْتَفْتِحُ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيْهَةً قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أُمَّتٍ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ ، قَالَ أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثُّبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ رواه الْجَمَاعَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، رواه أبو داود والدارقطني .

وَكَانَ يَتَعَوَّذُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بَعْدَ الْإِسْتِفْتَاكِ فَقَالَ أَبِي سَعِيدُ الْخُدْرِيُّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَفْتَحَ ثُمَّ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ خَمْسَةِ عَشَرَ آيَةً ، أَوْ قَالَ يَنْصَفُ ذَلِكَ ، وَفِي الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ خَمْسِ عَشْرَةَ آيَةً ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ يَنْصَفُ ذَلِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيَّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَائَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّهَا لِأَخْرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَةَ .

وَقَالَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي
الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا
مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى الْمِائَةِ مَتَفَقُّ عَلَى صِحَّتِهِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ بِمَكَّةَ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى إِذَا
جَاءَ ذِكْرَ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ ذِكْرَ عِيسَى أَخَذَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَعْلَةً فَرَكَّعَ .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالذُّخَانِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَتْ
صَلَاةُ الظُّهْرِ تَقَامُ فَيَنْطَلِقُ أَحَدُنَا إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَأْتِي أَهْلَهُ
فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الرُّكْعَةِ الْأُولَى .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ كُنَّا نَحْزِرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدَرَ
« أَلَمْ تَنْزِيلُ السُّجْدَةِ » .

وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْآخِرِيَيْنِ قَدَرَ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي
الرَّكَعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلُ قَوْلِهِ تَنْزِيلُ السُّجْدَةِ قَدَرَ ثَلَاثِينَ آيَةً ، وَفِي الْآخِرِيَيْنِ

قَدَرَ خَمْسَةَ عَشَرَ آيَةً فِي الْعَصْرِ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ قَدَرَ
خَمْسَةَ عَشْرَةَ فِي الْأَخْرَيْنِ قَدَرَ نِصْفَ ذَلِكَ .

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا الظَّهَرَ فَتَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ وَالذَّارِيَاتِ وَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ
فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ . وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
انكُم فِي زَمَانِ الصَّلَاةِ فِيهِ طَوِيلَةٌ وَالْخُطْبَةُ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَعُلَمَاؤُهُ كَثِيرٌ
وَأَخْطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ وَسَيَاتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ الصَّلَاةِ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَالْخُطْبَةُ فِيهِ
طَوِيلَةٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بُطُولَى الطُّولِيِّينَ .

زَادَ أَبُو دَاوُدَ قُلْتُ وَمَا طُولَى الطُّولِيِّينَ قَالَ الْأَعْرَافُ قَالَ الْحَافِظُ فِي
الْفَتْحِ إِنَّهُ حَصَلَ الْإِتْفَاقُ عَلَى تَفْسِيرِ الطُّولَى بِالْأَعْرَافِ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ
تَسْبِيحَاتٍ ، وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ
مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مَلَأَ السَّمَاوَاتِ وَمَلَأَ الْأَرْضَ ،
وَمَلَأَ مَا بَيْنَهُمَا وَمَلَأَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ أَهْلِ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ

لما أُعْطِيَتْ وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، رواه مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى وَزَادَ فِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالْمَاءِ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ .

اللَّهُمَّ انا نسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم انا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأخرتنا وأهلنا ومالنا اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةٌ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ قَالَ لَا يُتَمُّ رُكُوعُهَا وَلَا سُجُودُهَا ، أَوْ قَالَ لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَصَرَّحَ بِأَنَّهُ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ سَارِقِ الْأَمْوَالِ .

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ سَلْمَانَ هُوَ الْفَارِسِيُّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ مَكْيَالٌ فَمَنْ وَفَى وَفَى لَهُ وَمَنْ طَفَفَ فَقَدْ عِلْمْتُمْ مَا قَالَ اللَّهُ فِي الْمُطَفِّفِينَ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْإِيْجَازُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا الْإِيجَازُ الَّذِي كَانَ يَظُنُّهُ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَى مِقْدَارِ صَلَاتِهِ
فَإِنَّ الْإِيجَازَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ إِضَافِيٌّ رَاجِعٌ إِلَى السُّنَّةِ لَا إِلَى شَهْوَةِ الْإِمَامِ وَمَنْ
خَلَفَهُ .

فَلَمَّا كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِالسُّتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ كَانَ هَذَا الْإِيجَازُ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى سِتِّمِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ وَلَمَّا قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالْأَعْرَافِ كَانَ هَذَا الْإِيجَازُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَقْرَةِ .

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنْ أُنْسَأَ نَفْسَهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَيْسَانَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ وَهَبِ
بْنِ مَأْنُوسٍ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مَا
صَلَيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلَاةَ
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ
فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ .

وَأَنَسٌ أَيْضاً هُوَ الْقَائِلُ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ أَنِي لَا أَلُو أَنْ
أُصَلِّيَ بِكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ بِنَا .

قَالَ ثَابِتٌ : كَانَ أَنَسٌ يَصْنَعُ شَيْئاً لَا أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ
رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ انْتَصَبَ قَائِماً حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ .

وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ مَكَثَ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ .

وَأَنَسٌ هُوَ الْقَائِلُ هَذَا وَهُوَ الْقَائِلُ مَا صَلَيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ أَخْفَتْ صَلَاةَ
وَلَا أَتَمَّ صَلَاةَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدِيثُهُ لَا يَكْذِبُ بَعْضُهُ
بَعْضاً .

وَمِمَّا يُبَيِّنُ مَا ذَكَرْنَاهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ وَحُمَيْدٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ رَجُلٍ أَوْجَزَ صَلَاةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَمَامٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، قَامَ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أُوهِمَ فَجَمَعَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بَيْنَ الْأَخْبَارِ بِإِجَازِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ وَاتِّمَامَهَا وَبَيَّنَّ فِيهِ أَنْ مِنْ اتِّمَامِهَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ أَطَالَهُ الْإِعْتِدَالِينَ حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّهُ قَدْ أُوهِمَ أَوْ نَسِيَ مِنْ شِدَّةِ الطُّولِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكَعْتَهُ فَأَعْتَدَلَهُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَسَجَدْتَهُ فَجَلَسْتَهُ بَيْنَ السُّجُودَيْنِ ، فَسَجَدْتَهُ ، فَجَلَسْتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالْأَنْصِرَافِ قَرِيبًا مِنَ السُّوَاءِ .

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَكَثُرَ الْإِنِينُ وَأَيْسَ مِنَّا الْقَرِيبُ وَالطَّيِّبُ وَبَكَى عَلَيْنَا الصَّدِيقُ وَالْحَبِيبُ وَارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا إِذَا وَارَانَا التَّرَابُ وَوَدَّعَنَا الْأَحْبَابُ وَفَارَقْنَا النَّعِيمَ وَانْقَطَعَ عَنَا النَّسِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِإِلَادَتِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمُسْرِعِينَ فِيهَا الَّذِينَ يَمُرُونَ فِيهَا مَرًّا

السهم : وَهَذَا كُلُّهُ تَلَاعُبٌ بِالصَّلَاةِ ، وَتَعْطِيلٌ لَهَا وَجِدَاعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَخِلَافٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ فَأَمَرْنَا بِأَقَامَتِهَا وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِهَا قَائِمَةً تَامَةً الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْإِذْكَارِ .

وَقَدْ عَلِقَ سُبْحَانَهُ الْفَلَاحَ بِخُشُوعِ الْمَصْلِيِّ فِي صَلَاتِهِ فَمَنْ فَاتَهُ خُشُوعُ الصَّلَاةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ وَيَسْتَحِيلُ حُصُولُ الْخُشُوعِ مَعَ الْعَجَلَةِ وَالنَّقْرِ قَطْعًا بَلْ لَا يَحْصُلُ الْخُشُوعُ إِلَّا مَعَ الطَّمَأِينَةِ وَكُلَّمَا زَادَتْ الطَّمَأِينَةُ أَزْدَادَ خُشُوعًا وَكُلَّمَا قَلَّ خُشُوعُهُ اشْتَدَّتْ عَجَلَتُهُ حَتَّى تَصِيرَ حَرَكَةُ يَدَيْهِ بِمَنْزِلَةِ الْعَبَثِ الَّذِي لَا يَصْحَبُهُ خُشُوعٌ وَلَا إِقْبَالَ عَلَى الْعِبُودِيَّةِ وَلَا مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ الْعِبُودِيَّةِ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ ﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « رَبُّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ » ، وَقَالَ لِمُوسَى ﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ فَلَنْ تُكَادَ تَجِدَ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي مَوْضُوعٍ مِنَ التَّنْزِيلِ إِلَّا مَقْرُونًا بِأَقَامَتِهَا .

فَالْمُصَلُّونَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ وَمُقِيمِ الصَّلَاةِ مِنْهُمْ أَقَلُّ الْقَلِيلِ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَاجُّ قَلِيلٌ وَالرَّاكِبُ كَثِيرٌ ، فَالْعَامِلُونَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الْمَأْمُورَ بِهَا عَلَى التَّرْوِيجِ تَجَلَّهَ الْقَسَمِ وَيَقُولُونَ يَكْفِينَا أَدْنَى مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَسْمُ وَلَيْتَنَا نَأْتِي بِهِ .

وَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بِصَلَاتِهِمْ فَتَعْرُضُهَا عَلَى الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِمَنْزِلَةِ الْهَدَايَا الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا النَّاسُ إِلَى مُلُوكِهِمْ وَكِبْرَائِهِمْ ، فَلَيْسَ مَنْ عَمِدَ إِلَى أَفْضَلِ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فَيَزِينَهُ ، وَيُحَسِّنُهُ ، مَا اسْتَطَاعَ ثُمَّ

يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى مَنْ يَرْجُوهُ ، وَيَخَافُهُ ، كَمَنْ يَعْمِدُ إِلَى أَسْقَطِ مَا عِنْدَهُ ،
وَأَهْوِيهِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ سَتْرِيحَ مِنْهُ ، وَيَبْعَثُهُ إِلَى مَنْ لَا يَقَعُ عِنْدَهُ بِمَوْقِعٍ .

وَلَيْسَ مَنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ ، وَحَيَاةً لَهُ ، وَرَاحَةً وَقُرَّةً لِعَيْنِهِ
وَجَلَاءً لِحُزْنِهِ وَذَهَابًا لِهَمِّهِ ، وَغَمِّهِ وَمَفْزَعًا لَهُ فِي نَوَائِبِهِ ، وَنَوَازِلِهِ ، كَمَنْ
هِيَ سِجْنٌ لِقَلْبِهِ ، وَقَيْدٌ لِحَوَارِجِهِ ، وَتَكْلِيفٌ لَهُ ، وَثِقَلٌ عَلَيْهِ ، فَهِيَ كَبِيرَةٌ
عَلَى هَذَا وَقُرَّةٌ عَيْنٍ وَرَاحَةٌ لِذَلِكَ .

وقال تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فَإِنَّمَا
كَبُرَتْ عَلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ لِيُخَلُّوا قُلُوبَهُمْ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْبِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ
وَالْخُشُوعِ لَهُ وَقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِيهِ فَإِنَّ حُضُورَ الْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ وَخُشُوعَهُ فِيهَا
وَتَكْمِيلُهُ لَهَا وَاسْتِيفْرَاجُهُ وَسَعَهُ فِي إِقَامَتِهَا وَاتِّمَامِهَا عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِي
اللَّهِ .

قال الامامُ أحمدُ في رواية مُهَنَّأَ بْنِ يَحْيَى ، إِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنْ
الاسلامِ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَرَغْبَتِهِمْ فِي الاسلامِ عَلَى قَدْرِ
رَغْبَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ فَاعْرِفْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَاخْذِرْ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ وَلَا قَدْرَ لِلِاسلامِ عِنْدَكَ فَإِنْ قَدَرَ الاسلامُ فِي قَلْبِكَ كَقَدْرِ الصَّلَاةِ فِي
قَلْبِكَ .

اللهم ارحمنا إذا نسيَ اسمنا وأندرَسَ ذِكْرنا ولم يَزُرنا زائِرًا ، اللهم
ارحمنا يوم تُبلى السَّرائِرُ وتُفنى الضمائرُ وتُنشرُ الدواوينُ وتُنصبُ الموازينُ
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلّى

الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

يُسَنُّ ذِكْرُ اللَّهِ وَالِدُعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَقَبَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ فَيَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . كَمَا وَرَدَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . رواه الجماعة الا البخاري .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنَ الذِّكْرِ : مَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا آيَاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الشَّانُ الْحَسَنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ : قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَلِّلُ بِهِمْ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ . رواه أحمد ومسلم .

وَمِمَّا وَرَدَ مَا رَوَى الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ لِمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا

تَسْبِحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتَكْبُرُونَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَمَامُ الْمِائَةِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَيَعْقُدُهُ بِيَدِهِ وَيَعْقُدُ الاستغفارَ بِيَدِهِ « أَي يَضْبِطُ عَدَدَهُ بِأَصَابِعِهِ .

وعن عبدِ الله بنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم
خَصَلْتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ
بِهِمَا قَلِيلٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وَيُكْبِرُهُ عَشْرًا وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا
قالَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقُدُهَا بِيَدِهِ فَمِثْلَكَ خَمْسُونَ
وَمِائَةً بِاللِّسَانِ وَالْفَتْ وَخَمْسُمِائَةَ فِي الْمِيزَانِ وَإِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ سَبَّحَ
وَحَمِدَ وَكَبَّرَ مِائَةَ مَرَّةٍ فَمِثْلَكَ مِائَةً بِاللِّسَانِ وَالْفَتْ بِالْمِيزَانِ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ
وصححه الترمذي .

وعن سعد بن أبي وقاصٍ أنه كان يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ دُبْرَ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ .
رواه البخاري والترمذي وصححه .

وعن أمِّ سلمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى
الصَّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
رواه أحمد وابن ماجه .

وعن أبي أمامة قال قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ قَالَ جَوْفُ
الليلِ الْآخِرِ وَدُبْرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ .

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم لم
يُقْعَدُ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا

الجلال والاکرام رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه .

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سبح
دُبُرَ كلِّ صَلَاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ وَحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ وَكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ
فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفِرَتْ خطاياهُ ولو كانت بِمِثْلِ
زيد البحر رواه مسلم .

وفي رواية أخرى أن التكبير أربعة وثلاثون . .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
أوصيك يا معاذ لا تدعن دُبُرَ كلِّ صَلَاةٍ أن تقول اللهم أعينى على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوى .
وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية
الكرسي دُبُرَ كلِّ صَلَاةٍ مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت .
رواه النسائي وصححه ابن حبان وزاد فيه الطبراني وقل هو الله أحد .

وعنه قال ما دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في دُبُرِ
مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها
اللهم انعشني وأجبرني واهدني لصالح الأعمال والاخلاق إنه لا يهدي
لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت .

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
فرغ من صلاته لا أدري قبل أن يسلم أو بعد أن يسلم يقول سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وعن أنس قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ
مِنَ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَاجْعَلْ خَيْرَ
أَيَّامِي يَوْمَ الْفَاكِ .

وعن أبي بكرٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ
الْقَبْرِ ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ
صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى
رَكَعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَامَةٌ تَامَةٌ تَامَةٌ .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قَالَ مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رُجُلِيهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُجِيءٍ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ
لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي جِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرْسٍ مِنَ
الشَّرِكِ بِاللَّهِ تَعَالَى قَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ
صَحِيحٌ .

وعن الحَارِثِ بْنِ مُسْلِمِ التَّمِيمِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ اللَّهُمَّ أَجْرُنِي
مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِن مِتُّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جِوَاراً مِنَ النَّارِ
وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ اللَّهُمَّ أَجْرُنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ
فَأَنَّكَ إِن مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جِوَاراً مِنَ النَّارِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَهَذَا

لفظه وأبو داود .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له بهن عشر حسنات ومحا بهن عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات وكُنَّ له عدل عتاقة أربع رقاب وكُنَّ له حرساً حتى يُمسي ومن قالهن إذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يُصبح . رواه أحمد والنسائي وابن جبان في صحيحه وهذا لفظه .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال دبر صلاة الغداة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل أن يئتي رجليه كان يومئذ من أفضل أهل الأرض عملاً إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال رواه الطبراني في الأوسط باسناد جيد .

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه كُفرت عنه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر . رواه ابن السني في كتابه وفي مسند الامام أحمد وسنن بن ماجه وكتاب ابن السني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح ل اللهم اني اسألك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقاً طيباً .

وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كَانَ يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ قَالَ اللَّهُمَّ بِكَ أَحَاوِلُ وَبِكَ أَصَاوِلُ وَبِكَ أَقَاتِلُ وَيُسْتَحَبُّ الْجَهْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ وَفِي رِوَايَةٍ كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّكْبِيرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرَسُولِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ الِهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِبَطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَفْلُحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَمِنْ تَمَامِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ حُسْنُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الرُّوَاتِبِ وَالنَّوَافِلِ وَهَذِهِ الْمُطْلَقَةُ فِيهَا فَوَائِدٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَتَكْثِيرُ الْحَسَنَاتِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَجَعْلُ الْقُلُوبِ مُتَّصِلَةً بِاللَّهِ مُعَظَّمَةً لَهُ وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِتَقْوِيَةِ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْهَا التَّلَذُّذُ بِالْمَنَاجَاةِ . . وَمِنْهَا الْحَصُولُ فِي مَنْزِلَةِ الْمُبَاهَاةِ فَيَمُنُّ أَقِيمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ . وَمِنْهَا الشُّكْرُ وَالنَّعْمُ الْمُتَجَدِّدُ وَالْمَوَاهِبُ الْمُتَعَدِّدَةُ وَعِمَارَةُ لِلْقُلُوبِ الَّتِي خُلِقَتْ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمِنْهَا حِفْظُ الزَّمَنِ عَنْ ضَيَاعِهِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

وَمِنْهَا تَكْمِيلُ مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرَائِضِ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ

فان صَلَّحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وان فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فان اَنْتَقَصَ من فَرِيضَتِهِ شَيْئاً فإن الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ : ﴿ أَنْظِرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكْمِلُ بِهَا مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ﴾ ثم يكون سائرُ عَمَلِهِ على ذلك أخرجهُ الترمذي : وَمِنْهَا مَحَبَّةُ اللهِ لَهُ ، كما وَرَدَ في الحديث ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فاذا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلِئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلِئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ رواه البخاري .

ومنها أنها سَبَبٌ لِتَسْهِيلِ عُسْرِ الْمَوْقِفِ فِي الْحَشْرِ وَتَخْفِيفِ الْحِسَابِ فِي دَارِ الْمآبِ لِأَنَّهُ يَكْثُرُ ثَوَابُهُ إِذَا وَفَّقَهُ اللهُ لِلتَّقَرُّبِ بِالنَّوَافِلِ وَمِنْهَا نَصَارَةُ الْوَجْهِ وَتَنْشِيطُ الْجَوَارِحِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوقِظُ الضَّمِيرَ وَمِنْهَا الْاِقْتِدَاءُ بِالصَّالِحِينَ وَمِنْهَا غَرْسُ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ فِي النُّفُوسِ وَمِنْهَا أَنَّ النَّوَافِلَ تُقْوِي شَجَرَةَ الْإِيمَانِ وَتَنْمِي الْإِيمَانَ وَمِنْهَا السُّمُورُ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا قَطَعَهُ عَنْهَا مَرَضٌ أَوْ سَفَرٌ كَثِبَتْ لَهُ كَامِلَةٌ كما في حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَثِبَ لَهُ ما كان يَعْمَلُ صَاحِحاً مُقِيماً رواه البخاري .

ومنها مَحَبَّةُ أَهْلِ السَّمَاءِ لِمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى : إِذَا أَحَبَّ عَبْدٌ دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَجِبْهُ فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَجِبُوهُ فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَمِنْهَا اسْتِعْمَالُ نِعْمَةِ الْمُنْعَمِ فِي طَاعَتِهِ وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَلَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ أَنْصَفَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْهَا مُخَالَفَةُ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا قَامُوا إِلَى صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ قَامُوا كَسَالَى

يُراؤن الناسَ ولا يذكرون اللهَ إلا قليلاً . ومنها القُرْبُ مِنَ اللهِ للحديث المتقدم ولحديثِ أَقْرَبُ ما يكون العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ . ومنها مُخَالَفَةُ المُشْرِكِينَ العَابِدِينَ لِمَنْ لا يَسْمَعُ ولا يَبْصُرُ ولا يُغْنِي شيئاً وأنتَ تعبدُ مَنْ يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ وَيَعْلَمُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وهو حَيٌّ لا يَمُوتُ ومنها قيامُ العبدِ بينَ يَدَي سَيِّدِهِ مَقَامَ المُتَصَرِّعِ المُتَدَلِّلِ المُسْكِينِ الضَّعِيفِ واضعاً يَدَهُ اليُمْنَى على اليُسْرَى مُظْهِراً العَجْزَ والضعْفَ وأنه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

اللهم إنك تعلمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ وَخَالِصِ وِدْكَ يا مَنْ عَمَّ الخَلَائِقُ كَرَمُهُ وجودُهُ يا أَوَّلَ بلا بَدَايَةٍ ويا آخِرَ بلا نِهَائَةٍ يا وَاحِدًا لا شَرِيكَ له نَسْأَلُكَ أن ترحمَ ضَعْفَنَا وَتَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَرَأْفَ بِنَا يا رَوْؤُفَ يا رَحِيمَ ولا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيمِ في جَنَاتِ النعيمِ . وصلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ وأما فوائدُ الصلَاةِ فكثيرةٌ أولاً إِمْتِثَالُ أوَامِرِ اللهِ وَمُؤَافَقَةُ اللهِ وَمُؤَافَقَةُ مَلَائِكَتِهِ وتكفيرُ السيئاتِ وزيادةُ الحسناتِ ورفعَةُ الدرجاتِ .

ومنها أنها سَبَبٌ لإِجابَةِ الدُّعَاءِ وَلِشَفَاعَةِ النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقُرْبِ مِنْهُ وَلِكِفَايَةِ الهَمِّ والغَمِّ وَقَضَاءِ الحَوَائِجِ وَسَبَبٌ لِصَلَاةِ اللهِ على المُصَلِّي وَصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ وَهِيَ زَكَاةٌ لِلْمُصَلِّي وَطَهْرَةٌ لَهُ وَسَبَبٌ لِلتَّبَشِيرِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النارِ وَسَبَبٌ لِرَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّلَامِ

وَلِتَذَكِّرَ الْعَبْدَ مَا نَسِيَهِ وَلِيَطِيبَ الْمَجْلِسَ وَأَنْ لَا يَعُودَ عَلَى أَهْلِهِ حَسْرَةً
وَلِنَفْيِ الْفَقْرِ وَالْبُخْلِ وَلِلنَّجَاةِ مِنْ تَتْنِ الْمَجْلِسِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ وَلَا
رَسُولُهُ وَلِتَمَامِ الْكَلَامِ وَيَرْكَبَهُ وَلِيُفُورَ نُورُ الْعَبْدِ عَلَى الصِّرَاطِ وَلِلْخُرُوجِ
مِنَ الْجَفَاءِ وَإِبْقَاءِ الشَّاءِ الْحَسَنِ لِلْمُصَلِّيِ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَاللِّبْرَكَةِ فِي ذَاتِ الْمُصَلِّيِ عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ وَأَسْبَابِ مَصَالِحِهِ وَلِنَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ
وَالِدَوَامِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزِيَادَتِهَا وَتَضَاعُفِهَا وَلِمَحَبَّةِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَبَبِ لِحْيَةِ الْقَلْبِ وَهَدَايَتِهِ وَسَبَبِ عَرْضِ اسْمِ
الْمُصَلِّيِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَبَبِ لِيَثْبُتَ الْقَدَمَ عَلَى
الصِّرَاطِ وَالْجَوَازِ عَلَيْهِ وَمَتَّضِمَّةً لِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَمَعْرِفَةَ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ
عَبِيدِهِ بِإِرْسَالِهِ وَإِدَاءِ قَلِيلٍ مِنْ حَقِّهِ . وَهِيَ دَعَاءٌ مِنَ الْعَبْدِ وَسُؤَالُهُ
نَوْعَانِ :

أحدهما سؤال مطالبه وما ينويه .

والثاني : سؤاله أن يثني على حبيبه وخليله ويزيد في تشريفه
وتكريمه ورفع ذكره ولا ريب أن الله يحب ذلك ورسوله يحبهُ فالمصلي
قد صرف سؤاله لما يحبهُ الله ورسوله وآثر ذلك على طلب حوائجه
ومحابه هو ، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه والجزاء من
جنس العمل فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره .

وههنا نكتة حسنة لمن علم أُمَّتَهُ دِينَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَصَبَرَ
عَلَى ذَلِكَ وَهِيَ : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ الزَّائِدِ عَلَى
أَجْرِ أُمَّتِهِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ فَالِدَاعِي إِلَى سُنَّتِهِ وَدِينِهِ وَالْمُعَلِّمُ الْخَيْرَ لِلْأُمَّةِ
إِذَا قَصَدَ تَوْفِيرَ هَذَا الْحَظِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ

وَكَانَ مَقْصُودَهُ بَدْعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِإِرْشَادِ عِبَادِهِ وَتَوْفِيرِ أَجُورِ الْمُطِيعِينَ لَهُ عَلَى رَسُولِهِ مَعَ تَوْفِيَّتِهِمْ أَجُورَهُمْ كَامِلَةً كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ بِدَعْوَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ بِحَسَبِ هَذِهِ النِّيَّةِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

شعراً :

إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ
وَكَمَ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمُرٌ سَاعَةً مِنْهُ تُشْتَرَى
بِمِلءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْةَ ضَيْعَةٍ
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرُّغِيدِ وَعَيْشِيَةٍ
مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبِهِيمَةِ
فَيَاذُو بَيْنَ الْمَزَابِلِ الْقَيْثِ
وَجَوْهَرَةَ بَيْعَتِ بَأْبُخَسِ قَيْمَةِ
أَفَانِ بِبَاقِ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً
وَسُخْطاً بِرِضْوَانِ وَنَاراً بِجَنَّةِ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
فَلِإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ يَغْتَهَا هَوْنًا عَلَيْكَ رَخِيصَةً
وَكَأَنْتَ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ

كَلَّفَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرَ غُرُورِهَا
تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا فِي الْخَدِيعَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى
فَلِإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً
عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رُدُّ مَنْ نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَهُ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَذْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مَعْرُضاً
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنْحِيهِ غَيْرَ مُحِبِّتٍ
أَيَا عَامِلاً لِلنَّارِ جِسْمُكَ لَيْنٌ
فَجَرَّبَهُ تَمَرِيناً بَحْرَ الظُّهَيْرَةِ
وَدَرَّبَهُ فِي لَسَعِ الزَّنَائِيرِ تَجْتَرِي
عَلَى نَهْشِ حَيَاتٍ هُنَاكَ عَظِيمَةٍ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْوَى فَوَيْلَكَ مَا الَّذِي
دَعَاكَ إِلَى اسْخَاطِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
تُبَارِزُهُ بِالْمُنْكَرَاتِ عَشِيَّةً
وَتُصْبِحُ فِي أَثْوَابِ نُسُكٍ وَعِفَّةِ
نَيْسِيءٍ بِهِ ظَنّاً وَتُحْسِنُ تَارَةً
عَلَى حَسْبٍ مَا يَقْضِي الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ

فَأَنْتَ عَلَيْهِ أَجْرَى مِنْكَ عَلَى الْوَرَى
بِمَا فِيكَ مِنْ جَهْلٍ وَخُبْثِ طَوِيَّةٍ
تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ
صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيئَةِ
وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ
فَلِمَ لَا تُصَدِّقُ فِيهِمَا بِالسُّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرَجِّي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
وَلَسْتَ تُرَجِّي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
عَلَى أَنَّهُ بِالرِّزْقِ كُفِّلَ نَفْسَهُ
وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّتِي
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى بِالذِّي قَدْ كُفِّتَهُ
وَتُهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
إِلَهِي أَجْرْنَا مِنْ عَظِيمِ ذُنُوبِنَا
وَلَا تُخْزِنَا وَأَنْظِرْ إِلَيْنَا بِرَحْمَةٍ
وَأَخُذْ بِنَوَاصِينَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا
يَقِيناً يَقِيناً كُلَّ شَكٍّ وَرَيْبَةٍ
إِلَهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَأَخُذْ بِنَا
إِلَى الْحَقِّ نَهْجاً فِي سَوَاءِ الطَّرِيقَةِ
وَكُنْ شُغْلَنَا عَنْ كُلِّ شُغْلٍ وَهَمُّنَا
وَيُبْغِيتَنَا عَنْ كُلِّ هَمٍّ وَيُبْغِيَةٍ
وَصَلِّ صَلَاةً لَا تَنَاهَى عَلَى الذِّي
جَعَلْتَ بِهِ مِسْكَاً خِتَامَ النُّبُوَّةِ

اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣١ كتاب الزكاة

ويبحث في :

- ١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة .
- ٢ - نصاب الزكاة .
- ٣ - مصارف الزكاة .
- ٤ - تعريف أهل الزكاة وبيان مقدار ما يعطاه كل صنف .

١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إِعْلَمَ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ الزُّكُورِيَّةِ زَكَاةً لِمَنْ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ ، وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ وَرَتَّبَ الثَّوَابَ عَلَى أَدَائِهَا ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَنْعِهَا ، وَقَرَنَهَا بِالصَّلَاةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا ، وَتَنْبِيهًا بِذِكْرِهَا ، وَحَثًّا عَلَى أَدَائِهَا لِتَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ دَرَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ ، وَدَفْعِ النَّفْسِ إِلَى الْجُودِ ، وَالتَّصَدُّقِ وَالانْفَاقِ فِي مَرَاضِي اللهِ تَعَالَى : لِتَحْصِيلِ النَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْفَلَاحِ وَالطُّهَارَةَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

فَالزَّكَاةُ تُطَهِّرُ الْمُزَكِّيَّ مِنْ أَنْجَاسِ الذُّنُوبِ ، وَتُنْقِيهِ مِنْ أَوْسَاجِهَا وَتُزَكِّي أَخْلَاقَهُ بِالتَّحَلِّيِّ بِالْجُودِ وَالسُّخَاءِ وَتُمَرِّنُهُ عَلَى السُّخَاءِ الَّذِي يُجِبُّهُ

كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَتُبِعْدُهُ عَنِ الشُّحِّ الَّذِي هُوَ مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَتُظَهِّرُ الْقَلْبَ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا بِبَذْلِ الْيَسِيرِ . فَالْيَسِيرُ هُوَ الْوَاجِبُ وَهُوَ بِذَلِّ الْقَلِيلِ مِنَ الْكَثِيرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا فِي حُفِيِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .

فَالشَّارِعُ الْحَكِيمُ اللَّطِيفُ بَعَادِهِ أَوْجَبَ شَيْئًا يَسِيرًا بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ إِذَا اعْتَادَ الْإِنْسَانُ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْمَالِ الْمَحْبُوبِ طَبْعًا امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ اسْتِفَادَ حُبِّ خَالِقِهِ الَّذِي رَزَقَهُ آيَاهُ وَوَعَدَهُ أَنْ يَخْلِفَ عَلَيْهِ مَا أَنْفَقَهُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلْفًا) وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنْفِقْ يَا بَنَ آدَمَ يُنْفِقْ عَلَيْكَ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الزَّكَاةَ هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ الْعِظَامِ الْمُشَارُّ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ » ذَكَرَ مِنْهَا إِيتَاءَ الزَّكَاةِ . وَتَجَبُّ الزَّكَاةِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ :

١ - بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ .

٢ - الخارج من الأرض وما في معناه كالغسل الخارج من النحل .

٣ - عروض التجارة .

٤ - الأثمان .

٥ - الثمار .

ولا زكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصاباً، ولا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول، إلا في الخارج من الأرض لقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وإلا نتاج السائمة، وربح التجارة فإن حولهما حول أصلهما إن كان نصاباً، والا فابتداء الحول من حين كمل نصاباً .

ومن كان عنده مال وعليه دين فإن كان بمقدار ما عنده فلا زكاة فيه، فإن كان عنده عشرة آلاف وعليه دين عشرة آلاف فأصبح ما يملك شيئاً وإن كان عنده عشرون ألفاً وعليه عشرة زكى عشرة وإن كان عليه عشرون وعنده عشرة فليس عليه شيء وله الأخذ من الزكاة لأنه من الفقراء ولأنه غارم .

ويضم المستفاد إلى نصاب بيده من جنسه، أو في حكمه في وجوب الزكاة لا في الحول، فيزكي كل واحد إذا تم حوله .

وتجب الزكاة فيما زاد على النصاب بحسابه إلا في السائمة فلا زكاة في وقصها لما روى أبو عبيدة في غريبه : (وليس في الأوقاص صدقة) ، وقال : « الوقص ما بين الفرضين » .

أما عروض التجارة، فهو كل ما أعد للبيع والشراء لأجل الربح .

والتَّكْسِبِ مِنْ جَمِيعِ السَّلْعِ التِّجَارِيَّةِ : كَالْمُجَوَهَرَاتِ وَالْأَطِيعَةِ وَالْأَقْمِشَةِ
وَالسِّيَّارَاتِ وَالْمَكَائِنِ ، وَالثَّابِتَاتِ : كَالعَقَارَاتِ مِنْ أَرَاضٍ وَبُيُوتٍ
وَنَحْوَهَا ، إِذَا تَمَلَّكَهَا بِفِعْلِهِ بِنِيَّةِ التِّجَارَةِ وَبَلَغَتْ قِيمَتَهَا نِصَاباً ، لِمَا وَرَدَ
عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَمَرَنَا أَنْ نُخْرِجَ الصَّدَقَةَ مِمَّا نَعِدُّهُ لِلْبَيْعِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَتَقْوَمُ العُرُوضُ إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الحَوْلُ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ حِينِ بُلُوغِ القِيَمَةِ
نِصَاباً بِالْأَحْضِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ ،
وَيُخْرَجُ رُبْعُ عَشْرِ قِيمَتِهَا . وَمَنْ اسْتَفَادَ مَالاً خَارِجاً عَنْ رِبْحِ التِّجَارَةِ
كَالْأَجْرَةِ وَالرَّاتِبِ وَنَحْوَهُمَا ، فَانهُ يَبْتَدِي حَوْلًا مِنْ حِينِ الاسْتِفَادَةِ إِنْ كَانَ
نِصَاباً ، وَالْأَقْبَلُ كَمَالِهِ وَيُزَكِّيهِ إِذَا تَمَّ حَوْلُهُ .

وَأَمَّا الأَثْمَانُ ، وَهِيَ النُّقُودُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا
مِنْ فُلُوسٍ أَوْ أَوْرَاقٍ نَقْدِيَّةٍ ، وَكَذَلِكَ حُلِيِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِذَا بَلَغَ نِصَاباً
بِنَفْسِهِ ، أَوْ بِمَا يَضُمُّ إِلَيْهِ مِنْ جِنْسِهِ أَوْ فِي حُكْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُعَدًّا
لِلْاسْتِعْمَالِ أَوْ لِلإِعَارَةِ ، فَإِنْ أُعِدَّ لِلِاسْتِعْمَالِ أَوْ لِلإِعَارَةِ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ .

وَأَقْلُ نِصَابِ الذَّهَبِ عِشْرُونَ مِثْقَالًا ، وَفِيهَا نِصْفُ مِثْقَالٍ وَهُوَ رُبْعُ
العُشْرِ ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا :
« أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عِشْرِينَ مِثْقَالًا نِصْفَ مِثْقَالٍ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فَصْلٌ : وَالنِّصَابُ مِنَ الذَّهَبِ بِالْجُنْيَةِ السُّعُودِيِّ أَحَدَ عَشَرَ
جُنْيَةً وَنِصْفُ جُنْيَةٍ تَقْرِيْبًا ، وَكَذَلِكَ بِالْجُنْيَةِ الإِفْرَنْجِي أَحَدَ عَشَرَ جُنْيَةً

وَنِصْفُ جُنَيْهِ تَقْرِيْبًا وَاَقْلُ نِصَابُ الْفِضَّةِ مَائَتَا دِرْهَمٍ ، وَبِالرِّيَالِ الْعَرَبِيِّ سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ رِيَالًا تَقْرِيْبًا ، وَبِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رِيَالًا تَقْرِيْبًا .

وَأَمَّا الْأَوْرَاقُ الْمَوْجُودَةُ فَإِذَا مَلَكَ مِنْهَا هـ يُقَابِلُ نِصَابًا مِنَ الْفِضَّةِ وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْهَا رُبْعَ الْعُشْرِ .

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فِضَّةٌ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ الْمَوْجُودَةِ الْمُتَعَامَلِ فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الْفِضَّةِ مِنَ الْأَوْرَاقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عُشْرِ الْمُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلًا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَلْفُ رِيَالٍ مِنَ الْفِضَّةِ يُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَوْرَاقِ أَخْرَجَ عَنِ الْفِضَّةِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ رِيَالًا هِيَ مُقَابِلُ زَكَاةِ الْأَلْفِ مِنَ الْفِضَّةِ وَهِيَ خَمْسُ وَعِشْرُونَ .

وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهُ مِنَ الْأَوْرَاقِ الْمُتَعَامَلِ فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الذَّهَبِ مِنَ الْأَوْرَاقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عُشْرِ الْمُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلًا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ مِائَةٌ جُنَيْهِ وَكَانَ الْجُنَيْهِ يُسَاوِي خَمْسِينَ رِيَالًا (٥٠) فَتَكُونُ الْمِائَةُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ رِيَالٍ فَزَكَاتُهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ مِائَةٌ وَخَمْسُ وَعِشْرُونَ رِيَالًا هُوَ مُقَابِلُ زَكَاةِ مِائَةِ الْجُنَيْهِ وَهُوَ جُنَيْهَانِ وَنِصْفُ جُنَيْهِ مِنَ زَكَاةِ الْمِائَةِ وَهُوَ جُنَيْهَانِ وَنِصْفُ .

وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي مَالِ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ لِعُمُومِ حَدِيثِ مُعَاذٍ لَمَّا بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُمَا وَلِيَّهُمَا فِي مَالِهِمَا مِنْ مَالِهِمَا .

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذَكَرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ ، وَخَلَّصْنَا مِنْ حَقْوِي خَلْقِكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ،

يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ ، يَا مَنْ يَمْلِكُ
حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣ - وَأَمَّا زَكَاةُ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ فَتَجِبُ فِي كُلِّ مَكِيلٍ مُدْخِرٍ مِنْ
الْحَبِّ كَالْقَمْحِ وَالشُّعَيْرِ وَالذَّرَّةِ وَمِنَ الثَّمْرِ كَالْتَمْرِ وَالزَّيْبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ ﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ
عَثْرِيًّا الْعُسْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُسْرِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وإنما تجب فيه بشرطين الأول : أن يبلغ نصاباً وقدره بعد تصفية
الحب وجفاف الثمر خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً نبوياً فتكون خمسة
الأوسق (٣٠٠) ثلاثمائة صاع بالصاع النبوي وبالصاع الحالي مائتين
وثمانية وعشرين صاعاً ووزن الصاع النبوي بالريال الفرنسي ثمانون ريالاً
(٨٠) ووزن الصاع الحالي بالريال الفرنسي مائة وأربعة (١٠٤) فيكون
زائداً على الصاع النبوي بخمس وخمسة الخمس تقريباً .

والشرط الثاني : أن يكون مالكا للنصاب وقت وجوبها فوقت
الوجوب في الحب إذا اشتد وفي الثمر إذا بدا صلاحها لأنه حينئذ يقصد

لِلْأَكْلِ وَالْإِقْتِيَابِ بِهِ فَأَشْبَهَ الْيَابِسَ وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَّبَعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى يَهُودَ فَيُخْرِصُ عَلَيْهِمُ النَّخْلَ حِينَ يَطِيبُ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهُ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَيَجِبُ فِيهَا سُقْيَ بِلَا مَوْنَةِ الْعُشْرِ وَفِيهَا سُقْيَ بِكُلْفَةِ نِصْفِ الْعُشْرِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ مَرْفُوعاً فِيهَا سَقَّتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ وَفِيهَا سُقْيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَاللِّسَانِيُّ وَأَبِي دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ فِيهَا سَقَّتِ السَّمَاءُ وَالْأَنْهَارُ وَالْعَيُونُ أَوْ كَانَ بَعْلًا الْعُشْرَ وَفِيهَا سُقْيَ بِالسَّوَانِي وَالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ .

وَيَجِبُ اخْرَاجُ زَكَاةِ الْحَبِّ مُصَفًى مِنْ قَشْرِهِ وَالثَّمَرِ يَابِساً لِمَا وَرَدَ عَنْ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَنْ يُخْرِصَ الْعَنْبُ زَبِيئاً كَمَا يُخْرِصُ الثَّمَرُ وَلَا يُسَمَّى زَبِيئاً وَلَا تَمراً حَقِيقَةً إِلَّا الْيَابِسُ وَقَيْسَ الْبَاقِي عَلَيْهِمَا . وَلَا يَسْتَقِرُّ وَجُوبُهَا إِلَّا بِجَعْلِهَا فِي الْجَرِينِ أَوْ فِي الْبَيْتَرِ أَوْ فِي الْمِسْطَاحِ وَنَحْوِهِ .

فَإِنْ تَلَفَتْ الْحُبُوبُ وَالثَّمَارُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ قَبْلَ الْوَضْعِ بِالْجَرِينِ وَنَحْوِهِ بِغَيْرِ تَعَدٍّ مِنْهُ سَقَطَتْ خُرُصَتُ أَوْ لَمْ تُخْرِصْ وَإِنْ تَلَفَ الْبَعْضُ مِنَ الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ قَبْلَ الْاسْتِقْرَارِ زَكَّى الْبَاقِي إِنْ كَانَ نِصَاباً وَالْأُخْرَى فَلَا زَكَاةَ فِيهِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ) .

وَلَا تَتَكَرَّرُ زَكَاةُ الْمُعْشَرِ إِذَا لَمْ يَقْضَ بِهِ التِّجَارَةُ فَإِنْ كَانَتْ مُعَدَّةً لِلتِّجَارَةِ كَالَّذِي يَشْتَرِي الْبُرَّ أَوْ الْأُرْزَ أَوْ الزَّيْتَ يَتَرَبَّصُ بِهِ أَوْ يَقَطَعُهُ فَهَذِهِ

تُعْتَبَرُ عَرُوضًا إِذَا كَانَتْ تَبْلُغُ نِصَابًا كَلَّمَا دَارَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ قَوْمَهَا بِالْأَنْفَعِ
لِلْفُقَرَاءِ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرْقٍ وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ بَعَثُ خَارِصٍ لِثَمَرِ النَّخْلِ وَالكَرْمِ إِذَا بَدَأَ
صَلَاحُهَا . وَشُرْطُ كَوْنِهِ مُسْلِمًا أَمِينًا خَبِيرًا لِحَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ إِلَى الْيَهُودِ يَخْرِصُ عَلَيْهِمُ
النَّخِيلَ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي حَدِيثِ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَبْعَثُ عَلَى النَّاسِ مَنْ يَخْرِصُ عَلَيْهِمْ كُرُومَهُمْ وَثَمَارَهُمْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَرَّصَ عَلَى امْرَأَةٍ بِوَادِي
الْقُرَى حَدِيقَةً لَهَا وَحَدِيثُهَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ .

وَيَجِبُ أَنْ يَتْرَكَ الْخَارِصُ لِرَبِّ الْمَالِ الثَّلْثَ أَوْ الرَّبْعَ فَيَجْتَهِدُ
السَّاعِي بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ لِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخْرَصْتُمْ فَخُذُوا وَدَعُوا الثَّلْثَ فَإِنْ لَمْ تَدْعُوا
الثَّلْثَ فَدَعُوا الرَّبْعَ رَوَاهُ الْخَمْسَةَ .

موعظة

أَيُّهَا الْغَافِلُ رَاقِبْ مَنْ يَرَاكَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّرْ سِرِّكَ فَهَوَ عَلِيمٌ
بِمَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ، إِلَى مَتَى تَمِيلُ مَعَ الزَّخَارِفِ وَإِلَى كَمْ تَرَعْبُ لِسَمَاعِ
الْمَلَاهِيِ وَالْمَعَارِيفِ وَالْمُحَرَّمَاتِ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تُجَالِسَ صَاحِبَ الدِّينِ
وَالصَّلَاحِ الْعَاكِفِ عَلَى عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَهَارَهُ
بِالصَّيَامِ لَا يَمِيلُ وَلَا يَتَوَانَى رَجَاءَ الْفَوْزِ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْتَ فِي غَمْرَةٍ هَوَاكَ

مَفْتُونًا فِي الْاِنْهَمَاكِ بِدُنْيَاكِ وَكَأَنِّي بَكَ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ
وَأَوْهَنَ قَوَاكَ وَأَفْتَرَسَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَأَخِلَّاتِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ
خَلِيلُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ مَا نَزَلَ بِكَ وَلَا تَجِدُ لَهُ كَاشِفًا فَانْتَبِهْ مَا
دَامَ جِسْمُكَ صَاحِحًا وَالْعَمَلُ مِنْكَ فِي إِمْكَانٍ .

اللهم وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَأَمِّنَا مِنْ
الْفَزَعِ وَالرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٣ - فَصْلُ فِي بَيَانِ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ :

وَيُسْتَرْطُ لِأَخْرَاجِهَا نِيَّةٌ مِنْ مُكَلَّفٍ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ
بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، فَيُنَوِّي الزَّكَاةَ ، أَوِ الصَّدَقَةَ الرَّاجِبَةَ ،
أَوْ صَدَقَةَ الْمَالِ .

وَيُسْنُ أَنْ يُفَرِّقَ زَكَاتَهُ عَلَى أَقَارِبِهِ الَّذِينَ لَا تَلْزَمُهُ مَوَازِنُهُمْ لِمَا وَرَدَ
عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّجْمِ اثْنَتَانِ :
صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ
وَالدَّارِمِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُخْرِجُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا ، وَلَا تَجْعَلْهَا
مَغْرَمًا . وَيَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِأَدَائِهَا ، لِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتُمُ الزَّكَاةَ

فلا تَسُوا ثَوَابَهَا أَنْ تَقُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا . رواه ابن ماجه .

وَيَقُولُ الْآخِذُ وَهُوَ الْفَقِيرُ أَوْ الْمِسْكِينُ أَوْ أَحَدُ الْأَصْنَافِ آجَرَكَ اللَّهُ
فِي مَا أُعْطِيََتِ وَيَبَارِكُ لَكَ فِيمَا أُبْقِيَتِ وَجَعَلَهُ لَكَ طَهُورًا .

قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ،
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ ﴾ أَي ادْعُ لَهُمْ ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ
فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّى عَلَيْهِمْ . فَأَتَاهُ أَبِي
بِصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » .

وَلِلْمُزَكِّيِ دَفْعُهَا إِلَى الْإِمَامِ وَإِلَى السَّاعِي ، وَيَبْرَأُ بِذَلِكَ ، وَلَا
يُجْزِي دَفْعُهَا إِلَى كَافِرٍ غَيْرِ مُؤَلَّفٍ ، وَلَا حَظٌّ فِيهَا لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ .
مُكْتَسِبٌ لَمَّا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخْبَرَاهُ
أَنَّهُمَا أُتِيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِيهِ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَلَّبَ فِيهِمَا
الْبَصَرَ وَرَأَاهُمَا جَلْدَيْنِ فَقَالَ لَهُمَا إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُكُمَا وَلَا حَظٌّ لِغَنِيِّ وَلَا
لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ فَالْوَاجِبُ تَأْمُلُ حَالَ السَّائِلِ وَالتَّفَرُّسُ فِيهِ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَدْعِي الْفَقْرَ وَهُوَ غَنِيٌّ .

وَكَمْ مِنْ مُتَعَارِجٍ وَمَا بِهِ عَرَجٌ وَلَكِنْ لِأَمْرٍ مَا تَعَارَجُهُ .

وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ وَرَقَةٍ يَأْكُلُ بِهَا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا وَلَوْ بَرَّقَتْ وَسَبَرَتْ
بِدَقَّةٍ لَوَجَدَتْ الْعَجَائِبَ ، لِأَنَّ الْوَازِعَ الدِّينِيَّ قَدِ ضَعُفَ جَدًّا وَاخْتَلَطَ
الْحَامِلُ بِالنَّابِلِ فَلَا يُمَيِّزُ الْفَقِيرَ وَالْمُسْتَحِقَّ لِلزَّكَاةِ إِلَّا إِنْسَانٌ مُتَبَصِّرٌ بَعْدَ

التأمل والبَحْثِ التامِ والحَرِيصُ على اِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ وايصالِ زَكَاتِهِ إلى المُسْتَحِقِّ لَهَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَجِدُ مَوْضِعَهَا تَمَامًا مِمَّنْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا الْمُحْتَاجِينَ الْمُخْتَفِينَ الْحَيِّينَ الْأَرَامِلَ ذَوِي الْعَوَائِلِ وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ سَائِلًا يَسْأَلُ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ عَشْرَ السَّائِلَ فَعَشَاهُ ثُمَّ سَمِعَهُ ثَانِيًا يَسْأَلُ فَقَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ عَشْرَ السَّائِلَ قَالَ قَدْ عَشَيْتُهُ فَظَنَرُ عُمَرُ لَهُ فَاذَا تَحْتِ يَدِهِ مِخْلَاةٌ مَمْلُوءَةٌ خُبْرًا فَقَالَ لَسْتُ سَائِلًا لَكِنَّكَ تَاجِرٌ ثُمَّ أَخَذَ الْمِخْلَاةَ وَنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَضَرَبَهُ بِالذَّرَةِ وَقَالَ لَا تَعُدْ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ » . رواه أحمد وأبو داود .

ولا يَدْفَعُ بِالزَّكَاةِ مَدْمَةً ، ولا يَقْبِي بِهَا مَالَهُ ، ولا يَسْتَحْدِمُ بِهَا ، وَيَلْزَمُ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُرِيدُ إِبْرَاءَ ذِمَّتِهِ صَاحِبًا أَنْ يُفْتَشَرَ عَلَى أَهْلِ الْعَوَائِدِ وَيَسْأَلَ عَنْهُمْ بِدَقَّةٍ مِنْ يَعْرِفُ حَالَهُمْ مِنْ جِيرَانٍ وَأَقَارِبٍ حَتَّى يَتَأَكَّدَ هَلْ هُمْ أَغْنِيَاءُ فَلَا يَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ لِأَنَّ دَفْعَهَا لَهُمْ مَعَ الْغِنَى وَجُودُهُ كَعَدَمِهِ فَلَا تَبْرَأُ ذِمَّتُهُ وَتَبْقَى الزَّكَاةُ فِي ذِمَّتِهِ وَلَا يَحْمِلُهُ الْحَيَاءُ فَيُعْطِي صَاحِبَ الْغِنَى قَبْلَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ هَلْ هُوَ عَلَى فَقْرِهِ .

لأن كثيراً من الفقراء في وقتنا انفتح لهم أبواب الرزق من أولاد أو بنات أو عقار أو شؤون ولا يُبالي بغضب من منعه عاداته مع استغنائيه ويَلْتَمِسُ رِضَا اللَّهِ جُلًّا وَعَلَا وَسَوَاءَ كَانُوا أَقْرَبَاءَ أَوْ غَيْرَ أَقْرَبَاءَ .

ولا يَجُوزُ صَرْفُ الزَّكَاةِ لِغَيْرِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي

الآية ، قال الله تعالى : ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ .

فلا يجوز صرفها في بناء المدارس أو المساجد ، ولا وقف مصاحف ، ولا كتب علم . ولا تكفين موتى ، ولا توقيف مقابر ولا غيرها من جهات الخير ، لأن الله تعالى تولى الحكم فيها بنفسه ، فقد ورد عن زياد ابن الحارث الصدائي - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته ، فذكر حديثاً طويلاً ، فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات ، حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فان كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » .

فياخذ الفقير وهو من لا يجد شيئاً أو بعض الكفاية من الزكاة تمام كفايته مع عائلته سنة لأن وجوب الزكاة يتكرر بتكرر الحول .

ويأخذ المسكين وهو من يجد الكفاية أو نصفها تمام كفايته مع عائلته سنة لأن وجوب الزكاة يتكرر بتكرر الحول .

ويُعطى من الزكاة العامل وهو كجاب وحافظ . وكاتب وقاسم وجامع المواشي وعددها وكبائل ووزان وساع وراع وحمال وجمال قدر أجرته وإن تلفت في يده بلا تفريط منه فيعطى أجرته من بيت المال لأن للإمام رزقه على عمله من بيت المال .

وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الْمُؤَلَّفُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ فِي عَشِيرَتِهِ مَا يَحْصُلُ
بِهِ التَّأْلِيفُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ .

٥ - وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الرَّقَابُ وَهُمْ الْمَكَاتِبُونَ وَفَاءَ دَيْنِ الْكِتَابَةِ
وَيَجُوزُ أَنْ يُفِيدِي مِنَ الزَّكَاةِ أُسِيرًا مُسْلِمًا فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ .

٦ - وَيُعْطَى الْغَارِمُ مِنَ الزَّكَاةِ وَهُوَ مَنْ تَدَيَّنَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنٍ أَوْ
تَحْمَلِ بِسَبَبِ اتِّلَافِ نَفْسٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَهْبٍ أَوْ مَالًا لِتَسْكِينِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ
طَائِفَتَيْنِ وَيَتَوَقَّفُ صَلُحُهُمَا عَلَى مَنْ يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ أَوْ تَدَيَّنَ لِشِرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ
كُفَّارٍ أَوْ لِنَفْسِهِ فِي مُبَاحٍ وَأَعْسَرَ وَفَاءَ دَيْنِهِ كُمُكَاتِبٍ ، وَدَيْنُ اللَّهِ كَدَيْنِ
الْأَدْمِيِّ .

٧ - وَيُعْطَى الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَحْتَاجُ لِعَزْوِهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا
وَإِقَامَةً فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَنَحْوِ ثَمَنِ سِلَاحٍ وَدِرْعٍ وَفَرَسٍ لِفَارِسٍ وَيُعْطَى
مِنَ الزَّكَاةِ ابْنُ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ بِهِ بِغَيْرِ بَلَدِهِ مَا يُبَلِّغُهُ بَلَدَهُ أَوْ
مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ سَفَرُهُ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة

عباد الله إن وجود الموت بين الناس موعظة كبرى لو كانوا يعقلون
فانه بلسان الحال يقول لكل واحد منا : سأنزل بك يوماً أو ليلة كما ترى
الناس بعينك يموتون وقد يكون لأحدهم من المال والجاه والقوة
والجمال والعلم والفصاحة والمركز الديني ما يدهش الناظرين له ،
وقد يكون قد طال عمره وطال أملة حتى ملّ وملّ منه . وبين ما هو في
حال من النشاط قوي مشدود أسرته ، ذوهمة تضيق بها الدنيا ، قد أقبلت

عليه الدنيا من كل جهة ، وزهت له ، إذا تراه جثة هامدة أشبه بأعجاز النخل الخاوية لا جس له ولا حركة ولا أقوال ولا أفعال قد ضيق على من حوله وإذا لم يسرعوا به إلى الدفن يكون جيفة من الجيف تؤذي رائحتها الكريهة كل من قرب منها ، هذا كله يكون بعد ذلك النشاط والقوى لأن هادم اللذات نزل به .

وبعد نزوله لا تسأل كان له ما كان ، وفي الحال تصبح زوجته أرملة ويصبح أولاده أيتاماً . وفي الحال تقسم أمواله التي جمعتها وقاسى على جمعها الشدايد . لأن الموت يزيل ملكه وينقله إلى ملك ورثته نقلاً تعجز عن نقضه الأيام ، نعم إنه بالموت يزول ماله كله وهي أكبر مصيبة مالية .

وأكبر منها أنه يسأل عنه كله داخلاً وخارجاً من حلال أم من حرام . وبعد مدة يسيرة ينسى هو وينسى ماله وينسى جاهه وينسى مركزه ومكانته ولو كان ملكاً أو وزيراً وما كأنه رآته العيون ولا سمعت كلامه الأذان ، كما شِعرا لِمَنْ يَا أَيُّهَا الْمَعْرُورُ تَحْوِي مِنْ الْمَالِ الْمُؤَفَّرِ وَالْأَنْثَاثِ سَتَمَضِي غَيْرَ مَحْمُودٍ فَرِيداً وَيَخْلُو بَعْلُ عَرْسِكَ بِالثَّرَاثِ وَيَخْذُلُكَ الْوَصِيُّ بِلَا وِفَاءٍ وَلَا اصْطِلَاحِ أَمْرِ ذِي الْبِيَاثِ لَقَدْ وَفَّرْتَ وَزراً مَرَّ حِيناً يَسُدُّ عَلَيْكَ سُبُلَ الْأَنْبِعَاثِ فَمَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ جِرْزٌ وَلَا وَزَرَ وَمَا لَكَ مِنْ غِيَاثِ

إن الناس يرون الموت كل يوم بأعينهم في يسوتهم أو في المستشفيات ، ويرون ماله من آثار ومع ذلك فإنهم بمجرد أن يموت بينهم ميت يكون منهم مع موته هذا ما يدهش الأفكار فترى من أقاربه من يتسابقون إلى البحث عما خلف وانتهاج ما اتصلت إليه أيديهم من

ماله ، وربما شبت بين ورثته الحروب من أجل أن يتميز كل واحد منهم في التركة عن سواه وقد تشتد بهم تلك العداوة تعمل عملها ما بقيت تلك .

يُفَعِّلُونَ هَذَا كُلَّهُ عَقِبَ مَنْ يَمُوتُ بَدَلِ أَنْ يَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا بِهِ فَيَزَهِّدُهُمْ هَذَا التَّفَكِيرُ وَالْإِعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ الْمَالِ الْفَانِي الذَّاهِبِ عَنْ أَيْدِيهِمْ عَنْ قَرِيبٍ كَمَا ذَهَبَ عَنْهُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِهِ لَقَدْ سَبَقَ أَقْوَامٌ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْمَوْتِ حَقَّ الْإِيمَانِ فَكَانُوا يُقَدِّرُونَ الدُّنْيَا حَقَّ التَّقْدِيرِ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا فَانِيَةٌ وَأَنَّهَا غَرَارَةٌ خَدَاعَةٌ وَأَنَّهُمْ تَارِكُوهَا يَوْمًا رَغَمَ أَنْوْفِهِمْ لَا رُجُوعَ بَعْدَهُ لِغَلِيلٍ مِنْهَا وَلَا كَثِيرٍ قَرُؤُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ فَاسْتَعِدُّوا وَأَقْرَأُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ فَكَانُوا إِذَا حَصَلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا صَرَفُوا ذَلِكَ لِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ . وَإِذَا سَمِعَتْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا فَلِمَا ذَكَرْنَا .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا مُرَائِي وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ صَاعٍ هَذَا فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .﴾

وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ حَثَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَقَةِ يَعْنِي فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آفٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي ثَمَانِيَّةُ آفٍ جِئْتُكَ بِبِضْفِهَا وَأَمْسَكْتُ بِبِضْفِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ وَجَاءَ

أَبُو عَقِيلٍ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ صَاعٍ
 أَقْرَضْتَهُ لِرَبِّي وَصَاعٍ لِعِيَالِي قَالَ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا أُعْطِيَ ابْنُ
 عَوْفٍ إِلَّا رِيَاءً وَقَالُوا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ غَنِيَيْنِ عَنْ صَاعٍ هَذَا وَهَكَذَا
 كَانَ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجْعَلُونَ مَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا وَسَبِيلَةً إِلَى
 الآخِرَةِ :

شعرا :

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالَ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ
 وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
 وَمَيِّزَ فِي انْفَاقِهِ بَيْنَ مُصْلِحٍ
 مَعِيشَتِهِ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
 وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضِغْ
 بِهِ الذُّخْرَ زَادًا لِتِي هِيَ أَنْفَعُ
 فَذَلِكَ الْفَتَى لَا جَامِعَ الْمَالِ ذَاخِرًا
 لِأَوْلَادٍ سُوءِ حَيْثُ حَلُّوا وَأَوْضَعُوا

اللهم تقبل منا يسير الأعمال ، وهب لنا إساءتنا في الأقوال
 والأفعال وسامحنا عن الغفلة والإهمال واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله
 وصحبه أجمعين .

(فصل)

٣٤ - فِيمَا وَرَدَ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى تَرْكِ الزُّكَاةِ :

إذا فهمت ما تقدم مما تجب فيه الزكاة وبيان نصاب الزكاة
ومصرفها وما ينبغي أن يقول الدافع والمدفوع إليه . فاعلم أنها ما خالطت
مالاً إلا أفسدته ومحقت بركته وأي خير ونفع في مالٍ ممنوح البركة باقٍ
شراً وفتنته وشغل البدن والقلب واتعابهما ؟

والمحقق : منه ما هو ظاهر ، وهو ذهاب صورة المال ورجوع
الإنسان بعد الاستغناء فقيراً ، وقد وقع ذلك لخلق كثير من المتساهلين
بأمر الزكاة .

ومن المحق : محق باطن وهو أن يكون المال في الصورة موجوداً
وكثيراً ولكن لا ينتفع فيه صاحبه لا في دينه في وجوه البر والمشاريع
الخيرية وبذل المعروف ، ولا ينتفع فيه في نفسه ومروءته بالستر
والصيانة ، ومع ذلك يتضرر به تضرراً كثيراً بامساكه عن حقه ووضع في
غير جهته إما بانفاقه بالمعاصي والعياذ بالله . وإما في الشهوات البهيمية
التي لا نفع فيها ولا حاصل .

وقد ورد في منع الزكاة عن الله ورسوله تشديدات هائلة وتهديدات
عظيمة ويخشى على مانع الزكاة من سوء الخاتمة والتعرض لوعيد الله
وغضبه والخروج من الدنيا على غير ملة الاسلام ومما جاء من الوعيد
في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ
سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿والذين يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ، هذا ما كَتَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتِزُونَ﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وظَهْرُهُ ، كلما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ . كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها - ومن حقها حلبها يوم وزيها - إلا إذا كان يوم القيامة يُطخ لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً : تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مرَّ عليه أولاه رُدَّ عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله ، فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة يُطخ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا خلجاء ولا عضباء ، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولها رُدَّ عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إما إلى الجنة ،

وَمَا إِلَى النَّارِ .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقَرٌ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَرَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا ، وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقَرٌ فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَنْظُرُهُ بِأُظْلَافِهَا ، لَيْسَ فِيهَا جَمَاءٌ وَلَا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا وَلَا صَاحِبٌ كَنَزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا ، أَقْرَعٌ يَتَّبِعُهُ فَاتِحًا فَاهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنَادِيهِ خُدَّ كَنْزِكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضِمُهَا قَضَمَ الْفَحْلَ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ مِنْ نَارٍ فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ أَنْ أَدَى الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَدَى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ » .

وَعَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى مَلَأٍ

مِنْ قُرَيْشٍ فَجَاءَ رَجُلٌ خَشَنُ الشَّعْرِ وَالنِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ
 ثُمَّ قَالَ : بَشَّرُ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوَضَعُ
 عَلَى حَلْمَةِ ثَدِي أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نَعْصِ كَتِفِهِ وَيُوَضَعُ عَلَى نَعْصِ
 كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ ثَدِيهِ فَيَنْزَلُ .

ثُمَّ وُلِّيَ ، فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةِ ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا لَا أُدْرِي
 مَنْ هُوَ ، فَقُلْتُ : لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتُ ، قَالَ إِنَّهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ شَيْئًا ، قَالَ لِي خَلِيلِي ، قُلْتُ مَنْ خَلِيلُكَ ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَبْصِرُ أَحَدًا ؟ قَالَ : فَظَنَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ
 وَأَنَا أَرَى أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ قُلْتُ :
 نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ ،
 وَإِنْ هُوَ لَاءِ لَا يَعْقِلُونَ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ ، لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيًا وَلَا
 اسْتَفْتِيَهُمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ ، أَنَّهُ قَالَ : « بَشَّرُ الْكَانِزِينَ بِكَيِّ فِي ظُهُورِهِمْ
 فَيَخْرُجُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ، وَبِكَيِّ مِنْ قَبْلِ أَفْئَاتِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ جَبَاهِهِمْ
 قَالَ : ثُمَّ تَنْحَى فَفَعَدَ ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَذَا قَالُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ :
 فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَا شَيْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبَيْلٌ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ إِلَّا شَيْئًا
 قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُلْتُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ قَالَ
 حُدَّهُ . فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةٌ فَإِذَا كَانَ ثَمَنًا لِدِينِكَ فَدَعَّهُ . »

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ
 الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ ، وَكُنْتُ أَكْثَرُهُمْ لُزُومًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

قال عُمَرُ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ - أو قال الزَّكَاةُ - مَالاً إِلَّا أَفْسَدَتْهُ » .

وعن الحَسَنِ : أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « حَصِنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالذُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ » .

فَتَأْمَلْ يَا أَخِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَاتِ . .

وانظُرْ كَيْفَ يُؤْتَى بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُجِبُهُ مَانِعُ الزَّكَاةِ حُبًّا شَدِيدًا وَيُعْزُهُ الْعِزُّ الَّذِي يَصِلُ بِهِ إِلَى أَنْ يُمَسِّكُهُ وَيَجْمَعُهُ وَيُوعِيهِ وَلَا يُفْرِطُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى مَا كَانَ مِنْهُ حَقًّا لِلْفُقَرَاءِ الْبُؤْسَاءِ الْمَسَاكِينِ يُؤْتَى بِهِ بِعَيْنِهِ وَيُجْعَلُ صَفَائِحَ وَمَعَ أَنْ هَذِهِ الصَّفَائِحُ مِنْ نَارٍ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِنَشْتَدَّ حَرَارَاتُهَا وَتَزْدَادَ لِيَكُونَ الْمُهَا الْوَاقِعُ عَلَى بَدَنِ مَانِعِ الزَّكَاةِ بِالْغَايَةِ النَّهَائِيَّةِ فِي الشَّدَّةِ حِينَ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ .

وَتَخْصِيصُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّ الْمُعَدَّبَ وَهُوَ مَانِعُ الزَّكَاةِ إِذَا جَاءَهُ الْفَقِيرُ يَسْأَلُهُ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ عَبَسَ وَجْهَهُ وَعَقَدَ جَبِينَهُ عُبُوسًا وَتَعْقِيدًا يَدُلُّ عَلَى كَرَاهَتِهِ لِهَذَا السُّؤَالِ .

فَإِذَا أَلَحَّ الْفَقِيرُ عَلَيْهِ زَادَ فِي عُبُوسِهِ أَنْ يَضُنَّ بِمُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الْفَقِيرِ فَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ إِلَى الْأَنْحِرَافِ عَنْهُ وَيَجْعَلُ جَنْبَهُ فِي وَجْهِ الْمَسْكِينِ السَّائِلِ مُبَالَغَةً فِي إِظْهَارِ الْكِرَاهِيَّةِ لِسُؤَالِهِ .

فإذا اُزْدَادَ الْفَقِيرُ وَاشْتَدَّ فِي الطَّلَبِ وَالْإِلْحَاحِ بَالِغَ الْمَسْئُولِ فِي
الْغَضَبِ فَانصَرَفَ عَنْهُ وَوَلَاهُ ظَهْرَهُ مَاشِيًا مِنْ مَكَانِهِ وَتَارِكًا لَهُ يَهْوِي فِي هَوَاتِ
اِحْتِيَاجِهِ بَدُونِ أَيِ اكْتِرَاطٍ فَلَمَّا كَانَ هَذَا حَالُ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ فِي
الدُّنْيَا خُصَّتْ فِي الْآخِرَةِ بِالْكَيِّْ يَتَلَكَّ الصَّفَائِحَ الَّتِي هِيَ مَالُهُ وَبِذَلِكَ
يَعْرِفُ أَنَّهُ يَهَانُ بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُعِزُّهُ فِي دُنْيَاهُ .

ولو كان يُهِنُّهُ بِالدُّنْيَا بِمُفَارَقَةِ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْهُ لَكَانَ سَبَبًا
لِإِكْرَامِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ الْمُفْرِعِ .

وَأَنْظُرْ كَيْفَ تَأْتِي نِعْمُهُ إِبْلُهُ وَبَقْرُهُ وَغَنَمُهُ الَّتِي لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللّهِ فِيهَا
أَقْوَى مَا كَانَتْ وَأَوْفَرَهُ فَتَطْوُهُ الْإِبِلُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَنْيَابِهَا الْحَادَّةِ وَتَطْوُهُ
الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ بِأَضْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا السَّلِيمَةِ لِيَكُونَ النَّطْحُ بِهَا أَوْجَعَ وَالْمَ
وَلَا تَجِيءُ بَقْرُهُ وَلَا نَعَجَةٌ إِلَّا وَلَهَا قَرْنَاهَا لَيْسَ بِهِمَا أَيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُ مِنْ
تَوْجِيهِهِمَا إِلَيْهِ وَطَعْنِ الْمَانِعِ بِهِمَا الطَّعْنَ الْأَلِيمَ . وَإِنَّمَا كَانَتْ أَقْوَى مَا
كَانَتْ لِيَكُونَ وَطْوُهَا وَنَطْحُهَا وَعَضُّهَا بِمُنْتَهَى الْقُوَّةِ . وَإِذَا كَانَ مَبْطُوحًا لَهَا

وَهِيَ تَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ بِالْوَطْءِ كَانَ أُمْكَنَ لَهَا فِي فِعْلٍ مَا تُعَذِّبُهُ بِهِ وَهَذَا الْعَذَابُ
لَا يَكُونُ زَمَنُهُ قَلِيلًا وَلَكِنَّهُ يَدُومُ مَا دَامَ الْمَوْقِفُ .

وَمِقْدَارُ الْمَوْقِفِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَنَوْعٌ آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ خَاصٌّ
بِمَانِعِ الزَّكَاةِ وَهُوَ أَنْ يُوَضَعَ حَجَرٌ مُحْمَى عَلَيْهِ وَقَدْ زِيدَ فِي حَرَارَتِهِ فَأُحْمِيَ
عَلَيْهِ كَذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَلَا يَتَحَمَّلُ اللَّحْمُ شِدَّةَ حَرَارَتِهِ فَيَذُوبُ ذَوَابًا
فَيَدْخُلُ الْحَجَرُ الْجِسْمَ وَاللَّحْمُ يَذُوبُ أَمَامَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةِ
الَّتِي فِي طَرْفِ الْكِتَابِ .

ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةُ وَقَدْ عَادَ الْجِسْمُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
فِيُفْعَلُ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ يَخْرُجُ مِنْ حَلْمَةٍ تُذِيهِ وَيَزِيدُ فِي الْأَلَمِ حَالِ التَّعْذِيبِ
أَنَّ الْحَجَرَ يَنْزَلُ لَا يَمُرُّ فِي الْبَدَنِ مُسْتَقِيمًا وَقَتَ نَفُودِهِ .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ لَا يَكُونُ هَذَا
الْعَذَابُ كَافِيًا فَيَكُونُ سَبِيلَهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مِنْ
رُقُومٍ وَحَمِيمٍ وَعَسَاقٍ وَضَرِيعٍ وَوَيْلٍ وَغَسْلِينَ .

وَلِمَنْعِ الزَّكَاةِ شَكْلُ آخَرَ مِنَ الشُّؤْمِ الدُّنْيَوِيِّ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ كَمَا فِي
حَدِيثٍ مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بَحَسَ الزَّكَاةُ فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ أَيُّ مَالٍ يَضِيعُ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ سَبَبُ تَلْفِهِ تَرْكُ الزَّكَاةِ .
وَهِيَ عُقُوبَةٌ تَعَكِّسُ عَلَى الْمَانِعِ قَصْدَهُ ، إِذْ هُوَ يَقْصِدُ بِمَنْعِهِ لَهَا تَكْثِيرُ
الْمَالِ وَالْهُرُوبِ مِنْ نَقْصِهِ بِإِخْرَاجِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ مِنْهُ . وَلَوْ أَخْرَجَ الْقَدْرَ
الْوَاجِبَ وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، لَحَفِظَ مَالَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ
هُوَ ثَوَابُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكَانَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْمُعْطَى مَا
لَا يَنْسَاهُ مَدَّةَ حَيَاتِهِ .

أَمَّا الْعُقُوبَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ فَالنَّارُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : ﴿كَلَّا إِنَّهَا
لَطَى نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى تَدْعُو مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ ، أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ بِدِقَّةٍ وَتَقْوَمَ مَا أَعَدَّته لِلْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ وَأَنْ تُبْرِئَ ذِمَّتَكَ بِبَيِّنٍ ، بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّهَا إِذَا تَمَّ الْحَوْلُ ،
وَأَنْ لَا تَدْفَعَهَا إِلَّا لِمَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّهَا بَيِّنًا أَوْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ
أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا .

وَاحْذَرِ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّهَاؤُنِ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ التَّسْوِيفِ بِهَا أَوْ
سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُلتَوِيَةِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ أَدَائِهَا أَوْ التَّحَايُلِ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا
فَكُلُّ حِيلَةٍ تُسْتَعْمَلُ لِتَضْيِيعِ حَقِّ مَنْ حُقُوقَ اللَّهِ أَوْ حُقُوقِ عِبَادِهِ أَوْ تُبَيِّحُ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ تَحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَهِيَ مِنَ الْحِيلِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي سَيُجَازَى
عَلَيْهَا أَشَدُّ الْجَزَاءِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

وَيَجُوزُ تَعْجِيلُ الزَّكَاةِ لِحَوْلَيْنِ فَأَقْلَّ إِذَا كَمَلَ النِّصَابُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذَلِكَ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ
الْأَنْسَابِي .

وعن أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر
على الصدقة فقبل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله
ورسوله وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد حبس أذراعه وأعتاده في
سبيل الله وأما العباس فهي حق علي ومثلها معها ثم قال يا عمر أما
شعرت أن عم الرجل صنو أبيه متفق عليه .

اللهم اغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك واعف عن تقصيرنا في
طاعتك وشكرك وأدم لنا لزوم الطريق إليك وهب لنا نوراً نهتدي به إليك
واسلك بنا سبيل أهل مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا عن سبيلك ويسر
لنا ما يسرته لأهل محبتك وأيقظنا من غفلاتنا وألهمنا رشدنا وحقق
بكرمك قصدنا واسترنا في دنيانا وآخرتنا واحشرنا في زمرة المتقين
والجنتنا بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء

منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

* في بعض آداب الزكاة :

قال في منهاج القاصدين إعلم أن على مُريد الزكاة وظائفا :

الوَظِيفَةُ الْأُولَى : أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء :
إبتلاء مُدعي محبة الله تعالى ، باخراج محبوبه والتزُّه عن صفة البخل
المُهْلِك ، وشكرُ نعمة المال .

الوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ : الأسرارُ باخراجها لقوله تعالى : ﴿ إن تُبْدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا ، وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾
وحديث السبعة وعدَّ منهم رجلاً تصدَّق بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ
شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ لِكَوْنِهِ أَبْعَدَ عَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ، وفي الإظهارِ إِذْلالٌ
لِلْفَقِيرِ أَيْضاً ، فَإِن خَافَ أَنْ يُتَّهَمَ بِعَدَمِ الْإِخْرَاجِ أَعْطَى مَنْ لَا يُبَالِي مِنَ
الْفُقَرَاءِ بِالْأَخْذِ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ عَلَانِيَةً وَأَعْطَى غَيْرَهُ سِرًّا .

الوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ : أن لا يُفْسِدَها بِالْمَنِّ وَالْأَذَى . وذلك أن الإنسان
إذا رَأَى نَفْسَهُ مُحْسِنًا إِلَى الْفَقِيرِ مُنْعِمًا عَلَيْهِ بِالْإِعْطَاءِ ، رَبَّمَا حَصَلَ مِنْهُ
ذَلِكَ ، وَلَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ لَرَأَى الْفَقِيرَ مُحْسِنًا إِلَيْهِ ، بِقَبُولِ حَقِّ اللَّهِ الَّذِي هُوَ
طَهَّرَ لَهُ ، وَإِذَا اسْتَحْضَرَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ إِخْرَاجَهُ لِلزَّكَاةِ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ الْمَالِ ،
فَلَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَقِيرِ مُعَامَلَةٌ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَقِرَ الْفَقِيرَ بِفَقْرِهِ لِأَنَّ
الْفَضْلَ لَيْسَ بِالْمَالِ وَلَا النِّقْصَ بِعَدَمِهِ .

الوظيفة الرابعة : أن يَسْتَصْغِرَ العَطِيَّةَ ، فَإِنَّ المُسْتَعْظِمَ لِلْفِعْلِ مُعْجَبٌ بِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : لَا يَتِمُّ المَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثٍ : بِتَصْغِيرِهِ وَتَعْجِيلِهِ وَسْتِرِهِ .

الوظيفة الخامسة : أن يَنْتَقِي مِنَ مَالِهِ أَحَلَّهُ وَأَجُودَهُ وَأَحَبَّهُ إِلَيْهِ ، أَمَا الحِلُّ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَأَمَّا الأَجُودُ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْرٍ ، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنفُسُ عِنْدِي مِنْهُ ، فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتَ حَبِسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا . قَالَ : فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ . قَالَ : فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ فِي الفُقَرَاءِ وَذَوِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ ، وَفِي لَفْظٍ غَيْرِ مُتَأَبِّلٍ رَوَاهُ الجَمَاعَةُ .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ - رضي الله عنه - أَكْثَرَ الأنصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مَسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ . قَالَ أَنَسُ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وَإِنْ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَأَنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى

أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَخٍ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ
 سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ :
 أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .
 وَيَتَّبِعِي أَنْ يُلَاحِظَ فِي ذَلِكَ أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : حَقُّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّعْظِيمِ لَهُ ، فَإِنَّهُ أَحَقُّ مَنْ
 اخْتِيرَ لَهُ ، وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدَّمَ إِلَى ضَيْفِهِ طَعَاماً رَدِيئاً لَأَوْغَرَ صَدْرَهُ .

وَالثَّانِي : حَقُّ نَفْسِهِ فَإِنَّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ هُوَ الَّذِي يَلْقَاهُ غَدَاً فِي الْقِيَامَةِ
 فَيَتَّبِعِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَجُودَ لِنَفْسِهِ ، وَأَمَّا أَحَبُّهُ إِلَيْهِ ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَنْ
 تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِذَا اشْتَدَّ حُبُّهُ لِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ
 قَرَّبَهُ لِلَّهِ عِزُّ وَجَلُّ . وَرُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ الْجُحْفَةَ وَهُوَ شَاكٍ ، فَقَالَ : إِنِّي
 لَأَشْتَهِي حَيْثَاناً فَالْتَمَسُوا لَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا حُوتاً فَأَخَذَتْهُ امْرَأَتُهُ فَصَنَعَتْهُ ،
 ثُمَّ قَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ فَاتَى مَسْكِينٌ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - خُذْهُ ،
 فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ قَدْ عَنَيْتَنَا وَمَعَنَا زَادُ نُعْطِيهِ ، فَقَالَ : إِنْ عَبْدَ
 اللَّهُ يُحِبُّهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ سَائِلاً وَقَفَ بِيَابِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ :
 أَطْعِمُوهُ سُكْرًا ، فَإِنَّ الرَّبِيعَ يُحِبُّ السُّكْرَ .

الْوِظِيْفَةُ السَّادِسَةُ : أَنْ يَطْلُبَ لِصَدَقَتِهِ مَنْ تَزَكُّو بِهِ ، وَهُمْ خُصُوصٌ
 مِنْ عُمُومِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَّةِ ، وَلَهُمْ صِفَاتٌ :

الأولى : التَّقْوَى ، فَلْيُخَصَّ بِصَدَقَتِهِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ يَرُدُّ بِهَا هَمَّهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمُوا الْأَتَقِيَاءَ وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ يَتَخَيَّرُ الْعِبَادَ وَهُمْ سُجُودٌ فَيَأْتِيهِمْ بِالضَّرَّةِ فِيهَا الدَّنَانِيرُ وَالدِّرَاهِمُ فَيَضَعُهَا عِنْدَ نِعَالِهِمْ بَحِيثٌ يُحْسُونَ بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَكَانِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُرْسِلَ بِهَا إِلَيْهِمْ ؟ فَيَقُولُ أكرهُ أَنْ يَتَمَعَّرَ وَجْهُ أَحَدِهِمْ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَسُولِي .

الصفة الثانية : العِلْمُ فَإِنَّ إعطاءَ العالمِ إعانةً على العِلْمِ ونشرِ الدينِ ، وذلك تَقْوِيَةٌ لِلشَّرِيعَةِ .

الصفة الثالثة : أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرَى الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ وَحَدَهُ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْأَسْبَابِ إِلَّا بِقَدْرٍ مَا نُدِبَ إِلَيْهِ مِنْ شُكْرِهَا ، فَأَمَّا الَّذِي عَادَتُهُ الْمَدْحُ عِنْدَ الْعَطَاءِ فَإنَّهُ سَيَذُمُّ عِنْدَ الْمَنْعِ .

الصفة الرابعة : أَنْ يَكُونَ صَانِعًا لِفَقْرِهِ ، سَائِرًا لِحَاجَتِهِ ، كَاتِمًا لِلشُّكْرِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

وَمِنْ آدَابِ الْمُزَكِّيِّ الَّتِي تَتَأَكَّدُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا بِقَبُولِ الْفَقِيرِ الْمُسْتَحِقِّ لِرِزْقَاتِهِ ، وَلِيَحْذَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَارِهًا لِإِخْرَاجِهَا فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُصَلِّي وَلَكِنْ لَا يَأْتِيهَا إِلَّا وَهُوَ كَسْلَانٌ وَقَدْ يُزَكِّي وَلَكِنْ مَعَ الْكِرَاهَةِ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » وَفِي لَفْظٍ : « لَيْسَ مِمَّنْ تَشَبَهَ بِغَيْرِنَا » وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اللَّهُمَّ نُوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

موعظة

عبادَ اللهِ إِنَّ كُنْتُمْ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسَارِ وَأَدَيْمُوا شُكْرَهُ يَدْمَ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةَ وَيَزِدْهَا ، وهو الكريمُ الجوادُ . ومن تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْ تَنْسُخُوا مِنَ الزَّكَاةِ بِإِخْرَاجِهَا كَامِلَةً إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَفُوزُوا بِالْخَلْفِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَرَاعُوا عِنْدَ الْإِحْسَانِ الْأَدَبَ فَلَا تَمْنُوا عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحِيطٌ لِلْأَعْمَالِ وَاسْتَرُوا عَطَاءَكُمْ مُخْلِصِينَ مُتَيَقِّنِينَ أَنْ حَاجَتَكُمْ إِلَى الثَّوَابِ وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَةِ الْفَقِيرِ إِلَى مَا تُخْرِجُونَ . وَاغْلُمُوا أَنْ إِحْسَانَكُمْ إِنَّمَا هُوَ لِأَنْفُسِكُمْ وَأَعْصُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ وَيَنْهَى عَنِ الْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يُخِيفُكُمْ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ أَنْ يَذْهَبَ مَالُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَصِيحَةَ الْعَدُوِّ مَهْلَكَةٌ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا . رواه البخاري ومسلم .

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعَصْيَانِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

* فَضْلٌ فِيمَنْ تَحَلَّى لَهُ الصَّدَقَةَ :

إِعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنْ مِمَّا

يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْهُ ، مَسْأَلَةَ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ
أَوْ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا وَلَا غِنَى لَهَا عَنْهَا ، وَذَلِكَ لِمَا وَرَدَ عَنْ
قَبِيصَةَ بْنِ مَخْرَقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ : تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ
فِيهَا ، فَقَالَ : أَقِمَّ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَأَمَرَ لَكَ بِهَا ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةُ إِنَّ
الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رُجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى
يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمَسِّكُ . أَوْ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاكَ مَالُهُ فَحَلَّتْ لَهُ
الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ وَرَجُلٌ
أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ ، مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ
فَلَانًا فَاقَةٌ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ : سَدَادًا
مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سَحَتْ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل في التحذير من أخذ الصدقة لمن لا تحل له

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلَيْسَتْ قَلِيلٌ
أَوْ لَيْسَتْ كَثِيرٌ » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ
فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ » .

وعن معاوية - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لَا تُلْجِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ . فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا

فَتُخْرِجُ لَهُ مَسْأَلَتَهُ مِنِّي شَيْئًا أَنَا كَارِهِ لَهُ ، فَيُبَارِكُ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ » .

وعن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا - يَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ - خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ : أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْمَسْأَلُ كَدُوْحٌ يَكْدُحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدٌّ » .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ : جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ » ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يُغْنِيهِ ؟ قَالَ : « خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ » .

ولأبي داودَ عن سهل بن الحنظليَّة ، قِيلَ : وما الغنى الذي لا يَنْبَغِي معه المسألة ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْرٌ مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ » .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ، فقال : « ما في بيتك شيء . قال : بلى ، جِلسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ ، قال : اثْنَيْنِي بِهِمَا ، فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَقَالَ : مَنْ

يَشْتَرِي هَذِينَ؟ قَالَ رَجُلٌ :

أَنَا أَخَذُهُمَا بِيَدِهِمْ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَزِيدُ عَلَي
دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا أَخَذُهُمَا بِيَدِهِمَيْنِ ! فَأَعْطَاهُمَا
إِيَّاهُ ، فَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا
فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالْآخِرِ قَدُومًا فَأَتَيْتَنِي بِهِ ، فَأَتَى بِهِ فَشَدَّ فِيهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَوْدًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبَ فَاحْتَطَبْتُ ، وَبِعَ وَلَا أَرِيكَ
خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ
دَرَاهِمٍ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، إِنْ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ
مُقْطِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مَوْجِعٍ » .

وَلِلْتَرْمِذِيِّ نَحْوُهُ عَنْ حَبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ ، فِيهِ : « وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ
لِيُثْرِيَ بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَرَضْفًا يَأْكُلُهُ فِي جَهَنَّمَ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقَلِّلْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ » .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَزَلَتْ فَاقَةٌ بِهِ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ
نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ » .

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ الْأَنْمَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ
حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ
عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ

فَقَرِّ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا -

وَعَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَتَكْفَلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكْفُلُ لَهُ الْجَنَّةَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا ! فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا » .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ « يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرُؤُا أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا » .
شعراً :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ الْإِلَهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالًا
وَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تُكُنْ بِطُلَابِهِمْ لِهَجَاً تَضَعُضَعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
إِنَّ الْعِبَادَ وَشَانِهِمْ وَأَمْرَهُمْ بِيَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ

اللهم كما صُنْتَ وَجُوهَنَا عَنِ السُّجُودِ لغيرِكَ فَصُنْ وَجُوهَنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ
لغيرِكَ اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفَلْتَ لنا به واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه
أجمعين .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ قَانِعًا بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ
الْحَيَاةِ فَلَا يَمُدُّ بَصْرَهُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَلَا تَتَطَلَّعُ نَفْسُهُ إِلَى سَلْبِ

حُقُوقِ النَّاسِ أَوْ ظُلْمِهِمْ وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمِ جَسَامِ
فَأَنَّ الْقَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحْسِنُ بِسَكِينَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ
الْخَلْقِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا قَنُوعاً
فَأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءً

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفْساً رَاضِيَةً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا
الْجَسَعُ وَالطَّمَعُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلِ وَلَا يَزَالُ
صَاحِبُ هَذَيْنِ أَوْ أَحَدَهُمَا إِلَّا وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبِأَقْبَحِ الصِّفَاتِ مَوْسُومٌ لَا
تَعْرُضُ لَهُ الْقَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا لَهُ . قَدْ مَلَأَ حُبُّهَا قَلْبَهُ وَغَمَرَ
مَحَبَّتُهَا وَالتَّفَانِي فِي طَلِبِهَا قَلْبَهُ وَصَارَ لَا يَرْضَى مِنْهَا بِالْيَسِيرِ وَلَا يَقْنَعُ
بِالْكَثِيرِ وَقَلَّمَاتِجِدُ مُتَّصِفاً بِهَذَا الوَصْفِ إِلَّا وَهُوَ مُتَشَتُّ الفِكْرِ قَلِيلُ الرَّاحَةِ
عِنْدَهُ مِنَ الحَسَدِ وَالهَلَعِ وَضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الشَّيْءِ الكَثِيرِ الَّذِي
يُخْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ .

أَمَّا الْقَانِعُ ذُو النَّفْسِ الأَبِيَّةِ الرَّاضِيَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمُتَوَكِّلَةِ عَلَى اللَّهِ
فَيَرْجِي لَهَا أَنْ تَنَالَهَا الآيَةُ الكَرِيمَةُ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الآيَةُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ
مَعَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيَّزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُنَادِي فِيهِ مَلَكٌ
مِنْ تَحْتِ العَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَطِيبُ الْعَيْشِ الْقِنَاعَةُ وَأَنْكَدُ الْعَيْشِ الْجَشَعُ
 وَمِنْ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تُجْعَلُ الْإِنْسَانَ بَخِيلًا بِهَا فِي يَدِهِ مُتَطَلِعًا لَمَّا فِي
 أَيْدِي النَّاسِ الْحِرْصُ وَالْأَفْرَاطُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى
 أَهْدَارِ الْكِرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ فَالْحَذَرُ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا
 فَإِنَّ حُبَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ .

شعراً :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَطِيئَةٌ رَاكِبٌ
 فإِذَا إِلَى خَيْرٍ يَسْرُ نَوَالُهُ
 فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ أَفْضَلُ مَقْصِدٍ
 مُلَازِمَةٌ خَيْرٌ اعْتِقَادٍ مُنْزَهًا
 وَنَشْرُ عُلُومٍ لِلشَّرِيعَةِ نَاطِمًا
 وَصَوْنِي نَفْسِي عَنِ مُزَاخَمَةِ عَلِيٍّ
 ففِي ذَاكَ عِزٌّ بِالْقَنُوعِ وَرَاحَةٌ
 وَحَسْبُكَ فِي ذَا قَوْلٍ عَالِمٍ عَصْرِهِ
 كَمَا لَ الْفَتَى بِالْعِلْمِ لَا بِالنَّاصِبِ

آخر :

رُجُوعًا إِلَى رَبِّ يَقِيكَ الْمَحَازِرَا
 إِلَى اللَّهِ غَايَاتٍ لَهُ وَمَصَادِرَا
 وَإِنْ لَمْ تُوَافِقْهُ الْأَمَانِي شَاكِرَا
 إِذَا كُنْتَ يَوْمًا بِالْفَضِيلَةِ فَاخِرَا
 لِمَنْ لَمْ يَبْتَ يَدْعُو سِوَى اللَّهِ نَاصِرَا
 إِذَا مَا حَذَرْتَ الْأَمْرَ فَاجْعَلْ إِزَاءَهُ
 وَلَا تَخْشَ أَمْرًا أَنْتَ فِيهِ مُفَوِّضُ
 وَكُنْ لِلذِّي يَقْضِي بِهِ اللَّهُ وَحْدَهُ
 وَلَا تَفْخَرَنَّ إِلَّا بِشُوبِ صِيَانَةٍ
 وَإِنِّي كَفَيْلٌ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْأَذَى

آخر :

وَأَنِّي أَمْرٌوَ بِالطَّبْعِ الْغَنِيِّ مَطَامِعِي
وَأَزْجُرُ نَفْسِي طَائِعاً لَا تَطْبُعَا
وَعِنْدِي غِنَى نَفْسٍ وَفَضْلُ قَنَاعَةٍ
وَلَسْتُ كَمَنْ إِنْ ضَاقَ ذَرْعاً تَضَرَّعَا
وَإِنْ مَدَّ نَحْوَ الزَّادِ قَوْمٌ أَكْفَهَا
تَأَخَّرْتُ بَاعاً إِنْ دَنَا الْقَوْمُ أَضْبَعَا
وَمُدَّ كَانَتْ الدُّنْيَا لَدَى ذَيْئَةٍ
تَعَرَّضْتُ لِلْإِعْرَاضِ عَنْهَا تَرْفُعَا
وَذَاكَ لِعِلْمِي إِنْ مَا اللَّهُ رَازِقٌ
فَمَنْ غَيْرُهُ أَرْجُو وَأَخْشَى وَأَجْزَعَا
فَلَا الضَّعْفُ يُقْصِي الرُّزْقَ إِنْ كَانَ دَانِيَا
وَلَا الْحَوْلُ يُدِينِيهِ إِذَا مَا تَجَزَّعَا
فَلَا تَبْطِرُنَّ إِنْ نِلْتِ مِنْ دَهْرِكَ الْغِنَى
وَكُنْ شَامِخاً بِالْأَنْفِ إِنْ كُنْتَ مُدْقِعَا
فَقَدْرُ الْفَتَى مَا حَازَهُ وَأَفَادَهُ
مِنْ الْعِلْمِ لَا مَالٌ حَوَاهُ وَجَمَّعَا
فَكُنْ عَالِماً فِي النَّاسِ أَوْ مُتَعَلِّمًا
وَإِنْ فَاتَكَ الْقِسْمَانِ أَضْغَرَ لِتَسْمَعَا
وَلَا تَكْ لِلْأَقْسَامِ مَا اسْتَطَعْتَ رَابِعَا
فَتُدْرَأُ عَنْ وَرْدِ النَّجَاةِ وَتُدْفَعَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا
لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
تِسْعَةَ أَوْ ثِنَايَةَ أَوْ سَبْعَةَ ، فَقَالَ : « أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ » وَكُنَّا حَدِيثِي
عَهْدٍ بَبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ
اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَلَّامَ نُبَايَعُكَ ؟
قَالَ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَتُطِيعُوا اللَّهَ
وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً ، وَلَا تَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفْرِ
يَسْقُطُ سَوَاطِئَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

إِنِّي لِأَكْرَمُ وَجْهِي أَنْ أُوَجِّهَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عَزَّ الْقَنَاعَةَ وَالْإِيثَانَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْبِمَانَةِ النَّكِدِ
رَضِيتُ بِاللَّهِ فِي يَوْمِي وَفِي غَدِهِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ : شَرِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَبَنًا
فَأَعْجَبَهُ ، فَسَأَلَ الَّذِي سَقَاهُ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ - قَدْ
سَمَّاهُ - فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ ، فَحَلَبُوا مِنَ الْبَانِهَا فَجَعَلَتْهُ فِي
سِقَاتِي فَهُوَ هَذَا فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ فِيهِ فَاسْتَقَاءَ . أَي أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ مِنِّي ، فَقَالَ : خُذْهُ

فَتَمَوَّلُهُ وَتَصَدَّقُ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ ، فَخُذْهُ ، وَمَالًا فَلَا تُتْبِعُهُ نَفْسَكَ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ السَّاعِدِيِّ قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْهَا وَأَدَيْتُهَا إِلَيْهِ أَمَرَ لِي بِعَمَالَةٍ . فَقُلْتُ إِنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ ، قَالَ : خُذْ مَا أُعْطَيْتَ فَإِنِّي قَدْ عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَمَلْنِي ، فَقُلْتُ : مِثْلَ قَوْلِكَ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَهُ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ : أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْحَدِيثَانِ الْأَخِيرَانِ عَلَى جُمَلِ جَامِعَةٍ نَافِعَةٍ :

الأولى : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللَّهُ » فِيهَا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى أَنْصِرَافِهَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِعْفَافِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، فَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا لَا

بِلِسَانِ الْحَالِ وَلَا بِلِسَانِ الْمَقَالِ ، بَلْ يَكُونُ مَعْتَمِدًا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ .

وَفِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ : وَهِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ » الْحَثُّ عَلَى الْأَسْتِعْنَاءِ بِاللَّهِ وَالثِّقَّةِ بِهِ وَالْاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ .

وَالثَّلَاثَةُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ » فَفِيهَا أَيْضًا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُكَهَا لِلَّهِ ، وَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ فَلَا يَتَسَخَّطُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ . . . الخ » بَيَانٌ أَنَّ الْغِنَى لَيْسَ بِسَعَةِ الثَّرْوَةِ وَوَفْرَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْمَتَاعِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، فَمَنْ اسْتَعْنَى بِمَا فِي يَدِهِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ تَشْرَفْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَلَمْ تَتَطَّلِعْ إِلَيْهِ فَهُوَ الْغِنَى الْجَدِيدُ بَلَقِبِ الْغِنَى ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ مُقْلًا ، إِذْ رِضَاهُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ ، وَعِفَّتُهُ وَزُهْدُهُ وَقَنَاعَتُهُ جَعَلَتْهُ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْغِنَى دُونَهَا يَطْبَقَاتِ أَهْلِ الثَّرَاءِ الَّذِينَ حُرْمُوا الزَّهَادَةَ وَالْقَنَاعَةَ وَالرِّضَا بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ ، الَّذِينَ تَذَهَبُ أَنْفُسُهُمْ حَسْرَةً إِذَا فَاتَتْهُمْ صَفْقَةٌ أَوْ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ فُرْصَةٌ . بَلْ مَا جَاءَهُ رِضَا بِهِ وَقَبِلَ بِخِلَافٍ مَنْ كَثُرَ مَالُهُ وَتَشَعَّبَتْ أَمْلاكُهُ وَصَارَ قَلْبُهُ مُوزَعًا بَيْنَ ضَيْعَتِهِ وَعِمَارَاتِهِ وَذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ وَأَوْرَاقِهِ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِ وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا جَمْعُ الْمَالِ فَهُوَ مَعْشُوقُهُ يَحْرِصُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحَرِصِ ، وَيَتَمَيَّزُ غَيْظًا إِذَا فَاتَهُ مِنْهُ الْقَلِيلُ وَبُودَهُ لَوْ ضَمَّ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ إِلَى مَا فِي يَدِهِ فَصَارَ لَا

يَتَلَذُّ بِأَكْلِ وَلَا بِمَشْرَبٍ وَلَا يَرْتَاحُ لِمَنَادِمَةِ جَلِيسٍ لِاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِهِ فَهَذَا
هُوَ الْفَقِيرُ حَقًّا الْمَحْرُومُ صِدْقًا وَصَدَقَ مَنْ قَالَ :

وِذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلْمُ وَفَرًّا لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيْسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ
آخِر :

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدَوْدَةَ الْقَرْزِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرَهَا بِالذِّي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ
آخِر :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خَخَافَةَ فَقْرٍ فَالذِّي فَعَلَ الْفَقْرُ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَأَعِصِمْنَا مِنَ الحِرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلْبِهِ وَمَنْ
شَغَلَ الْقَلْبَ وَتَعَلَّقَ الِهْمَ بِهِ ، وَمَنْ الذُّلُّ لِلخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمَنْ التَّفَكِيرُ وَالتَّدْبِيرُ
فِي تَحْصِيلِهِ ، وَمَنْ الشُّحُّ وَالحِرْصُ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادِ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلَامِ الْحَيِّ
الْقَيُّومِ الَّذِي لَا يَنَامُ وَأَوْصِيكُمْ فِي مُعَامَلَتِهِ بِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ فِي الْأَقْدَامِ
وَالْأَحْجَامِ وَالْفَزَعِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الشَّدَائِدِ وَاشْتِبَاهِ الْأَحْكَامِ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ
فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيهَا لَدَيْهِ فَيَبْدِيهِ
الْحَيْرَ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ ، وَمَقَابِلَةَ قَضَائِهِ بِحَقِيقَةِ الرِّضَى وَالاسْتِسْلَامِ ، أَمَا
شَرَفُكُمْ وَفَضْلُكُمْ بِجَزِيلِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، أَمَا أَوْضَحَ لَكُمْ الطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَ
إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا بَعَثَ إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ لِتَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ، أَمَا
أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَوْدَعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، أَمَا دَعَاكُمْ إِلَى

التَّوَكَّلِ عَلَيْهِ وَالْاِعْتِصَامِ ، أَمَا حَتُّكُمْ إِلَى الْعَمَلِ فِيمَا يُقَرَّبُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا حَذْرُكُمْ عَوَاقِبَ مَعَاصِيهِ وَنَهَاكُمْ عَنِ الْآثَامِ ، أَمَا أَنْذَرُكُمْ هَوْلَ يَوْمٍ أَطْوَلَ الْأَيَّامِ ، الْيَوْمَ الَّذِي يَشِيبُ فِيهِ الْوَالِدَانُ ، وَتَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ ، وَتَنْكَدِرُ فِيهِ النُّجُومُ ، وَتَظْهَرُ فِيهِ أُمُورٌ عِظَامٌ ، أَمَا خَوْفُكُمْ مَوَارِدَ الْجِمَامِ ، أَمَا ذَكَرْتُكُمْ مَصَارِعَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْآثَامِ ، أَمَا أَمَدُّكُمْ بِالْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَصِحَّةِ الْأَجْسَامِ ، أَمَا وَعَدْتُكُمْ بِقَبُولِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ رَحْمَةً مِنْهُ جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، فَوَاللَّهِ لَحَقَّ لِهَذَا الرَّبِّ الْعَظِيمِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى عَلَى الدَّوَامِ ، فَيَا أَيُّهَا الشُّيُوخُ بَادِرُوا فَمَا لِلزَّرْعِ إِذَا أَحْصَدَ إِلَّا الصَّرَامُ ، وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ جُدُّوا فِي الْعَمَلِ فَرُبَّ امْرِئٍ مَا بَلَغَ التَّمَامَ ، وَاحْذَرُوا عِقَابَ رَبِّكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، يَوْمَ مَا أَطْوَلَ الْوُقُوفَ فِيهِ وَأَثَقَلَهُ عَلَى كُلِّ مُجْرِمٍ جَبَارٍ يَوْمَ الْمُنَاقَشَةِ فِيهِ عَنِ الْفَتِيلِ وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَصَغَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالْكَبَائِرِ ، فَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَاسْتَعِدُّوا لَهُ أَتَمَّ اسْتِعْدَادٍ .

شِعْرًا :

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا
وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمُ
لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدَرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ

وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكَهُ
 وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدُ
 مَلِيكَ السَّمَوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
 وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنِ قَضَائِهِ تَأْوُدُ
 هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
 إِمَاءٌ لَهُ طَوْعاً جَمِيعاً وَأَعْبُدُ
 وَأَنْتَى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
 يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِباً لَيْسَ يَهْمُهُ
 تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَائِحُ فِي الْحَفَا
 وَإِذْ هِيَ فِي جَوْ السَّمَاءِ تُصَعَّدُ
 وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
 وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ
 وَسَبَّحَهُ النَّيَّانُ وَالْبَحْرُ زَاجِحاً
 وَمَاطَمٌ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقَلَّدُ
 أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
 إِلَى أَيِّ حِينٍ مِنْكَ هَذَا التَّصَدُّدُ
 عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُمِيطِ عَنِ الْهُدَى
 وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقُّ إِلَّا مُفَنَّدُ
 وَحَالَاتٌ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
 فَبَيْنَ الْفَتَى فِيهَا مَهَيْبٌ مُسَوِّدُ
 إِذْ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا
 وَأَصْبَحَ مِنْ تَرَبِّ الْقُبُورِ يُوسَّدُ

وَفَارَقَ رُوحاً كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ
 وَجَاوَرَ. مَوْتِي مَا لَهُمْ مُتَرَدِّدُ
 فَأَيُّ فَتَى قَبْلِي رَأَيْتَ مُحَلِّدًا
 لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ
 فَلَمْ تَسَلِمِ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا
 بِصِحَّتِهَا وَالدَّهْرُ قَدْ يَتَجَرَّدُ
 أَلَسْتَ تَرَى فِيمَا مَضَى لَكَ عِبْرَةً
 فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَى يُلْدُدُ
 فَكُنْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثِ بَعْدَهُ
 وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ الْيَوْمُ أَوْ غَدُ
 فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا
 وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ

اللَّهُمَّ أَرْحَمَ غُرْبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَأَمِنًا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَأَغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَضْلٌ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ

يَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا .
- ٢ - أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ .

- ٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفِي الْحَرَمَيْنِ .
٤ - الْأَوْلِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا :

تُسَنُّ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . . الْآيَةُ ﴾ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّبُهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاءُ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍ . فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِأَلَا فَاذَنْ وَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهِمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعٍ بُرِّهِ مِنْ صَاعٍ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَيْفَهُ تَعَجُّزُ عَنْهَا ، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ .

ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَهَذَا الْكَلَامُ الْبَلِيغُ دَعْوَةٌ إِلَى التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ وَالتَّسَابُقِ فِي افْتِتَاحِ مَشْرُوعَاتِهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ . فَقَالَ : هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ » .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ .
وَكَمَا أَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ تُطْفِئُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ .

وَعَنْ مِرْتَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَقُولُ : « إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَصَدَقَةُ السِّرِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ تَبَدُّوا

الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفَوَهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴿ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ بَاكُرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا .

وَفِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَكُنَّا فِي صُفَّةٍ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَجَاءَهُ بِرُهُ بِوَالِدِيهِ فَرَدَّ مَلَكُ الْمَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بَسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ فَجَاءَهُ وَضُوؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ ذَكَرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَدَ الشَّيَاطِينُ عَنْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهَبُ وَفِي رِوَايَةٍ يَلْتَهَبُ عَطْشًا كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطَرِدَ فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرَوَاهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جُلُوسًا حِلَقًا

حَلَقًا كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلْقَةٍ طُرِدَ فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهَا فَجَاءَهُ حُجُّهُ وَعُمُرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بِوَجْهِهِ وَهَجَّ النَّارِ وَشَرَرَهُ فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ فَصَارَتْ سُرَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَظَلَلْتُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يُكَلِّمُونَهُ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرِجْمِهِ فَقَالَتْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا لِرِجْمِهِ فَكَلِّمُوهُ فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحَهُمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ فَجَاءَهُ حُسْنُ خَلْقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَلُوا مِيزَانَهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَهْوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمْعَتُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ فِي رِيحٍ عَاصِيفٍ فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى ،

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصَّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَنْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فغُلِّقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَفُتِحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يُعْظَمُ شَأْنُ هَذَا الْحَدِيثِ وَيَبْلَغُنِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ شَوَاهِدُ الصَّحَّةِ عَلَيْهِ أَنْتَهَى .

وَبِمُنَاسَبَةِ سِيَاقِهِ هُنَا قَوْلُهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَظَلَلَتْ عَلَى رَأْسِهِ : قَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَفِي تَمَثِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّدَقَةِ بِمَنْ قَدَّمَ لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ فَانْتَدَى نَفْسُهُ مِنْهُمْ بِمَالِهِ كِفَايَةٌ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَفْدِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي هَلَاكَهُ فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تَفْدِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَتَفُكُّهُ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا خَطَبَ النِّسَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وَكَانَتْ حَضْرَتُهُنَّ وَرَغْبَتُهُنَّ عَلَى مَا يَفْدِينَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ قُوْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَايِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَصَدَقَةُ التَّطَوُّعِ بِطَيْبِ نَفْسٍ أَفْضَلُ مِنْهَا بِدُونِهِ ، لِمَا فِي حَدِيثِ

مَعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَالصَّدَقَةُ فِي الصَّحَّةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَجِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمَلُ الْغِنَى ، وَلَا تُهْمِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُقُومُ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُسَابِقُ فِي مَيْدَانِ الْخَيْرَاتِ بِمَا يُقَدِّمُهُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْإِحْسَانِ لِأَخْوَانِهِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَنَاخَ الْفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَعَضُّهُمْ الْبُؤْسُ بِنَابِهِ وَأَوْجَعُهُمْ بِكَلَابِهِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ الَّذِينَ لَوْ رَأَيْتَهُمْ لَطَنَنْتَهُمْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَأَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُقَاسُونَهُ مِنَ الدُّيُونِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ وَمَا يُقَاسُونَ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ وَالْفَقْرِ وَالشَّدَةِ وَالْعُسْرِ لَكِنْ يَمْنَعُهُمُ الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ لِلسُّؤَالِ وَأَنْ يَطْلُبُوا الرِّزْقَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى الرِّزْقِ وَهَوْلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِمْ وَالْبَحْثُ عَنْ أحوَالِهِمْ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ جِيرَانِهِمْ وَأَقْرَبَائِهِمْ حَتَّى تَقَعَ الصَّدَقَةُ مَوْقِعَهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُهُمْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

وَأَوْصَى بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالثَّمَرَةُ وَالثَّمَرَتَانِ وَلَكِنْ

المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم
فيسأل الناس .

ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حريصين جداً على
ما يقرب إلى الله من أنواع الطاعات سأل أحدهم النبي صلى الله عليه
وسلم أي الصدقة أفضل فأجابته صلى الله عليه وسلم بقوله « أن تصدق
وأنت صحيح » أي الجسم معافاً في البدن تتمتع بقواك العقلية والجسمية
شحيح تأمل الغنى أي تطمع فيه لقدرتك عليه عن طريق المكاسب
والأرباح وتخشى الفقر « وإنما كانت الصدقة في هذه الحال أفضل لما
تستدعيه من شدة مجاهدة النفس على إخراج المال مع قيام المانع
وهو الشح فأخراجه حينئذ دليل واضح على قوة الإيمان وحسن النية
وصحة القصد وشدة الرغبة فيما يقرب إلى الله ولا تهمل حتى إذا بلغت
الحلوم » أي بلغت الروح مجرى النفس وذلك عند الغرغرة « قلت لفلان
كذا ولفلان كذا » وهذا كناية عن الموصي والموصى له فالحديث يرشدنا
إلى أنه لا ينبغي لنا أن نؤخر الصدقة إلى وقت معاينة الموت والأيذان
بالانصراف عن الدنيا ومفارقة نعيمها وقد نبهنا الله جل وعلا على هذا
حيث يقول : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ
يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

شِعْرًا فَعَقِبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتِ
وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلِّ وَحُرْمِ يُورِغُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَسَاتِ
وَفِي مَنْ لَمْ نُؤْهِلْهُمْ بِفَلْسِ وَفِي مَةِ حَيَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ
وَتَسَانَا الْأَجْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِالْيَاتِ
كَأَنَّ لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بِوُدِّ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ خِلُّ مَوَاتِ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ »
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَمَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا
قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا مَالُهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا
أَكَلَ فَأَقْنَى ، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أُعْطِيَ فَأَقْنَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ذَاهِبٌ
وَتَارِكُهُ لِنَاسٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٢ - وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مِقْلٍ :

وَكَانَ السَّلْفُ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيُقَدِّمُونَ الْمَحَاوِجَ عَلَى حَاجَةِ
أَنْفُسِهِمْ وَيَبْتَدُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ احتِيَاجِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وَبَيَّنَتْ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ » وَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الَّذِينَ
وَصَفَّهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا ﴾ وَقَوْلِهِ

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ وَهَؤُلَاءِ آثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خِصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ ، وَمَنْ هَذَا الْمَقَامِ تَصَدَّقَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَهَكَذَا الْمَاءُ الَّذِي عَرَضَ عَلَى عِكْرِمَةَ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَكُلُّ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى صَاحِبِهِ وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى الْمَاءِ فَرَدَّ الْآخِرُ إِلَى الثَّلَاثِ فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّلَاثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْحَرَمَيْنِ :

وَالصَّدَقَةُ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ - وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » .

وَلِإِنَّ الصَّدَقَةَ فِي رَمَضَانَ إِعَانَةٌ عَلَى آدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ ، وَفِي أَوْقَاتِ الْحَاجَاتِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ .

وَالصَّدَقَةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَاضِلٌ كَالْعَشْرِ ، أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهَا أَحَبُّ

إلى الله من هذه الأيام ، يعني أيام العشر ، قالوا يا رسول الله ولا
الجهاد في سبيل الله؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج
بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء . » .

والصدقة في الحرمين أفضل منها في غيرهما لتضاعف الحسنات
بالأمكنة الفاضلة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا
المسجد الحرام » . وزاد في رواية : « فإني خير الأنبياء وإن مسجدي
خير المساجد » .

وزاد « صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما
سواه » .

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقواها وألهمنا ذكرك وشكرك وسرنا
لليسرى وجنبنا العسرى واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا
أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فضل)

٤ - الأولوية في الصدقة للأقرباء والجار وطلاب العلم :

والصدقة على ذي الرجم أفضل منها على غيره لا سيما مع
عداوة ، أما الدليل على أفضليتها في القرابة فلحديث سلمان المتقدم
« الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرجم إثنان : صدقة ،
وصلة » .

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ :

« وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى التَّكَاثُفِ مَعَ الْعَدَاوَةِ فَلَمَّا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِحُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ جِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِحِ » .

ثُمَّ الصَّدَقَةُ عَلَى الْجَارِ أَفْضَلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ » .

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخُصَّ بِالصَّدَقَةِ مَنْ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ، وَكَوْنُهَا عَلَى عَالِمٍ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ فِي إِعْطَائِهِ اعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرَ الدِّينِ وَذَلِكَ لِتَقْوِيَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَكَوْنُهَا عَلَى صَاحِبِ

دَيْنٍ أَفْضَلَ ، وَكَذَا عَلَى ذِي عَائِلَةٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَالْمَنْ بِالصَّدَقَةِ كَبِيرَةٌ ، وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ .

وَمَنْ أَخْرَجَ شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ ، أَوْ وَكَّلَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ لَا يَتَصَدَّقَ بِهِ اسْتَحَبَّ أَنْ يُمِضِيَهُ ، وَلَا يَجِبُ ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخْرَجَ طَعَامًا لِسَائِلٍ فَلَمْ يَجِدْهُ عَزَلَهُ حَتَّى يَجِيءَ آخِرُ . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَيَتَصَدَّقُ بِالْجَيِّدِ وَلَا يَقْصِدُ الْخَبِيثَ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ » .

ليس العطاء من الفضول ساحة حتى تجود وما لديك قليل

مَوْعِظَةٌ

اخْوَانِي إِنَّكُمْ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيقُ كَثِيرَةٌ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَدَارَكُوا هَفْوَاتِكُمْ قَبْلَ الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَأَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ، وَيَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْبِرُوا فِي أَعْمَارِكُمْ الْقَصِيرَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِي بِكُمْ مُنَادٍ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِعَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْإِيْنُ وَالزُّفْرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْغَمْرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنَ الْقُصُورِ إِلَى بُطُونِ

الْفَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ
تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

أَيَا لَاهِيًا فِي عَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
صَرِيحًا عَلَى فُرْشِ الرَّدَى يَتَقَلَّبُ
تَأْمُلُ هَذَاكَ اللَّهُ مَا تَمَّ وَانْتَبَهَ
فَهَذَا شَرَابُ الْقَوْمِ حَقًّا يُرْكَبُ
وَتَرْكِيئُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِنْ تَفَتَّ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَنِيَّةِ مَطْلَبُ
فَيَا عَجَبًا مِنْ مُعْرِضٍ عَنِ حَيَاتِهِ
وَعَنْ حَظِّهِ الْعَالِي وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ
وَلَوْ عَلِمَ الْمَحْرُومُ أَيَّ بِضَاعَةٍ
أَضَاعَ لِأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
فَإِنْ كَانَ لَا يَذْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ
وَأَنْ كَانَ يَذْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَضْعَبُ
بَلَى سَوْفَ يَذْرِي حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
وَيُضْبِحُ مَسْلُوبًا يَنْوُحُ وَيَنْدِبُ
وَتَعْجَبُ مِنْ بَاعِ شَيْئًا بِدُونِ مَا
يُسَاوِي بِلَا عِلْمٍ وَأَمْرًا أُعْجَبُ
لَأَنَّكَ قَدْ بَعْتَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا
بِلَذَّةِ حُلْمٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيَذْهَبُ

فَهَلَّا عَكَّسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
 وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ وَالْحُكْمَ يَغْلِبُ
 تَصُدُّ وَتَنَأَى عَنِ حَيْبِكَ دَائِمًا
 فَأَيِّنَ عَنِ الْأَحْبَابِ وَيَحْكُ تَذَهَبُ
 سَتَعَلَّمَ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيَّ تِجَارَةٍ
 أَضَعْتَ إِذَا تَلَكَ الْمَوَازِينُ تُنْصَبَ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ
 الْأَخْيَارِ، وَآمِنُنَا عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ الْفَوَائِدِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى آدَاءِ الزُّكَاةِ

وَبَدَلِ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَالْمَضَارِّ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى مَنَعِ الزُّكَاةِ : -

أولاً : ١ - امْتِثَالُ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

٢ - تَقْدِيمُ مَا يُجِبُّهُ اللَّهُ عَلَى مَحَبَّةِ الْمَالِ .

٣ - أَنَّ الصَّدَقَةَ بُرْهَانٌ عَلَى إِيمَانِ صَاحِبِهَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ
 وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ .

٤ - شُكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَى الْمُخْرِجِ بِمَا أَعْطَاهُ مِنْ

المال .

- ٥ - السَّلَامَةُ مِنْ وَبَالِ الْمَالِ فِي الْآخِرَةِ .
- ٦ - تَنْمِيَةُ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ الصَّالِحَةِ .
- ٧ - التُّطْهِيرُ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيئَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .
- ٨ - اضعافُ مَادَّةِ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْبُغْضِ أَوْ قَطْعِهَا كُلياً .
- ٩ - تَحْصِينُ الْمَالِ وَحِفْظُهُ لِحَدِيثِ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزُّكَاةِ .
- ١٠ - أَنَّ الصَّدَقَةَ دَوَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ لِحَدِيثِ « دَاوُوا مَرَضَاتِكُمْ بِالصَّدَقَةِ » .
- ١١ - الْأَتْصَافِ بِأَوْصَافِ الْكُرَمَاءِ .
- ١٢ - إِنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ الْبَلَاءِ .
- ١٣ - التُّعْمُرُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ .
- ١٤ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِحَدِيثِ « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا » .
- ١٥ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِحُبِّ الْمَوَدَّةِ لِأَنَّهَا أَحْسَانٌ ، وَالنَّفُوسُ مَجْبُودَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .
- ١٦ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلدُّعَاءِ مِنَ الْقَابِضِ لِلدَّفَاعِ وَتَقَدَّمَتِ الْأِدْلَةُ .

١٧ - أَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ سَبَبَ لِمَنْعِ القَطْرِ لِحَدِيثِ « وَلَا مَنَعُوا الزُّكَاةَ
الْأَحْسَنَ عَنْهُمْ القَطْرُ » .

١٩ - الفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ المَرهُوبِ قَالَ اللهُ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَقَدْ فَسَّرَ الفَلَاحُ بِأَنَّهُ الفَوْزُ
بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ المَرهُوبِ وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ .

٢٠ - أَنَّهَا تَدْفَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ كَمَا فِي الحَدِيثِ « أَنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ
غَضَبَ الرُّبِّ وَتَدْفَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ » .

٢١ - أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ يَكُونُ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا فِي الحَدِيثِ
« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى
لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » الحَدِيثِ وَتَقَدَّمَ فِي الحَدِيثِ الأَخْرِ « وَأَمَّا
يَسْتَظِلُّ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ » .

٢٢ - الفَوْزُ بِالثَّنَاءِ مِنَ اللهِ لِأَنَّ اللهُ مَدَحَ المُنْفِقِينَ وَالمُتَصَدِّقِينَ .

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ - الفَوْزُ بِالأَجْرِ مِنَ اللهِ وَالأَمْنُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ وَنَفَى
الحَزْنَ عَنْهُمْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٢٦ - أَنَّ أَداءَ الزُّكَاةِ سَبَبَ لِنزُولِ القَطْرِ كَمَا أَنَّ مَنَعَهَا سَبَبَ لِحَبْسِهِ .

٢٧ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ لِأَنَّ المُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ عَلَى المُتَصَدِّقِ
عَلَيْهِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ .

٢٨ - السَّلَامَةُ مِنَ كُفْرِ نِعْمَةِ اللهِ .

٢٩ - الْخُرُوجُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الضُّعَفَاءِ .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلرِّزْقِ وَالنَّصْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « وَكَثْرَةُ الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرَزَّقُوا وَتَنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا » .

٣٣ - أَنَّهَا تُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « إِنْ الصَّدَقَةُ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ » .

٣٤ - أَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنْ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ » .

٣٥ - السَّلَامَةُ مِنَ اللَّعْنِ الْوَارِدِ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ لِمَا رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَمَانِعِ الصَّدَقَةَ وَالْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ .

٣٦ - الْفَوْزُ بِالْقُرْبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنْ رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ الْآيَةَ .

٣٧ - الْوَعْدُ بِالْخَلْفِ لِلْمُنْفِقِ لِحَدِيثِ « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا » .

٣٨ - الظَّفَرُ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُنْفِقِ .

٣٩ - أَنَّ فِي اخْتِراجِ الزَّكَاةِ حُلًّا لِلْأَزْمَاتِ الْأَقْتِصَادِيَّةِ وَسُوءِ الْحَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَمْوَالِ الزُّكُورِيَّةِ تَنَسَّخُوا مِنْهَا وَوَضَعُوهَا فِي مَوَاضِعِهَا لَقَامَتِ الْمَصَالِحُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْدُّنْيَوِيَّةُ وَزَالَتِ الضَّرُورَاتُ وَأَنْدَفَعَتِ

شُرُورُ الْفُقَرَاءِ وَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ حَاجِزٍ وَسَدٍّ يَمْنَعُ عَبَثَ الْمُفْسِدِينَ،
وَفِي الْحَدِيثِ « وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ
سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ .

٤٠ - أَنْ اللَّهُ يُعِينُ الْمُتَصَدِّقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُهَيِّئُ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ
وَالرُّشَادِ وَيَذَلُّ لَهُ سُبُلَ السَّعَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ .

٤١ - أَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ يُخَبِّثُ الْمَالَ الطَّيِّبَ لِحَدِيثِ « مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا
خَبِثَتْهُ مَنَعُ الزُّكَاةِ ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيثًا لَمْ تُطَيِّبْهُ الزُّكَاةُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي
الْكَبِيرِ مَوْقُوفًا بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ .

٤٢ - أَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ سَبَبٌ لِتَلْفِ الْمَالِ لِحَدِيثِ « مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ
وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِخَبْسِ الزُّكَاةِ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَهُوَ حَدِيثٌ
عَرِيبٌ .

٤٣ - أَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ سَبَبٌ لِلْإِبْتِلَاءِ بِالسُّنَيْنِ لِمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنَعَ قَوْمَ الزُّكَاةِ إِلَّا ابْتِلَاهُمْ اللَّهُ
بِالسُّنَيْنِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَوَاتُهُ يَفَاتٌ .

٤٤ - أَنْ مَنْ لَمْ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ
أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَالشَّهِيدُ وَعَبْدُ مَمْلُوكٍ
أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ
يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسْلَطٌ وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ

وَقَعِيرٌ فَخُورٌ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ جِبَانَ مُفْرَقًا فِي مَوْضِعَيْنِ .

٤٥ ، ٤٦ - أَنَّ الصَّدَقَةَ يُذْهَبُ اللَّهُ بِهَا الْكِبَرَ وَالْفَخْرَ لِحَدِيثِ « إِنْ
صَدَقَ الْمُسْلِمَ تَزِيدَ فِي الْعُمْرِ وَتَمَنَعَ مَيْتَةَ السُّوءِ وَيَذْهَبُ بِهَا الْكِبَرُ
وَالْفَخْرُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

٤٧ - السَّلَامَةُ مِنَ التَّطَوُّقِ بِالشُّجَاعِ الْأَقْرَعِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ :
« مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَطُوقُ
بِهِ عُنُقَهُ » .

٤٨ - السَّلَامَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ لَمَا فِي الْحَدِيثِ « ظَهَرَتْ لَهُمْ
الصَّلَاةُ فَقَبِلُوهَا ، وَخَفِيَتْ لَهُمُ الزَّكَاةُ فَأَكَلُوهَا أَوْلَيْكَ هُمْ الْمُنَافِقُونَ »
رَوَاهُ الْبَزَارُ .

٤٩ ، ٥٠ - إِنْ الْبَلَاءُ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ وَأَنَّهَا تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنْ
السُّوءِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا رَوَاهُ
الْبَيْهَقِيُّ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا عَلَى أَنَسٍ وَلَعَلَّهُ أَشْبَهُ .

٥١ - أَنَّ الصَّدَقَةَ حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لِمَنْ احْتَسَبَهَا لِمَا رُوِيَ عَنْ
مَيْمُونَةَ بِنْتِ سَعْدٍ أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا عَنْ الصَّدَقَةِ فَقَالَ إِنَّهَا
حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لِمَنْ احْتَسَبَهَا يَتَّبِعِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ .

٥٢ - أَنَّ اخْرَاجَ الصَّدَقَةِ يُؤَلِّمُ سَبْعِينَ شَيْطَانًا لِمَا وَرَدَ عَنْ بُرَيْدَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُخْرَجُ شَيْئًا مِنْ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لِخِيٍّ سَبْعِينَ شَيْطَانًا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ .

٥٣ - أَنْ اللَّهَ يُسَخِّرُ لِلْمُتَّصِدِّقِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِنُموِّ مَالِهِ كَبَرَكَةٍ فِي ظَمَاءٍ نَهْرٍ وَسَقْيِ أَرْضٍ كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَا رَجُلٌ فِي فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْمِي حَدِيثَةٌ فَلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشُّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَبَعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيثَةٍ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فَلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ سَأَلْتَنِي عَنْ اسْمِي قَالَ سَمِعْتُ فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْمِي حَدِيثَةٌ فَلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَا إِذْ قُلْتُ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثَلَاثَةً وَأَرُدُّ فِيهَا ثَلَاثَةً رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٤ - أَنْ الصَّدَقَةَ لَا تُنْقِصُ الْمَالَ خِلَافًا لِمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَالِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالِ الْحَدِيثِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥ - أَنْ الصَّدَقَةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرْبُّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهَ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرْبُّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يَرْبِّي أَحَدَكُمْ فَلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ مُتَفَقَّ عَلَيْهِ .

٥٦- أَنَّ الصَّدَقَةَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

٥٧- أَنَّ الْمُصَدِّقِينَ يُضَاعَفُ لَهُمْ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ .

٥٨- أَنَّ الصَّدَقَةَ لِتُطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

٥٩- أَنَّ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّ سَنَةٍ يَرَى الْفُقَرَاءُ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيْهِمْ فَيَدْفَعُونَ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا أَمَّا كَفُّ الْيَدِ عَنْهُمْ وَمَنْعُ مَعْرُوفِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ يُوَغِّرُ صُدُورَهُمْ وَيَمْلَأُهَا حِقْدًا عَلَيْهِمْ وَيَجْتَهِدُونَ فِي سَلْبِ حَيَاتِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى أَمْوَالِهِمُ الْمَخْزُوزَةِ فَتَكُونُ الْحَيَاةُ مُهَدَّدَةً وَالْأَمْوَالُ مَفْقُودَةً .

٦٠- أَنَّ مَنْعَ الصَّدَقَاتِ يُزِيلُ النِّعَمَ وَيُخَرِّبُ الدِّيَارَ الْعَامِرَةَ وَتَأْمَلْ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ نُ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ أَنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَاِنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ . وَتَأْمَلْ قِصَّةَ ثَعْلَبَةَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنْصُدِّقَنَّ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا

بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٤٠﴾ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَقًّا يَتَّبِعُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا يَتَّبِعُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً مِنْ الْمَرَاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابُهُ نَدَمٌ عَظِيمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْهَفْوَةَ أَحْمَرَ وَجْهُهُ حَجَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أُحْزَانُهُ وَتَذَكَّرَ عِضْيَانَهُ لِسَيْدِهِ وَمَوْلَاهُ وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ مِنْكِسِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا وَيُوَارَى فِي التُّرَابِ .

هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، وَلَا يُعْرَفُ سِوَاهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ تَمَامًا أَنَّهُمْ إِنْ عَصَوْا خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدُمُونَ وَيُعَاقِبُونَ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَأَنْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَمَثُّلُ أَمَامِكَ حَالَهُمْ بِحَالَةِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَصْرُوا عَلَى مَنَعِ الزُّكَاةِ إِلَّا النَّوَادِرَ مِنْهُمْ تَرَاهُمْ يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَشْرِبُونَ الدُّخَانَ عَلَنًا وَيَحْلِقُونَ اللَّحَا كَذَلِكَ وَيَغْشَوْنَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ تَرَاهُمْ أَمَامَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، تَرَاهُمْ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيُعْظَمُونَ تَرَاهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بِالْمَعَاصِي فِي بِلَادِهِمْ بَلْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْبِلَادِ الْأُخْرَى ، بِلَادِ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالْحُرِّيَّةِ وَيُنْفِقُونَ فِيهَا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ الَّذِي أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ لَا

هَذِهِ وَلَا هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُونَ كَأْسَ الْمَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمَلَكَانِ
كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْحَفَظَةُ الَّذِينَ
يَتَعاقِبُونَ عَلَى حِفْظِهِمْ تَعاقِبَ الْحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ جَوَارِحُهُمُ الَّتِي
بَاشَرَتْ فِعْلَ الْمَعَاصِي وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرُ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُمْ جَلٌّ وَعَلَا الَّذِي
تَسْتَرِي الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ وَالْغُيُوبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُتُبُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي
كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ فِي حِسَابٍ فَرِغُوا وَقَالُوا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، كُلُّ
هَؤُلَاءِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْمَعَاصِي فَيَسْجَلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمَتْهُ
أَيْدِيهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَبِيْجَةٌ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَّا غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ ،
وَالْقَاوِمُ فِي دَارِ الْمُجْرِمِينَ الْجَانِئِينَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَاذَا
يَفْرَحُ الْعَصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ . الَّتِي تَرْمِي
بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَانَهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ .

شِعْرًا: وَلَمْ يَمُرَّرْ بِهِ يَوْمَ فَطِئِعَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الْجِمَامِ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ أَفْطَعُ مِنْهُ هَوْلًا إِذْ لَوْ وَقَفَ الْخَلَائِقُ بِالْمَقَامِ
فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيلًا وَمَظْلُومٍ تَشَمَّرَ لِلْخِصَامِ
وَشَخْصٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا تَبَوَّأَ مَنْزِلَ الثُّجْبِ الْكِرَامِ
وَعَفْوُ اللَّهِ أَوْسَعُ كُلِّ شَيْءٍ تَعَالَى اللَّهُ خَلْقَ الْأَنَامِ

رَاحِر:

وَكَيفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ أَوْ اسْتَلَدُوا لِذَيْدِ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ وَلَيْسَ يَلْدُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ

آخِرُ :

وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ الْمَنَايَا بَغْتَةً سَتَعَايِلُهُ
وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهُ

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النِّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمُؤَهِّلَةِ لِذَارِ
الْخُلْدِ وَأَنْ يُوفِّقَ وُلَاتَنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَجْرِمِينَ ، وَرَدِّعِهِمْ وَالزَّامِيهِمْ
سُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ
حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

شَهْرُ رَمَضَانَ

١ - دَرَسُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ :

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ :

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَامِراً لَهُمْ
بِالصِّيَامِ وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ، وَالْبُقَاعِ ، بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ
لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَمَا فِيهِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ ، وَطَهَارَتِهَا وَتَنْقِيَتِهَا مِنَ الْأَخْلَاطِ
الرَّدِيئَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيئَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَمَا أُوجِبَهُ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أُوجِبَهُ عَلَى
مَنْ كَانَ قَبْلِهِمْ ، فَلَهُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ، وَلِيَجْتَهِدَ هَؤُلَاءِ فِي آدَاءِ هَذَا الْفَرَضِ
أَكْمَلَ مِمَّا فَعَلَهُ أَوْلِيَاكَ « انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ » .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ ، وَمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ :

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ
فَيَقُولُ :

« جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ فِيهِ
تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ،
وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : « هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي تَهْنِئَةِ النَّاسِ بِبَعْضِهِمْ
بَعْضاً بِشَهْرِ رَمَضَانَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ رَمَضَانَ السَّنَةَ
كُلَّهَا » .

وَعَنْ عُبَادَةَ مَرْفُوعاً :

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، يَغْشَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ ، فَيَنْزِلُ الرَّحْمَةَ ، وَيَحِطُّ
الْخَطَايَا ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ فِيهِ ، وَيَبَاهِي
بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ ، فَأَرَوْا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةُ
اللَّهِ » .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ : إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ
وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ .

وَمُسْلِمٌ فَتُحْتُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ
وَفِي رِوَايَةٍ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ الْبَابُ وَفِي رِوَايَةٍ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ
لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا .

وَمُسْلِمٌ أَيْضًا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِذَا
جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَصُفِّدَتِ
الشَّيَاطِينُ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ
صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا
بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ
الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ . وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلُّ
لَيْلَةٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ،
وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ
الْكَبَائِرَ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ ، وَالْأَمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ » ، وَيَقُولُ : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرْتِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجَّنا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا ، وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَل) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - لِأَضْحَى اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُعْطِطْتُ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ . خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحَيَاتَانِ حَتَّى يُفْطَرُوا ، وَيَزِينُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلقُوا عَنْهُمْ الْمُتَوَتَّةَ ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ » .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟

قال : « لَا ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : « آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ صَعَدْتَ الْمِنْبَرَ فَقُلْتَ : آمِينَ ، آمِينَ » فقال : « إِنَّ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلَّ آمِينَ ، فَقُلْتُ آمِينَ الْحَدِيثِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَظَلَلْتُكُمْ شَهْرُكُمْ هَذَا ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ ، وَلَا مَرٌّ بِالْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْهُ ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَيَكْتُبُ أَصْرَهُ وَشَقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعَدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ وَالنَّفَقَةَ لِلْعِبَادَةِ ، وَيَعُدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ اتِّبَاعَ عَقَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتِّبَاعَ عَوْرَاتِهِمْ ، فَغَنَمَ يَغْنَمُهُ الْمُؤْمِنُ » .

وَقَالَ بِنْدَارٌ فِي حَدِيثِهِ : « فَهُوَ غَنَمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْنَمُهُ الْفَاجِرُ » رَوَاهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرِهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضَانَ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ : « كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ عِنْدَ حُضُورِ شَهْرِ رَمَضَانَ اللَّهُمَّ قَدْ أَظَلَّنَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَضَرَ فَسَلِّمْهُ لَنَا وَسَلِّمْنا لَهُ ، وَأَرْزُقْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَأَرْزُقْنَا فِيهِ الْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ وَالنَّشَاطَ ، وَأَعِدْنَا فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ » .

وَقَالَ مُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ : كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمْ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ : « اللَّهُمَّ سَلِّمْني إِلَى رَمَضَانَ وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانُ وَتَسَلِّمْهُ

مِنِّي مُتَقَبَّلًا .

قَالَ النَّازِمُ :

وَأَخَذَ فِي بَيَانِ الصَّوْمِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ
عِبَادَةَ سِرِّ ضِدِّ طَبَعِ مُعَوِّدٍ
وَصَبْرٌ لِفَقْدِ الْإِلْفِ مِنْ حَالَةِ الصَّبَا
وَقَطْمٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَالْمُتَعَوِّدِ
فَتَقَّ فِيهِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الَّذِي
لَهُ الصَّوْمُ يُجْزِي غَيْرَ مُخْلِيفِ مَوْعِدِ
وَحَافِظِ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ
لِخَامِسِ أَرْكَانِ لِدِينِ مُحَمَّدٍ
تُعَلَّقُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ إِذَا أَتَى
وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ لِعَبْدِ
تَزْخَرُفُ جَنَّاتُ النُّعِيمِ وَحُورُهَا
لِأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعَبُّدِ
وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ
عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فَضَّلَتْ فَلْتُرْصِدِ
فَارْغَمِ بِأَنْفِ الْقَاطِعِ الشَّهْرِ غَافِلًا
وَأَعْظَمِ بِأَجْرِ الْمُخْلِصِ الْمُتَعَبِّدِ
فَقُمْ لَيْلَهُ وَاطْوِ نَهَارَكَ صَائِمًا
وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُؤَةٍ وَمُفْسِدِ

اللَّهُمَّ أَهْلُ شَهْرِنَا عَلَيْنَا بِالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ ، وَاعْفِرْ

لَنَا كُلُّ قَبِيحٍ سَلَفَ وَكَانَ ، وَأَعْتَقْنَا فِيهِ مِنْ لَفَحَاتِ النَّيْرَانِ وَأَعِنَّا عَلَى
 الْخَيْرِ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ
 لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ، عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى
 إِجْزَائِهِ لَيَحْتَوِي عَلَى وَصِيَّةٍ ثَمِينَةٍ مِنْ أَبْلَغِ الْوَصَايَا وَأَقِيمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا
 فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى الْأَمْرِ بِحِفْظِ عَضْوَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارٌ عَظِيمٌ حَقِيقَتَيْنِ
 يَتَعَاهَدُهُمَا بِالرَّعَايَةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ وَالرَّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلَا وَهُمَا اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ
 وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطِيقَ سَرَاخُهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ الْغِيِّ
 وَالْفَسَادِ كَانَا أَصْلًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَلَقَلَقَهُ فَقَدْ
 وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ وَالْقَبْقَبُ الْبَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الْفَرْجُ وَاللَّقَلَقُ اللِّسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلِكُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ فَقَالَ الْأَجُوفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبَصِّرُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ مِنَ الْفُضُولِ
 وَالْهَذْيَانِ وَلَا يَتَعَدَّى بِفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللِّسَانِ عَظِيمَةٌ فَرَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْعَطْبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ الْحَدِيثُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتْ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانَ أَيُّ تَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : هَذَا أُورَدَنِي الْمَوَارِدُ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ اللِّسَانَ عَلَى جِدَّتِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصُّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانَ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ وَاسْكُتْ عَنْ شَرِّ تَسْلَمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ فَقِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَرَ إِلَى اللَّهِ قَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْرَنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ خَلَادٍ بَلَفَظَ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِرًا عَلَى الصُّمْتِ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ الكَلَامِ بَلْ يَتَعَدَّى إِلَى حِفْظِهِ مِنْ طَعَامٍ مَشْبُوهٍ أَوْ حَرَامٍ وَأَنَّ مِنَ المَعْلُومِ أَنَّ اللِّسَانَ هُوَ الوَسِيلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ المرءُ وَقَدْ فِيهِ فِي المَعِدَةِ بَيْتِ الطَّعَامِ وَمُسْتَقَرُّهُ وَلِيَصْنَعَهُ مِنَ الزَّلَلِ وَالْحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّا حِفْظُ الفَرْجِ فَيَبْتَكَ التَّعَدِّي عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَحُرْمَاتِهِمْ وَوَضْعِهِ فِي الحَلَالِ فِي الطَّرِيقِ المَشْرُوعَةِ وَكَفِّهِ عَنِ الزُّنَا وَالْحَرَامِ وَالزُّنَا آفَةٌ وَبَيْلَةٌ عَلَى المُجْتَمَعِ الإِنْسَانِيِّ وَقَدْ بَيَّنَّا مَضَارَّهُ فِي الجُزْءِ الثَّانِي وَاللَّهُ

أَعْلَمُ .

شِعْرًا :

عَجِبْتُ لِذِي التَّجَارِبِ كَيْفَ يَسْهُو وَيَتَلَوُّ اللُّهُوَّ بَعْدَ الإِخْتِيَابِ
 وَمُرْتَهَنُ الفَضَائِحِ وَالخَطَايَا يُقْصِرُ بِاجْتِهَادِ اللِّفْكَابِ
 وَمُؤَبِّقُ نَفْسِهِ كَسَلًا وَجَهْلًا وَمُورِدُهَا مَخُوفَاتِ الهَلَاكِ
 بِتَجْدِيدِ المَآثِمِ كُلِّ يَوْمٍ وَقَصْدِ لِلْمُحَرَّمِ بَانْتِهَاكِ
 سَيَعْلَمُ حِينَ تَفْجُوهُ المَنَايَا وَيَكْتَفُ حَوْلَهُ جَمْعُ البَوَاكِ

اللَّهُمَّ جُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وافضْ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ ، وَتَعَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ ،
 وعاملنا بِرَأْفَتِكَ ، وَوَقَّفْنَا لِخِدْمَتِكَ ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ،
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

٥ - لَا يَصِحُّ صَوْمُ رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الصَّيَامِ الْوَاجِبِ إِلَّا بِنَيْتِهِ مِنَ اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ .

١ - حُكْمُ صَوْمِ رَمَضَانَ :

صَوْمُ رَمَضَانَ فَرِيضَةٌ : وَالْأَصْلُ فِي فَرِيضَتِهِ : الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ، وَالْإِجْمَاعُ .

أَمَّا الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
وَأَمَّا السُّنَّةُ ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » .

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى فَرِيضَةِ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ .

٢ - بَيَانٌ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ :

وَيُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ بَالِغٍ قَادِرٍ أَدَاءً وَقَضَاءً ، وَلَا يَجِبُ عَلَى كَافِرٍ - سِوَاءَ كَانَ أَصْلِيًّا أَوْ مُرْتَدًّا - لِإِنَّ الصَّوْمَ عِبَادَةٌ لَا تَصِحُّ مِنْهُ فِي حَالِ كُفْرِهِ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاءُهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

وَلَأَنَّ فِي إِجْبَابِ قَضَاءِ مَا فَاتَ فِي حَالِ كُفْرِهِ تَنْفِيرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَلَوْ أَسْلَمَ فِي أَثْنَائِهِ لَمْ يَلْزَمَهُ مَا مَضَى مِنَ الْأَيَّامِ وَيَصْرُمُ مَا بَقِيَ مِنْ

الشَّهْرِ .

وَلِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَةَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ : قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً بِالْمَسْجِدِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا ، صَامُوا مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّهْرِ ، إِذْ أَنْ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ عِبَادَةٌ مُفْرَدَةٌ .

وَلَا يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى مَجْنُونٍ ، وَلَا صَبِيٍّ حَتَّى يَبْلُغَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » .

وَأَمَّا اسْتِرَاطُ الْقُدْرَةِ عَلَى الصَّوْمِ فَلَأَنَّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِحَالٍ وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ - إِذَا كَانَ الصَّوْمُ يُجْهِدُهُمَا وَيَشُقُّ عَلَيْهِمَا مَشَقَّةً شَدِيدَةً - فَلَهُمَا أَنْ يَقْطِرَا وَيُطْعِمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ : لَيْسَتْ بِمَنْسُوحَةٍ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا .

وَرُوِيَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ضَعُفَ عَنِ الصَّوْمِ فَصَنَعَ جَفَنَةً مِنْ ثَرِيدٍ ، فَدَعَا ثَلَاثِينَ مِسْكِينًا فَاطْعَمَهُمْ .
وَالْمَرِيضُ الَّذِي لَا يُرْجَى بَرْؤُهُ ، حُكْمُهُ حُكْمُ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، يُطْعَمُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فِصْل)

٣ - مَا يَثْبُتُ بِهِ الشَّهْرُ :

وَيَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ بِرُؤْيَا هِلَالِهِ ، أَوْ اكْتِمَالِ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ

يَوْمًا وَتَثَبْتُ رَوْيَةَ هِلَالِ رَمَضَانَ بِخَيْرِ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ عَدْلٍ وَلَوْ عَبْدًا أَوْ
أُنْتَى .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ
فَأَفْطِرُوا ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدُرُوا لَهُ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « تَرَى النَّاسَ الْهِلَالَ
فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ، فَصَامَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِذَا اغْرَابِيًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ ، فَقَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ :
نَعَمْ ، قَالَ : « فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَا بِلَالُ أَنْ يَصُومُوا غَدًا » .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ أَنْ يَقُولَ مَا وَرَدَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى
الْهِلَالَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ
وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى » .

وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ
وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، هِلَالَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ » .

وَأَنَّ حَالَ دُونَ مَطْلَعِ الْهِلَالِ لَيْلَةَ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ غَيْمٌ أَوْ قَتَرٌ أَوْ غَيْرُهُمَا ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ صَوْمُهُ وَلَا يُسْتَحَبُّ ، بَلِ الْمَشْرُوعُ فِطْرُهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ . وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ » .

وَعَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَكَمِّلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا » .

وَيُسْتَنَى الْقَضَاءُ ، وَالنَّذْرُ وَالْعَادَةُ ، فَيَجُوزُ صَوْمُهَا فِيهِ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقْدَمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فِصْل)

٤ - فِيهَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ :

وَإِذَا ثَبَتَ رُؤْيَةُ هِلَالِ رَمَضَانَ بِيَدِ لَزِمِ النَّاسِ كُلُّهُمْ الصَّوْمُ إِذَا اتَّفَقَتْ الْمَطَالِعُ لِمَا رَوَى « كُرَيْبٌ » قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ ، وَاسْتَهَلَّ عَلَيَّ رَمَضَانَ وَأَنَا بِالشَّامِ ، فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ : مَتَى رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ ؟ قُلْتُ : رَأَيْتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ وَرَأَاهُ النَّاسُ ، وَصَامُوا ، وَصَامَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلَا نَزَالَ

نَصُومَ حَتَّى نَكْمِلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ . فَقُلْتُ : أَفَلَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مَعَاوِيَةَ
وَصِيَامِهِ ؟ فَقَالَ لَا ، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ رَمَضَانَ وَرَدَّ قَوْلُهُ لَزِمَهُ الصُّومُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِ
الشَّهْرِ مِنْ طَلَاقٍ وَعِتْقٍ ، وَغَيْرِهِمَا مُعَلَّقِينَ بِهِ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ ، وَإِنَّمَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ
فَلَزِمَهُ صَوْمُهُ وَأَحْكَامُهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ
شَوَّالٍ لَمْ يُفْطِرْ لِحَدِيثِ « الْفِطْرُ يَوْمٌ يُفْطِرُ النَّاسُ ، وَالْأَضْحَى يَوْمٌ يُضْحِي
النَّاسُ » .

وَحَدِيثِ : « الْفِطْرُ يَوْمٌ يُفْطِرُونَ ، وَالْأَضْحَى يَوْمٌ يُضْحُونَ » .
وَرَوَى أَبُو رَجَاءٍ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ :

أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا الْمَدِينَةَ وَقَدْ رَأَيَا الْهِلَالَ ، وَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ صِيَامًا
فَأَتَيَا عُمَرَ ، فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : أَصَائِمُ أَنْتَ ؟ قَالَ : بَلَى
مُفْطِرٌ . قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِالصُّومِ وَقَدْ رَأَيْتُ الْهِلَالَ
وَقَالَ لِلْآخِرِ ، قَالَ : أَنِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : لَمْ
أَكُنْ لِإِفْطَرِ النَّاسِ صِيَامًا . فَقَالَ لِلَّذِي أَفْطَرَ : لَوْلَا مَكَانُ هَذَا لَأَوْجَعْتُ
رَأْسَكَ ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ أَنْ أُخْرَجُوا .

وَإِنَّمَا أَرَادَ ضَرْبَهُ لِإِفْطَارِهِ بِرُؤْيَيْهِ وَحْدَهُ ، وَدَفَعَ عَنْهُ الضَّرْبَ لِكَمَالِ
الشَّهَادَةِ بِهِ ، وَلَوْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ لَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَلَا تَوَعَّدَهُ ، وَإِنْ صَامَ النَّاسُ
بِشَهَادَةِ اثْنَيْنِ : ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَرَوْا الْهِلَالَ أَفْطَرُوا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَفْطَرُوا » .

وَإِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ لَزِمَ أَهْلَهُ وَجُوبَ الصَّوْمِ الْإِمْسَاكَ وَلَوْ
بَعْدَ أَكْلِهِمْ لِتَعَدَّرِ امْسَاكَ الْجَمِيعِ فَوَجِبَ أَنْ يَأْتُوا بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وَحَدِيثِ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ
مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

٥ - لَا يَصِحُّ صِيَامُ رَمَضَانَ إِلَّا بَيْنَةَ مِنَ اللَّيْلِ :

وَلَا يَصِحُّ صَوْمَ رَمَضَانَ ، وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الصَّيَامِ الْوَاجِبِ إِلَّا بَيْنَةَ
مِنَ اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ ، رَوَتْ حَفْصَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصَّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ
لَهُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصَّيَامَ قَبْلَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ » .

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ النِّيَّةِ فِي اللَّيْلِ بِمَا يُبْطِلُ
الصَّيَامَ كَالْأَكْلِ لَمْ تَبْطُلِ النِّيَّةُ لِظَاهِرِ الْخَبَرِ وَلَأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ إِلَى آخِرِ
اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّهُ صَائِمٌ غَدًا فَقَدْ
نَوَى ، لِأَنَّ النِّيَّةَ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ ، وَالْأَكْلُ وَالشَّرْبُ بَيْنَةَ الصَّوْمِ نِيَّةٌ قَالَ
الْشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ هُوَ جِئِنَ يَتَعَشَى عِشَاءً مَنْ يُرِيدُ الصَّوْمَ ، وَلَوْ نَوَتْ
حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءُ صَوْمَ غَدٍ وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تَطْهَرُ لَيْلًا صَحَّ لِمَشَقَّةِ الْمُقَارَنَةِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ،
وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ

فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيَبْحَثُ فِي :

١ - حُكْمِ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بَيْنَهُ مِنَ النَّهَارِ .

٢ - فِيمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ .

١ - حُكْمُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بَيْنَهُ مِنَ النَّهَارِ :

وَيَصِحُّ صَوْمُ التَّطَوُّعِ بَيْنَهُ مِنَ النَّهَارِ قَبْلَ الزُّوَالِ وَيَعْدَهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
 عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : « هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ فَقُلْنَا لَا ، فَقَالَ : فَإِنِّي إِذْ
 صَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَانَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا حَيْسٌ ،
 فَقَالَ : « أَرِنِيهِ ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا فَأَكَلُ » .

وَرَادَ النَّسَائِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ ، مَثَلُ الرَّجُلِ
 يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا ، وَمِنْ لَفْظِ
 لَهُ أَيْضًا قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّمَا مَنَزَلَةٌ مِنْ صَامٍ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي
 التَّطَوُّعِ بِمَنَزَلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْضَاهُ ،
 وَبِخَلَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَكَه » .

قَالَ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : عِنْدَكُمْ طَعَامٌ ؟ فَإِنْ قُلْنَا : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ يَوْمِي . قَالَ وَفَعَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَحَدِيثُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَيُحَكَّمُ بِالصَّوْمِ الْمُثَابُ عَلَيْهِ ، مِنْ وَقْتِ النِّيَّةِ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، وَمَا قَبْلَهُ لَمْ يُوجَدْ فِيهِ قَصْدُ الْقُرْبَةِ ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُوجَدَ مُنَافٍ غَيْرَ نِيَّةِ الْإِفْطَارِ ، اِقْتِصَارًا عَلَى مُقْتَضَى الدَّلِيلِ ، وَنَظْرًا إِلَى أَنَّ الْإِمْسَاكَ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، فَلَا يُعْفَى عَنْهُ أَصْلًا ، فَإِنْ فَعَلَ قَبْلَ النِّيَّةِ مَا يُفْطِرُهُ لَمْ يَجْزِ الصِّيَامُ ، فَلَا يَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ أَكَلَ ثُمَّ نَوَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ لِعَدَمِ حُصُولِ حِكْمَةِ الصَّوْمِ ، وَيَصِحُّ تَطَوُّعُ حَائِضٍ وَنُفَسَاءٍ طَهَّرَتْ فِي يَوْمٍ بِصَوْمٍ بَقِيَّتِهِ وَتَطَوُّعُ كَافِرٍ أَسْلَمَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ بِمُفْسِدٍ مِنْ أَكْلِ أَوْ شَرِبٍ وَنَحْوِهِمَا وَإِنْ بَلَغَ صَبِيٌّ ، أَوْ أَسْلَمَ كَافِرٌ ، أَوْ أَفَاقَ مَجْنُونٌ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَهُمْ مُفْطَرُونَ ، لَزِمَهُمُ الْإِمْسَاكَ عَنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ ، لِحُرْمَةِ الْوَقْتِ وَلِزَوَالِ الْمُبِيحِ ، وَإِنْ طَهَّرَتْ حَائِضٌ أَوْ نُفَسَاءٌ ، أَوْ قَدِمَ مُسَافِرٌ مُفْطِرٌ .

فَعَلَيْهِمُ الْإِمْسَاكَ وَالْقَضَاءُ وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كُنَّا نَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَكَذَا الْحَكْمُ فِي الْمَرِيضِ إِذَا صَحَّ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَكَانَ مُفْطِرًا .

وَيَسُنُّ الْفِطْرُ لِمَسَافِرٍ يُبَاحُ لَهُ الْقَصْرُ ، وَلِمَرِيضٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَلِحَدِيثِ
« لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« ... عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ الَّتِي رَخَّصَ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا » وَإِنْ صَامَ أَجْزَأَهُ .

وَلِحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ
أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَصُومُ فِي السَّفَرِ ؟
قَالَ : « أَنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَأَنْ شِئْتَ فَافْطِرْ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(فِصْل)

٢ - فِيمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ :

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ ، لِحَاضِرٍ سَافِرٍ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ . لِحَدِيثِ أَبِي بَصْرَةَ
الْغِفَارِيِّ : أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْفِسْطَاطِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَدَفَعَ ، ثُمَّ
قَرَّبَ غَدَاءَهُ ، فَلَمْ يُجَاوِزِ الْبُيُوتَ حَتَّى دَعَا بِالسُّفْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْتَرَبْ !
قِيلَ : أَلَسْتَ تَرَى الْبُيُوتَ ؟ قَالَ أَتَرَعُبُ عَنْ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَكَلَ .

وَأَنْ صَامَ أَجْزَأَهُ ، لِحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا
فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ لِحَامِلٍ ، وَمَرْضِعٍ ، إِذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا ، فَيَفْطِرَانِ
وَيَقْضِيَانِ كَالْمَرِيضِ الْخَائِثِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا أَفْطَرْتَا
وَقَضَيْتَا ، وَلَزِمَ وَلِيُّ الْوَالِدِ إِطْعَامُ مَسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى
الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَانَتْ رُحْصَةً لِلشَّيْخِ الكَبِيرِ
وَالْمَرْأَةِ وَهُمَا يُطَبِّقَانِ الصِّيَامَ أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا
وَالْحُبْلَى وَالْمُرْضِعُ إِذَا خَافْنَا عَلَى أَوْلَادِهِمَا أَفْطَرْنَا وَأَطْعَمْنَا » . رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ .

وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَلَا مُخَالَفَ لَهُمْ مِنَ
الصَّحَابَةِ وَلَيْسَ لِمَنْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ بِرَمَضَانَ أَنْ يَصُومَ غَيْرَهُ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَسَعُ
غَيْرَ مَا فُرِضَ فِيهِ وَلَا يَصْلِحُ لِسِوَاهُ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى مَنْ احتَاجَهُ لِإِنْقَازِ
مَعْصُومٍ مِنْ مَهْلَكَةٍ . كَغَرَقٍ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُهُ تَدَارُكُ الصَّوْمِ بِالْقَضَاءِ بِخِلَافِ
الغَرِيقِ وَنَحْوِهِ ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى الْحَائِضِ وَالنَّفْسَاءِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اغْمَاءٌ :

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ ثُمَّ جُنَّ أَوْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ جَمِيعَ النَّهَارِ ، وَلَمْ يُبْقِ
جُزْءًا مِنْهُ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ لِأَنَّ الصَّوْمَ : الإِمْسَاكُ مَعَ النِّيَّةِ لِحَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا
أُجْزِي بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي . . . » ، فَأُضَافَ التَّرْكَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ
لَا يُضَافُ إِلَى الْمَجْنُونِ وَالْمَغْمَى عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَجُزْ وَالنِّيَّةُ وَحْدَهَا لَا
تُجْزِي ، وَيَصِحُّ الصَّوْمُ مِمَّنْ أَفَاقَ جُزْءًا مِنْهُ حَيْثُ نَوَى لَيْلًا لِصِحَّةِ إِضَافَةِ
التَّرْكَ إِلَيْهِ إِذَا ، وَيُفَارِقُ الْجُنُونُ الْحَيْضَ بِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْوُجُوبَ بَلْ يَمْنَعُ

الصَّحَّةُ وَحَرْمُ فَعْلُهُ ، وَيَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ نَامَ جَمِيعَ النَّهَارِ لِأَنَّ النَّوْمَ عَادَةٌ لَا يَزُولُ
 الْإِحْسَاسُ بِهِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهُ مَتَى نُبِّهَ أَنْتَبَهَ . وَيَقْضِي مُغْمَى عَلَيْهِ زَمَنَ إِغْمَائِهِ لِأَنَّهُ
 مُكَلَّفٌ ، وَلِأَنَّ مَدَّةَ الْإِغْمَاءِ لَا تَطُولُ غَالِبًا ، وَلَا تُبْتِغُ الْوِلَايَةَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْضِي
 مَجْنُونٌ زَمَنَ جُنُونِهِ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

مَوْعِظَةٌ

أَخْوَانِي إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْهَيْئَةِ الدُّنْيَا
 عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ أَنْسَاهُ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا
 فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلَاحِهَا وَمَا يُكْمِلُهَا وَيُنْسِي
 كَذَلِكَ أُمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَالْأَمَةَ فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ مُعَالَجَتَهَا وَلَا السَّعْيَ فِي
 إِزَالَةِ عِلْلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلُّ إِلَى الْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ
 الْعُقُوبَاتِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ
 مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ فِي
 النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ
 نَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيْعِ الْمَغْبُورِ
 وَيُظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّعَابُنِ « يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
 وَلَا بَنُونَ » الْآيَةُ .

﴿ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي
 إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ إِنَّهَا لَحَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ ، هَؤُلَاءِ
 هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
 نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

شِعْرًا :

ما غَيْرُ دَاءِ الذَّنْبِ مِنْ أَدْوَائِهِ
وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ
قَسَمًا بِهِ فِي أَرْضِهِ وَسَائِهِ
إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
وَرَجَا مَثَوْتَهُ وَحُسْنَ جَزَائِهِ
بَبْدِيعِ نَظْمِي فِي مَدِيحِ سَوَائِهِ
فَرُشًا وَتَوَجَّهًا بَسَقْفِ سَائِهِ
يَهْدِي بِهَا السَّارِينَ فِي ظِلْمَائِهِ
تَجْرَى بِتَقْدِيرِ عَلِيٍّ أَرْجَائِهِ
لَا وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِنَائِهِ
لَيْلٌ فَشَابَهُ صُبْحُهُ - بِضِيَائِهِ
وَأَتَتْ قِصَارًا عِنْدَ فَضْلِ شَتَائِهِ
وَكَفَى الْجَمِيعَ بِرِّهِ وَعَطَائِهِ
مِنْ أُمَّهِ يَمْتَصُّ طَيْبَ غَدَائِهِ
إِحْسَانَهُ بِنَوَالِهِ وَنَدَائِهِ
خَلَوْا تَصِيحُ الْبُومِ فِي أَرْجَائِهِ
وَانظُرْ لِمَنْ شَاهَدَتْ فِي عُلْوَائِهِ
يُخْتَالُ بَيْنَ جِيُوشِهِ وَلِنَوَائِهِ
وَسَقْتَهُ مَرَّ السُّمِّ فِي حَلْوَائِهِ
هِيَ طَلَّقَتْهُ وَمَتَّعَتْهُ بِدَائِهِ
وَاللَّحْدَ سُكْنَاهُ وَبَيْتَ بَلَائِهِ

الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَدُوْلُ بِدَائِهِ
وَالذَّنْبُ أَوْلَى مَا بَكَاهُ أَخُو التَّقَى
فَوَمَنْ أَحَبُّ لِأَعْصِيْنَ عَوَاذِي
مَنْ ذَا يَلُومُ أَخَا الذُّنُوبِ إِذَا بَكَى
فَوَحَقُّ مَنْ خَافَ الْفُؤَادَ وَعَيْدَهُ
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي حُسْنَ الثَّنَا
مَنْ ذَا الَّذِي بَسَطَ الْبَسِيطَةَ لِلزُّورَى
مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَ النُّجُومَ ثَوَاقِبًا
مَنْ ذَا أَتَى بِالشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
أَسْوَاهُ سَوَاهَا ضِيَاءً نَافِعًا
مَنْ أَطْلَعَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ إِذَا دَجَى
مَنْ طَوَّلَ الْأَيَّامَ عِنْدَ مَصِيفِهَا
مَنْ ذَا الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
وَأَدْرَكَ لِلطُّفْلِ الرِّضِيعِ مَعَاشَهُ
يَا وَيْحَ مَنْ يَعِصِي الْإِلَهَ وَقَدْ رَأَى
وَرَأَى مَسَاكِينَ مَنْ عَصَى مِمَّنْ خَلَا
وَدَعَ الْجَبَابِرَةَ الْأَكَاسِرَةَ الْأَلَى
كَمْ شَاهَدَتْ عَيْنَاكَ مِنْ مَلِكٍ غَدَا
مَلَاتْ لَهُ الدُّنْيَا كُؤُوسًا حُلُوءًا
مَا طَلَّقَ الدُّنْيَا إِخْتِيَارًا إِنَّمَا
جَعَلَتْ لَهُ الْأَكْفَانَ كِسُوءَ عُدَّةٍ

وَيَضُمُّهُ لَا مُشْفِقًا فِي ضَمِّهِ حَتَّى تَكُونَ حَشَاهُ فِي أَحْشَائِهِ
وَهُنَاكَ يُغْلَقُ لِحْدَهُ عَنِ أَهْلِهِ بِحِجَارَةٍ وَبِطِينَةٍ وَبِمَائِهِ

وَيَزُورُهُ الْمَلَكَانِ قَصْدَ سُؤَالِهِ عَنِ دِينِهِ لَا عَنَ سُؤَالِ سِوَائِهِ
فَإِذَا أَجَابَ بِـ «لَسْتُ» أَذْرِي أَقْبَلَ ضَرْبًا لَهُ فِي وَجْهِهِ وَقَفَائِهِ
وَبَرَى مَنَازِلَهُ بِقَعْرِ جَهَنَّمَ وَيُقِيمُ فِي ضَيْقٍ لَطُولِ عَنَائِهِ
يَا رَبِّ ثَبِّتْنَا بِقَوْلٍ ثَابِتٍ عِنْدَ امْتِحَانِ الْعَبْدِ تَحْتَ ثَرَائِهِ
أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَيَكْتُبُهُ وَبِعِثِّهِ وَلِقَائِهِ
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَالْأَلِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَهْلِ كِسَائِهِ

مَوْعِظَةٌ

إِخْوَانِي أَيْنَ أَحْبَابِكُمْ الَّذِينَ سَلَفُوا أَيْنَ أَثْرَابِكُمْ الَّذِينَ رَحَلُوا وَانصَرَفُوا ،
أَيْنَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ وَمَا خَلَلُوا .

ندموا والله على التفريط يا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا هَوْلَ مَقَامِ يَشِيْبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ ، إِذَا
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

فَوَاعَجَبًا لَكَ كُلَّمَا دُعِيْتَ إِلَى اللَّهِ تَوَاتَيْتَ ، وَكُلَّمَا حَرَّكَتَكَ الْمَوَاعِظُ إِلَى
الْخَيْرَاتِ أُيِّتَ ، وَعَلَى غَيْبِكَ وَجْهَلِكَ تَمَادَيْتَ ، وَكَمْ حُدِّرْتَ مِنَ الْمُنُونِ فَمَا
التَفَّتْ إِلَى قَوْلِ النَّاصِحِ وَتَرَكْتَهُ وَمَا بَالَيْتَ .

يَا مَنْ جَسَدُهُ حَيٌّ وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَيِّتٌ ، سَتُعَايِنُ عِنْدَ قُدُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا
لَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

كَمْ أَرْعَجَ الْمَوْتُ نُفُوسًا مِنْ دِيَارِهَا ، وَكَمْ أَتَلَفَ الْبِلَى مِنْ أَجْسَادِ مُنْعَمَةٍ لَمْ
يُنَادِرْهَا ، وَكَمْ أَذَلَّ فِي التُّرَابِ وَجُوهًا نَاعِمَةً بَعْدَ رِفْعَتِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا .

إِنْتَبِهْ يَا أَخِي فَالْدُنْيَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَدَارُ فَنَاءٍ لَيْسَتْ بِدَارِ مَقَامٍ ،
سَتَعْرِفُ وَتَفْهَمُ نُصْحِي لَكَ بَعْدَ أَيَّامٍ .

وَمَا غَابَ عَنْكَ سِتْرَاهُ عَلَى التَّمَامِ إِذْ اكْشَفَ الْغِطَاءَ عَنْكَ وَصَارَ بَصْرُكَ
حَدِيدًا ، وَهَنَّاكَ تَنْدُمُ وَلَاتِ سَاعَةِ نَدَمٍ .

قُلْ لِلَّذِي أَلْفَ الذُّنُوبِ وَأَجْرَمَا وَغَدَ عَلَيَّ زَلَّاتِهِ مُتَبَدِّمَا
 لَا تَيَأْسَنَ وَاطْلُبْ كَرِيمًا دَائِمًا يُؤَلِّي الْجَمِيلَ تَفْضُلًا وَتَكْرُمًا
 يَا مَعْشَرَ الْعَاصِينَ جُودٌ وَاسِعٌ عِنْدَ إِلَهِ لِمَنْ يَتُوبُ وَيُنْدَمَا
 يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ إِلَى مَتَى تُفْنِي زَمَانِكَ فِي عَسَى وَكُرْبَمَا
 بَادِرْ إِلَى مَوْلَاكَ يَا مَنْ عُمُرُهُ قَدْ ضَاعَ فِي عِصْيَانِهِ وَتَصَرَّمَا
 وَاسْأَلْهُ عَوْفِيْقًا وَعَفْوًا ثُمَّ قُلْ يَا رَبِّ بَصِّرْنِي وَزِلْ عَنِّي الْعَمَا
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ أَجَلٌ مَنْ قَدْ حُصَّ بِالتَّقْرِيبِ مِنْ رَبِّ السَّمَا
 وَعَلَى صَحَابِيهِ الْأَفْضَلِ كُلِّهِمْ مَا سَبَّحَ الدَّاعِي إِلَهِ وَعَظَّمَا

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
 وَآمِنًا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ
 النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلْ) يَحْرُمُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ تَنَاوُلَ مُفْطَرٍ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ ، لِمَا
 وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُحْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ ، لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ
 الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ » .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بَصْبَعِي
 فَاتَيَا بِي جَبَلًا وَعَرَا فَقَالَا اصْعَدْ فَقُلْتُ إِنِّي لَا أُطِيقُهُ فَقَالَا إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ
 فَصَعَدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَرَاةِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ قُلْتُ مَا هَذِهِ

الْأَصْوَاتُ قَالَا هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ
بِعَرَاقِيهِمْ مُشَقَّةً أَشْدَّاقَهُمْ تَسِيلُ أَشْدَّاقَهُمْ دَمَا قَالَ قَلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ
الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ ، الْحَدِيثِ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ
فِي صَحِيحِهِمَا .

وَمِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ بَعْدَ تَبْيُنِ الْفَجْرِ الثَّانِي
لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مُخْتَارًا ذَاكِرًا لِصَوْمِهِ أَبْطَلَهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا يُنَافِي
الصَّوْمَ لِغَيْرِ عُدْرٍ .

٢ - حُكْمُ مَا إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا :

وَلَا يُفْطِرُ مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ
صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ ، فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطَعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ » .

وَرَوَى الْحَاكِمُ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ
نَاسِيًا فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةَ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَسَدَ صَوْمُهُ ، وَعَلَيْهِ
قَضَاءٌ » .

وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ذَرَعَهُ
الْقَيْءُ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ » .

وَمِمَّا يُفْطِرُ : الْحِجَامَةُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ

عنه - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَى عَلَى رَجُلٍ بِالْبَيْعِ وَهُوَ يَحْتَجِمُ فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ : أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ .

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ » .

وَمِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ ، وَيُيَبِّطُ صِيَامَهُ الْجَمَاعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ ، وَهِيَ عَتَقُ رَقَبَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : اجْلِسْ . وَمَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ الضَّخْمُ ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ أَنَا قَالَ : خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعْلَى أَفْقَرٍ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ « أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَتَحْرُمُ الْمُبَاشَرَةُ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ إِنْ ظَنَّ أَنْزَالَ ، فَإِنْ بَاشَرَ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ ، فَأَنْزَلَ مَنِيًّا فَسَدَ صَوْمُهُ ، لِأَنَّهُ أَنْزَلَ عَنْ مُبَاشَرَةٍ ، فَاشْبَهَ الْجَمَاعُ .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : (الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ - أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا) قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى : ﴿ لَيْزُنْ أُشْرِكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزُّمَرِ

. ٦٥

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة ٥ .

وَمَا يُفْطِرُ : إِيصَالُ الْأَغْذِيَةِ بِالْأَبْرَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ
لأنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ وَأَمَّا الْحُبُوبُ الْغِذَائِيَّةُ وَالِدَوَائِيَّةُ
وَالْمُشْتَرَكَةُ فَيُفْطِرُ مَنْ أَكَلَهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ قَوَارِعَ الْأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أُذُنٌ لِعِظَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنَّ
فَجَائِعَ الْمَوْتِ صَائِيَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إِنَّ مَطَالِعَ الْأَمَالِ
إِلَى الْمَسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلَّا فَانظُرُوا بِثَوَابِ الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ فِي
نَوَاجِحِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ فِي حُشُودِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إِلَّا الشَّتَاتِ
وَلَا تَسْمَعُوا فِي رُبُوعِكُمْ إِلَّا فُلَانٌ مَرِيضٌ وَفُلَانٌ مَاتَ أَيْنَ الْأَبَاءِ الْأَكْبَرِ أَيْنَ
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ الْمُنَاصِحُونَ
لِوَلَاتِيهِمْ وَأُمَّتِهِمُ الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَيْنَ الْكِرَمَاءِ الْأَفْضَلِ
الَّذِينَ يَغَارُونَ إِذَا انْتَهَكَتِ الْمَحَارِمُ أَيْنَ الْهَاجِرُونَ الْمُصَارِمُونَ لِلْفَاسِقِ
وَالْفَاجِرِ أَيْنَ الْمُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ
الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الْمُحِبُّونَ فِي اللَّهِ الْمُبْغِضُونَ لِأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ الْمُتَّقُونَ لِمَا كَلِمِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ عَنِ الْحَرَامِ وَالْمُشْتَبِهِ وَهُوَ
مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُخَاطَرَةِ

فِي صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكْتَبِهِمْ فِي الْأَمْلَاقِ الْمَسْكُونَةِ قَهْرًا
وَعُضْبًا .

أَيْنَ الْمُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ .
عَثَرَتْ وَاللَّهِ بِهِمُ الْعَوَائِرُ وَأَبَادَتُهُمُ السِّنِينَ الْعَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُمُ
الْحَادِثَاتُ الْبَوَائِرُ وَاخْتَطَفَهُمْ عَقَبَاتُ كَوَاسِرِ . وَخَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَشَاهِدُ
وَالْمَحَاضِرُ وَعَدِمَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ وَطَفِئَتْ مِنْ وَجُوهِهِمُ الْأَنْوَارُ
الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمُ الْحُفْرُ وَالْمَقَابِرُ إِلَى يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَلَوْ كَشِفَتْ عَنْهُمْ
أَعْطِيَةَ الْقُبُورِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتِ الْأَحْدَاقَ عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً
وَالْأَوْصَالَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيدَانَ الْأَرْضِ فِي نَوَاعِمِ تِلْكَ
الْأَبْدَانِ جَائِلَةً وَالرُّؤُوسَ الْمَوْسَدَةَ عَلَى الْإِيمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفًا
بِهَا وَيَنْفِرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ أَلْفًا بِهَا .

فَلَا يُعْرِفُ السَّيِّدُ مِنَ الْمَسُودِ وَلَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَمْلُوكِ وَلَا الذَّكِيُّ مِنَ
الْبَلِيدِ وَلَا الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا بَادَرَ بِالْإِقْلَاعِ عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَوَاصَلَ الْإِسْرَاعَ وَالْمَبَادَرَةَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ
الْأَوْقَاتِ وَطَيَّ صَحَائِفِ الْمُسْتَوَدَّعَاتِ وَنَشَرَ فُضَائِحِ الْاِقْتِرَافَاتِ وَالْجِنَايَاتِ
فَلَا تَعْتَرُوا بِحَيَاةٍ تَقُودُ إِلَى الْمَمَاتِ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ
لَا تِ فَالْبِدَارِ الْبِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوْا الْمُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

نَمْضِي عَلَى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْلَافُنَا وَهُمْ لِلدِّينِ قَدْ شَادُوا

لَنَا بِهِمْ أُسْوَةٌ إِذْ هُمْ أُيْمِتُنَا
وَنَحْنُ لِقَوْمِ أبنَاءِ وَأَحْفَادِ
وَالصَّبْرُ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبُ كُلُّهَا نُجْحٌ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدَيْتَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرِكُ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ طَاوَلْنَ آمَادُ
وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ عَن مَّصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الْأَيْقَاطُ رُقَادُ
دُنْيَا تَغْرُ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدْرُ
لَوْلَا النُّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدُنَا لِهَذَا الْمَوْتِ عُدَّتُهُ
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَرْنَ الْحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَاماً بِهَا حَشْرٌ وَمِيعَادُ
وَجَنَّةٌ أُزْلِفَتْ لِلْمُتَّقِينَ وَأَهْ
لِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالُ وَأَوْتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَا
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَهَادُ
لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الْقَوْتَ وَاصْطَلْ قَبْلَ تَضْطَادُ
وَالْمَوْتَ لِلْمُؤْمِنِ الْأَوَابِ تُحْفَتُهُ
وَفِيهِ كُلُّ الَّذِي يَبْغِي وَيَرْتَادُ

لَقَا الْكَرِيمِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَسَمَا
مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي مَا فِيهِ أَتْكَادُ
فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ إِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
فَالْفَضْلُ لِيْلَهُ كَالْأَزَالِ أَبَادُ
فَالظَّنُّ بِاللَّهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا
ظَنُّ جَمِيلٌ مَعَ الْأَنْفَاسِ يَزْدَادُ
نَرْجُوهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوهُ يَسْتُرُنَا
فَمِنْهُ لِكُلِّ إِمْدَادٍ وَإِيْجَادُ
نَدْعُوهُ نَسْأَلُهُ عَفْوَاً وَمَغْفِرَةً
مَعَ حُسْنِ خَاتِمَةِ فَالْعُمْرُ نَفَادُ
وَقَدْ رَضِينَا قَضَاءَ اللَّهِ كَيْفَ قَضَا
وَاللُّطْفُ نَرْجُو وَحُسْنَ الصَّبْرِ إِرْشَادُ

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِسُلُوكِ مَنَاجِحِ الْمُتَّقِينَ ، وَخُصَّصْنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ،
وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : ٣ - بَعْضُ فَوَائِدِ الصِّيَامِ :

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لِيْشَهْرِ رَمَضَانَ شَرَفَهُ اللَّهُ فَوَائِدُ عَظِيمَةً وَمَنَافِعَ جَمَّةً وَأَنْارَ
حَسَنَةً فَهَوُ يَضْبِطُ النَّفْسَ وَيُطْفِئُ شَهْوَتَهَا فَإِنَّمَا إِذَا شَبِعَتْ تَمَرَّدَتْ فِي
الْغَالِبِ وَسَعَتْ فِي شَهْوَاتِهَا ، وَإِذَا جَاعَتْ سَكَنَتْ وَخَضَعَتْ وَامْتَنَعَتْ
عَنْ مَا تَهْوَى ، فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْبِيرُ مِنْ شَهْوَةِ الشَّبَابِ حَتَّى لَا تَطْفَى عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ ، فَكَانَ الصَّوْمُ وَسِيلَةً إِلَى كَفِّ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، فَالصِّيَامُ يُرَبِّي فِي الْإِنْسَانِ الْفَضَائِلَ وَالْإِخْلَاصَ وَالْأَمَانَةَ وَالصَّبْرَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، لِأَنَّهَا إِذَا انْقَادَتْ لِلْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْحَلَالِ مِنَ الْغِذَاءِ الَّذِي لَا غِنَى لَهَا عَنْهُ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَوْفًا مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ .

فَالْآخَرَى بِهَا أَنْ تَتَمَرَّنَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْحَرَامِ الَّذِي هِيَ غِيَّةٌ عَنْهُ وَتُبْعِدَ عَنْهُ كُلُّ الْبُعْدِ فَلَا يَغْدُرُ وَلَا يَخُونُ وَلَا يُخْلِفُ وَعَدًّا وَلَا يَكْذِبُ وَلَا يُرَائِي .

فَإِذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِصَوْنِ صِيَامِهِ عَنِ الْمُفْسِدَاتِ وَالْمُنْقِصَاتِ فَالصَّوْمُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ سَبَبٌ فِي اتِّقَاءِ الْمَحَارِمِ وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ وَالتَّحَلِّيِ بِالْفَضَائِلِ وَالتَّخَلُّيِ عَنِ الرُّذَائِلِ ، وَالْيَ هَذَا أَشَارَ جَلُّ وَعَلَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فَالصَّوْمُ يَدْعُو إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ ، إِذْ هُوَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمُبَاشَرَةِ النَّسَاءِ ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ جَلَائِلِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وَالْإِمْتِنَاعِ عَنِ هَذِهِ النُّعْمِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى آخِرِهِ يُعْرِفُ الْإِنْسَانَ قَدْرَهَا ، إِذْ لَا يُعْرِفُ فَضْلَ النُّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهَا فَيَبْتَعُ ذَلِكَ عَلَى الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا وَشُكْرُ النُّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ ، وَالْيَ هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤﴾ .

وَأَيْضاً فَالصَّيَامُ يَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةَ الرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْبَائِسِينَ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ذَاقَ أَلَمَ الْجُوعِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَذَكَّرَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فَيَسَارِعُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ . قِيلَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْجُوعِ : لِمَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسِيَ الْجَائِعِ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ يُنْقِي الْجِسْمَ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيئَةِ وَرَطُوبَاتِ الْأَمْعَاءِ ، وَيَشْفِي كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِيهِ مِنَ الْمَزَايَا الصَّحِيَّةِ مَا شَهِدَ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصُّلْحِ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَلِيمٍ حَكِيمٍ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ أَنَّهُ يُقْوِي النَّفْسَ عَلَى الْبِرِّ وَالْجَلَمِ وَهَمَا تَجَنَّبَ كُلُّ مَا مِنْ شَأْنِهِ آثَارَةُ الْغَضَبِ لِأَنَّ الصَّوْمَ يَنْصِفُ الصَّبْرَ ، وَالصَّبْرُ يَنْصِفُ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنَ الْإِخْلَاقِ السَّيِّئَةِ) .

وَمَنْ يُلَاحِظُ حَالَ الصَّائِمِينَ الْمُؤَفَّقِينَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحْرِيِ الطَّاعَةِ وَتَحْرِيِ سُبُلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِبْتِمَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِحْسَانِ يُدْرِكُ أَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهَدَايَةِ ، وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ » وَيُدْرِكُ مَا فِيهِ مِنْ تَهْدِيَةِ النَّفْسِ

وَتَطْهِيرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَوْثُوعَةِ وَتَرْوِيضِهَا عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِعْدَادِهَا
لِلْمَسَاعِدَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، وَحَسْبُكَ ، فِي فَضْلِ الصِّيَامِ قَوْلُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » .

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَذُرُّ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصُّومُ لِي
وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي وُجُودِ هَذِهِ
الرَّائِحَةِ مِنَ الصَّائِمِ هَلْ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ وَفَضَّلَ
النُّزَاعِ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ حَيْثُ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ
الطَّيْبُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ
وَمُوجِبَاتُهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَيَظْهَرُ لِلخَلْقِ طَيْبُ ذَلِكَ الْخُلُوفِ عَلَى الْمِسْكِ
كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ دَمُ الْمَكْلُومِ فِي سَبِيلِهِ كَرَائِحَةُ الْمِسْكِ وَكَمَا تَظْهَرُ فِي
السَّرَائِرِ وَتَبْدُو عَلَى الْوُجُوهِ وَتَصِيرُ عَلَانِيَةً وَيَظْهَرُ فِيهِ قُبْحُ رَائِحَةِ الْكُفَّارِ
وَسَوَادُ وُجُوهِهِمْ وَحَيْثُ أَخْبَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ حِينَ يَخْلُفُ وَحِينَ يُمَسُونَ فَلِأَنَّهُ
وَقْتُ ظُهُورِ أَثَرِ الْعِبَادَةِ وَيَكُونُ حِينَئِذٍ طَيِّبًا عَلَى رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَعِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الرَّائِحَةُ كَرِيهَةً لِلْعِبَادِ .

قُرْبُ مَكْرُوهٍ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالعَكْسِ فَإِنَّ
النَّاسَ يَكْرَهُونَهُ لِمُنَافَرَتِهِ لِطَبَاعِهِمْ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَطِيبُهُ وَيُحِبُّهُ لِمُؤَافَقَتِهِ
لِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ فَيَكُونُ عِنْدَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَنَا فَإِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهَرَ هَذَا الطَّيْبُ لِلْعِبَادِ وَصَارَ عَلَانِيَةً .

وَهَكَذَا سَائِرُ آثَارِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَإِنَّمَا يَكْمُلُ ظُهُورُهَا
وَيَصِيرُ عَلَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ .

لِلَّهِ قَوْمٌ أٰخَلَصُوا فِي حُبِّهِ فَكَسَا وَجُوهُهُمُ الْوَسِيْمَةَ نُورًا
دَكَرُوا النَّعِيْمَ فَطَلَّقُوا ذُنْيَاهُمُوَا زُهْدًا فَعَوَضَهُمُ بِذٰكِ اَجُوْرًا
قَامُوَا يُنَاجُوْنَ اِلٰهَهُ بِاَدْمَعٍ تَجْرِي فَتَحْكِي لَوْلُوَا مَنشُوْرًا
سَتَرُوَا وَجُوهُهُمُوَا بِاَسْتَارِ الدُّجَى لَيْلًا فَاَضْحَتْ فِي النَّهَارِ بُدُوْرًا
عَمِلُوَا بِمَا عَلِمُوَا وَجَادُوَا بِالَّذِي وَجَلُوَا فَاَصْبَحَ حَظُّهُمْ مَوْفُوْرًا
وَإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعَتْ حَنِيْنَهُمْ وَشَهِدَتْ وَجَدًا مِنْهُمُْوَا وَزَفِيْرًا
تَعَبُوَا قَلِيْلًا فِي رَضَا مَحْبُوْبِهِمْ فَاَرَاْحَهُمْ يَوْمَ اللِّقَاِ كَثِيْرًا
صَبَرُوَا عَلٰى بَلُوَاهُمُوَا فَجَزَاهُمُوَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّةً وَحَرِيْرًا
يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْحَزِيْنُ اِلَى مَتَى تُفْنِي زَمَانِكَ بِاطْلَاً وَغُرُوْرًا
بَادِرْ زَمَانِكَ وَاغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ وَاحْدَرْ تَوَانَاكِي تَحُوْرَ اَجُوْرًا
وَاضْرَعْ اِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيْمِ وَنَادِهِ يَا وَاحِدًا فِي مُلْكِهِ وَقَدِيْرًا
مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي وَإِذَا رَضِيْتَ فِنِعْمَةً وَسُرُوْرًا

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهَذَاكَ اِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيْمِ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ عَلَي الْوَجْهِ
الْمَطْلُوْبِ يَا كَرِيْمٌ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ اَتَاكَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ وَغَفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ اَجْمَعِيْنَ .

(فَصَلِّ) يَجُوْزُ لِمَنْ جَامَعَ بِاللَّيْلِ اَنْ لَا يَغْتَسِلَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ،
وَصَوْمُهُ صَحِيْحٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - اَنْ رَجُلًا قَالَ :
يَا رَسُوْلَ اللهِ ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَاَنَا جُنُبٌ اَفَاصُوْمُ ؟ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَاَنَا جُنُبٌ فَاَصُوْمُ » فَقَالَ : لَسْتُ مِثْلَنَا
يَا رَسُوْلَ اللهِ ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ « وَاللهِ ،
إِنِّي لَا رَجُوْا اَنْ اَكُوْنَ اَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَاَعْلَمُكُمْ بِمَا اَتَّقِي » .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَصُومُ فِي رَمَضَانَ » .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِمَاعٍ لَا حُلْمَ ، ثُمَّ لَا يُفْطِرُ وَلَا يَقْضِي .

لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَزِمَهُ الْغُسْلُ ثَلَاثًا مِنْ جُنْبٍ وَحَائِضٍ وَنَفْسَاءٍ انْقَطَعَ دَمُهَا ، وَكَافِرٍ أَسْلَمَ ، أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي .

وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا وَجَبَ عَلَى مَنْ رَأَاهُ اعْلَامُهُ . لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِ .

وَمَنْ أَكَلَ شَاكًا فِي طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَدَامَ شَكُّهُ ، فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِظَاهِرِ الْآيَةِ ، وَإِنْ أَفْطَرَ يَظُنُّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ ، وَلَمْ تَغِبْ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ ، لِمَا رَوَى هِشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ » قِيلَ لِهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ - وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ - أَمِرُوا بِالْقَضَاءِ ؟ قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ قَضَاءٍ .

وَلَا يَفْسُدُ صَوْمٌ مَنْ طَارَ إِلَى حَلْفِهِ ذُبَابٌ ، أَوْ غُبَارٌ مِنْ طَرِيقٍ ، أَوْ دَفِيقٍ أَوْ دُخَانٍ ، لِعَدَمِ إِمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ وَأَمَّا الدُّخَانُ الَّذِي بُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَحْرَمٌ وَيُفْطِرُ مَنْ شَرِبَهُ .

وَلَا يُفْطِرُ أَنْ فَكَّرَ فَأَنْزَلَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَفَى
لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ » .

وَلَا يُفْطِرُ إِنْ احْتَلَمَ ، لِإِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَبَبٍ مِنْ جِهَتِهِ .
وَمَنْ اغْتَسَلَ ، أَوْ تَمَضَّمَضَ ، أَوْ اسْتَنْشَقَ فَدَخَلَ الْمَاءَ إِلَى حَلْقِهِ بِلَا
قَصْدٍ ، لَمْ يَفْسُدْ صَوْمِهِ ، لِمَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ عَائِشَةَ ، وَأُمَّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَتَا : « نَشَهُدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ
لِيُضْبِحُ جُنْبًا مِنْ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ » .

وَتُكْرَهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ لِلصَّائِمِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ لَقِيْطِ
بْنِ صَبْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَسْبِغِ الْوُضُوءَ ،
وَخَلِّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ ، وَبَالَغِ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا » . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فِصْل)

٢ - ذَكَرَ أَشْيَاءَ مُحْرَمٌ وَتَيَكَّدَ تَحْرِيمُهَا فِي حَقِّ الصَّائِمِ :

يَجِبُ اجْتِنَابُ كُلِّ كَذِبٍ مُحْرَمٍ ، أَمَا الْكَذِبُ لِتَخْلِيصِ مَعْصُومٍ مِنْ
قَتْلِ فَوَاجِبٍ ، قُلْتُ وَبِتَرَجُّحِ عِنْدِي مِثْلُهُ أَيْضًا لِتَخْلِيصِ مَالِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ
قَاطِعِ طَرِيقٍ أَوْ غَاصِبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَالْمَالُ مُثْمَنٌ وَالْأَحْسَنُ يَتَأَوَّلُ ، وَلَا
صَلَاحَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَمُبَاحٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ الْكَذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ
خَيْرًا أَوْ يَنْمِي خَيْرًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْكَذِبِ مَحَبَّةُ النِّفَعِ الدُّنْيَوِيِّ وَحُبُّ التُّرَاثِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُخْبِرَ يَرَى أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى الْمُخْبَرِ بِمَا عَلَّمَهُ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِالْعَالِمِ
 الْفَاضِلِ فَيُظَنُّ أَنَّهُ يَجْلِبُ بِمَا يَقُولُهُ فَضْلًا وَمَسْرَةً وَهُوَ يَجْلِبُ بِهِ نَقْصًا
 وَفَضِيحَةً فَالْكَذِبُ رَذِيلَةٌ مَحْضَةٌ مِنْ أَرْدَلِ الرُّذَائِلِ يُنْبِئُ عَنْ تَغْلُغِ
 الْفَسَادِ فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا وَعَنْ سُلُوكِ يُنْبِئُ الشَّرَّ انْشَاءً فَالْكَذِبُ يَتَّصِدُّعُ
 بِهِ بِنْيَانُ الْمَجْتَمَعِ وَبِهِ يَخْتَلُ سَيْرُ الْأُمُورِ ، وَنُسْقِطُ صَاحِبَهُ مِنَ الْعِيُونِ وَلَا
 يُوثِقُ فِي قَوْلِهِ ، وَلَا يُوثِقُ بِهِ فِي عَمَلٍ ، وَلَا يُرْغَبُ لَهُ مَجْلِسٌ ، وَأَحَادِيثُهُ
 عِنْدَ النَّاسِ مَتْرُوكَةٌ ، وَشَهَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ
 وَالْكَذِبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا وَبِئْسَ لِلَّذِي يُحَدِّثُ
 لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَبِئْسَ لَهُ وَبِئْسَ لَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَا كَانَ خُلُقُ أَبِغَضَ إِلَى
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْكَذِبِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذِبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ
 أَحَدَتْ مِنْهَا تَوْبَةً رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا قَالَ لَا الْحَدِيثِ رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعَبِ
 الْإِيمَانِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَجِمَهُ اللَّهُ : إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَ
 الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَهَا وَتَعْلِيمَهَا لِلنَّاسِ فَإِنَّ

الكَاذِبَ يُصَوِّرُ الْمَعْدُومَ مَوْجُوداً وَالْمَوْجُودَ مَعْدُوماً وَالْحَقَّ بَاطِلاً وَالْبَاطِلَ حَقّاً وَالْخَيْرَ شِراً فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ عُقُوبَةَ لَهُ ثُمَّ يُصَوِّرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ الْمُغْتَرِّ بِهِ الرَّائِكُنُ إِلَيْهِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ وَنَفْسُ الْكَاذِبِ مُعْرِضَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَوْجُودَةِ تَرَاعَةً إِلَى الْعَدَمِ مُؤَثِّرَةٌ لِلْبَاطِلِ . وَلِهَذَا كَانَ الْكَذِبُ أَسَاسَ الْفُجُورِ .

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْرِي الْكَذِبُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللِّسَانِ فَيُفْسِدُهُ ثُمَّ يَسْرِي إِلَى الْجَوَارِحِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا كَمَا أَفْسَدَ عَلَى اللِّسَانِ أَقْوَالَهُ فَيَعْمُ الْكَذِبُ أَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فَيَسْتَحْكِمُ عَلَيْهِ الْفَسَادَ وَيَتْرَمَى دَاوَهُ إِلَى الْهَلَكَةِ أَنْ لَمْ يَتَذَارَكُهُ اللَّهُ بِدَوَاءِ الصُّدُقِ بِقَلْعِ تِلْكَ الْمَادَّةِ مِنْ أَصْلِهَا .

وَلِهَذَا كَانَ أَصْلُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ كُلِّهَا الصُّدُقَ وَأُضْدَادُهَا مِنَ الرِّبَايَةِ وَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَطْرِ وَالْأَشْرَ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْمَهَانَةِ وَغَيْرِهَا أَصْلُهَا الْكَذِبُ فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الصُّدُقَ وَكُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الْكَذِبَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَاقِبُ الْكَذَابَ بِأَنْ يَقْعِدَهُ وَيُبْطِطُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ وَيُثَبِّبُ الصَّادِقَ بِأَنْ يُؤَفِّقَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ

وكان الصدق في صدر الإسلام أساساً في القول والعلم والمعاملة ، وخصوصاً فيما يتعلق بالدين وحفظ الحديث .

فقد ورثت عن العلماء الأوائل علوم الدين مضبوطة كاملة كما أنزلت على رسول الله ﷺ وحدث عنها .

وكان علماء الدين وجامعوا أحاديث النبي ﷺ يتحرون صدق المحدث بشكل عجيب .

يَدْرُسُونَ حَيَاتَهُ وَيَتَحَقَّقُونَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ كُسْبِ يَدِهِ
وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى سُلْطَانٍ فِي صُحْبَةٍ أَوْ وَظِيفَةٍ .

وَأَنَّهُ يُطَبِّقُ تَعَالِيمَ الدِّينِ كَامِلَةً وَلَمْ تُعْهَدْ عَلَيْهِ كِذْبَةٌ فِي حَيَاتِهِ . فَعِنْدَهَا
يُؤْخَذُ عَنْهُ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ .

وَمِثَالٌ عَلَى مَا ذَكَرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَمِعَ بِوُجُودِ حَدِيثٍ عِنْدَ
عَالِمٍ بِدِمَشْقٍ فَسَافَرَ إِلَيْهِ مِنْ بَغْدَادٍ حَتَّى وَصَلَ دِمَشْقَ فَمَكَثَ مُدَّةً يُسْأَلُ عَنِ
الْعَالِمِ وَعَنِ أَخْلَاقِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَكَلَامِهِ .

حَتَّى إِذَا وَثِقَ مِنْ صِدْقِهِ أَتَاهُ مُبَكَّرًا بَعْدَ أَنْ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبَسَ
أَحْسَنَ ثِيَابِهِ إِجْلَالًا لِلْحَدِيثِ وَلِنُ يَحْمَلَهُ .

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ بَيْتِهِ وَجَدَ الْعَالِمَ خَارِجًا مِنْ بَيْتِهِ يَقُودُ حِمَارَهُ وَقَدْ كَانَ حَمَالًا
يَكْتَسِبُ رِزْقَهُ .

فَرَفَضَ الْحِمَارُ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ فَحَاوَلَ أَنْ يُجْرَهُ أَوْ يَسُوقَهُ بِمُخْتَلَفِ الْوَسَائِلِ
وَيَأْتِي الْحِمَارُ .

فَجَمَعَ لَهُ طَرَفَ جُبَّتِهِ وَقَدَّمَهُ لِلْحِمَارِ لِيُوهِمَهُ أَنَّ فِي الْجُبَّةِ شَعِيرًا أَوْ نَحْوَهُ
فَتَبَعَهُ الْحِمَارُ .

فَنَظَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى الْجُبَّةِ فَوَجَدَهَا خَالِيَةً مَا فِيهَا شَيْءٌ .
فَتَرَكَ أَحْمَدُ الْعَالِمَ وَالْأَخْذَ عَنْهُ حَيْثُ تَبَيَّنَ لَهُ كَذْبُهُ عَلَى الْحِمَارِ .
فَلَا يُؤْتَمَنُ عَلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَهٌ .

سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنِّي
هُمُّوا بَدَلُوا فِي حِفْظِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
وَأَعْنِي بِهِ أَسْلَافَ أُمَّةِ أَحْمَدِ
أُولَئِكَ أَمْثَالُ الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمِ
بُحُورٌ وَحَاشَاهُمْ عَنِ الْجَزْرِ إِنَّمَا
نَشَأْتُ عَلَى حُبِّ الْأَحَادِيثِ مِنْ مَهْدِي
وَتَنْقِيحِهَا مِنْ جُهْدِهِمْ غَايَةَ الْجُهِدِ
أُولَئِكَ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ هُمُّوا قَصْدِي
وَأَحْمَدُ أَهْلُ الْجِدِّ فِي الْعِلْمِ وَالْجِدِّ
لَهُمْ مَدَدٌ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ بِاللَّدِّ

رَوُوا وَارْتَوُوا مِنْ بَحْرِ عِلْمِ مُحَمَّدٍ
كَفَاهُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَالسُّنَّةُ الَّتِي
فَمُقْتَدِيًا بِالْحَقِّ كُنْ لَا مُقَلِّدًا
فَشْتَانُ مَا بَيْنَ الْمُقَلِّدِ فِي الْهُدَى
فَمَنْ يَقْتَدِي أَضْحَى إِمَامَ مَعَارِفٍ
وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْمَذَاهِبُ مِنْ وَرْدٍ
كَفَتْ قَبْلَهُمْ صَحْبَ الرَّسُولِ ذَوِي الْمَجْدِ
وَحَلُّ أَخَا التَّقْلِيدِ فِي الْأَسْرِ بِالْقَدِّ
وَمَنْ يَقْتَدِي وَالضِّدُّ يُعْرَفُ بِالضِّدِّ
وَكَانَ أَوْسَى فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ
فَمَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الصِّدْقِ وَلَا مَفَاسِدُهُمَا
وَمَضَارُهُمَا بِمِثْلِ الْكِذْبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَاذَا
عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ .
شِعْرًا :

عَوْدَ لِسَانِكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظُ بِهِ
إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَدَتْ يَعْتَادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ
فِي الصِّدْقِ وَالْكِذْبِ فَانظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِّنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْكُذْبِ

وَيَتَنَوَّعُ الْكُذْبُ إِلَى أَنْوَاعٍ ، فَمَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِأَمْوَالِ النَّاسِ
وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْكَبَائِرِ وَأَقْبَحِ الْجَرَائِمِ الَّتِي تُضِرُّ
بِالْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي ، وَتَقْضِي عَلَى الْعَدْلِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَقُولُ الزُّورَ
لَيَقْتَطِعَ حُقُوقَ عِبَادِ اللَّهِ أَوْ يُلِمَّهُمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ الْإِنْسَانِيَّةَ
وَيُؤْلِمُهَا .

وَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِعُضْبِ اللَّهِ وَكَانَ سَبِيًّا فِي بَثِّ الْفَوْضَى وَإِغْرَاءِ
 الْمُجْرِمِينَ عَلَى اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ فَيَنَالُونَ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ مَا
 يَشْتَهُونَ وَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ شَاهِدَ الزُّورِ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى
 الْإِفْلَاتِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَكْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَرَ قَوْلِ الزُّورِ وَأَعْظَمَ
 جُرْمَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ : « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ
 مُتَكِنًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، أَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ
 سَكَتَ ، فَجَلُوسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اتِّكَاثِهِ إِهْتِمَامًا بِشَأْنِهِ ،
 وَصَدَرَ قَوْلُهُ بِأَدَاةِ التَّنْبِيهِ وَكُرِّرَ كَلِمَتُهُ حَتَّى شَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَبَدَا الْعُضْبُ فِي
 وَجْهِهِ ، وَتَمَنَّى أَصْحَابُهُ لَوْ سَكَتَ .

وَقَوْلُ الزُّورِ يَشْمَلُ الشَّهَادَةَ بِالْبَاطِلِ وَالْحُكْمَ الْجَائِرَ وَرَمَى الْأَبْرِيَاءِ
 وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ .

وَعَنْ خَرِيمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ عَدِلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ
 بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَرَأَ : « فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
 الزُّورِ حُفَاءً لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَشَاهِدُ الزُّورِ يُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ إِذْ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَيُسِيءُ
 إِلَى مَنْ شَهِدَ لَهُ بِإِعَانَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ، وَيُسِيءُ إِلَى مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ فِي
 إِضَاعَةِ حَقِّهِ وَيُسِيءُ إِلَى الْقَاضِيِ الَّذِي جَلَسَ يَتَحَرَّى الْعَدْلَ لِيُحْكَمَ بِهِ
 وَيُنْصَفَ الضَّعْفَاءُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ وَيَتَنَزَّعَ حَقُّ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ بِأَنَّهُ بِشَهَادَتِهِ
 بِالزُّورِ يُظَلِّلُهُ وَيَسُدُّ أَمَامَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَيَفْتَحُ بَابَ الْبَاطِلِ .

وَبِهَذَا يَشُلُّ يَدَ الْعَدَالَةِ أَنْ تَقْتَصِرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَيُسِيءُ
 شَاهِدُ الزُّورِ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأَسْرَتِهِ لِأَنَّهُ يُلَوِّثُهَا بِهِدِيهِ السَّمْعَةِ السَّيِّئَةِ وَالْفَائِهَةِ
 الْقَبِيحَةِ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ عَائِلَةُ الْمُزُورِ ، وَأَعْظَمَ بِهَا مِنْ
 أُذْيَةِ لِلْمُسْتَقِيمِينَ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الصُّدُقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصُدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ، يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْكَذِبَ مِنْ صِفَاتِ النُّفَاقِ .

اللَّهُمَّ أَتَمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصُّدُقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعَدِّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْغِيْبَةِ

وَيَجِبُ اجْتِنَابُ الْغِيْبَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ أَي لَا يَتَنَاوَلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِمَا يَسُوؤُهُ ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى لِلْغِيْبَةِ مَثَلًا فَقَالَ: « أَيَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » ، وَعَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ أُرِي الرَّبِّيَ اسْتِطَالَةَ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا أَنَّ مِنْ الْكَبَائِرِ اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرُّبَا الْأَسْتَطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَإِنْ قِيلَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قِيلَ قَدْ حَدَّثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قَالَ (أحدهم) : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنَ الْغَيْبَةِ التَّمَثِيلِيَّاتِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْهَيْئَاتِ وَمَحَاكَاةِيهِمْ فِي اللَّبَاسِ عَلَى وَجْهِ التَّنْقِصِ وَالْأَسْتِهْتَارِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَهَمُونَ فِي أَكْلِ لُحُومِ الْغَوَافِلِ . فَتَكُونُ الْغَيْبَةُ بِالتَّعْرِيزِ وَبِالْكِنَايَةِ وَبِالْحَرَكَةِ وَبِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ وَكُلُّ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمَقْصُودُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغَيْبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ .

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فَلَمَّا وُلَّتْ أَوْمَاتُ بِيَدِي أَيِّ قَصِيرَةٍ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اغْتَبْتَهَا وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ قَوْلُ عَائِشَةَ عَنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا قَصِيرَةٌ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَنَظَرَ فِي الْبَابِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيفَ ؛ قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ يَا إِخِي يَا جَبْرِئِيلُ » ؟ قَالَ : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ »

شِعْرًا : عَلَامَ رَغِبْتَ بِالْأَوْزَارِ حَتَّى رَغِبْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِكُلِّ فَرَضٍ
بِضْرُ النَّاسِ كَمْ تَعْدُوْهُ وَلَوْعَا بِأَثْيَابِ تُمْرُقٍ كُلِّ عِرْضٍ
فَوَا عَجَبًا لِمُعْتَالِ زَيْنِمِ بِزُورِ الْقَوْلِ وَالْبُهْتَانِ يَمْضِي
وَلَمْ يَخْتَرْ سُلُوكًا غَيْرَ غَدْرِ بِهِ قَرَضَ الْأَكَارِمَ شَرَّ قَرَضٍ

يَظُلُّ عَلَى الْفَسَادِ وَلَيْسَ يَدْرِي بَأَنَّ اللَّهَ بَيْنَ النَّاسِ يَقْضِي
 آخِرُ : وَذِي حَسَدٍ يَغْتَابُنِي حَيْثُ لَا يَرَى مَكَانِي وَيُثْبِتِي صَالِحًا حَيْثُ أَسْمَعُ
 تَوَرَّعْتُ أَنْ أُغْتَابَهُ مِنْ وَرَائِهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَتَوَرَّعُ
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كُسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ فِي
 جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَالْغَيْبَةُ عَادَةٌ مَرْدُودَةٌ ، كَثِيرًا مَا تَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَتُبْرِئُ
 الْأَحْقَادَ ، وَتُسْتَتُّ الشُّمْلَ ، ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ مُضِيغَةٌ لِلزُّوْقِ بِالْأُسْتِغَالِ بِمَا
 يَضُرُّ الْإِنْسَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ . وَمِمَّا تَقْدَمُ يَتَبَيَّنُ تَحْرِيمُ الْغَيْبَةِ وَخَطَرُهَا وَشَرُّهَا
 فَإِذَا يَجِبُ الْأَنْكَارُ عَلَى الْمُغْتَابِ وَرَدُّعُهُ .

وَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ
 حُرْمَتُهُ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ
 يَنْصُرُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ
 حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَدْلُ عِنْدَهُ
 مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ : لَا يُعْجِبُنِيكَ مِنَ
 الرَّجُلِ طَفَظْفَتُهُ وَلَكِنْ مَنْ أَدَى الْأَمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ

الرَّجُلُ وَقَالَ أَيْضاً كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يَسْتَعِينَهُ لَهٗ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ
مِنْ نَفْسِهِ وَيَمْتَقُتُ النَّاسَ عَلَى مَا يَأْتِي .

قال بعض العلماء إعلم أن العيبة مع تحريمها شرعاً وعقلاً هي عين العجز
ونفس اللؤم ودليل النقص تأبها العقول الكاملة والنفس الفاضلة لما فيها من
الخطأ الرتبة وانخفاض المنزلة . قال علي بن الحسين : العيبة إدام كلاب الناس
وقال الحسن يا ابن آدم لن تنال حقيقة الأيمان حتى لا تعيب الناس
بعبث هو فيك وتبدأ بذلك العيب من نفسك فتصلحه فما تصلح عيباً إلا
ترى عيباً آخر فيكون شغلك في خاصة نفسك وقيل لربيع بن خيثم ما
نراك تعيب أحداً ولا تدمه فقال ما أنا على نفسي براص فأتفرغ من عيبها
إلى غيرها ولقد أحسن القائل :

شرُّ الورى من يعيب الناس مُشْتَغِلاً مثل الدُّبابِ يُراعي مَوْضِعَ العِلَلِ
آخر :

وأكبرُ نفسي عن جزاءِ بغيبةٍ وكلُّ اغتِيابِ جُهدٍ من لا له جُهدُ
آخر :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ اغْرَاضَ الرِّجَالِ فَاَنْ رَأَفَتْ بِفِيكَ فَاَنْ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
آخر :

إذا ما دكرت الناسَ فأتركُ عُيوبَهُمْ فلا عيبَ إلا دُونَ ما مِنْكَ يُذَكِّرُ
فإن عبتَ قومًا بالذي هوَ فِيهِمْ فذلكَ عِنْدَ اللهِ والنَّاسِ مُنْكَسِرُ

وبالتالي فخطر اللسان عظيم ليس كغيره من الأعضاء فإن العين لا
تصل إلى غير الألوان والصور والأذن لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا
تصل إلى غير الأجسام واللسان يجول في كل شيء وبه يبين الأيمان من
الكفر .

وقد روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال لا يستقيم أيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه

حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَبِينُ مَا فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَلَفْظُهُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ فِي شَرْحِ السُّنَنِ وَرَوَاهُ مَالِكٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ نَحْوَهُ .

فَالغَيْبَةُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ وَمِنْ الذُّنُوبِ الَّتِي قَلَّ مَنْ يَسْلُمُ مِنْهَا كَالْكَذِبِ وَالرِّيَاءِ وَالرِّبَا وَالْمَدَاهِنَةَ .

وَإِذَا فَهَمْتَ مَا سَبَقَ فَأَعْلَمْ أَنَّ الذُّنُوبَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِحُقُوقِ الْعِبَادِ لَا تُمَحَى إِلَّا أَنْ عَفَوْا عَنْهَا أَوْ رُدَّتْ لَهُمْ مَظَالِمُهُمْ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الدَّوَابُّ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ : دِيْوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا ، وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ ، فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشِّرْكَ بِاللَّهِ » .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ الْآيَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ .

وَأَمَّا الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ صَوْمٍ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلَاةٍ ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ أَنْ شَاءَ وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ أَخْفَى الدَّوَابِّ وَأَسْرَعُهَا مَحْوًا فَانَّهُ يُمَحَى بِالتَّوْبَةِ وَالأَسْتِغْفَارِ

وَالْحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ وَالْمَصَائِبِ الْمُكَفَّرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلَا رَبَّ أَنْ الْغِيْبَةَ جَنَابَةٌ عَلَىٰ أَعْرَاصِ النَّاسِ وَهُمْ غَافِلُونَ
فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يَتَحَلَّلَ مِمَّنْ اغْتَابَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَفْوَ إِنْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ
وَيَتُوبُ وَيَتَنَدَّمُ وَيَسْتَغْفِرُ لِمَنْ اغْتَابَهُ وَيَذْكُرُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَسَنَةِ
عِنْدَ مَنْ اغْتَابَهُ عِنْدَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَغْفِرَ لَهُ إِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ .

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةِ
الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَابَتْهُ تَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا تَرْتَبَ عَلَى الْغِيْبَةِ مَصْلَحَةٌ أَوْ دَرَاءٌ مَفْسَدَةٌ كَانَتْ لِأَزِمَةٍ
وَإِذَا تَرْتَبَ عَلَيْهَا أَمْرٌ جَائِزٌ فَجَائِزَةٌ ، وَيُمْكِنُ ضَبْطُ الْأَوَّلِ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ أَوْ
سِتَّةِ أُمُورٍ .

الأوَّلُ : الْمَظْلُومُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَشْكُوَ لِمَنْ يَرْفَعُ مَظْلَمَتَهُ ، فَلَهُ أَنْ
يَذْكُرَ عَيْبَ ظَالِمِهِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَيَانِ حَقِّهِ .

الثَّانِي : الْأَسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّ لَهُ قُدْرَةَ عَلَى
إِزَالَتِهِ ، فَإِنْ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فُلَانًا ارْتَكَبَ كَذَا وَفَعَلَ كَذَا .

الثَّالِثُ : الْأَسْتِفْتَاءُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ لِلْمُسْتَفْتَى أَنْ يَقُولَ لِلْمُفْتَى : إِنْ فُلَانًا
ظَلَمَنِي فِي كَذَا وَكَذَا ، فَهَلْ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ مَثَلًا ؟

الرَّابِعُ : التَّحْلِيلُ فَيَحْلُزُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَتَّصِلُ لِلزَّعَامَةِ فِي
أُمُورِهِمُ الْعَامَّةِ ، أَوْ مَنْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فِي مَصَالِحِهِمْ ؛ أَوْ مَنْ

يَتَصَدَّى لِإِفْتَائِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ ، كَالزُّعَمَاءِ فِي الشُّؤْنِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ
وَالشُّهُودِ وَالْمُدْرِسِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّنْ يُشْتَرَطُ فِيهِمُ الْأَمَانَةُ وَالْإِتِّصَافُ
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَيَصِحُّ أَنْ يُبَيَّنَ مَا فِيهِمْ مِنَ النِّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ وَيُرْفَعَ
بِأَمْرِهِمْ لِيَتَعَدُّوا .

الخامسُ : أَنْ يَتَجَاهَرَ بِفِسْقِهِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ .

حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ شَيْطَانِ إِنْسٍ	بِهِ لَعِبَ الْهَوَى مَعَ شَرِّ رَهْطٍ
يُرِيدُكَ تَمَلُّقًا مَنْ غَيْرِ أَصْلٍ	وَيُؤْيِدِي لِلْخِدَاعِ لِسَانَ بَسْطٍ
رُزُيْدَكَ لَا تُعَرِّ بِهِ وَحَاذِرُ	وُقُوعَكَ فِي حَضِيضِ هَوَانِ سُحْطٍ
فَلَا تَصْحَبْ سِوَى خِلِّ تَحَلَّى	بِإِيمَانِ قَوْمٍ لَيْسَ يُخْطِي
تَنْلُ عِزًّا وَمَجْدًا وَاعْتِبَارًا	وَرُبُّكَ خَيْرٌ فَضْلٍ مِنْهُ يُعْطِي

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفَنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ
سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

وَأَسْبَابُ الْغِيْبَةِ أَحَدَ عَشَرَ :

١ - تَشْفِي الْغَيْظِ بِدِكْرِ مَسَاوِي الْمَوْفُوعِ فِي عَرْضِيهِ بِالْغِيْبَةِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا .
مُؤَافَقَةُ الْأَقْرَانِ وَالزُّمَلَاءِ وَمُسَاعَدَتُهُمْ وَيَرَى ذَلِكَ فِي حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ ،
وَأَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ اسْتَشْقَلُوهُ فَيُسَاعِدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

٣ - أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ إِنْسَانٍ أَنَّهُ سَيَقْصِدُهُ وَيُطَوِّلُ لِسَانَهُ عَلَيْهِ أَوْ يُفَبِّحَ حَالَهُ
عِنْدَ مُحْتَشِمٍ فَيَبَادِرُهُ فَيَطْعَنُ فِيهِ لِيُسْقَطَ شَهَادَتُهُ أَوْ يَتَّيْدِيءَ بِذِكْرِ مَا فِيهِ صَادِقًا
عَلَيْهِ لِيَكْدِبَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ فَيُرُوجُ كَذِبَهُ بِالصِّدْقِ الْأَوَّلِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

٤ - أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيَذْكَرَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فَلَانَ وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَعَ أَنْ التَّبَرُّأَ يَحْصُلُ بِدُونِ أَنْ يَذْكَرَ الْغَيْرَ بِشَخْصِيهِ .

٥ - أَنْ يَنْطَوِي عَلَى عِدَاوَةِ شَخْصٍ وَيَحْسِدُهُ فَيَزِمِيهِ بِمَسَاوِيءٍ وَمَعَائِبٍ يَنْسِبُهَا إِلَيْهِ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ عَنْهُ وَيُسْقِطَ مَهَابَتَهُ وَمَكَانَتَهُ مِنَ النَّفُوسِ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ اثْبَاتُ فَضْلِ نَفْسِهِ وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ يَعْرِفُ أَنَّهُ مَا أَضْرُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَلَا أَشَدُّ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِغْتِرَافِ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِيهِ كَمَا قِيلَ :

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ بِمِثْلِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ
وَلَيْسَ مِنَ الْأَنْصَافِ أَنْ يَدْفَعَ الْفَتَى يَدَ النَّقْصِ عَنْهُ بِإِتِّقَاصِ الْأَفْضَلِ
آخر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مَنْ تَخْفَى عَلَيْهِ عُيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي بِأَخِيهِ
وَكَيْفَ أَرَى عَيْبًا وَعَيْبِي ظَاهِرًا وَمَا يَعْرِفُ السَّوَاتِ غَيْرَ سَفِيهِ

فإذا رأيت إنساناً مُبتلى بسبِّ الغوافلِ وأكلَ لُحومهم يُريدُ بذلك رِفعةَ نَفْسِهِ وَخَفْضَ الْغَيْرِ كَانَ يَقُولُ فَلَانٌ جَاهِلٌ أَوْ فَهْمُهُ ضَعِيفٌ أَوْ لَا يُحْسِنُ التَّعْلِيمَ أَوْ عِبَارَتُهُ رَكِيكَةٌ أَوْ لَا يُحْسِنُ الْخُطَابَةَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَدَرَّجُ بِهِ إِلَى إِظْهَارِ فَضْلِ لِنَفْسِهِ بِسَلَامَتِهِ مِنْ تِلْكَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ فَقُلْ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ هَذَا لَا يَرْفَعُكَ وَلَا يَزِيلُ مَا فِيكَ مِنَ النَّقَائِصِ اقْتَصِرْ عَلَى تَأْمَلِ عُيُوبِكَ فَهُوَ أَوْلَى بِكَ يَا مَعْرُورَ .
٦ - أَنْ يَقْدَحَ عِنْدَ مَنْ يُحِبُّ الشَّخْصَ حَسَدًا لِأَكْرَامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ .

٧ - أَنْ يَقْصِدَ اللَّعِبَ وَاهْزَلَ وَالْمُزَاحَ وَالْمُطَابَّيَّةَ وَيُضْحِكُ النَّاسَ .

٨ - السُّخْرِيَّةُ وَالْأَسْتَهْزَاءُ بِالشَّخْصِ اسْتِحْقَارًا لَهُ وَهُوَ يَجْرِي فِي الْحُضُورِ وَالْعَيْبَةِ وَمَنْشُؤُهُ التَّكْبِيرُ وَاسْتِصْغَارُ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ وَزِدْرَاءُهُ . وَهَذَا غَالِبٌ عَلَى كُلِّ مَنْ نَزَلَتْ هِمَّتُهُ وَرَكَتْ حَالَتُهُ وَصَارَ يُضْحِكُ النَّاسَ .

٩ - أَنْ يَتَعَجَّبَ مِنْ فِعْلِ الْغَائِبِ لِلْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنَ الدِّينِ لَكِنْ أَدَّى إِلَى الْغَيْبَةِ بِذِكْرِ اسْمِهِ فَصَارَ مُغْتَابًا مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي .

١٠ - أَنْ يَعْتَمَّ لِسَبَبٍ مَا يُبْتَلَى بِهِ فَيَقُولُ مِسْكِينٌ فَلَانَ قَدْ غَمَّنِي أَمْرُهُ وَمَا أَبْتَلِي بِهِ مِنْ الْمَعْصِيَةِ وَغَمَّهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ لَكِنْ سَأَفُهُ إِلَى شَرِّ وَهُوَ الْغَيْبَةُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي أَنَّهُ صَاغَهَا بِصِغَةِ التَّرْحِمِ وَالتَّوَجُّعِ .

١١ - أَظْهَرَ الْغَضَبِ لِلَّهِ عَلَى مُنْكَرٍ قَارَفَهُ إِنْسَانٌ فَيَذْكُرُ الْإِنْسَانَ بِاسْمِهِ وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ عَلَى فَاعِلِهِ وَلَا يُظْهِرَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ بَلْ يَسْتُرُ اسْمَهُ وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ رُبَّمَا تَخْفَى عَلَى الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ فَضْلاً عَنِ الْعَوَامِّ وَلِذَلِكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ كَثِيراً مَا يَقُولُونَ فَلَانَ وَنَعَمْ لَوْلَا أَنَّهُ يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا يُعَامِلُ بِالرَّبِّأِ مَثَلًا وَكَانَ الْوَاجِبُ نُصْحُهُ بِدَلِّ الْغَيْبَةِ .

شعراً :

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ
وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
وَيَحْمِلُ وَزْراً عَنْكَ ظَنُّ بِحَمَلِهِ
عَنِ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَارِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيتُ عَدُوَّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفْلَاتِهِ

فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِأَمْعَانِهِ فِي نَفْعٍ بَعْضِ عُدَاتِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطاً
عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبُ الْأَجْرَ وَالثَنَّا
وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَنْتَصِفُ يَنْفَخُ ضِرَاماً قَدْ انْطَفَى
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
فَلَا صَالِحٌ يُجْزِي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلَا حَسَنٌ يُنْسِي بِهِ فِي حَيَاتِهِ
يَظَلُّ أَخُو الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالِ مَمَاتِهِ
وَلَا يَسْتَجِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدْعِي
بِأَنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمٍ مَيْتٍ كِلَاهُمَا
وَلَكِنْ دَعَى الْكَلْبُ اضْطِرَّارُ اقْتِيَاتِهِ
تَسَاوَيْتُمَا أَكَلًا فَأَشَقَاكُمَا بِهِ
غَدَاً مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تَبْعَاتِهِ
وَمَا لِكَلَامٍ مَرَّ كَالرَّيْحِ مَوْقِعٌ
فَيَقْفَى عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْضُ سِمَاتِهِ
اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنِ الْمَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنُ وَنَقِّ

قُلُوبَنَا مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْإِجْنِ . اللَّهُمَّ انا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ
وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيئَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النُّعْمَةِ اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا
بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلُ)

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَلَا يَتِمُّ الصِّيَامُ لِمَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُ ، النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ
الْأَجْنَبِيَّةِ وَالرَّجُلِ الْأَمْرَدِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ كُلُّهَا
عَوْرَةٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَى مَنْ لَيْسَ مِنْ مَحَارِمِهَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِهَا وَلَا شَعْرَهَا
الْمُتَّصِلِ بِهَا وَمَا تَفَعَّلَهُ بَعْضُ نِسَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِنَ التَّبْرُجِ وَالتَّجْمُلِ فِي
الْأَسْوَاقِ مَا هُوَ إِلَّا مُجَاهَرَةٌ بِالْمَعَاصِي وَتَشْبُهٌ بِنِسَاءِ الْإِفْرَنْجِ .

فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَفْظَعِهَا خُرُوجُ الْمَرْأَةِ كَاشِفَةً رَأْسِهَا أَوْ عُقْهَا
أَوْ نَحْرَهَا أَوْ ذِرَاعَيْهَا أَوْ سَاقَيْهَا أَوْ وَجْهَهَا أَوْ الْجَمِيعَ أَوْ الثِّيَابِ الْمُظْهِرَةَ
لِلْمَفَاتِنِ أَوْ اللَّبَاسِ الشَّفَافِ الَّذِي وَجُودُهُ كَعَدَمِهِ لَا يَسْتُرُ مَا تَحْتَهُ فَهَذَا
دَاخِلٌ فِي التَّبْرُجِ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ نِسَاءَهُ وَمَنْ لَهُ عَلَيْهِنَّ وِلَايَةٌ
وَيَقْبَلَنَّ مِنْهُ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ وَيَلْزَمُهُنَّ السُّتْرَ وَالتَّحْفِظَ وَيُنْصَحَ إِخْوَانُهُ
الْمُهْمِلِينَ لِلْمُتَّصِفَاتِ بِذَلِكَ .

وَمِنْ الْأَدَابِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُنَّ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي الْعِفَافِ وَالتَّقَى وَالتَّسْتُرِ وَالْحَيَاءِ وَالْإِيمَانِ
وَمَعَ حَيَاءِ النَّاسِ مِنْهُنَّ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُنَّ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ

بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ .
 قَالَ مُقَاتِلٌ : التَّبَرُّجُ أَنَّهَا تُلْفِيهِ الْخِمَارَ عَلَى رَأْسِهَا وَلَا تُشَدُّهُ فَيَوَارِي
 فَلَا تَدَهَا وَقَرَطَهَا وَعَنْقَهَا وَيَبْدُو ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا وَذَلِكَ التَّبَرُّجُ .
 وَقَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ
 عَلَيْهِمْ فَلَا يَنْظُرُوا إِلَّا لِمَا أَبَاحَ لَهُمْ النَّظَرُ إِلَيْهِ : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ
 أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ » .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِهِ : قُدِّمَ غَضُّ الْبَصَرِ عَلَى حِفْظِ الْفُرُوجِ لِأَنَّ
 النَّظَرَ بَرِيدُ الزِّنَا وَرَأَيْدُ الْفُجُورِ وَالْبَلْوَى فِيهِ أَشَدُّ وَكَثْرُ لَا يَكَادُ يَقْدُرُ عَلَى
 الْاِحْتِرَازِ مِنْهُ ، وَهُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِّ إِلَيْهِ
 وَيَكْثُرُ السَّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
 مَسْئُولًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ قَالَ الْبَغَوِيُّ : أَيِ
 خِيَانَتِهَا ، وَهِيَ اسْتِرَاقُ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ نَظَرُ الْأَعْيُنِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيئُهُ مِنَ الزِّنَا ، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ،
 الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ ،
 مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِبْهَامِ إِبْلِيسَ

مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبَدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ .

وَرَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَعَيْنًا سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَيْنًا خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذَّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جِبَانَ فِي حَيْجِهِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَاعْتَرَضَهُ الْمُنْذِرِيُّ .

عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اضدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُوا إِذَا ائْتَمْتُمْ واحفظوا فرؤجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم . وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالنَّظْرُ أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَإِنَّ النَّظْرَةَ تُؤَلِّدُ خَطْرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الْخَطْرَةَ فِكْرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الْفِكْرَةَ شَهْوَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الشَّهْوَةَ إِزَادَةً ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَازِمَةً فَيَقَعُ الْفِعْلُ وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَا يَنْع .

وَفِي هَذَا قِيلَ : الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ النَّظْرِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْمُرِّ بَعْدَهُ .

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ وَالْعَيْنُ أَصْلُ عَنَاهَا فِتْنَةُ النَّظْرِ كَمْ نَظْرَةٍ نَقَشَتْ فِي الْقَلْبِ صُورَةً مِنَ الْمَرْءِ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا يَسْرٌ مُقَلَّتُهُ مَاضِرٌ مُهَجَّتُهُ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْعَبِ الشَّرِّ وَالْقَلْبُ كُلُّ آذَاهُ الشُّغْلُ بِالْفِكْرِ رَاحَ الْفُؤَادُ بِهَا فِي الْأَسْرِ وَالْحَدْرِ فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَطَرِ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ جَاءَ بِالضَّرِّ

فَالْقَلْبُ يَحْسُدُ نُورَ الْعَيْنِ إِذْ نَظَرَتْ وَالْعَيْنُ تَحْسُدُهُ حَقًّا عَلَى الْفِكْرِ
يَقُولُ قَلْبِي لِعَيْنِي كُلَّمَا نَظَرَتْ كَمْ تَنْظُرِينَ رَمَاكَ اللَّهُ بِالسَّهْرِ
فَالْعَيْنُ ثَوْرَتُهُ هَمًّا فَتَشْغَلُهُ وَالْقَلْبُ بِالدمْعِ يَنْهَاهَا عَنِ النَّظْرِ
هَذَانِ حَصْمَانِ لَا أَرْضَى بِحُكْمِهِمَا فَاحْكُمُ قَدْ يَتَكُّ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ « يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ .

وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ فَقَالَ : اصْرِفْ بَصْرَكَ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَاتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ فِي النِّسَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغْضُ بَصْرَهُ إِلَّا أَحَدَتْ اللَّهُ لَهُ

عِبَادَةٌ يَجِدُ حَلَاوَتَهَا « رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْرًا :

لَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيْبَةٍ
لَوْ كُنْتُ فِي النُّسَاكِ مِثْلُ بَنَانٍ
وَاعْضُضْ جُفُونَكَ عَن مَّلَا حِظَةِ النِّسَاءِ
وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصَّبِيَّانِ
إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ
مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللَّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحْمَ أُسْوَدَهَا
أَكَلَتْ بِلَا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

آخِر :

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي يَجْمِي فَرِيْسَتَهُ عِنْدَ النَّزَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا عَنِ الْحَرَامِ فَذَاكَ الدِّرَاعُ الْبَطْلُ
اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحِزْبِيِّ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُقَالُ إِنَّ غَضَّ الْبَصَرِ عَنِ الصُّورَةِ
الَّتِي يُنْهَى عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا كَالْمَرَاةِ وَالْأَمْرَدِ الْحَسَنِ يُورَثُ ثَلَاثَ فَوَائِدَ :

أَحَدَاهَا : حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ ، وَلَذَّتُهُ الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ
لِلَّهِ ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ : أَنَّ غَضَّ الْبَصْرِ يُورِثُ نُورَ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةَ .

الْفَائِدَةُ الثَّلَاثَةُ : قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانَ
الْبَصِيرَةَ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ ، فَإِنَّ فِي الْأَثَرِ « الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرُقُ
الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ » .

وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَى مَنْ لَا يَجِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مُحَرَّمًا فَالْخَلْوَةُ بِمَنْ لَا
تَجِلُّ مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى لِأَنَّ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ تَجِدُ لَهَا مَجَالاً
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَثَوْرَانِ الشُّهُورَةِ يَجِدُ لَهُ مَبْرَراً فَيَضْعُفُ الْعَقْلُ عِنْدَ هَذَا ، وَلَا
يَكُونُ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى زَجْرِ الشُّهُورَةِ فَتَسْوِقُهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ إِلَى
الْفَاحِشَةِ ، لِهَذَا نَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَلْوَةِ فَقَدْ
رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا
يَخْلُونُ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِيَّاكُمْ وَاللَّخْوُلُ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمَمُ؟
قَالَ : الْحَمَمُ الْمَوْتُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْحَمَمُ : قَرِيبُ الزَّوْجِ كَأَخِيهِ وَابْنِ أُخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ .

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ إِلَّا لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ إمام

أحمد في مسنده والترمذي في جامعه .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُونَ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مُحْرَمٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَيْضاً عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَيُّكَ وَالْخَلْوَةُ بِالنِّسَاءِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا وَأَلَانَ يَزْحَمَ الرَّجُلُ خِنْزِيراً مُتَلَطِّخاً بِطِينٍ أَوْ حَمَاءٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مِنْكِبُهُ مِنْكِبَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ .

وَمِنْ أخطَرِ مَا يَكُونُ عَلَى النِّسَاءِ خِدْمَةُ الرِّجَالِ فِي الْبُيُوتِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ اخْتِلَاطٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ خُصُوصاً إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الْمُسْتَحْدِمُ مِنَ الشُّبَّانِ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَسْمَةٌ جَمَالٍ فَأَقْرَبُ إِلَى الْخَطَرِ وَقَدْ يَكُونُ أَشْبُ مِنْ صَاحِبِ الْبَيْتِ وَأَجْمَلٍ وَهُوَ مَلَازِمٌ لِلْبَيْتِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَهُوَ تَحْتَ أَمْرِ الزُّوجَةِ أَوْ نَحْوِهَا وَفِي إِمكانِهَا إِبْقَاؤُهُ أَوْ طَرْدُهُ فَالْخَطَرُ عَظِيمٌ ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ ذَا شَرَفٍ وَمَكَانَةٍ وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ حِينَ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ وَكَيَّدَهُنَّ فَعَصَمَهُ اللَّهُ عِصْمَةً عَظِيمَةً وَحَمَاهُ فَاْمْتَنَعَ أَشَدَّ الْإِمْتِنَاعِ عَنْهَا وَاخْتَارَ السَّجْنَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا فِي غَايَةِ مَقَامَاتِ الْكَمَالِ أَنَّهُ مَعَ شَبَابِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ تَدْعُوهُ سَيِّدَتُهُ وَهِيَ امْرَأَةٌ عَزِيزٌ مِصْرَ وَهِيَ مَعَ هَذَا فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَيَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ وَيَخْتَارُ السَّجْنَ عَلَى ذَلِكَ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَرَجَاءً ثَوَابِهِ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظَلِّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ أَنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنِ كُلِّهِ عَجَائِبُ يُعْجِبُ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ وَمِنْ
أَعْجَبِ مَا فِيهِ أَنْ الرَّجَالَ أَصْبَحُوا لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا النَّادِرَ
الْقَلِيلَ ، نَعَمْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ لِلنِّسَاءِ فِيهِ جَبْرُوتُ أَمَامَةِ الرَّجَالِ فِي حَالِ
ضَيْلٍ انْعَكَسَ الْأَمْرُ فَصَارَ الْقَوِيُّ ضَعِيفًا وَالضَّعِيفُ قَوِيًّا فَإِنْ كُنْتَ فِي
شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وَانظُرْ فِي الشُّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُولُ فِي الشُّوَارِعِ
ذَاهِبَاتٍ أَيْبَاتٍ وَيَتَشَيَّئْنَ فِي تَبَخُّرِهِنَّ عَلَيِهِنَّ مِنَ الزَّيْنَةِ مَا يُرْغِمُ عَلَى النَّظَرِ
إِلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ .

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرِ فِي نَفُوسِ الشُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ الشُّبَّانِ
تَرَاهُ إِذَا لَمَحَهَا أَتْبَعَهَا نَظْرَهُ ثُمَّ جَرَى وَرَاءَهَا لِأَنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْئَتِهَا وَتَشْيِئِهَا
وَتَلَفُّتِهَا فَهَمًّا لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ فِيهِ غُلْطَانٌ ، إِنَّهُ يَفْهَمُ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ مِنْهُ
مَا تُرِيدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِي الشُّارِعِ بِذَلِكَ التَّهْتِكِ وَذَلِكَ الْأَزْدِيَانِ وَهِيَ
فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَّجَمَلَ لَهُ تَكُونَ بِحَالَةٍ تَشْمَتُّ مِنْ
رُؤْيَتِهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أَرْدَى الْمَلَابِسِ وَلَا تَمَسُ طِيْبًا وَلَا تَعْتَنِي
لَهُ ، فَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ بَدَلَتْ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي تَجْمِيلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهَبُ نَارَ
الشُّوقِ إِلَيْهَا فِي نَفُوسِ النَّاطِرِينَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ الْعُيُونَ وَقَفًا عَلَى النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَجْسَامِ وَتَشْغَلُ
الْقُلُوبَ شُغْلًا بِهِ تَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبَّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ
وَاجِبَاتٍ ، وَتُوجِّهُ الْأَفْكَارَ إِلَى أُمُورٍ دُنَيْتِيَّةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أَوْلِيكَ النِّسَاءِ أَرْبَابُ
النُّفُوسِ الدُّنْيَا ، بَلْ وَتَدْفَعُ النُّفُوسَ دَفْعًا تَسْتَعِيْثُ مِنْهُ الْفَضِيلَةَ وَيَغْضَبُ
لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

إِنَّ أَوْلِيَّكَ النِّسَاءَ زَوْجَاتُ وَبَنَاتُ وَأَخَوَاتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بِأَعْيُنِهِمْ فِي
الشُّوَارِعِ بِتِلْكَ الْحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبَةِ مَا يُفْهَمُ أَنَّهُمْ مِنْ
صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُمْ يُجْرَيْنَ الزَّيْنَةَ الَّتِي يَخْرُجْنَ بِهَا إِلَى تِلْكَ
الْمِيَادِينِ الْمَلَأَى بِالْأَنْدَالِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً فِي
الشُّوَارِعِ وَرُبَّمَا فِهِمْ بَعْضُ الْفُسَاقِ أَنَّهُ يَتَصَيَّدُ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلَى السِّنَةِ
كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الْأَخُ عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلاً
وَأَقْوَى دِيناً مِنَ الْمَرْأَةِ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعْصِمَكَ اللَّهُ تَتَمَنَّى أَنْ
يَكُونَ مِنْكَ مَعَ الْمَرْأَةِ مَا يَكُونُ إِذَا وَقَعَ نَظْرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ
فَتَأْكُذُ كُلَّ التَّأْكُذِ أَنْ تَمْنَى الْمَرْأَةُ أَقْوَى مِنْ تَمْنَى الرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ نَظْرُهَا
عَلَى جَمِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهَا بَعْدَ رُؤْيَيْهَا الْجَمِيلِ تَتَمَنَّى فِرَاقَكَ
إِلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ فِي جَوْ مَوْبُوءٍ بِفَسَادِ الْأَخْلَاقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ
لَهُ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ مَا يُضَيِّعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَفِي الدِّينِ .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَ الْعَافِيَةَ وَالْأَفْلا تَلْمُ الْا
نَفْسَكَ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عِدَادِ الضَّائِعِينَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَا
يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ لِنِسَاءٍ غَيْرِكَ فَلَا تَشْكُ أَنَّ نِسَاءَكَ يُلَاقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدَّ مِنْهُ
وَأَيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخْرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَفَافِهِمْ وَشَرَفِهِمْ مَنْ لَا دِينَ لَهُ
وَلَا شَرَفَ وَلَا أَخْلَاقَ ، إِنَّ الْبَهِيمَ يَغَارُ وَمَعَارِكُ ذُكُورِ الْبَهَائِمِ عَلَى إِنَائِهَا
مَعْرُوفَةٌ ، فَلَا تَكُنْ أَقْلَ غَيْرَةٍ مِنَ الْبَهِيمِ ، وَلَوْلَا أَنَّنَا نَرَى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغَ
ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَّقْنَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً
رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

أَيُّهَا الْأَخُ أَنْتَ الَّذِي تَلْقَى الْمَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ مَسْغُولٌ بِالكَدِّ
لِأَجْلِ جَلْبِ الرُّزْقِ ، يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتُطْعِمَ الْمَرْأَةَ وَتَكْسُوَهَا وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا
فَفَضْلُكَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وَأَنْتَ أَرْجَحُ مِنْهَا
عَقْلاً وَآكَمَلُ دِيناً ، فَمِنْ الْعَلَطِ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ يُصْرِفُهُ
مَوْلَاهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ قَوَّاماً عَلَيْهَا فَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا
لِأَنَّكَ رَاعِيهَا وَالرَّاعِي مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَأَنْتَ مُتَابٌ إِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى
عَمَلٍ الْخَيْرِ وَآثِمٌ إِنْ سَكَتَ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَانظُرْ
مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجِكَ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَايَا مَرْتَبَتِهِ
وغيرِ مَرْتَبَتِهِ ، فَحُلِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرَ عَلَيْهَا وَكُلِّ عَمَلٍ
يُغْضِبُ رَبَّكَ ، وَالْأَفْأَنْتَ شَرِيكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَهَا مِنْ أَوْزَارٍ . أ هـ .

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ رَبَائِبِ الْأَسْتِعْمَارِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلْدُوهُ فِي
الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَقَلْدَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا ، وَصَدَقَ الْمُصْطَفَى صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ
وَفِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ
أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . أ هـ .

كَفَى بِالْمَرْءِ عَاراً أَنْ تَرَاهُ	مِنَ الشُّنَّانِ الرَّفِيعِ إِلَى انْحِطَاطِ
عَلَى الْمَذْمُومِ مِنْ فِعْلِ حَرِيصاً	عَلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ النَّشَاطِ
يُشِيرُ بِكَفِّهِ أَمْراً وَنَهياً	إِلَى الْخُدَامِ مِنْ صَدْرِ الْبِسَاطِ
يَرَى أَنَّ الْمَعَارِفَ وَالْمَلَاهِي	مُسَبَّيَةَ الْجَوَازِ عَلَى الصُّرَاطِ
لَقَدْ خَابَ الشَّقِيُّ وَضَلَّ عَجْزاً	وَزَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ عَنِ النَّيَاطِ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارُ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) فِيَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ :

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَسَحَّرَ لِلصُّومِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً » .

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ فَضَلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السَّحْرِ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وَعَنْ الْعِرْبَانِصِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ فَقَالَ : « هَلُمُّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعَمَ سَحُورِ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ » .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُخَفَّفَ عَشَاءَهُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ لِيَهْضِمَ طَعَامَهُ قَبْلَ السُّحُورِ وَإِنَّ الْأَمْتِلَاءَ مِنَ الطَّعَامِ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِلتُّخْمِ .

وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقِيمَنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتُ طَعَامًا وَتَلْتُ شَرَابًا وَتَلْتُ نَفْسًا » .

وَالشَّبَعُ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُوجِبُ تَكَاسُلَ البَدَنِ وَكَثْرَةَ النَّوْمِ وَبِلَادَةِ الذَّهْنِ
وَذَلِكَ يُكْثِرُ البُخَارُ فِي الرَّأْسِ حَتَّى يُغْطِي مَوْضِعَ الذِّكْرِ وَالفِكْرِ ، وَالبِطْنَةُ
تَذْهَبُ الفِطْنَةَ وَتَجْلِبُ أَمْرَاضاً عَسِرَةً ، وَمَقَامُ العَدْلِ أَنْ لَا يَأْكُلَ حَتَّى
تَصْدُقَ شَهْوَتُهُ وَأَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ وَهُوَ يَشْتَهِي وَنَهَايَةُ مَقَامِ الحُسْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثُ طَعَامٍ
وَثَلَاثُ شَرَابٍ وَثَلَاثُ نَفْسٍ » .

وَالأَكْلُ عَلَى مَقَامِ العَدْلِ يُصِحُّ البَدَنَ وَيُبْعِدُ المَرَضَ بِأَذْنِ اللهِ
وَيُقَلِّلُ النَّوْمَ وَيُخَفِّفُ المَوْتَةَ وَيُرْقِّقُ القَلْبَ وَيُصْفِيهِ فَتَحْسُنُ فِكْرَتُهُ وَتَسَهَّلُ
الحَرَكَاتُ وَالتَّعْمِيرَاتُ ، وَالشَّبَعُ يُمِيتُ القَلْبَ وَمِنَهُ يَكُونُ الفَرَحُ وَالمَرَحُ
وَالمُضِجُ .

وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ السُّحُورِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ
ثَابِتٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسُ : قُلْتُ لِزَيْدٍ : كَمْ كَانَ بَيْنَ الأَذَانِ
وَالسُّحُورِ ؟ قَالَ : قَدَّرَ خَمْسِينَ آيَةً مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَّا وَرَدَ فِي البُخَارِيِّ عَنْ
سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي ثُمَّ تَكُونُ
سُرْعَتِي أَنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الفِطْرَ وَآخَرُوا
السُّحُورَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَطِيَّةَ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْنَا : يَا

أَمْ الْمُؤْمِنِينَ ، رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْإِفْطَارَ وَيُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ ، قَالَتْ : أَيُّهُمَا يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ ؟ قُلْنَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَتْ : هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ أَبُو مُوسَى .

وَلَأَنَّ السُّحُورَ يُرَادُ بِهِ التَّقْوَى عَلَى الصُّومِ . فَكَانَ التَّأخِيرُ أْبْلَغَ فِي ذَلِكَ وَأَوْلَى ، وَيُسْنُ تَعْجِيلُ فِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ الْغُرُوبَ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ » . وَلِحَدِيثِ سَهْلِ وَحَدِيثِ أَبِي عَطِيَّةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا .

اللَّهُمَّ عَامِلِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَوَفَّقْنَا لَطَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيُسْنُ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى رُطْبٍ ، فَإِنْ عَدِمَ فَتَمْرٌ فَإِنْ عَدِمَ فَمَاءٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطْبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطْبَاتٍ فَتَمْرَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ ، وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرِ الضَّبِّيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَاَلْمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » .

وَالْفِطْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ أَفْضَلُ ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى يُفْطِرَ ، وَلَوْ شَرِبَهُ مَاءً » .

وَيُسْتَحَبُّ قَوْلُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ :

اللَّهُمَّ لَكَ صُئْتٌ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، سُبْحَانَكَ وَيْحَمْدِكَ
اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي ، أَنْتَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ :
أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « ذَهَبَ الظَّمَأُ
وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ ، وَتَبَّتِ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » وَتَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تَرُدُّ » وَلِحَدِيثِي ابْنِ
عَبَّاسٍ وَأَنْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَكَ صُئْمَنَا ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا ، اللَّهُمَّ
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ
الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ » .

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى حَلَالٍ ، وَأَنْ يَحْذَرَ
أَنْ يَكُونَ عَلَى حَرَامٍ ، فَإِنْ أَكَلَ الْحَرَامَ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ ،
فَقَدْ وَرَدَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا » وَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » ، ثُمَّ
ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ : يَا رَبُّ
يَا رَبُّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ .
فَاتَى يُسْتَجَابُ لَهُ » .

وفي الحديثِ ألا إنَّ أوَّلَ ما يُتِينُ مِنَ الأنسانِ بطنُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ
ألا يَأْكُلَ الا طَيِّباً فَلْيَفْعَلِ الْحَدِيثُ .

وَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اُدْعُوا اللَّهَ
وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ
وَأَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ بِالتَّضَرُّعِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ فِي حَقِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَحَ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ
عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّيْتَ
فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ قَالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ
آخَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجِبُ .

وَعَنْ عُمَرَ قَالَ إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ

شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَيَّ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُخْفِيَ الدُّعَاءَ ،
 قَالَ الْحَسَنُ بَيْنَ دَعْوَةِ السِّرِّ وَدَعْوَةِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفًا وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ
 لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقِهَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ
 وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ
 الزُّوَارُ مَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ
 يَقْدَرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السِّرِّ فَيَكُونُ عِلَانِيَةً أَبَدًا وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ
 يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ صَوْتُ إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ
 وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ
 عَبْدًا صَالِحًا رَضِيَ فِعْلُهُ فَقَالَ ﴿ اذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَاءً خَفِيًّا ﴾ .

شِعْرًا :

إِلَى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرَّقَادُ
 أَمَا آنَ أَنْ تَكْتَحِلِي بِالسُّهَادِ
 تَنْبُهِي مِنْ رَقْدَةٍ وَأَنْظُرِي
 مَا فَاتَ مِنْ خَيْرٍ عَلَيَّ فِي الرَّقَادِ
 يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ فِي نَوْمِهِ
 قُمْ لِتَرَى لُطْفَ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
 مَسْأَلًا يَدْعُوكَ إِلَى بَابِهِ
 وَأَنْتَ فِي النَّوْمِ شَبِيهُ الْجَمَادِ
 وَيَبْسُطُ الْكُفَّيْنَ هَلْ تَائِبٌ
 مِنْ ذَنْبِهِ هَلْ مَنْ لَهُ مِنْ مُرَادِ

وَأَنْتَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَانِبٍ
 تَدُورُ فِي الْفُرْشِ وَلَيْنِ الْجِهَادِ
 يَدْعُوكَ مَوْلَاكَ إِلَى قُرْبِهِ
 وَأَنْتَ تَخْتَارُ الْجَفَا وَالْبِعَادِ
 كَمْ هَكَذَا التُّسُونُفُ فِي غَفْلَةٍ
 لَيْسَ عَلَى الْعُمْرِ الْعَزِيزِ اعْتِمَادِ
 لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصُّبَا مُسْرِعاً
 وَنَيْرُ صُبْحِ الشَّيْبِ فَوْقَ الْفُؤَادِ
 أَفِئْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 رَحْمَتُهُ عَمَّتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِّينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي أَحْكَامِ الْقَضَاءِ

وَبُسْتَحِبُّ قَضَاءَ رَمَضَانَ قَوْراً مَعَ سَعَةٍ وَقَتِ مُسَارَعَةَ لِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ
 وَيُسَنُّ التَّتَابُعُ فِي قَضَائِهِ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ بِالْأَدَاءِ وَأَبْعَدُ عَنِ الْخِلَافِ . وَيَجُوزُ
 تَفْرِيقُهُ لِمَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : « قَضَاءُ رَمَضَانَ إِنْ شَاءَ فَرَّقْ وَإِنْ شَاءَ تَابِعْ » .

وَرَوَى الْأَثْرَمُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّهُ قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّ

النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ تَقْطِيعِ قَضَاءِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ : « لَوْ كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ دَيْنٌ فَقَضَاهُ مِنَ الدَّرْهَمِ وَالذَّرْهَمَيْنِ حَتَّى يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ ، هَلْ كَانَ قَاضِيًا دَيْنَهُ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْكُمْ » .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَا بَأْسَ أَنْ يَفْرُقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ مُتَتَابِعَاتٍ ، فَسَقَطَتْ مُتَتَابِعَاتٍ .

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرَ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ آخَرَ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ ، لِمَا أَخْرَجَهُ الشُّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : إِنْ كَانَتْ إِحْدَانَا لَتَفْطُرُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا تَقْدِيرُ أَنْ تَقْضِيَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ : قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا كُنْتُ أَقْضِي مَا يَكُونُ عَلَيَّ مِنْ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْبَانَ لَا قَدْرٌ مَا عَلَيْهِ ، وَجَبَ الْقَضَاءُ فَوْرًا مُتَابِعًا لِضَيْقِ الْوَقْتِ ، كَأَدَاءِ رَمَضَانَ فِي حَقِّ مَنْ لَا عُدْرَ لَهُ .

وَلَا يَكْرَهُ الْقَضَاءُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَإِنْ آخَرَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِ عُدْرٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ آخَرَ فَعَلَيْهِ مَعَ الْقَضَاءِ إِطْعَامُ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ : وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَأَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا - وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَمْ يُرَوْ عَنْ غَيْرِهِمْ خِلَافَهُ .
قَالَ فِي الشَّرْحِ .

وَمَنْ فَاتَهُ رَمَضَانُ قَضَا عَدَدَ أَيَّامِهِ تَامًا كَانَ أَوْ نَاقِصًا لِأَنَّ الْقَضَاءَ
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ مَا فَاتَهُ كَالْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَيَجُوزُ أَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ صَيْفٍ عَنْ يَوْمٍ
شِتَاءٍ وَأَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ شِتَاءٍ عَنْ يَوْمٍ صَيْفٍ .

ثُمَّ اعْلَمْ وَفَقْنَا وَإِيَّاكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنْ لِلصَّيَامِ مَحَاسِنَ كَثِيرَةً وَهِيَ
قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ثَبَّتَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ
المُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَمِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ انْدَفَعَ جُوعٌ كَثِيرٌ مِنْ
حَوَاسِهِ فَإِذَا شَبِعَ بَطْنُهُ جَاعَ عَيْنُهُ وَلِسَانُهُ وَيَدُهُ وَفَرْجُهُ فَكَانَ تَشْبِيعُ النَّفْسِ
تَجْوِيعًا لِهَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَفِي تَجْوِيعِ النَّفْسِ تَشْبِيعُهَا فَكَانَ هَذَا التَّجْوِيعُ
أَوْلَى وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا جَاعَ عَلِمَ حَالَ الْفُقَرَاءِ فِي جُوعِهِمْ فَيَرْحَمُهُمْ
وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُمْ إِذْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ لَا يَعْلَمُ الرَّكِيبُ مَشَقَّةَ
الرَّاجِلِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّلَ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الصَّيَامِ فِي فَرْضِهِ وَشَرَعِهِ أَنَّهُ لَمْ يُفْرَضْ فِي كُلِّ الْعُمَرِ
مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ بَلْ فُرِضَ شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ وَرُخِصَ
فِي الْإِفْطَارِ عِنْدَمَا يَحْصُلُ لِمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ عُذْرٌ وَأَيْضًا أَمَرَ بِالصُّومِ فِي
النَّهَارِ وَأُبِيحَ فِي اللَّيْلِ الْإِفْطَارُ وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَمَرَ عِبَادَهُ عَلَى وَجْهِ
يُمْكِنُ لَهُمْ فِيهِ احْتِرَازُ الْفَضِيلَةِ وَاكْتِسَابُ الْوَسِيلَةِ وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ خَصَّ
الصَّيَامَ بِالنَّهَارِ لِأَنَّ الْأَكْلَ فِيهِ مُعْتَادٌ ، وَالنَّوْمُ فِي اللَّيْلِ مُعْتَادٌ وَمِنْ مَحَاسِنِ

الصَّوْمِ اكْتِسَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ قِلَّةَ الْأَكْلِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ .

وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْمَدْ أَحَدٌ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ وَيُحْمَدُ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ يَحْمَدُهُ كُلُّ ذِي دِينٍ فِي كُلِّ حِينٍ وَلَمْ يُرَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَثْرَةَ الْأَكْلِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّيَامِ أَنَّ اللَّهَ مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ لَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ مَا فِي الْأَدَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ طُولَ الْيَوْمِ بِالْيَوْمِ وَلَا حَرَارَتَهُ وَلَا بُرُودَتَهُ فَإِذَا أَفْطَرَ فِي أَطْوَلِ يَوْمٍ ثُمَّ قَضَاهُ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ أَجَزَاهُ وَكَفَّاهُ .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّوْمِ أَنَّهُ لَمْ يُشْتَرِطْ فِيهِ قِرَانَ النَّيَّةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ كَمَا فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتِ وَقْتُ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ قَلَّمَا يَقِفُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ فَلَوْ شَرِطَ لَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ فَيَسَّرَ الْأَمْرَ عَلَى عِبَادِهِ حَتَّى أَجَازَ الصَّوْمَ بِنِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ تَقَعُ بِجُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالرَّفْتُ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتٌ مَحَلَّهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْقُرْظِيِّ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَعْظِيئِي وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ لِي حَظٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الْأَجْرِ إِنَّ الْمَوْعِظَةَ كَالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَأَبْقَى نَفْعًا وَأَحْسَنُ ذُخْرًا وَأَوْجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَقًّا ، لِكَلِمَةٍ يَعْظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزِدَادَ بِهَا فِي هُدَى رَغْبَةٍ خَيْرٍ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَمَّا يُدْرِكُ

أُخْرُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الْهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصِدْقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَآنَ يَنْجُو
رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةِ خَيْرٍ مِنْ أَنْ يَنْجُو بِصِدْقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ .

فَعِظْ مَنْ تَعِظُ لِقَضَاءِ حَقِّ عَلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِينَ تَعِظُ
وَكُنْ كَالطَّيِّبِ الْمُجْرَبِ الْعَالِمِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لَا
يَنْبَغِي أَعْنَتَ نَفْسَهُ وَإِذَا أَمَسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي جَهْلَ وَأَيْمٍ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يُدَاوِيَ مَجْنُونًا لَمْ يُدَاوِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَيُوثِقَ لَهُ خَشْيَةَ أَنْ لَا
يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَتَّقِي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجْرِبَتُهُ مِفْتَاحَ عَمَلِهِ
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلِ الْمِفْتَاحُ عَلَى الْبَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقَ فَلَا يُفْتَحَ أَوْ يُفْتَحَ فَلَا
يُغْلَقُ وَلَكِنْ لِيُغْلَقَ فِي حِينِهِ وَيُفْتَحَ فِي حِينِهِ .

وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
بِارْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ

وَمُرَّهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْتَهُمْ
عَنْ السُّوءِ وَأَزْجُرْ ذَا الْخَنَا عَنْ خَنَايِهِ

وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ

فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعِظِكَ وَاحِدًا
تَنْزِلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ

وَالْأَفْقَدُ أَذْيَبُ مَا كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ وَمَا مُلَكْتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ

الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى
صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصُّدُوقِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ .
- ٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ التَّرَاوِيحِ .
- ٣ - مَذَاهِبُ الْعُلَمَاءِ رَجَمَهُمُ اللَّهُ فِي عَدَدِ رَكَعَاتِهَا .
- ٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا .

١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

التَّرَاوِيحُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ سَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَعَنْ
عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي
الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى الثَّانِيَةَ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنْ
اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ
إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وفي رواية : قالت : « كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ فِي رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَوْزَاعاً مَعَ الرَّجُلِ الشَّيْءَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ النُّفْرُ الْخَمْسَةُ ، أَوِ السَّبْعَةُ ، أَوْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ ، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ حَصِيرًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي ، فَفَعَلْتُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِهِمْ . وَذَكَرْتُ الْقِصَّةَ بِمَعْنَى مَا تَقَدَّمَ ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ . »

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشُّهُرِ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ نَفَلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ : فَقَالَ « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ » ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنَ الشُّهُرِ فَصَلَّى بِنَا فِي الثَّلَاثَةِ ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ حَتَّى تَخَوْفُنَا الْفَلَاحَ ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا الْفَلَاحُ ؟ قَالَ السُّحُورُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ » ، فَيَقُولُ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . »

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . »

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي حَصِيرٍ ، فَصَلَّى فِيهَا لَيَالٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَاسٌ ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ نَامَ ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَخَنَّحُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا زَالَ بِكُمْ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ بِهِ ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ . »

٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ بِجَمَاعَةٍ أَفْضَلُ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : « كَانَ عَلِيٌّ وَجَابِرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يُصَلُّونَهَا جَمَاعَةً ، وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ لِلرِّجَالِ إِمَامًا وَلِلنِّسَاءِ إِمَامًا . »

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلِهِ . »

وَيَجْهَرُ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ لِنَقْلِ الْخَلْفِ عَنِ السَّلَفِ . وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ ، وَوَقْتُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، قَبْلَ الْوُتْرِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَفِعْلُهَا فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةً ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَمَرَّةً ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَفَرِّقَةً كَمَا رَوَى أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ : « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حُسْبَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلَةٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَفْعَلُونَهَا فِي الْمَسْجِدِ أَوْزَاعًا فِي جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي عَهْدِهِ . »

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَارِيءِ قَالَ : « خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ
لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ
جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيءٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلًا . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي
بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِيئِهِمْ ،
فَقَالَ عُمَرُ : « نِعِمَّتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي
يَقُومُونَ » يَعْنِي أُخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ . فَذَلَّتْ هَذِهِ
الْأَخْبَارُ وَغَيْرِهَا عَلَى أَنَّ فِعْلَ التَّرَاوِيحِ جَمَاعَةً أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْفِرَادِ وَكَذَا
اجْتِمَاعُ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْأَمْصَارِ عَلَى ذَلِكَ .

وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَجُوزُ فُرَادَى وَاخْتَلَفَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ
لِلْقَارِيءِ ، قَالَ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ : الْخِلَافُ يَمْنُ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يَخَافُ
الْكَسَلَ عَنْهَا لَوْ انْفَرَدَ ، وَلَا تَخْتَلُ الْجَمَاعَةُ بِتَخَلُّفِهِ ، فَإِنَّ فُقْدَ أَحَدُ هَذِهِ
الْأُمُورِ فَالْجَمَاعَةُ أَفْضَلُ بِلا خِلَافٍ وَأَمَّا عِدَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، فَقَالَ
الْقَاضِي : لَا خِلَافَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ حَدٌّ لَا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ .

فَاخْتَارَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً : لِمَا رَوَى مَالِكٌ
فِي « الْمُوطَأِ » عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ قَالَ : كَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ عُمَرَ يَقُومُونَ
فِي رَمَضَانَ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ : لَمَّا جَمَعَ عُمَرَ النَّاسَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ،
وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عِشْرِينَ رَكْعَةً : وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كِتَابِهِ
« الشَّافِي » عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي

في شهر رَمَضَانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : لَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا عِشْرِينَ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا سِتًّا وَثَلَاثِينَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَكُلُّهُ حَسَنٌ ، فَيَكُونُ تَكْثِيرُ الرُّكْعَاتِ أَوْ تَقْلِيلُهَا بِحَسَبِ طُولِ الْقِيَامِ وَقَصْرِهِ : وَقَالَ : الْأَفْضَلُ ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُصَلِّينَ فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ أَحْتِمَالُ بَعْشَرِ رَكْعَاتٍ وَثَلَاثٍ بَعْدَهَا ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الْأَفْضَلُ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَهُ ، فَالْقِيَامُ بِعِشْرِينَ هُوَ الْأَفْضَلُ وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ . وَإِنْ قَامَ بِأَرْبَعِينَ وَغَيْرِهَا جَازٌ ، وَلَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُؤَقَّتٌ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَقَدْ يَنْشَطُ الْعَبْدُ فَيَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ تَخْفِيفُهَا .

وَقَالَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَقْصُودِ التَّرَاوِيحِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ، فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ فِيهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ - فِيهِ كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْتَهَى كَلَامَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا :

وَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، فَلَا يُسْرِعُ سُرْعَةً تَمْنَعُ الْمَأْمُومَ مِنَ الْاِتِّبَانِ بِرُكْنِ كَالطَّمَأْنِينَةِ ، أَوْ وَاجِبِ كَتْسَبِيحِ رُكُوعٍ وَتَسْبِيحِ سُجُودٍ ، أَوْ قَوْلِ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » وَمَنْ الْمُؤَسِّفُ أَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، أَثْقَلَ الْأَيْمَةَ

عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي التَّرَاوِيحَ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، وَلِذَا يَقْرُونَ مِنْهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ يُسْرِعُ بِهَا وَلَا يُتِمُّهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ بِهَا ، وَالطُّمَأْنِينَةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسَيِّئِ فِي صَلَاتِهِ لَمَّا أَخْلَى بِالطُّمَأْنِينَةِ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ تُصَلِّ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » وَكَانَ السَّلْفُ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعُصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ .

وَعَنْ الْأَعْرَجِ قَالَ : مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ إِلَّا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكُفْرَةَ فِي رَمَضَانَ وَقَالَ : وَكَانَ الْقَارِيءُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ، وَإِذَا قَامَ بِهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَأَى النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا نَنْصَرِفُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْقِيَامِ فَتَسْتَعْجِلُ الْخَدَمُ بِالطَّعَامِ مَخَافَةَ قَوْتِ السُّحُورِ ، وَفِي أُخْرَى : « مَخَافَةَ الْفَجْرِ » .

وَعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : أَمَرَ عُمَرُ أَبِي بِنَ كَعْبٍ ، وَتَمِيمًا الدَّارِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ فِي رَمَضَانَ بِإِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً ، فَكَانَ الْقَارِيءُ يَقْرَأُ بِالْمِثْنِ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعُصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، فَمَا كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلَّا فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ بِسُورَةِ الْقَلَمِ فِي عِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنَ اللَّيْلِ الْأُولَى مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ . وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَنْقُصَ عَنْ خْتَمَةِ فِي التَّرَاوِيحِ لِيَسْمَعَ النَّاسُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ . وَيَتَحَرَّى أَنْ يَخْتِمَ آخِرَ التَّرَاوِيحِ قَبْلَ رُكُوعِهِ وَيَدْعُو .

وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ دُعَاءِ جَامِعٍ شَامِلٍ . وَقَالَ : رُوِيَ أَنَّ عِنْدَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ :

وقال العلماء يُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ إِذَا خَتَمَهُ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَهُ فَإِنَّهُ رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ وَعِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا أَشْفَى عَلَى خَتْمِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ بَقِيَ أَرْبَعُ سُورٍ أَوْ خَمْسٌ فَإِذَا أَصْبَحَ جَمَعَ أَهْلَهُ فَخَتَمَهُ وَدَعَا وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ عَلِمَ بِالخَتْمِ أَنْ يُحْضِرَهُ .

وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ عَلَيْهِ رَقِيبًا . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ قَالَ لِحُلَسَائِهِ قُومُوا بِنَا حَتَّى نَحْضُرَ الْخَاتِمَةَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ : كَانُوا يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ وَيَقُولُونَ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ .

وعن الْحَكَمِ بْنِ عَتِيْبَةَ قَالَ : كَانَ مُجَاهِدٌ وَعِنْدَهُ ابْنُ أَبِي لُبَابَةَ وَأَنَاسٌ يَعْرِضُونَ الْقُرْآنَ فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتِمُوهُ أَرْسَلُوا إِلَيْنَا وَقَالُوا : أَنَا نَزِيدُ أَنْ نَخْتِمَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ تَشْهَدُونَا فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِذَا خُتِمَ الْقُرْآنُ نَزَلَتِ الرَّحْمَةُ عِنْدَ خَتْمِهِ أَوْ حَضَرَتِ الرَّحْمَةُ عِنْدَ خَتْمِهِ .

وقال وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ لِي عَطَاءٌ : بَلَّغْنِي أَنَّ حُمَيْدَ الْأَعْرَجِ يُرِيدُ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فَانظُرْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ فَأَخْبِرْنِي حَتَّى أَحْضُرَ الْخَتْمَةَ .
وقال فِي الْمَعْنَى .

فَصَلِّ فِي خَتْمِ الْقُرْآنِ قَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ أَخْتِمُ الْقُرْآنَ أَجْعَلُهُ فِي الْوَتْرِ أَوْ فِي التَّرَاوِيحِ قَالَ أَجْعَلُهُ فِي التَّرَاوِيحِ حَتَّى يَكُونَ لَنَا دُعَائِينَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ فَارْفَعْ يَدَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ وَادْعُ بِنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ وَأَطِلِ الْقِيَامَ قُلْتُ بَمَا أَدْعُو قَالَ بَمَا شِئْتَ قَالَ فَفَعَلْتُ بَمَا أَمَرَنِي وَهُوَ خَلْفِي يَدْعُو قَائِمًا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ قَالَ حَنْبَلٌ سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ فِي خَتْمِ الْقُرْآنِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ قِرَاءَةِ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فَارْفَعْ يَدَيْكَ فِي الدُّعَاءِ قَبْلَ الرُّكُوعِ قُلْتُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ

في هذا قال رأيت أهل مكة يفعلونه وكان سفيان بن عيينة يفعلهم بمكة قال العباس بن عبد العظيم وكذلك أدركنا الناس بالبصرة وبمكة وبروي أهل المدينة في هذا شيئاً وذكر عن عثمان بن عفان وقال في الشرح الكبير مثل ما قال في المغني وقال في الأذكار ويستحب حضور مجلس الختم لمن يقرأ ولمن لا يحسن أن يقرأ فقد روينا في الصحيحين أن رسول الله ﷺ أمر الحیض بالخروج يوم العيد فليشهدن الخير ودعوة المسلمين . وورد لا يجتمع ملاء فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله (طب ك ق) .

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِذَعْبٍ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
 وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ
 وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
 وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْوُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
 وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
 وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُضْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَحَّحٌ
 رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِعُ
 وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضاً يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَفْتَحُ
 وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ جَلُّ الْوَاحِدِ الْمُتَمَدِّحُ
 إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتَفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
 يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرًا يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمِينَحًا خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ
 رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا
 وَقُلْ إِنْ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيْرَاهُ قَدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ
 وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْعُ
 وَإِنْهُمْوَا وَالرَّهْطُ لَا شَكَّ فِيهِمْ عَلَى نُجَبِ الْفِرْدَوْسِ بِالْخُلْدِ تَسْرَحُ
 سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعْمَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
 فَقَدْ نَطَقَ السَّوْحِيُّ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدُحُ
 وَيَا الْقَدِرَ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةَ عَقْدِ الدِّينِ وَالِدِّينِ أَفِيحُ
 وَلَا تُتَكَبَّرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَوِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعُ وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوَضَّحُ
 وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصُوا فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَضْفَحُ
 وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِي بِالدِّينِ يَمْرَحُ
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفَعَلَ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَنْصِيبِيِّ وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمَى وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
 وَدَعُ عَنْكَ آرَاءَ الرُّجَالِ وَقَوْلُهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَرْجَحُ
 وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهُوا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الذُّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبَيُّتٍ وَتَضْبِحُ
 اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَنْظُمْنَا فِي سَبَلِكَ الْمُقَرَّبِينَ
 وَالْأَبْرَارِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

موعظة

عباد الله : تَصَرَّمَتِ الْأَعْوَامُ عَامًا بَعْدَ عَامٍ ، وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَتِكُمْ سَاهُونَ نِيَام . أَمَا
 تُشَاهِدُونَ مَوَاقِعَ الْمَنَآيَا ، وَحُلُولَ الْأَفَاتِ وَالرُّزَايَا . وَكَيْفَ فَازَ وَأَفْلَحَ الْمُتَّقُونَ ، وَكَيْفَ
 خَابَ وَخَسِرَ الْمَبْطُولُونَ الْمَفْرُطُونَ فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُطْلَوِي صَحَائِفُ

الأعمالِ أَعْلَى أَعْمَالِ صَالِحَةٍ وَتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُمَحَى بِهَا الْآثَامُ ، أَمْ عَلَى ضِيْدَهَا
فَلْيَتَّبِ الْجَانِي إِلَى رَبِّهِ ، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاسْتَدْرِكُوا عُمْرًا
ضَيَعْتُمْ أَوَّلَهُ ، فَإِنَّ بَقِيَّةَ عُمْرِ الْمُؤْمِنِ لَا قِيَمَةَ لَهُ . فَرَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا اغْتَنَمَ أَيَّامَ
القُوَّةِ والشَّبَابِ ، وَأَسْرَعَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ قَبْلَ طَيِّ الْكِتَابِ ، وَأَخَذَ نَصِيْبًا مِنْ
البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّى سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ سَاعَاتِ الْحَيَاةِ . أَيْنَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ ، أَمَا وَأَفْتَهُمُ الْمَنَايَا وَقَضَّتْ عَلَيْهِمُ الْقَاضِيَةَ ، أَيْنَ
أَبَاؤُنَا وَأَيْنَ أُمَّهَاتُنَا أَيْنَ أَقَارِبُنَا ، وَأَيْنَ جِيرَانُنَا ، أَيْنَ مَعَارِفُنَا وَأَيْنَ أَصْدِقَائُنَا . رَخَلُوا
إِلَى الْقُبُورِ وَقَلَّ وَاللَّهِ بَعْدَهُمْ بُقَاؤُنَا . هَذِهِ دُورُهُمْ فِيهَا سِوَاهُمْ ، هَذَا صَدِيقُهُمْ قَدْ
نَسِيَهُمْ وَجَفَاهُمْ . أَخْبَارُهُمُ السَّالْفَةُ تُزْعَجُ الْأَلْبَابَ ، وَادِّكَارُهُمْ يَصْدَعُ قُلُوبَ
الْأَحْبَابِ . وَأَحْوَالُهُمْ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ . فَتأملُوا أَحْوَالَ الرَّاحِلِينَ ، وَاتعظُوا بِالْأَيِّمِ
الْمَاضِيْنَ ، لَعَلَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ يَلِينُ . وَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا دُتُّمُ فِي زَمَنِ
الْإِمْهَالِ ، وَاغْتَنِمُوا فِي حَيَاتِكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي
عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ، فَيَقَالُ هِيَئَاتِ فَاتَ زَمَنُ الْإِمْكَانِ ، وَحَصَلَ
الْإِنْسَانُ عَلَى عَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ عِصْيَانٍ . فَسَأَلَكَ اللَّهُ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، أَنْ تَحْتَمِ
أَعْمَالَنَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ ، وَالرَّحْمَةِ وَالْجُودِ وَالْإِمْتِنَانِ ، وَأَنْ تَجْعَلَ وَقْتَنَا مُبَارَكًا حَمِيدًا ،
وَتَرْزُقَنَا فِيهِ رِزْقًا وَاسِعًا وَتَوْفِيقًا وَتَسْديدًا . اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا ،
وَأصْلِحْ لَنَا جَمِيعَ أَحْوَالِنَا .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي مُنَى اسْتَجِدُّهَا
وَنَفْسٌ تَزِيًّا لَيْتَهَا فِي جَوَانِحِ
تَعَامَهُ عَمْدًا وَهِيَ جَدُّ بَصِيرَةٍ
إِذَا قَلْتُ يَوْمًا : قَدْ تَنَاهَى جَمَاحُهَا
وَاحْسَبُ مَوْلَاهَا كَمَا يَنْبَغِي لَهَا
وَأَهْوَى سَبِيلًا لَا أَرَى سَالِكًا بِهَا
وَأَنْسَى ذُنُوبًا لِي أَتَتْ فَاتَ حَصْرُهَا
أَقْرُبُهَا رَغْمًا وَلَيْسَ بِنَافِعِي

وَأَسْبَابُ دُنْيَا بِالْغُرُورِ أَوْدُهَا؟
لِذِي قُوَّةٍ يَسْطِيعُهَا فَيْرُدُّهَا
كَمَا ضَلَّ عَنْ عَشْوَاءَ بِاللَّيْلِ رُشْدُهَا
تَجَانَّفَ لِي عَنْ مَنَهِجِ الْحَقِّ بَعْدُهَا
وَإِنِّي مِنْ فَرَطِ الْإِطَاعَةِ عَبْدُهَا
كَأَنِّي أَقْلَاهَا وَغَيْرِي يُوَدُّهَا
حِسَابِي وَرَبِّي لِلْجَزَاءِ يَعُدُّهَا
- وَقَدْ طُوِّبَتْ صُحُفُ الْمَعَادِيرِ - جَعَلَهَا

وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا تَصُدُّ عَنِ الَّذِي
 وَتَسْقِيهِمْ مِنْهَا الْأَجَاجَ مُصْرَدًا
 أَرَاهَا عَلَى كُلِّ الْعُيُوبِ حَبِيَّةٌ
 وَحُبُّ بَنِي الدُّنْيَا الْحَيَاةَ مَسِيئَةٌ
 سَقَى اللَّهُ قَلْبًا لَمْ يَبْتَ فِي ضُلُوعِهِ
 تَخَفَّافًا مِنْ أَرْوَادِهَا مِلءَ طَوْقِهِ
 يَوَدُّ مُحِبُّوهَا فَيَحْسُنُ صَدُّهَا
 وَكَيْفَ بَهَا لَوْ طَابَ لِلْقَوْمِ عَدُّهَا؟
 فَيَا لِقُلُوبٍ قَدْ حَشَاهُنَّ وَدُّهَا
 بِهِمْ ثَلَمَةٌ بِالنَّفْسِ أَعْوَزَ سَدُّهَا
 هَوَاهَا وَلَمْ يَطْرُقْ نَوَاحِيهِ وَجَدُّهَا
 فَهَانَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَدُّهَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ
 وَغَفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في مَشْرُوعِ صَلَاةِ الْوَتْرِ ، وَحُكْمِهَا .

وَوَقْتُ صَلَاةِ الْوَتْرِ .

وَالْقِرَاءَةُ الْمُسْتَحَبَّةُ فِيهَا .

وَعَدَدُ رَكَعَاتِهَا .

وَدُعَاءُ الْقُنُوتِ فِي الْوَتْرِ .

١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ الْوَتْرِ ، وَحُكْمُهَا :

الوَتْرُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِمَدَاوِمَتِهِ ﷺ عَلَيْهِ فِي حَضْرِهِ وَفِي سَفَرِهِ ، وَإِلَّا وَرَدَ عَنْ
 عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَيْسَ الْوَتْرُ بِحَتْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَلَكِنْ سُنَّةٌ
 سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ وَحَسَنُهُ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ،
 وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ) وَلَفْظُهُ : أَنَّ الْوَتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ وَلَا كَصَلَاتِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ أَوْتَرَ ، فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ شَهْرَ
 رَمَضَانَ ، ثُمَّ انْتَضَرُوهُ مِنَ الْقَابِلَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : « خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ
 عَلَيْكُمُ الْوَتْرُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْتَرَ عَلَى
بَعِيرِهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

٢ - وَقْتُ صَلَاةِ الْوَيْتْرِ :

وَوَقْتُ الْوَيْتْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَسُئِبَتْهَا لِمَا رَوَى خَاجَةُ بْنُ حُدَافَةَ
قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ :
« لَقَدْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ، قُلْنَا : وَمَا هِيَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْوَيْتْرِ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ » . رَوَاهُ
الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ .

وَرَوَى أَبُو بَصْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
زَادَكُمْ صَلَاةً فَصَلُّوْهَا مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ ،
الْوَيْتْرِ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « أَوْتِرُوا قَبْلَ
أَنْ تُصْبِحُوا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ
بِوَاحِدَةٍ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْأَفْضَلُ فِعْلُهُ سَحْرًا ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ : مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْتَهَى وَتَرَهُ إِلَى السَّحْرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمَنْ كَانَ لَهُ تَهَجُّدٌ جَعَلَ الْوَيْتَرَ بَعْدَهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَقُومَ ، أَوْتَرَ
قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ
أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ ، فَلْيُوتِرْ آخِرَهُ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ
مَشْهُودَةٌ » ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَنْ أَحَبَّ مَنْ لَهُ تَهَجُّدٌ مُتَابِعَةٌ لِلْإِمَامِ فِي وَتْرِهِ قَامَ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ
وَأَتَى بِرُكْعَةٍ بَعْدَ الْوَتْرِ شَفَعَ بِهَا رُكْعَةَ الْوَتْرِ . ثُمَّ إِذَا تَهَجَّدَ أُوتِرَ فَيُنَالُ
فَضِيلَةَ مُتَابِعَةِ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ
قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » . صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُنَالُ فَضِيلَةَ جَعْلِ وَتْرِهِ آخِرَ صَلَاتِهِ لِحَدِيثِ : « اجْعَلُوا آخِرَ
صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرَا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَيَقْضِيهِ مَعَ شَفْعِهِ إِذَا فَاتَ وَقْتُهُ
لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَامَ
عَنِ الْوَتْرِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيَصِلْ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَرَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَلَا يَصِحُّ الْوَتْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لِعَدَمِ دُخُولِ وَقْتِهِ ، وَأَقْلُ الْوَتْرِ
رُكْعَةٌ ، وَلَا يُكْرَهُ الْإِتْيَانُ بِهَا مُفْرَدَةً وَلَوْ بِلَا عُدْرٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ
وَنَحْوِهِمَا لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمَا
سَمِعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْوَتْرُ رُكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ » .
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« الْوَتْرُ حَقٌّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ

بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ . رَوَاهُ الْخُمْسَةُ الْاَلَا التُّرَيْبِيُّ .

وَتَبَّتْ عَنْ عَشْرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ الْوِتْرَ رُكْعَةٌ مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ
وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَالِكٍ
وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِطِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رُكْعَةً يُسَلِّمُ
مِنْ كُلِّ رُكْعَتَيْنِ ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ » .

وَفِي لَفْظٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ
رُكْعَةً وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ . وَأَذْنَى الْكَمَالِ فِي الْوِتْرِ ثَلَاثُ رُكْعَاتٍ بِسَلَامَيْنِ ،
لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوِتْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْصِلْ
بَيْنَ الْوَاحِدَةِ وَالثَّانِيَةِ بِالتَّسْلِيمِ » . رَوَاهُ الْأَثَرُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ الرُّكْعَتَيْنِ
وَالرُّكْعَةَ بِالتَّسْلِيمِ فِي الْوِتْرِ ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

وَيَجُوزُ سَرْدُ الثَّلَاثِ بِسَلَامٍ وَاحِدٍ ، فَلَا يَجْلِسُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ،
وَتَجُوزُ كَمَغْرِبٍ . وَمَنْ أَدْرَكَ مَعَ الْإِمَامِ رُكْعَةً مِنَ الثَّلَاثِ فَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ
يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ أَجْزَاءً لِأَنَّ أَقْلَ الْوِتْرِ رُكْعَةٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِمَامُ يُسَلِّمُ مِنْ
كُلِّ اثْنَتَيْنِ قَضَى ، لِحَدِيثٍ : « مَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا » وَلِأَنَّ
الْقَضَاءَ يَحْكِي الْأَدَاءَ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّ الْأَعْلَى﴾ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثَّلَاثَةِ : ﴿قُلْ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِثَلَاثَةِ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ؟ قَالَ : «كَانَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِ- «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، وَقُلْ يَا الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَزَادَ : يُسَلِّمُ الْأُفَى آخِرِهِنَّ ، وَلَا يَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِي عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ سُورَةٌ فِي رَكَعَةٍ ، وَفِي الْأَخِيرَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعْوِذَتَيْنِ .

وَالسُّنَّةُ لِمَنْ أُوْتِرَ بِمَا زَادَ عَلَى رَكَعَةٍ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ رَوَى ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْصِلُ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَيُسْنُ فِعْلُ الرُّكْعَةِ عَقِبَ الشُّفْعِ بِلَا تَأْخِيرٍ عَنْهُ ، وَإِنْ صَلَّى الْإِحْدَى عَشْرَةَ كُلَّهَا بِسَلَامٍ وَاحِدٍ بِأَنْ سَرَدَ عَشْرًا وَتَشَّ التَّشْهُدَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ قَامَ فَاتَى بِالرُّكْعَةِ حَازَ ، أَوْ سَرَدَ الْجَمِيعَ وَلَمْ يَجِبْ إِلَّا فِي الْأَخِيرَةِ جَازَ لَكِنْ الصَّفَّةُ الْأُولَى أَوْلَى لِأَنَّهَا فِعْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤ - عَدَدُ رَكَعَاتِهَا :

يَجُوزُ الْوَتْرُ بِخَمْسٍ وَيَسْبَعٍ وَيَتِسْعٍ ، فَإِنْ أُوْتِرَ بِتِسْعٍ سَرَدَ تَمَّ وَجَلَسَ وَتَشْهُدَ التَّشْهُدَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يُسَلِّمَ ، ثُمَّ إِذَا صَلَّى التَّاسِعَةَ وَتَشَّ سَلَّمَ ، لَمَا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ :

أَمْ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئَنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئَنِي عَنْ وَتْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : كُنَّا نَعِدُّ لَهُ سِوَاكُهُ وَطَهْوَرَهُ فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَبُولُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ ، لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ ، وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ، فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ ، وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا فَيُسْمِعُنَا ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَنْ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ إِنْ بَخَمَسَ لَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي آخِرِهَا لِمَا وَرَدَّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِسَبْعٍ وَيَخَمَسُ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ سَلَامٌ وَلَا كَلَامٌ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً ، يُؤْتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ وَلَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل في دُعَاءِ الْقُنُوبِ فِي الْوَتْرِ :

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْنَبَ فِي الرَّكَعَةِ الْآخِرَةِ بَعْدَ الرُّكُوعِ لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْ رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ عَمْرٍو وَعَلِيٍّ أَنَّهُمَا كَانَا يَقْنَتَانِ بَعْدَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاللَّيْثِيُّ ، وَلَوْ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ جَازَ لِحَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنَتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى الْأَثْرَمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْنُتُ فِي الْوِثْرِ ، وَكَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْخَطِيبِ : وَالْقُنُوتُ : الدُّعَاءُ وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَنَتَ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَنَشْكُرُكَ ، وَلَا نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُ وَلكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدُّ بِالْكَفَّارِ مُلْحَقٌ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِثْرِ وَهُنَّ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَفِنِي شَرًّا مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، أَنَّهُ لَا تَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلَا يَعْزُّ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي وَثْرِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِحَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَفِي آخِرِهِ « وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ » . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ عُمَرَ : « الدُّعَاءُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . ثُمَّ يَمْسُحُ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ ، هُنَا

وَخَارِجَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا . لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - .
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ ، لَا يَحْطُهُمَا
حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَلَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « فَأَذَا فَرَعْتَ
فَامْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه . وَيُؤَمِّنُ الْمُتَفَرِّدُ
الضَّمِيرَ ، وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الْوَتْرِ سُنَّ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » -
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الثَّلَاثَةِ ، لِمَا رَوَى أَبِي بِنُ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ فِي الْوَتْرِ قَالَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ » . وَزَادَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ
يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » ثَلَاثًا ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ
بِالثَّلَاثَةِ .

وَصَلِّ بِشَهْرِ الصَّوْمِ عَشْرِينَ رَكْعَةً
تَرَاحٍ فِي جَمْعٍ وَبِالْوَتْرِ شَيْدٍ
وَقُمْ بَعْدَهَا وَاشْفَعْ هُدَيْتَ بِرَكْعَةٍ
لِتُوتَرَ إِمَّا شِثَّتَ بَعْدَ التَّجَهُّدِ
وَأَفْضَلُ نَفْلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بِبَيْتِهِ
فَقُمْ تَلَوْ نِصْفَ مِثْلِ دَاوُدَ فَاسْجُدِ
وَأَنْ شِثَّتَ اجْهَرُ فِيهِ مَا لَمْ تَخْفَ أَدْنَى
لِإِبْعَادِ شَيْطَانٍ وَإِقْفَاطِ رُقْدِ

وَخُذْ قَدْرَ طَوْقِ النَّفْسِ لَا تَسْأَمْنَهُ
 وَقُلْ تَسْتَعِينُ بِالنُّومِ عِنْدَ التَّجَهُّدِ
 فَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فَادْكُرِ اللَّهَ جَاهِدًا
 وَتُبْ وَاسْتَقْبَلْ مِمَّا جَنَيْتَ وَسَدِّدْ
 فَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ نَزَّوْمٍ إِلَى الضُّحَى
 أَمَا يَسْتَجِي مَوْلَا رَقِيبًا بَمَرُصِدِ
 يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ
 وَمُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ وَيُؤَيَّدِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَفِينَا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا
 يُرْضِيكَ وَأَجْرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ
 وَأَحْبَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

كِتَابُ الْفَضَائِلِ

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْأَجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ .
وَالْحَثِّ عَلَى الْقِيَامِ عُمُومًا .
- ٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ ، وَالْحَثِّ عَلَى الْقِيَامِ
عُمُومًا .
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي لَيْلَةِ الْقَدِيرِ مِنَ الْفَضْلِ وَذِكْرِ عَلَامَتِهَا .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَدِّثِ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَةِ مِنْ رَمَضَانَ :

يُسْتَحَبُّ الاجْتِهَادُ وَالْجِرْصُ عَلَى مُدَاوِمَةِ الْقِيَامِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَإِحْيَاؤُهَا بِالْعِبَادَةِ وَاعْتِزَالُ النِّسَاءِ وَأَمْرُ الْأَهْلِ بِالاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَةِ فِيهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْآخِرُ أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيَقِظُ أَهْلَهُ ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ » .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةٌ أَيَّامٍ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ » .

٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْآخِرِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : « قُولِي اللَّهُمَّ
إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَغْتَسِلُوا ، وَيَتَطَيَّبُوا فِي اللَّيَالِي
الَّتِي تَكُونُ أَرْجَى لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبَسَ حُلَّةً وَازَارَأَ وَرَدَّاءَ ، فَإِذَا أَصْبَحَ طَوَّأَهُمَا فَلَمْ يَلْبَسْهُمَا
إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ .

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ : كَانَ ثَابِتٌ وَحَمِيدٌ يَلْبَسَانِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِمَا
وَيَتَطَيَّبَانِ وَيُطَيَّبَانِ الْمَسْجِدَ بِالنُّضُوحِ وَالذُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا
لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَيَسْتَحَبُّ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ التَّنْظُفُ
وَالتَّطَيُّبُ وَالتَّزِينُ بِالغُسْلِ وَالتَّطَيُّبِ وَالتَّلْبَاسِ الْحَسَنِ كَمَا شُرِعَ ذَلِكَ فِي
الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ ، وَكَذَلِكَ يُشْرَعُ أَخْذُ الزَّيْنَةِ مِنَ الثِّيَابِ فِي سَائِرِ
الصَّلَوَاتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
مَسْجِدٍ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزِينَ لَهُ » .

وَرَوَى عَنْهُ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَكْمُلُ
التَّزِينُ الظَّاهِرُ إِلَّا بِتَزِينِ الْبَاطِنِ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَطْهِيرِهِ
مِنْ أَدْنَسِ الذُّنُوبِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ ،
وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ .

فَمَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيُزَيِّنْ ظَاهِرَهُ بِاللِّبَاسِ ، وَبَاطِنَهُ بِلِبَاسِ
التَّقْوَى ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي
سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّ عَشْرَكُمْ هَذَا هُوَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ ، وَفِيهِ الْخَيْرَاتُ
وَالْأَجُورُ الْكَثِيرَةُ تَكْمُلُ فِيهِ الْفَضَائِلُ ، وَتَتَمُّ فِيهِ الْمَفَاحِرُ ، وَيَطْلُعُ عَلَى
عِبَادِهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْغَافِرِ وَيُنِيلُهُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ الْوَافِرَ ، فِيهِ تَزْكُو
الْأَعْمَالُ ، وَتُنَالُ الْأَمَالُ ، وَقَدْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مَحَاسِنِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ،
أَنَّهُمْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾
قَالَ : هِيَ قِيَامُ الْعَبْدِ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ نَارٌ مِنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ جَبْهِ
وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي » الْحَدِيثُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَمَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُمْ : « إِنَّ الْمَرَادَ
بِالتَّجَافَى الْقِيَامَ لِصَلَاةِ النَّوَافِلِ بِاللَّيْلِ » ، وَفِي آيَةِ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ . أَخْبَرَ
جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنَامُونَ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّيْلِ ، وَيَتَهَجَّدُونَ مُعْظَمَهُ قَالَ
تَعَالَى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا تَأْتِي عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ يَنَامُوا حَتَّى يُصْبِحُوا إِلَّا يُصَلُّونَ
فِيهَا شَيْئًا ، إِمَّا مِنْ أَوْلَاهَا أَوْ مِنْ أَوْسَطِهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ : كَابَدُوا قِيَامَ
اللَّيْلِ فَلَا يَنَامُوا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلَهُ .

شِعْرًا :
خُضُوعٌ وَخَوْفٌ وَاحْتِشَامٌ وَذِلَّةٌ وَهَذَا لِمَنْ يَرْجُو النِّجَاةَ قَلِيلٌ
فَهَلْ لِي مِنَ الْإِحْزَانِ حَظٌّ مُؤَمَّرٌ وَهَلْ لِي إِلَى طُولِ الْبُكَاءِ سَبِيلٌ
لَعَلِّي أَنْ أُحْظِيَ بِقُرْبٍ وَلَدَّةٍ وَيَحْصُلُ لِي بَعْدَ الْفِرَاقِ وَصُولٌ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل]

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ ذَابُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَمَغْفِرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ . »

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ : عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قَوْمٌ لَا تُبْلَغُ أَعْمَالُهُمْ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَعَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ مُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَلرُّسُلِ اللَّهِ مُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مِنْ خَيْرِنَا مَنْزِلَةً قَوْمًا خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي : يَا أَبَا أَسَامَةَ صِفْ لَنَا أَجْدَهَا فِينَا ، ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا فَقَالَ : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وَنَحْنُ وَاللَّهِ قَلِيلًا مَا نَقُومُ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ ، وَاتَّقَى اللَّهَ إِذَا اسْتَيْقَظَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

لو لم يكن فيه آيات مبيّنة كانت يديهته تأتيك بالخبر

مَوْعِظَةٌ

اخواني : إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ وَلَا سِيَّما بَعْدَ أَنْ يَرُقَدَ الْإِنْسَانُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ خَفِيفاً بِالْإِعْتِيَادِ ، وَتَوَطُّيْنِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ وَالْمَدَاوِمَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشَرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْأَنْسِ بِاللَّهِ وَتَلْدُ لَهُ الْمَنَاجَاةُ وَالْخَلْوَةُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَسْتَيْقِلَهُ أَوْ يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمُ الْأُدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ وَيَا بَعْدَمَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَقَفَ أَقْوَاماً فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنُّوَافِلِ ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخِرِينَ فَهَمَّ عَنْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَآلِهِمْ غَافِلُونَ .

شِعْرًا :

ذُنُوبُكَ يَا مَغْرُورٌ تُحْصِي وَتُحَسِّبُ
وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيفٍ وَتُكْتَبُ
وَقَلْبُكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَعَفْلَةٍ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذِّبُ
تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ
وَتَسْعَى حَيْثُماً فِي الْمَعَاصِي وَتُذْنِبُ
أَمَا تَذَكُرُ الْمَوْتَ الْمُفَاجِئَكَ فِي غَدٍ
أَمَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ تَعْطَبُ

أَمَا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَجِيشَ وَلَحْدَهُ
بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرُبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطَّوِيلَ وَهُوَ لَهُ
وَمِيزَانٌ قِسْطٌ لِلْوَفَاءِ سَيُنْصَبُ
تَرَوْحٌ وَتَغْدُو فِي مَرَاجِكِ لَاهِيًا
وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَيْئَةِ تَنْشَبُ
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلٍ
فَلَا رَاحِمٍ يُنْجِي وَلَا نَمَّ مَهْرَبُ
وَعُمَضَتِ الْعَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِهَا
وَبُسَّطَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعًا فِي جَهَاذِكَ أَحْضَرُوا
خُنُوطًا وَأَكْفَانًا وَلِلْمَاءِ قَرُبُوا
وَعَايَلَكَ الْمَحْزُونُ تَبْكِي عُيُونُهُ
بِدَمْعِ غَزِيرٍ وَإِكْفٍ يَنْصَبُ
وَكُلُّ حَسِيبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقُ
يُحَرِّكُ كَفْيِهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيْهَا
وَقَدْ بَخَّرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
وَالْقَوَاكِبَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ وَأَذْرَجُوا
عَلَيْكَ مَشَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَبُوا
وَفِي حُفْرَةِ الْقَوَاكِبِ حَيْرَانٌ مُفْرَدًا
تَضُمُّكَ بَيْدَاءٌ مِنَ الْأَرْضِ سَبَبُ

إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
 فَكَيْفَ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكْلٌ وَمَشْرَبٌ ؟
 وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرُ مَنْسُكُنْ
 بِهِ ظُلَمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبٌ
 وَهَوْلٌ وَدِيدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ
 فَيَا نَفْسُ خَافِي اللّٰهَ وَارْجِي ثَوَابَهُ
 فَهَادِمٌ لَذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ
 وَقَوْلِي إِلَهِي أَوْلِييَ مِنْكَ رَحْمَةً
 وَعَفْوَاً فَإِنَّ اللّٰهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ
 وَلَا تُحْرِقُنْ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي
 فَجِسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ
 فَمَا لِي إِلاَّ أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى
 عَلَيْكَ إِتْكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ
 وَصَلِّيْ إِلَهِي كُلَّمَا ذُرَّ شَارِقُ
 عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
 وَمِنَ شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ
 وَالنَّارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْبُنُ ، وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَضَائِلُهَا وَعَلَامَاتُهَا

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - أَوْ قَالَ - : تَخْرُوجُهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ . رواه أحمد بإسناد صحيح .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ يَشُقُّ عَلَيَّ الْقِيَامُ فَأَمْرُنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُوفِّقُنِي فِيهَا لِلَّيْلِ الْقَدْرِ ، فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ » رواه أحمد .

وعن زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ يَقُولُ : وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فَقَالَ أَبِي : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ يَخْلِفُ مَا يَسْتَشِينِي ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا لَا شُعَاعَ لَهَا . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي وصححه .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا وَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ انْسَيْتُهَا أَوْ نَسَيْتُهَا ، فَالْتَمَسْتُهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّيَ أُسْجَدُ فِي مَاءٍ

وَطِينٍ فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَرْجِعْ ،
فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ
سَقْفُ الْمَسْجِدِ - وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ - وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ
فِي جَبْهَتِهِ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا وَإِذَا بِي أُسْجِدُ صَبِيحَتَهَا فِي مَاءٍ
وَطِينٍ » . قَالَ : فَمَطَرْنَا فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانصَرَفَ ، وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ
وَأَنْفِهِ . رواه أحمد ومسلم وزاد .

وعن أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« التَّمِسُّوْهَا فِي تِسْعِ بَقِيْنَ ، أَوْ سَبْعِ بَقِيْنَ ، أَوْ خَمْسِ بَقِيْنَ ، أَوْ ثَلَاثِ
بَقِيْنَ أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ » . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يُصَلِّي فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ
صَلَاتَهُ فِي سَائِرِ السَّنَةِ فَاذَا دَخَلَ الْعَشْرُ اجْتَهَدَ . رواه أحمد ، والترمذي
وصححه .

وعن أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي حَدِيثٍ لَهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ . إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنْتُ
لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِهَا فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَانِ مَعَهُمَا
الشَّيْطَانُ فَنَسِيَتْهَا ، فَالتَّمِسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، التَّمِسُّوْهَا
فِي التَّاسِعَةِ وَالْخَامِسَةِ وَالسَّابِعَةِ » . قَالَ : قُلْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ : إِنَّكُمْ أَعْلَمُ
بِالْعَدَدِ مِنَّا ، فَقَالَ : أَجَل ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكُمْ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا

التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال : إذا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا
اِثْنَانِ وَعِشْرُونَ فَهِيَ التَّاسِعَةُ ، فإذا مَضَتْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا
السَّابِعَةُ ، فإذا مَضَتْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا الخَامِسَةُ . رواه
أحمد ، ومسلم .

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « التَّمِسُّوْهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ فِي تَاسِعَةِ
تَبَقَى ، فِي سَابِعَةِ تَبَقَى ، فِي خَامِسَةِ تَبَقَى » . رواه أحمد ، والبخاري ،
وأبو داود .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ فِي العَشْرِ
الأَخِيرِ سَبْعٌ يَمْضِينَ أَوْ تِسْعٌ يَبْقَيْنَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ القَدْرِ رواه البخاري .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم أَرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي
السَّبْعِ الأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّياً فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ » .

ولمسلم قال : أَرَى رَجُلًا أَنْ لَيْلَةَ القَدْرِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي العَشْرِ
الأَوَاخِرِ فَاطْلُبُوهَا فِي الوِثْرِ مِنْهَا » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » رواه مسلم
والبخاري .

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَّاحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَّاحَى فَلَانٌ وَفَلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ » رواه البخاري .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي بَادِيَةً أَكُونُ فِيهَا وَأَنَا أَصْلِي فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ ، فَمُرْنِي بِلَيْلَةٍ أَنْزَلَهَا إِلَيَّ هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ : « انزِلْ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ » رواه أبو داود .

قِيلَ لِأَبْنَيْهِ : كَيْفَ كَانَ أَبُوكَ يَصْنَعُ ؟ قَالَ : كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ الصُّبْحَ ، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ ، وَجَدَ دَابَّتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَلَجِحَ بِبَادِيَتِهِ .

قال البَغَوِيُّ : وفي الْجُمْلَةِ أَبْهَمَ اللَّهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَجْتَهِدُوا بِالْعِبَادَةِ فِي لَيْالِي رَمَضَانَ طَمَعًا فِي إِذْرَاقِهَا ، كَمَا أَخْفَى سَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَأَخْفَى الصَّلَاةَ الْوُسْطَى فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَرِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ لِيَرْغَبُوا فِي جَمِيعِهَا وَسَخَطَهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَنْتَهُوا عَنْ جَمِيعِهَا ، وَأَخْفَى قِيَامَ السَّاعَةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الطَّاعَاتِ حَذْرًا مِنْ قِيَامِهَا .

إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا وَعَلِمْتَ مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَيْهَا ، فاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤَقِّفٍ مُرِيدٍ لِلْكَمَالِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ أَنْ يَبْدَلَ وَسْعَهُ وَيَسْتَفْرِغَ جُهْدَهُ فِي إِحْيَاءِ لَيْالِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ وَقِيَامِهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصَادِفَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْجَلِيلَةَ

التي اُخْتَصَّ اللهُ تعالى بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ ، وَأَتَاهُمْ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يَخْصُرُهُ الْعَدَدُ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا عَشْرُ . شَهْرٍ . مُبَارَكِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْإِثَامِ ، وَفِيهِ يَتَوَفَّرُ جَزِيلُ الشُّكْرِ وَالْإِنْعَامِ ، فَاعْتَدِرُوا فِيهِ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَأَقْبِلُوا بِقُلُوبِكُمْ إِلَيْهِ وَقِفُوا بِالْخُضُوعِ لَدَيْهِ ، وَأُنْكِسِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ رَحِيمٌ كَرِيمٌ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّكُمْ الْآنَ فِي رَمَضَانَ ، وَهُوَ وَحْدَهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ لِمَنْ رَامَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ ، فَإِنَّ فِي لَيَالِيهِ لَيْلَةً وَاحِدَةً خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِإِحْلَاصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ جَلًّا وَعَلَا وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةِ فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ أَوْ رُكْعَةٍ ، رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا أَكْثَرَ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَرُئِيَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَلَا تَعْمَلُونَ وَاللَّهُ لَتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَسْبِيحَتَانِ ، أَوْ رُكْعَةٍ أَوْ رُكْعَتَانِ فِي صَحِيفَةٍ أَحَدِنَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ : مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ أَرْزَادًا ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ اسْتَعْتَبَ .

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ قُمْ لِلَّهِ مُجْتَهِدًا
وَأَنْهَضْ كَمَا نَهَضَتْ مِنْ قَبْلِكَ السُّعَدَا

هَدَيْ لِيَالِي الرِّضَا وَافَتْ وَأَنْتَ عَلَي
فَعَلِ القَيْحِ مُصِيراً مَا جَلَوْتُ صَدَا
قُمْ فَاعْتَنِمَ لَيْلَةً تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
وَمَثَلُهَا لَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِهَا أَبَدَا
طُوبَى لِمَنْ مَرَّةً فِي العُمُرِ أُدْرِكَهَا
وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَبْغِيهِ مُجْتَهِدَا
فَلَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ قَالَ خَالِقُنَا
مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ هَنِئُتَا مَنْ لَهَا شِهْدَا
وَيَنْزِلُ الرُّوحُ فِيهَا وَالْمَلَائِكُ مِنْ
عِنْدِ المُهَيَّمِينَ لَا تُحْصِي لَهُمُ عَدَدَا
يَا فَوْزَ عَبْدٍ حُظِي فِيهَا فَوَقَّعُهُ
رَبِّي قَبُولاً فِعَاشَ عَيْشَةَ السُّعْدَا
وَفَازَ بِالأَمْنِ وَالعُفْرَانِ مُعْتَبَطَا
وَنَالَ مَا يَرْتَجِي مِنْ رَبِّهِ أَبَدَا
فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ إِنْ وَافَيْتَهَا سَحَرَا
جَنَاتٍ عَدْنٍ تَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ السُّعْدَا
وَأَبِكْ وَنَحْ وَتَضَرَّعْ فِي الدُّجَا أَسْفَا
عَلَى كِبَائِرٍ لَا تُحْصِي لَهَا عَدَدَا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى المُحْتَارِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا سَارَ سَارٍ فِي الفَلَا وَحَدَا

اللهم وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ القَوْمَ وَأَيِّفِضْنَا مِنْ سِنَةِ العَفْلَةِ وَالنُّومِ وَارزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ المُتَّقُونَ اللهم وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

اللهم ارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ، ولا تحرمنا بذنوبنا ،
ولا تطردنا بعبوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم
والميتين برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه
أجمعين .

موعظة

خَطَبَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ أَيُّهَا اللَّاهِي الْمَعْرُورُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ
أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَفْرَعُ لَكَ بَاباً وَلَا يَهَابُ صِحَاباً وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلاً
وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلاً وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيراً وَلَا يُوقِّرُ فِيكَ كَبِيْراً حَتَّى يُؤَدِّيَكَ
إِلَى قَبْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهُ كَفَعْلِهِ بِالْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ .

أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ،
وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ ، وَبِالكَثِيرِ لَمْ يُمْتَعْ .

أَيْنَ مَنْ شَيَّدَ الْقُصُورَ ، وَنَسَى الْقُبُورَ ، أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ ،
أَضْحَوْا رُفَاتاً تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَأَنْتُمْ عَنْ قَرِيبٍ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسِيْلِهِمْ
سَالِكُونَ .

يُحَوَّلُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْ قُصُورٍ مُزَخْرَفَةٍ إِلَى نَيْتِ الثَّرَابِ
فِيَسْلَمَ فِيهِ مَهْجُوراً فَرِيداً أَحَاطَ بِهِ شُحُوبُ الْإِغْتِرَابِ
وَهَوُلُ الْحَشْرِ أَفْطَعُ كُلُّ أَمْرٍ إِذَا دُعِيَ ابْنُ آدَمَ لِلْحِسَابِ
وَالْفَى كُلُّ صَالِحَةٍ أَتَاهَا وَسَيِّئَةٍ جَنَاهَا فِي الْكِتَابِ
لَقَدْ آَنَّ التَّرْوُدُ إِنْ عَقَلْنَا وَأَخْذُ الْحِظِّ مِنْ بَاقِي الشَّبَابِ

قال ابن الجوزي رحمه الله :

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربه .

ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل . ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور .

(وقد كان جماعة من السلف يبَادِرُونَ اللحظات) فنقل عن عامر ابن عبد قيس : ان رجلاً قال له : « كَلِّمْنِي » فقال له : « أمسك الشمس » .

ودخلوا على بعض السلف عند موته ، وهو يُصلي ، فقيل له ، فقال : « الآن تطوى صحيفتي » . فاذا علم الإنسان أنه وإن بالغ في الجد بأن الموت يقطعه عن العمل ، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته .

فإن كان له شيء في الدنيا ، وقَّفَ وَقْفًا ، وغرسَ غرسًا ، وأجرى نهراً ، ويسعى في تحصيل ذرية تذكّر الله بعده ، فيكون له أجر ، أو أن يصنف كتاباً في العلم .

فإن تصنيف العالم ولده المخلد وأن يكون عاملاً بالخير عالماً فيه فينقل من فعله ما يقتدي به الغير فذلك الذي لم يمت . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

تَذَكَّرْ وَلَا تَنْسَ الْمَعَادَ وَلَا تُكُنْ
كَأَنَّكَ مُخْلِ لِلْمَلَاعِبِ مُرْجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُؤَلَّوْلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تُخْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمَسْجِيُّ بِشَوْبِهِ
وَإِذْ أَنْتَ فِي كَرْبِ السِّيَاقِ تُحْشَرُجُ

وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمَعَزَى قَرِيبَهُ
 وَإِذْ أَنْتَ فِي بَيْضٍ مِنَ الرِّيطِ مُدْرٍ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الشَّرَى
 إِذَا مَا هَدَوْكَاهُ ائْتَنُوا لَمْ يُعْرَجْ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وَإِذْ مِنْ تُرَابِهِ
 عَلَيْكَ بِهِ رِذْمٌ وَلَبْنٌ مُشَرٌّ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ تُكْسَى غَدَاً مِنْهُ وَحَشَةً
 مَجَالِسُ فِيهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسِبِ
 وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْتِ انْقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
 وَإِنْ سَرُّكَ الْبَيْتُ الْعَيْتِيُّ الْمُدَّبِ
 أَلَا رَبُّ ذِي طَمْرِ غَدَاً فِي كَرَامَةٍ
 وَمَلِكِ بِتَيْجَانِ السَّهَوَانِ مُتَوِّ
 لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ

وَإِنْ زَخْرَفَ الْغَاوُونَ فِيهَا وَزَبْرَجُوا
 اللَّهُمَّ طَيِّبْنَا لِلِقَائِكَ ، وَأَهْلُنَا لَوْلَائِكَ وَاذْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ
 أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ
 وَاجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنُّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْجَسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا
 الْمُنْقِطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطِعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَ
 الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْاعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِ
 سَحَائِبِ بَرِّكَ وَاحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقَنَا لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ
 جِوَادِ كَرِيمِ رَوْفِ رَحِيمِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِ

فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفة وأكثروا فيها من الدعاء فإن الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم .

وهو مخ العباداة ولا سيما إذا كان بقلب حاضر وصادفا إخباراً وخشوعاً وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكان على طهارة .

وجدد توبة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلى على النبي ﷺ بعد ذلك .

ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنى مناسب لمطلوبه .

فان كان يريد علماً قال يا عليم علمني .

وان كان يطلب رحمة قال يا رحمن ارحمني .

وان كان يطلب رزقاً قال يا رزاق ارزقني ونحو ذلك .

ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو

ذلك .

وَتَحَرَّى أوقات الإجابة وأتى بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى

بالانقياد لأوامره والانتهاة عن ما نهى عنه .

فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى ﴿ أدعوني استجب

لكم ﴾ .

وقال عز من قال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

الداعي إذا دعان ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .

وقال تبارك وتعالى ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف
السوء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .

وقال ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ .

ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع ثلث
الليل الأخير .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها .

وعند الأذان .

وبين الأذان والاقامة .

وعند نزول الغيث .

وعند فطر الصائم .

وعشية عرفة .

وفي حالة السجود .

وفي ليلة القدر .

وفي أدبار الصلوات .

وفي أدبار النوافل .

وعند ختم القرآن .

وعند البكاء والخشية من الله .

وفي جوف الليل .

وعند دعاء المسلم لأخيه بظهر العيب .

وبعد زوال الشمس عن كبد السماء .

قال بعضهم :

قالوا شُرُوطُ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ لَنَا عَشْرٌ بِهَا بَشَّرَ الدَّاعِي بِإِفْلَاحِ
طَهَارَةِ وَصَلَاةٍ مَعَهُمَا نَلَمٌ وَقْتُ خُشُوعٍ وَحَسْنِ الظَّنِّ يَأْصَحُ
وَحِلُّ قُوْتٍ وَلَا يُدْعَى بِمَعْصِيَةٍ وَأَسْمٌ يُنَاسِبُ مَقْرُونٌ بِالْحَاحِ

(فـ ص ل)

الأدلة لما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال
في ثلث الليل الأخير « إنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب » أخرجه
الحاكم والترمذي .

وعن ابن عمر قال نادى رجل رسول الله ﷺ أي الليل أجوب دعوة .
قال : جوف الليل الأخير أخرجه البزار والطبراني بسند صحيح .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة .
فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً
إلا أعطاه » أخرجه الشيخان .

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي أن النبي ﷺ قال : « تفتح أبواب
السماء نصف الليل فينادي مُنادٍ ، هل من دَاعٍ فَيَسْتَجَابُ لَهُ ، هل من سائلٍ
فَيُعْطَى ، هل من مَكْرُوبٍ فَيُفْرَجُ عَنْهُ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ فَيَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا
اسْتَجَابَ لَهُ إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَارًا » أخرجه الطبراني بسند
صحيح .

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « ثلاث ساعات للعبد المسلم
ما دعا فيهن إلا استجيب له ما لم يسأل قطيعة رحيم أو مائتاً .
وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ كان يقول : « دعوة المسلم
لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال
الملك الموكل به آمين ولك بمثل » رواه مسلم .

حِينَ يُوذُنُ لِلصَّلَاةِ حَتَّى يَسْكُتَ وَحِينَ يَلْتَقِي الصَّفَانَ حَتَّى يَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَحِينَ يَنْزِلُ المَطْرُ حَتَّى يَسْكُنَ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحَلِيَةِ .

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ كان إذا مالت الشمس عن كبد
السماء قَدَرَ شِرَاكٍ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ
الصَّلَاةُ .

قال « مَنْ صَلَّاهُنَّ فَقَدْ أَحْيَا لَيْلَتَهُ هَذِهِ سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ
وَيُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحَلِيَةِ .

وعن عبدالله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ « إِذَا فَاءَتِ الأَفْيَاءُ
وَهَبَّتِ الأَرْوَاحُ فَارْفَعُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمُ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ الأَوَّابِينَ » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ
فِي الحَلِيَةِ .

وعن عطاء قال « ثَلَاثٌ خِلَالٌ تُفْتَحُ عِنْدَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتَحَرَّوْا
الدُّعَاءَ عِنْدَهُنَّ .

عند الأذانِ ، وعندَ نُزُولِ الغَيْثِ ، وعندَ التَّقَاءِ الزَّحْفَيْنِ » أَخْرَجَهُ
سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ »
أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ثَلَاثٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدُّ لَهُمْ
دَعْوَةَ الصَّائِمِ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالمَظْلُومُ حَتَّى يَتَّصِرَ ، وَالمَسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ »
أَخْرَجَهُ البِزَارُ .

وعن عبدالمطلب بن عبدالله بن حنطب أن النبي ﷺ قال « مِنْ
أَفْضَلِ الدُّعَاءِ الدُّعَاءُ يَوْمَ عَرَفَةَ » أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إِنْ فِي اللَّيْلِ لِسَاعَةٌ لَا

يوافقها رَجُلٌ مسلم يسأل الله خَيْراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إِيَّاهُ وذلك كلُّ ليلةٍ « أخرجه مسلم .

وعن سهل بن سعد مرفوعاً قال « سَاعَتَانِ تَفْتَحُ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَقَلَّ دَاعٍ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ .

حين يحضر النداء والصف في سبيل الله « أخرجه البخاري في الأدب .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال « اثْنَانِ لَا تُرَدُّانِ الدَّعَاءَ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَحِينَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا » أَي يُنْشَبُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي الْحَرْبِ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « الدَّعَاءُ مُسْتَجَابٌ مَا بَيْنَ النَّدَاءِ وَالْإِقَامَةِ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « إِذَا نَادَى الْمُنَادِي فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدَّعَاءُ فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَتَحَرَّ الْمُنَادِي فَيَجِيبْهُ » .

ثم يقول اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَةُ الصَّادِقَةُ الْمُسْتَجَابَةُ الْمُسْتَجَابَ لَهَا دَعْوَةُ الْحَقِّ وَكَلِمَةُ التَّقْوَى أَحْيَانًا وَأَمْتِنَا عَلَيْهَا وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَهُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ .

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أقرأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا وَسَاجِدًا .

فأما الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ وَأما السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ مِنَ الدَّعَاءِ فَفَقِمُوا أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

- وعن عبادة بن الصَّامِتِ أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضرَ رَمَضانُ .
« أتاكم شهرُ بركةٍ فيه تنزلُ الرحمةُ وتُحطُ الخطايا وتُستجابُ الدُّعاءُ » .
- وأخرج في الأوسطِ عن عمرَ بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ
« ذاكِرُ الله في رمضان مغفورٌ له وسائلُ الله فيه لا يُحَيَّبُ » أخرجه الطبراني .
- وروي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء .
وروي من صلى فريضةً فله دعوة مستجابة .
ومن ختم القرآن فله دعوة مُستجابة .
- وعن رَبِيعَةَ بن وقاص أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثُ مواطن لا تُردُّ
فيها دعوةُ عبد ، رجلٌ يكون في بَرِيَّةٍ حَيْثُ لا يراه إلا اللهُ .
ورجلٌ يكون معه فِئَةٌ فيفرُّ عنه أصحابُه فَيُثَبَّتُ .
ورجلٌ يَقومُ من آخر الليل » أخرجه أبو نعيم في أخبار الصحابة .
- وعن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إذا فُتِحَ على العبد الدُّعاءُ فَلْيَدْعُ
رَبَّهُ فإن الله تعالى يستجيبُ » أخرجه الترمذي .
- وعن خالد الخذاء قال « كان عيسى عليه السلام يقول : إذا وجدتم
قَشَعْرِيَّةً ودمعة فادعوا عند ذلك » أخرجه أحمد في الزهد .
- وروي اغْتَنِمُوا الدعاء عند الرِّقَّةِ فإنها رَحْمَةٌ .
وروي الدعاء بين الأذان والاقامة مستجاب .
وروي عند أذان المؤذن يستجاب الدعاء .
فإذا كان الإقامة لا ترد دعوته .
- وعن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « من كانت له إلى الله حاجة
فليدع بها دُبُرَ صلاة مفروضة » أخرجه بن عساكر .
- وعن أنس عن النبي ﷺ قال « مع كل ختمة دعوة مستجابة » .

وأخرجه من وجه آخر بلفظ آخر « عند ختم القرآن دعوة مستجابة وشجرة في الجنة » أخرجه البيهقي في شعب الايمان .

فعلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالاجْتِهَادِ بالدعاء ، وعليكُمْ بِجَوَامِعِ الدُّعَاءِ التي تَجْمَعُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وفي الصحيحين : « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ : « أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَايَةِ الْمَنْظَرِ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ ، وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ » رواه مسلم .

وَمِنْ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ « اللَّهُمَّ رَحِمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . رواه أبو داود وعن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لَزِمْتَنِي هُمُومٌ وَذِيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : « قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أُمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي ، رواه أبو داود .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْيَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارزُقْنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » .

وقالت أم سلمة - رضي الله عنها - : « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أُعَلِّمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أُعَلِّمْ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّيْهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيهَا وَمَوْلَاهَا » .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلَمَ وَأُظْلَمَ » .

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ : مِنَ الْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَسُوءِ الْعُمُرِ ، وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ » رواه أبو داود .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَشْسُ الضَّجِيعَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا يَشْسِتُ الْبِطَانَةَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُدَامِ وَالْجُنُونِ وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ شُتَيْبِ بْنِ شَكْلٍ بْنِ حُمَيْدٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، عَلِّمْنِي تَعْوِذًا أَنْتَعُوذُ بِهِ قَالَ : « قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَشَرِّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ قَلْبِي وَشَرِّ عَيْنِي » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ أَبِي الْيُسْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي وَمِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُذْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ لِدِينَا » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَاسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي

وَهَزَلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَعْلَمْتُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ
الْمُؤَخَّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ « متفق عليه .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّدِيقَ قَالَ لَهُ : « قُلْ
اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي
مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه .

وَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « إَلْطُوا بِيَاذَا الْجَلالِ وَالْاِكْرَامِ » أَي الزُّمُوا هَذِهِ وَالْحُوا بِهَا وَدَاوُمُوا
عَلَيْهَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْتَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ
الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ
خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَنَقِّ قَلْبِي كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ
وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ متفق عليه .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ الْخَطَمِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ ارزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ
عِنْدَكَ اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ اللَّهُمَّ مَا
رَزَوْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فِرَاغًا فِيمَا تُحِبُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبُّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبُّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبُّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَعَنْ أُمِّ مَعْبِدٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالنِّفَاقِ وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ ﴿١﴾ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالرِّضَى بِالْقَدْرِ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

جاء عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَةً وَغَرَبَهُ التِّرْمِذِيُّ .

اللَّهُمَّ اعْزِنَا بِمَعَاذِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمُ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ عَرَفُوهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْحَالِ لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ إِنَّ الْعَارِفَ بِاللَّهِ يَخْشَاهُ فَتَعَقَّلَهُ هَذِهِ الْخَشْيَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ

عَمَّا لَا يَتَّبِعِي مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

العارف بالله لا يجزؤ أن يحرك لسانه بكلمة من المنكرات أفعالٍ أو أقوالٍ كالغيبة والنميمة والكذب والقذف والفسق والسخرية والاستهزاء ونحو ذلك ولا يستعمل عضواً من أعضائه في عملٍ ليس بحلالٍ بل يكف بصره وسمعته ويده ورجله عن المحرمات لأنه يؤمن حق الإيمان بأن الله جلّ وعلا مهتما تخفى وتستر العبد عنه فإنه يراه .

والعارف بالله لا يتطوي على رذيلةٍ كالكبر والحقد والحسد وسوء الظن وغير ذلك من الرذائل الممقوتات لأنه يصدق أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه يعلم ما تكنه الصدور ، كما يعلم العلانية ، فلا يستريح العارف حتى يكون باطنه كظاهره مطهراً من كل فحشاء وكذلك لا تسمع من فم العارف عند نزول المصائب والبلايا والشدائد إلا الحسن الجميل فلا يغضب لموت عزيز أو فقدي مالٍ أو مرضٍ شديدٍ طويلٍ لأنه يعلم أن غضبه وتسخطه يفوت عليه أجره ولا يرد ما فات كما قيل :

لَا تَلَقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ
مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ
وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ

وَلَا تَيَأَسُ الْعَارِفُ مِنْ زَوَالِ شِدَّةٍ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتْ فَإِنَّ الْفَرَجَ بِيَدِ

اللَّهُ الَّذِي قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَأْسُ
 مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ مَنْ إِذَا أَرَادَ
 شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ وَإِنْ بَدَأَ مُحَالًا فِي نَظَرِ الْجُهْلَاءِ وَلَا يَقْنَطُ الْعَارِفُ
 وَلَا يَقْنَطُ مُؤْمِنًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ
 أَمْثَالَ الْجِبَالِ وَالرَّمَالِ وَلَا يُؤْمِنُ الْعَارِفُ مُسْتَقِيمًا مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا كَانَ
 الْعَمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ لِأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَأَنَّهُ لَهُ الْحُجَّةُ
 الْبَالِغَةُ وَأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ جَلٍّ وَعَلَا فَلَا تَغْفُلَ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ
 أَهْمَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ . قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْغُيُومُ ثَلَاثَةٌ غَمُّ الطَّاعَةِ أَنْ لَا تُقْبَلَ
 وَغَمُّ الْمَعْصِيَةِ أَنْ لَا تَغْفَرَ وَغَمُّ الْمَعْرِفَةِ أَنْ تُسَلَبَ .

عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى سَنَنِ السَّلَامَةِ وَالْحَلَاصِ
 وَمَا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ وَشَيْكَأً وَفَوْزًا يَوْمَ يُؤَخَذُ بِالتَّوَابِي
 فَلَيْسَ تَنَالُ عَفْوَ اللَّهِ إِلَّا بِتَطْهِيرِ النُّفُوسِ مِنَ الْمَعَاصِي
 وَبِرِّ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ رَفِيقٍ وَنُصْحِ لِلْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
 وَإِنْ تَشُدُّ يَدًا بِالْخَيْرِ تُفْلِحْ وَإِنْ تَعْدِلْ فَمَا لَكَ مِنْ مَنَاصِرِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
 وَنَبِّهْنَا لِأَعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
 تُؤَاخِذْنَا بِمَا أَنْطَوْتَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
 الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

١ - زَكَاةُ الْفِطْرِ وَمَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ فِي شَرْعِيَّتِهَا :

زَكَاةُ الْفِطْرِ وَاجِبَةٌ بِالْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ ، لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر في رَمَضَانَ على الناسِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أو صَاعاً مِنْ أَقِطٍ ، أو صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ على كلِّ حُرٍّ وَعَبْدٍ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ » متفق عليه .

وعنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بِزَكَاةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وعن أبي سعيد الخدري : كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أو صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أو صَاعاً مِنْ أَقِطٍ ، أو صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ . متفق عليه .

قال سعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُمَا اللهُ - في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ هُوَ زَكَاةُ الْفِطْرِ .

وأُضِيفَتْ هَذِهِ الزَّكَاةُ إِلَى الْفِطْرِ لِأَنَّهَا تَجِبُ بِالْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَهَذِهِ يُرَادُ بِهَا الصَّدَقَةُ عَنِ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ وَمَصْرُفُهَا كزَكَاةِ الْمَالِ لِغُومٍ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ . . . ﴾ الآية .

وَلَا يَمْنَعُ وُجُوبَهَا دَيْنٌ إِلَّا مَعَ طَلَبٍ ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ حُرٍّ وَعَبْدٍ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَضَّلَ لَهُ عَنِ قَوِيهِ ، وَمَنْ تَلَزَمَهُ مَوْتُهُ يَوْمَ الْعِيدِ وَكَلَيْتِهِ صَاعٌ لِأَنَّ النِّفْقَةَ أَهَمُّ فَيَجِبُ الْبِدَاءَةُ بِهَا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِبْدَأُ بِنَفْسِكَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي رواية : (. . . .) وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ (رواه الترمذي .

وَيُعْتَبَرُ كَوْنُ ذَلِكَ الصَّاعِ فَاضِلًا عَمَّا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ تَلَزَّمَهُ
مُؤُونَتُهُ مِنْ مَسْكِنٍ وَخَادِمٍ وَدَابَّةٍ وَثِيَابٍ بِذَلِكَ وَنَحْوِهِ ، وَكُتِبَ يَحْتَاجُهَا لِنَظَرِ
لِأَنَّ هَذِهِ حَوَائِجَ أَصْلِيَّةً يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كَالنَّفَقَةِ ، وَتَلَزَّمَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مَنْ
يَمُونُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَزَوْجَةٍ وَعَبْدٍ وَوَلَدٍ ، لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - « أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَقَةِ الْفَطْرِ عَنِ
الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِمَّنْ تَمُونُونَ » رَوَاهُ الدَّرَاقُطْنِيُّ .

فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ لِجَمِيعِهِمْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، فَزَوْجَتِهِ ، فَرَفِيقِهِ ، فَأَمِهِ ،
فَأَبِيهِ . فَوَلَدِهِ ، فَأَقْرَبَ فِي مِيرَاثٍ ، وَيُقْرَعُ مَعَ الْأَسْتِوَاءِ .
أَمَّا دَلِيلُ الْبَدَاءَةِ بِالنَّفْسِ فَلِحَدِيثِ « اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ بِمَنْ
تَعُولُ » .

وَأَمَّا الزَّوْجَةُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهَا فِي حَالِهِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ لِأَنَّهَا عَلَى
سَبِيلِ الْمَعَاوِضَةِ .

وَأَمَّا الرَّقِيقُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهِ مَعَ الْأَعْسَارِ بِخِلَافِ الْأَقَارِبِ لِأَنَّهَا صِلَةٌ
تَجِبُ مَعَ الْيَسَارِ دُونَ الْإِعْسَارِ .

وَأَمَّا الْأُمُّ فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ حِينَ قَالَ لَهُ :
« مَنْ أَبْرُؤُ؟ قَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ آقَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أُمَّكَ ،
قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أَبُوكَ » وَلِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَنِ الْكَسْبِ .

وَأَمَّا الْأَبُ فَلَمَّا سَبَقَ وَحَدِيثُ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبْنِكَ » .

وَأَمَّا الْوَلَدُ فَلِقُرْبِهِ وَوُجُوبِ نَفَقَتِهِ فِي الْجُمْلَةِ .

وأما الأقرب في الميراث فلأنه أولى من غيره كالميراث .

وَتُسْتَحَبُّ عَنِ الْجَنِينِ لِإِعْلَالِ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « يُعْجِبُهُمْ أَنْ يُعْطُوا زَكَاةَ الْفَطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ حَتَّى عَنْ الْحَمَلِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ .

وَلَا تَجِبُ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : « كُلُّ مَنْ نَحَفَظُ عَنْهُ لَا يُوجِبُهَا عَنِ الْجَنِينِ ، وَتَجِبُ عَلَى الْيَتِيمِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُ وَلِيُّهُ مِنْ مَالِهِ » .

وَلَا يَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةَ زَوْجَتِهِ نَائِزٍ وَقَتِ الْوُجُوبِ ، وَلَا تَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةَ مَنْ لَا تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهَا ، كَغَيْرِ الْمُدْخُولِ بِهَا إِذَا لَمْ تُسَلِّمْ إِلَيْهِ ، وَالصَّغِيرَةَ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ الْاِسْتِمْتَاعُ بِهَا .

وَمَنْ لَزِمَ غَيْرَهُ فِطْرَتَهُ كَالزَّوْجَةِ ، فَأَخْرَجَ عَنِ نَفْسِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ أَجْزَاءُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فصل في وقت وجوب صدقة الفطر ، والأفضل منه :

وَتَجِبُ زَكَاةُ الْفِطْرِ بِغُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ الْفِطْرِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ فَأَضَافَ الصَّدَقَةَ إِلَى الْفِطْرِ فَكَانَتْ وَاجِبَةً بِهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تَقْتَضِي الْأَخْتِصَاصَ .

وَأَوَّلُ فِطْرِ يَقَعُ مِنْ جَمِيعِ رَمَضَانَ بِمَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ لَيْلَةِ الْفِطْرِ ،

فَمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، أَوْ تَزَوَّجَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، فَلَا فِطْرَةَ وَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَسْلَمَ أَوْ تَزَوَّجَ ، أَوْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ، أَوْ مَلَكَ عَبْدًا ، أَوْ أُيَسَّرَ قَبْلَ الْغُرُوبِ وَجَبَتْ الْفِطْرَةُ لَوْجُودِ السَّبَبِ فَلَا عَيْتَارَ بِحَالِ الْوُجُوبِ .

وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ الْغُرُوبِ هُوَ ، أَوْ زَوْجَتَهُ ، أَوْ رَقِيقَهُ ، أَوْ قَرِيبَهُ وَنَحْوَهُ ، أَوْ أَعْسَرَ ، أَوْ أَبَانَ الزَّوْجَةَ ، أَوْ أَعْتَقَ الْعَبْدَ ، أَوْ بَاعَهُ أَوْ وَهَبَهُ لَمْ تَجِبِ الْفِطْرَةُ لِمَا تَقَدَّمَ .

وَلَا تَسْقُطُ الْفِطْرَةُ بَعْدَ وُجُوبِهَا بِمَوْتِ وَلَا غَيْرِهِ ، وَالْأَفْضَلُ إِخْرَاجُهَا يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، لِمَا فِي الْمَتَّقِي عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا ، وَفِي آخِرِهِ : « وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ » .
وَتُكْرَهُ بَعْدَهَا خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« اغْنَوْهُمْ عَنِ الطَّلَبِ فِي هَذَا الْيَوْمِ » . رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

فَإِذَا أَخْرَجَهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ لَمْ يَحْضُرِ الْإِغْنَاءُ لَهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ كُلِّهِ .

وَيَحْرُمُ تَأْخِيرُهَا عَنْ يَوْمِ الْعِيدِ مَعَ الْقُدْرَةِ ، لِأَنَّهُ تَأْخِيرٌ لِلْحَقِّ الْوَاجِبِ عَنْ وَقْتِهِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْسِمُهَا بَيْنَ مُسْتَحِقِّيهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ . فَذَلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِتَقْدِيمِهَا عَلَى الصَّلَاةِ لِلِاسْتِحْبَابِ .

وَيَقْضِيهَا مَنْ أَخْرَهَا لِأَنَّهُ حَقٌّ مَالِيٌّ وَجَبَ ، فَلَا يَسْقُطُ بِفَوَاتِ وَقْتِهِ
كَالَّذِينَ ، وَتُجْزَى قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - : « كَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وهذا إشارة إلى جميعهم فيكون إجماعاً ، ولأن ذلك لا يدخل
بالمقصود ، إذ الظاهر بقاؤها أو بعضها ، إلى يوم العيد .

وَمَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ فِطْرَةٌ غَيْرُهُ أَخْرَجَهَا مَعَ فِطْرَتِهِ مَكَانَ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهَا
طَهْرَةٌ لَهُ ، وَفِطْرَةٌ مِنْ بَعْضِهِ حَرٌّ وَبَعْضُهُ رَقِيقٌ ، وَفِطْرَةٌ قَنَّ مُشْتَرِكٌ ؛ وَفِطْرَةٌ
مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ وَارِثٍ أَوْ مُلْحَقٌ بِأَكْثَرِ مِنْ وَاحِدٍ تُقْسَطُ ، وَمَنْ عَجَزَ مِنْهُمْ لَمْ
يَلْزَمِ الْآخَرَ سِوَى قِسْطِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

(ف ص ل)

٣ - الْوَاجِبُ فِي الْفِطْرَةِ :

الوَاجِبُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ صَاعٌ بُرِّ ، أَوْ مِثْلُ مَكِيلِهِ مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ
زَبِيبٍ ، أَوْ أَقْطِ ، لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ
الْفِطْرِ ، إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ
صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ
أَقْطِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُجْزَى دَقِيقُ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ إِذَا كَانَ بِوَزْنِ الْحَبِّ ، نَصَّرَ عَلَيْهِ ،
وَاحْتَجَّ بِزِيَادَةِ تَقَرُّدِهَا بِهَا ابْنُ عُيَيْنَةَ : إِنْ أَحَدًا لَمْ يَذْكُرْهُ فِيهِ ، قَالَ : بَلْ هُوَ
فِيهِ . رَوَاهُ الدَّرَاقُطْنِيُّ .

قَالَ الْمَجْدُ : بَلْ هُوَ أَوْلَى بِالْأَجْزَاءِ لِأَنَّهُ كُفِيَ مُؤَوَّنَتَهُ كَثْرَتِ مَنَزْوَعِ

نَوَاهُ وَيُخْرَجُ مَعَ عَدَمِ ذَلِكَ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ حَبِّ يُقْتَاتِ كَدْرَةَ وَدُخْنَ
وَبَاقِلَاءَ لِأَنَّهُ أُشْبِهَ بِالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ أَوْلَى .

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ الْجَمَاعَةَ فِطْرَهُمْ لِوَاحِدٍ ، وَأَنْ يُعْطِيَ الْوَاحِدَ فِطْرَتَهُ
لِجَمَاعَةٍ .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ الْقِيَمَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ .

وَيَحْرُمُ عَلَى الشَّخْصِ شِرَاءَ زَكَاتِهِ وَصَدَقَتِهِ مِمَّنْ صَارَتْ إِلَيْهِ ،
لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « لَا تَشْتَرِهِ ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ، وَإِنْ
أَعْطَاكَ بِدَرَاهِمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْبِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَخَسْمًا لِمَادَّةِ اسْتِرْجَاعِ شَيْءٍ مِنْهَا حَيَاءً ، أَوْ طَعْمًا فِي مِثْلِهَا ، أَوْ
خَوْفًا أَنْ لَا يُعْطِيَهُ بَعْدُ ، فَإِنْ عَادَتْ إِلَيْهِ بَارِثٌ أَوْ وَصِيَّةٌ أَوْ هِبَةٌ أَوْ أَخَذَهَا
مِنْ دَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا مُوَاطَاةٍ طَابَتْ بِلَا كِرَاهَةٍ لِعَدَمِ الْمَانِعِ .
وَلِحَدِيثِ بَرِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُ
امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَجِبَ أُجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيَّ وَالنَّسَائِيَّ .

وَيُجْزِي إِخْرَاجُ صَاعٍ مَجْمُوعٍ مِنْ تَمْرٍ وَزَبِيبٍ وَبُرٍّ وَشَعِيرٍ وَأَقْطِ كَمَا
لَوْ كَانَ خَالِصًا مِنْ أَحَدِهَا .

وَلَا يُجْزِي مُخْتَلِطٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا لَا يُجْزِي .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ مَعِيْبٍ كَمُسُوسٍ ، وَمَبْلُولٍ ، وَقَدِيمٍ تَغْيِيرَ
طَعْمِهِ .

والأفضل تمر، ليفعل ابن عمر، قال نافع: وكان ابن عمر -
رضي الله عنهما - يعطي التمر إلا عاماً واحداً أعوز التمر فأعطى شعيراً
رواه أحمد والبخاري .

وقال له أبو مجلز: إن الله قد أوسع . والبر أفضل ، فقال إن
أصحابي سلكوا طريقاً ، فانا أحب أن أسلكه رواه أحمد واحتج به .

وظاهره أن جماعة الصحابة كانوا يخرجون التمر ، ولأنه قوت ،
وأقرب تناولاً وأقل كلفة ، ويليه في الأفضلية الزبيب لأن فيه قوتاً وحلاوة
وقلة كلفة ، ثم البر ، لأن القياس تقديمه على الكل ، لكن ترك اقتداء
بالصحابية في التمر وما شاركه في المعنى وهو الزبيب ، ثم الأنفع في
الاقبيات ودفع حاجة الفقير ، ثم شعيره ، ثم دقيق شعير ، ثم
سويقهما ، ثم أقط والأفضل أن لا ينقص معطى من فطرة عن مدبر أو
ينصف صاع من غيره ليغنيه عن السؤال في ذلك اليوم لقول النبي
صلى الله عليه وسلم :

« أغنوهم عن السؤال في ذلك اليوم » ويسن التكبير المطلق وهو
الذي لم يقيد بأدبار الصلوات والجهر به في ليلتي العيدين إلى فراغ
الخطبة لقوله تعالى : « ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم »
وعن علي رضي الله عنه أنه كان يكبر حتى يسمع أهل الطريق وصفة
التكبير ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر ، الله أكبر والله
الحمد ، وفي كل عشر ذي الحجة .

قال البخاري كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام

العَشْرُ يُكَبَّرَانِ وَيُكَبَّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا وَالتَّكْبِيرُ الْمُقِيدُ فِي الْأَضْحَى عَقِبَ كُلِّ فَرِيضَةٍ . صَلَّاهَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لِحَدِيثِ جَابِرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الصُّبْحَ يَوْمَ عَرَفَةَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَمَدَّ التَّكْبِيرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ بِمَعْنَاهُ إِلَّا الْمُحْرِمَ فَيُكَبَّرُ مِنْ صَلَاةِ ظَهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَقَفْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَتِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهِي الْمَصِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُولِي الْجِدِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّشْمِيرِ عِبَادَةِ اللَّهِ ، إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّجُلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بِالتَّمَامِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَطًا فِيهِ فَلْيُخَيَّمْهُ بِالْحُسْنَى ، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ ، وَيَأْدُرُوا رَجْمَكُمْ اللَّهُ أَوْقَاتَ شَهْرِكُمْ الْبَاقِيَةَ ، وَاسْتَذِرْكُوا

ما مضى منه بالحسرة والتدم ، واختيموه بالتوبة النصوح والرجوع الى صالح العمل .

عِبَادَ اللَّهِ ، كَمْ أَنَسَ صَلُّوا فِي هَذَا الشَّهْرِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ وَأَوْقَدُوا فِي الْمَسَاجِدِ طَلِبًا لِلْأَجْرِ الْمَصَابِيحِ ، وَنَسَّخُوا بِإِحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلٍ قَبِيحٍ ، وَقَبِلَ التَّمَامَ سَكَنُوا الضَّرِيحَ ، وَلَمْ يَنْفَعُهُمُ الْمَالُ وَالْأَمَالُ لَمَّا نُقِلُوا ، رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا قَدَمًا قَدَمًا وَنَقِصَ مَا بَنَوْهُ هَذَا هَذَا ، أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الْمُنُونُ رَحَامًا وَأَحَلَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي الثَّرَى فَمَحَاهَا .

وَهَذَا حَالُكَ عَنْ قَرِيبٍ فَتَيَقِّظْ يَا قَلِيلَ الرَّادِ ، وَحَادِي رَحِيهِ قَدْ حَادَى تَاهَبَ لِلتَّلْفِ وَتَهَيَّأَ لِلرَّدَى ، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصِّيَامِ وَوَدَّعَكَ ، وَسَارَتْ فِيهِ قَوَائِلُ الصَّالِحِينَ ، وَجَهَلُكَ مَنَعَكَ وَالتَّوْبِيخُ مُتَوَفِّرٌ ، فَمَا أَرْجَعَكَ وَلَا أَرْجَعَكَ وَأَنْتَ تُؤْمَلُ مَنَازِلَ الْعَامِلِينَ بِأَفْعَالِ الْغَافِلِينَ فَمَا أَطْمَعَكَ .

يَا مَنْ أَصْبَحَ سَاعِيًا إِلَى مَا يَضُرُّهُ سَتَعَلَّمُ مَنْ يَأْتِي غَدًا حَزِينًا مُتَنَدِّمًا ، كَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الْحِسَابُ وَالْعَرَضُ ، وَكَمْ مِنْ عَاصٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْأَرْضُ ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَقْبُولِ مِمَّا فَتَنَتْهُ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَطْرُودِ فَتَعَزَّيْهِ بِسُوءِ عَمَلِهِ ، فَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَيِّنْهَا لَكَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ وَإِحْسَانِهِ وَغُفْرَانِهِ وَامْتِنَانِهِ .

وَيَا أَيُّهَا الْمَطْرُودُ بِإِضْرَارِهِ ، وَطُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ وَغُفْلَتِهِ وَخُسْرَانِهِ وَتَمَادِيهِ فِي عِضْيَانِهِ ، لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَكَ وَخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ ، وَطَالَتْ نَدَامَتُكَ ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا تُشْبِهُهَا خُسَارَةٌ ، لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ حَرَسُوا

بالتقى أوقاتهم ، وتذرعوا دُرُوعَ المَرَاقِبَةِ في صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصِّدْقِ
والاخلاص في ذِكْرِهِمْ ، صَبَرُوا بِالْيَقِينِ عَلَى ظَمِّ الهَوَاجِرِ ، وَيَسْطُوا
أَقْدَامَهُمْ عَلَى سَاطِ الدِّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فِيهِ الْقُلُوبُ لَسَى الحَنَاجِرِ .

أَقْبَلُوا عَلَى خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إِقْبَالَ عَالِمٍ ، وَمَا سَلَكُوا إِلَّا الطَّرِيقَ السَّالِمَ
تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ القَدَائِمَ ، فَجَدَّدُوا التَّوْبَةَ بِصِدْقِ العَزَائِمِ ، وَعَدَّوْا التَّقْصِيرَ
مِنَ العِظَائِمِ ، وَبَدَّلُوا المَهْجَ الكِرَائِمَ ، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدُ وَقَائِمُ ، وَلَا
يَخَافُونَ فِي اللّهِ لَوْمَةً لَّا تَمُ ، أَيْنَ أَنْتَ وَهَمُّ ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كَالنَّائِمِ ؟
كَلَّا ، وَلَا المَقْفِرَ كَالصَّائِمِ .

قَالَ ابْنُ القَيْمِ رَحِمَهُ اللّهُ مَنْ أَرَادَ اللّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّلِّ
وَالانْكِسَارِ وَدَوَامِ اللُّجُوءِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى وَالانْفِتَارِ إِلَيْهِ وَرُؤْيَا عِيُوبِ نَفْسِهِ
وَجَهْلِهَا وَعَدْوَانِهَا وَمُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّهِ وَاحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ
وَحَمْدِهِ . فَالْعَارِفُ : سَاطِرٌ إِلَى اللّهِ تَعَالَى بَيْنَ هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ لَا يُمَكِّنُهُ
أَنْ يَسِيرَ إِلَّا بِهِمَا فَمَتَى فَاتَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَهُوَ كَالطَّيْرِ الَّذِي فَقَدَ أَحَدُ
جَنَاحَيْهِ .

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللّهُ العَارِفُ يَسِيرُ إِلَى اللّهِ بَيْنَ
مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النِّفْسِ وَالْعَمَلِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ سَيِّدُ
الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ اللّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ
وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ أَبُوءُ لَكَ
بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَجَمَعَ

في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُوؤُكَ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوؤُكَ بِذَنْبِي بَيْنَ
مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ .

فَمُشَاهَدَةُ الْمِنَّةِ تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ وَالْحَمْدَ وَالشُّكْرَ لِوَلِيِّ النُّعْمِ
وَالْإِحْسَانَ وَمُطَالَعَةُ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ تُوجِبُ لَهُ الذُّلَّ وَالْانْكِسَارَ
وَالْإِقْتَارَ وَالتَّوْبَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِلَّا مُفْلِسًا وَأَقْرَبُ بَابٍ
يَدْخُلُ مِنْهُ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ بَابُ الْإِفْلَاسِ فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَالًا
وَلَا مَقَامًا وَلَا سَبَبًا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا وَسِيلَةَ مِنْهُ يَمُنُّ بِهَا .

بَلْ يَدْخُلُ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ الْإِقْتَارِ الصَّرْفِ وَالْإِفْلَاسِ الْمُحْضِرِ
دُخُولَ مَنْ كَسَرَ الْفَقْرَ وَالْمَسْكِنَةَ قَلْبُهُ حَتَّى وَصَلَتْ تِلْكَ الْكَسْرَةَ إِلَى
سُوَيْدَائِهِ فَانْصَدَعَ وَشَمَلَتْهُ الْكَسْرَةُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ وَشَهِدَ ضَرُورَتَهُ إِلَى رَبِّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَكَمَالَ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ إِلَيْهِ وَأَنَّ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِهِ الظَّاهِرَةَ فَاقَةً
تَامَةً وَضَرُورَةً إِلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْهُ طَرْفَةً عَيْنٍ هَلَكَ
وَخَسِرَ خَسَارَةً لَا تُجْبَرُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَذَارَكَهُ بِرَحْمَتِهِ
انتهى .

شِعْرًا :

دَعِ الْبِكَاءَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذَّارِ
وَأذْكَرْ لِمَنْ بَانَ مِنْ خِجْلٍ وَمِنْ جَارِ
وَأَذِرِ الدُّمُوعَ نَجِيئًا وَابِكِ مِنْ أَسْفِ
عَلَى فِرَاقِ لَيْالِ ذَاتِ أَنْوَارِ

عَلَى لَيْالٍ لِشَهْرِ الصُّومِ مَا جُعِلَتْ
 إِلَّا لِتَمَجِّينِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
 يَا لَأَيْمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كَلْفًا
 وَاسْمَعْ غَرِيبَ أَحَادِيثِي وَأَنْجَبَارِي
 مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشُّمْلُ مُجْتَمِعٌ
 مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَائِتُ الْقَارِي
 وَفِي التَّرَاوِيحِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ
 فِيهَا الْمَصَابِيحُ تَزْمُو مِثْلَ أَزْهَارِي
 فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ
 حَقًّا عَلَى كُلِّ شَهْرٍ ذَاتِ أَسْرَارِ
 تَنْزِلُ الرُّوحُ وَالْأَمْلَاقُ قَاطِبَةً
 بِإِذْنِ رَبِّ غَفُورٍ خَالِقِ بَارِي
 شَهْرٍ بِهِ يُعْتِقُ اللَّهُ الْعُصَاةَ وَقَدْ
 أَشْفُوا عَلَى جُرْفٍ مِنْ خُطَّةِ النَّارِ
 نَرْجُوا الْإِلَهَ مُجِبِّ الْعَفْوِ يُعْتِقُنَا
 وَيَحْفَظُ الْكُلَّ مِنْ شَرِّ وَأَكْذَارِ
 وَيَشْمَلُ الْعَفْوُ وَالرِّضْوَانُ أَجْمَعَنَا
 بِفَضْلِكَ الْجَمُّ لَا تَهْتِكُ لِأَسْتَارِ
 فَأَبْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشُّهْرِ وَاعْتَبُوا
 مَا قَدْ بَقِيَ فَهُوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ جِزْبِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِيُخْدَمَتِكَ
وَجَعَلْتَهُمْ مِمَّنْ قَبِلْتَ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ وَأَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ٢ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حَمْلِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ .
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ .
- ٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ٥ - مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ عَظَمِ بَعْضِ السُّورِ .
- ٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التَّلَاوَةِ .
- ٧ - يَنْبَغِي الْخُشُوعُ وَالْخَشْيَةُ وَالْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .
- ٨ - مَا وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ وَالتَّرْهيبِ مِنْ نِسْيَانِهِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

يُسْتَحَبُّ حِفْظُ الْقُرْآنِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، وَالْإِكْتِثَارُ مِنْ تِلَاوَتِهِ كُلِّ وَقْتٍ
لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ وَأَجَلُّ الطَّاعَاتِ وَفِيهَا أَجْرٌ
عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَسِيمٌ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَلَا سِيَّما فِي شَهْرِ رَمَضَانَ قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى أَمِيراً رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَإِبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ : ﴿ وَآتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ .

وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً سِرّاً وَعَلَانِيَةً ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . رواه البخاري ، ومسلم .

٢ - ما جاء في فضل حمل القرآن :

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَتَّقُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ » رواه مسلم .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَؤْهُ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكَاً تَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَدَّ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أَوْكِيٍّ عَلَى مِسْكِ » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . رواه البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٍ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَهُوَ يَعْلَمُ النَّاسَ مِنْهُ » . رواه البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَعَشِيَّتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدِهِ » . أخرجه البخاري في صحيحه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال : بينما هو يقرأ سورة

البقرة وَفَرَسَهُ مَرْبُوطَةً عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتْ
الْفَرَسُ ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَأَنْصَرَفَ .

وكان ابنه يحيى قريباً منها فاشفق أن تُصيبه ، فلما أخذه رفع رأسه
إلى السماء حتى يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له : إقرأ يا ابن حُضَيْرِ إقرأ يا ابن حُضَيْرِ قال فاشفقْتُ يا رسول الله أن
تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فأنصرفت إليه فرفعت رأسي إلى
السماء فإذا مثل الظلَّةِ فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال :
« وَتَدْرُونَ مَا ذَاكَ قُلْتُ لَا قَالَ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ ذَنْتُ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ
لَأُصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى » .

فالعاقِلُ مِنْ يُكْثِرُ تِلَاوَتَهُ وَاسْتِدْكَارِهِ لِلْإِهْتِدَاءِ بِهِدْيِهِ وَالِاسْتِرْشَادِ
بِمَوَاعِظِهِ وَالِاعْتِبَارِ بِقَضَائِهِ وَالِالْتِقَاطِ مِنْ دُرَرِهِ وَحِكْمِهِ وَالِاسْتِضَاءِ بِنُورِهِ
كَيْفَ لَا وَهُوَ أَسَاسُ الْفَصَاحَةِ وَنُبُوغِ الْبَلَاغَةِ وَالْبَرَاعَةِ فَتَجِدُ الْخَطِيبَ
الْمُصْقِعَ وَالشَّاعِرَ الْبَلِغَ يَقْتَسِنَانِ مِنْ آيَاتِهِ وَيَسْتَمِدَّانِ مِنْ عُدُوبَةِ أَلْفَاظِهِ
وَمَعَانِيهِ مَا يُزَيِّنَانِ بِهِ كَلَامَهُمَا وَيُحَسِّنَانِ بِهِ مَقَامَهُمَا .

وَهُوَ أَسَاسُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ
وَالْمَسَائِلُ الْفَقْهِيَّةُ وَالْحَقُّ أَنَّهُ عِمَادُنَا فِي أَمْرِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا .

الْقُرْآنُ أَصْلُ أُصُولِ الدِّينِ قَاطِبَةً فَكُنْ هُدَيْتَ بِهِ يَا صَاحِرَ مُعْتَلِقًا

قال يحيى بن أكثم : كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر فدخل
في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال
فتكلم فأحسن الكلام والعبارة .

فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلي ؟ قال : نعم . قال :

أَسْلِمَ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَأَصْنَعُ وَوَعَدَهُ فَقَالَ : دِينِي وَدِينُ آبَائِي وَإِنْصَرَفَ .
قال : فلما كان بعد سنة جاء مُسْلِمًا فَتَكَلَّمَ عَلَى الْفِقْهِ فَأَحْسَنَ الْكَلَامَ
فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : أَلَسْتَ صَاحِبِنَا بِالْأَمْسِ ؟ قال :
بَلَى .

قال : فما كان سَبَبُ إِسْلَامِكَ ؟ قال : انصرفت من حضرتك
فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة
فكثبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني .
« المعنى ما بارت تصرقت وطافت ما حقت فيها ولا انتبه لتخريفها » .

وعمدت إلى الانجيل فكثبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت
وأدخلتها البيعة فاشتريت مني .

وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت
وأدخلتها الوراقين فتصفحوها .

فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن
هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي .

قال يحيى بن أكثم فحجبت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة
فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله قال قلت في أي
موضع ؟ قال : في قوله تعالى في التوراة والانجيل ﴿ بما استحفظوا من
كتاب الله ﴾ فجعل حفظه إليهم فضاع وقال عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فحفظه الله جل وعلا علينا فلم يضع .

وفقنا الله وجميع المسلمين للتمسك بكتابه والمسارة إلى امثال
أمره واجتناب نهيه والوقوف عند حده والتفكير في أمثاله ومعجزه والتبصر في
نور حكمه واغفر لنا ولوالدائنا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا قرأ ابنُ آدمَ السُّجْدَةَ فَسَجَدَ ، اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي ، وَيَقُولُ : يَا وَيْلَهُ ! » .

وفي رواية : « يَا وَيْلِي ! أَمَرَ ابْنَ آدَمَ بالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأَمَرْتُ بالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ » رواه مسلم وأبو داود .

وعن النُّوَاسِ بنِ سَمْعَانَ - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالقرآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدِمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالِ عِمْرَانَ » وَضَرَبَ لَهُمَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ « كَانَهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَوَانِ بَيْنَهُمَا شَرَقٌ ، أَوْ كَانَهُمَا فُرْقَانٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ : أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال قُلْتُ يَا رَسولَ اللهِ ، أَوْصِنِي ، قَالَ : « عَلَيكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ » ، قُلْتُ : يَا رَسولَ اللهِ زِدْنِي ، قَالَ : « عَلَيكَ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ » رواه ابن حبان .

وعن عبد الله بن عُمَرَ - رضيَ اللهُ عنهما - أن رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال : « مَنْ قرَأَ القرآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُؤْحَى إِلَيْهِ ، لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ القرآنِ أَنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجَدَ ، وَلَا يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهِلَ وَفِي جَوْفِهِ كَلَامُ اللهِ » رواه الحاكم .

وروى عن علي بن أبي طالب - رضيَ اللهُ عنهما - قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ قرَأَ القرآنَ فاستظَهَرَهُ ، فَاحْلُ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ادخلَهُ اللهُ الجَنَّةَ وَشَفَعَهُ في عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ قَدْ وَجِبَتْ لَهُمُ النَّارُ » رواه ابن ماجه والترمذي .

وعن أبي ذرٍّ - رضيَ اللهُ عنه - قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « يا أبا ذرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ العِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ » رواه ابن ماجه .

اللهم اهْدِنَا إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَوَقِّفْنَا لِلْفِقْهِ في دِينِكَ الْقَوِيمِ ، واجعلنا مِنَ العَامِلِينَ بِهِ قولاً ، وَفِعْلاً الدَّاعِينَ إِلَيْهِ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

مَا وَرَدَ في فَضْلِ القرآنِ وَتَفْهِمِهِ

يُسْتَحَبُّ التَّعَوُّذُ لِمَنْ أَرَادَ الشُّرُوعَ في القِرَاءَةِ بِأَنْ يَقُولَ « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ القرآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ

الشیطان الرجیم ﴿ .

وكان جماعه من السلف يقولون : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فان قطع القراءة قطع ترك على أن لا يعود قريباً إليها أعاد التعود الأول وإن تركه قبل القراءة فيتوجه أن يأتي بها ثم يقرأ لأن وقتها قبل القراءة للاستحباب فلا يسقط تركها إذا ولأن المعنى يقتضي ذلك .

فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه التدبر واليخذر أن يكون مثل بعض الهمج يقرأ القرآن وعيونه تجول فيما حوله من المخلوقات يتلاعب بالقرآن ولا يهتم له ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ ، وقال تعالى في معرض الإنكار ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ .

فالمؤمن العاقل المحب لله ورسوله تلاوة القرآن وتفهمه عنده ألد الأشياء وأنفعها لقلبه .

ولا يمل من تلاوته ولا يقنع بتلاوته دون أن يطلب فهم معاني ما أراد الله عز وجل من تعظيمه وتبجيله وتقديسه ومحبته وأمره ونهيه وإرشاده وآدابه ووَعْدِهِ ووَعِيدِهِ .

ويعلم أنه لا ينال منافع آخرته ولا الفوز بها والنجاة من هلكتها إلا باتباع القرآن الدال على كل نجاة والمُنْجِي له من كُلِّ هَلَكَةٍ .

قال الله جل وعلا « فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى » الآية أَنْزَلَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ لِيُعْرِفَهُمْ بِهِ نَفْسَهُ وَيُذَكِّرَهُمْ بِهِ أَيَادِيَهُ وَيُنَبِّهَهُمْ بِهِ مِنْ رَقَدَاتِ الْغَافِلِينَ .

وَيُحْيِي قُلُوبَهُمْ وَيُنَوِّرُ أَبْصَارَهُمْ وَيَشْفِي صُدُورَهُمْ وَيُرِيْلُ جَهْلَهَا وَيُنْفِي

شُكُوكَهَا وَدَنَسَهَا وَزَيَّفَهَا وَيُوضِحَ سَبِيلَ الْهُدَى وَيَكْشِفَ بِهِ الْعَمَى
وَالشُّبُهَاتِ .

وَيُزِيلَ نَوَازِعَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَ الصُّدُورِ وَيُغْنِي بِهِ مَنْ فِيهِمُ وَيُنْعِمَ بِهِ
مَنْ كَرَّرَ تِلَاوَتَهُ وَيَرْضَى بِهِ عَمَّنْ إِتْبَعَهُ .

هُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أُوقِفَهُ عَلَى
الرَّغَائِبِ وَسَلَّمَهُ مِنْ جَمِيعِ الْمَهَالِكِ وَخَفَّفَ عَنْهُ أَهْوَالَ يَوْمِ الْعَرْضِ
وَالنُّشُورِ . وَأُورِدَهُ رِيَاضَ جَنَاتِ النِّعَمِ .

هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا قَالَ اللَّهُ جَل
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ لِرَسُولِهِ ﷺ ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ عَطِبَ قَالَ جَل وَعَلَا ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنْ
لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ .

وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ فِيهِمُ نَطَقَ بِالْحُكْمِ ، وَجَرَى
عَلَى لِسَانِهِ بِحَسَنِ الْمَوْعِظَةِ ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ جَل وَعَلَا .

وَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا قَالَ فَقَدْ اسْتَعْنَى بِهِ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَعَزَّ بِهِ مِنْ كُلِّ ذُلٍّ .

لَا تَتَغَيَّرُ حَلَاوَتُهُ ، وَلَا تُخْلَقُ جِدَّتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ عَلَى كَثْرَةِ
التَّرْدَادِ وَالتَّكْرَارِ لِتِلَاوَتِهِ .

لَأَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَكُلُّ كَلَامٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهَا تَمَلُّ مِنْ كَثْرَةِ تَرْدَادِهَا .

أَمَّا الْقُرْآنُ وَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ كُلَّ مَا كَرَّرَهُ أَزْدَادَ رَغْبَةً

ونشاطاً ومحبّةً للكلامِ ولَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ عِنْدَنَا فِي فِطْرِنَا فَإِنَا نَسْمَعُ
الْكَلَامَ مِمَّنْ نُحِبُّ مِنَ الْخَلْقِ . وَمَنْ نُعَظِّمُ قَدْرَهُ فَتَرْتَاحُ لِذَلِكَ قَلْبُنَا .

فكيف بكلام ربنا رب العالمين الذي خلقنا ورزقنا وأعطانا وآوانا
وعافانا وهدانا .

وقد تكلم به حقيقة ، وأنزله على محمد ﷺ مع الأمين من ملائكته .
فالواجب علينا الاصغاء والتفهم لما يتلى من كلام ربنا جلّ وعلا
ونقدس .

وأنت تعلم أنه إذا كان للذي يُحَدِّثُكَ عِنْدَكَ قَدْرٌ أَصْغَيْتَ إِلَى حَدِيثِهِ
بِاسْتِجَاعٍ مَا يَقُولُ وَتَفْهَمُ مَعَانِي مَا يَصِفُ .

ولو كان يحكيه لك عن حاكمي لفعلت ذلك حبا منك لقائله وتعظيماً
للمتكلم به .

ولو أطلعته الله على قلبك وأنت غافلٌ مُتَشَاغِلٌ عَنْهُ لَا تُتْلِي لَهُ بِالْكَ
وَلَا تَفْهَمُ عَنْهُ قَوْلَهُ .

لأبغضك وعلم إنك مُسْتَهِينٌ بِهِ سَاهٍ عَنْ حَدِيثِهِ وَلَا تَهْتَمُّ بِهِ وَلَمْ تَعْبَأْ
بِفَهْمِ قَوْلِهِ لِقَلَّةِ قَدْرِهِ وَقَدْرِ حَدِيثِهِ عِنْدَكَ .

ولو كان له عندك قدرٌ لأصغيت لحديثه ولم تله عن تفهمه وإنما هوت
عن حديث من حدثك من الخلق لأنه غاب عنهم علم ضميرك .

ولو كان باديًا وظاهرًا لهم ما فيه لأحضرت عقلك إليهم وإلى كلامهم
وحديثهم ، ولم ترض لهم بالاستماع دون الفهم له ، ولا بالفهم له دون
تحببهم على قدر حديثهم .

لتعلمهم أنك قد فهمت عنهم ولم ترض لهم بالجواب دون أن
توافقهم فتعظم ما عظموا وتستحسن ما استحسنوا وتستبجح ما استبجحوا .

هَذَا وَأَكْثَرُ حَدِيثِهِمْ لَعْوٌ وَهُوَ وَلَيْسَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ وَلَا دُنْيَا وَلَا حَقٌّ لَهُمْ
يُؤَكِّدُوهُ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِمْ وَلَا يَرْضَوْنَ عَنكَ بِفَهْمِهِ وَلَا تُحِبُّ لَهُمْ أَنْ يَسْخَطُوا
عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تُكُنْ تَفْهَمُهُ وَتَقُومُ بِهِ .

فَكَيْفَ بِالرَّبِّ الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ الَّذِي سَهَّلَ لَكَ مُنَاجَاتَهُ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ
بِهِ لَعْوًا وَلَا قَالَ لَهُوًّا وَلِعَبًّا وَلَا عَبَثًا ، وَلَا خَاطَبَ بِهِ سَهْوًا وَلَا تَفَكُّهًا تَعَالَى اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

وَإِنَّمَا تَكَلَّمْ بِهِ مَخَاطِبُهُ قَصْدًا وَإِرَادَةً وَتَوَكِيدًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى خَلْقِهِ
إِعْذَارًا إِلَيْهِمْ وَأَنْذَارًا .

فَعَرَفْنَا بِهِ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَمَرْنَا بِمَا يَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيُقَرِّبُنَا مِنْهُ وَيُوجِبُ
لَنَا جَوَارَهُ وَالْقُرْبَ مِنْهُ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ .

وَيُوجِبُ لَنَا بِهِ إِنْ رَكِبْنَا مَا يُسْخِطُهُ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ فِي خُلُودِ الْأَبَدِ الَّذِي
لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا زَوَالَ وَلَا رَاحَةَ .

وَنَدَبْنَا فِيهِ إِلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَنَازِلِ الشَّرِيفَةِ وَقَدْ قَالَ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ إِنَّ مَا أَنْزَلَهُ مِنْ كَلَامِهِ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَمَا أَحَقُّ مَنْ غَفَلَ عَنْ فَهْمِ كِتَابِهِ أَنْ يَسْتَحِيَّ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَيَأْسَفَ عَلَى مَا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ وَمَرَضَ قَلْبِهِ وَهُوَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا سَقَمًا وَمَرَضًا
وَذَلِكَ لِقَلَّةِ مَبَالَتِهِ .

تَرَكَ طَلَبَ شِفَائِهِ بِمَا قَالَ اللَّهُ وَتَدَبَّرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ خَالِقُهُ وَمَوْلَاهُ وَقَدْ رَأَى
مَوْلَاهُ وَهُوَ يَعْتَنِي بِفَهْمِ كِتَابِ مَخْلُوقٍ وَحَدِيثِهِ .

وَلَيْسَ فِي كِتَابِ هَذَا الْمَخْلُوقِ وَحَدِيثِهِ إِيَّاهُ خُلُودُ الْأَبَدِ فِي النَّعِيمِ وَلَا
النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ .

بل ربِّنا أن فيه ما الاشتغال به ضررٌ عليه ، ومَسْخَطَةٌ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
أو لَعَلَّ فيه ما الاستِغناءُ بغيره أولى أو حاجةٌ لا قَدْرَ لها أو خبرٌ تافه .
أو حاجةٌ بكُلْفَةٍ لا يَأْمَلُ لها مُكَافَأَةٌ ولا يُحِثُّه على القِيامِ بها إلا خَوْفٌ
عَذْلِهِ وَلَوْمِهِ .

فكيفَ تكونُ حَالنا عند ربنا تبارك وتعالى وقد عَلِمَ مِنّا أَننا قَلِيلٌ
تَعْظِيمنا لَهُ .

وَنَحْنُ لَانِعْبًا بِفَهْمِ كَلَامِهِ وَتَدَبُّرِ قَوْلِهِ فِيما خاطبَ به كما نَعْبًا بِفَهْمِ
كُتُبِ عِبِيدِهِ وَحَدِيثِهِمُ الَّذِينَ لا يَمْلِكُونَ لَنَا ولا لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا ولا نَفْعًا ولا
مَوْتًا ولا حَيَاةً ولا نُشُورًا .

فَتَبَارَكَ مَنْ يَمْلِكُ ذلكُ كُلَّهُ إلى أن قال رحمه الله فغداً نَقْدُمُ على الله
عز وجل فَنَلْقَاهُ وَسائِلُنَا عن كتابه الذي أنزل إلينا مُحْاطِبًا لنا به وكيفَ فِهمنا
عنه وكيفَ عملنا به وهلْ أَجَلَلناهُ وَرَهَبناهُ وهلْ قُمنا بِحَقِّهِ الذي أَمَرنا بِهِ
وَجانبنا ما نهانا عنه .

ألم تَسْمِعْ مَسائِلَهُ الجن والانس جميعاً يومَ القِيامَةِ بِما أَقامَ عليهم به
الحجة في الدنيا مِن تلاوة آياته عليهم من رُسُلِهِ وأنه قَطَعَ بِذلك عُدْرَهُمُ
وأدْحَضَ به حُجَّتَهُمُ .

فقال جل وعلا يومَ العَرَضِ ﴿ يا مَعْشَرَ الجن والانس ألم يأتكم
رسلٌ منكم يَقُصُّونَ عليكم آياتي وينذرونكم لِقاءِ يومِ هذا ﴾ وقال جل وعلا
﴿ ألم تكن آياتي تُتلى عليكم ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فَصَلَّناهُ
على علمٍ هُدًى ورحمةً لقومٍ يُؤْمِنونَ ، هل يَنْظُرُونَ إلا تأويله يومَ يأتي تأويله
يقول الذين نسوه مِن قبلٍ قد جاءت رسلٌ ربنا بالحق فهل لنا مِن شفعاء
فيشفَعُوا لنا أو نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ قد خُسِرُوا أَنْفُسَهُمُ وَضَلَّ
عَنهم ما كانوا يَقْتَرُونَ ﴾ انتهى باختصار وتصرف يسير .

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال والاکرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رِغَدًا ، ولا تَشِمْتْ بنا أَحَدًا .

اللهم رَغْبًا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنَى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .
اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام ومللك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمننا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَنْ تَعَنُّوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

وَيُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُرْتَلَ قِرَاءَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .

وَبُتِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا تَنَعَتْ قِرَاءَةَ مُفَسَّرَةٍ حَرْفًا حَرْفًا . رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله

ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنَزَلَكَ
عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا » . رواه أحمد ، والترمذي وأبو داود والنسائي .

وعن قتادة قال : سُئِلَ أَنَسُ ، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : كَانَتْ مَدًّا مَدًّا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
يَمُدُّ بِـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ . رواه
البخاري .

وعن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل ، قال : رَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرْجِعُ فِي قِرَاءَتِهِ ، رواه
البخاري ومسلم .

وقد رَوَى أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً بِآيَةِ
يُرِيدُهَا : ﴿ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ ﴾ وَقَامَ يَمِيمٌ الدَّارِي بِآيَةِ ﴿ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ إِنِّي لِأَقِيمُ فِي الْآيَةِ أَرْبَعَ لَيَالٍ
أَوْ خَمْسَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ نَهَارًا غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَنْ
خَتَمَهُ لَيْلًا غُفِرَ لَهُ تِلْكَ اللَّيْلَ وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصْرِفٍ قَالَ : مَنْ خَتَمَ
الْقُرْآنَ فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمِيسِيَ أَوْ
أَيِّ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهْلَتَهُمْ
لِحُدُومَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ مِمَّنْ قَبِلْتَ أَعْمَالَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

قال ابن القيم رحمه الله : عَشْرَةٌ أَشْيَاءُ ضَائِعَةٌ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا عِلْمٌ لَا
يَعْمَلُ بِهِ وَعَمَلٌ لَا إِخْلَاصَ فِيهِ وَلَا اقْتِدَاءً فِيهِ بَكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ

فإنه لا يُوقَّقُ لهما إذا لم يُخْلِصِ العَمَلَ وَمَالَ لا يُنْفِقُ مِنْهُ فلا يَسْتَمْتِعُ بِهِ جَامِعُهُ
 فِي الدُّنْيَا وَلَا يُقَدِّمُهُ أَمَامَهُ لِأَخْرَجَتْهُ وَقَلْبٌ فَارِغٌ مِنْ حُبِّهِ اللَّهِ وَالشُّوقُ إِلَى لِقَائِهِ
 وَالْأَنْسُ بِهِ وَبَدَنٌ مُعْطَلٌ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَخِدْمَتِهِ وَحُبُّهُ لَا تَتَّقِدُ بِرِضَا
 الْمَحْبُوبِ وَامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ .

وَوَقْتُ مُعْطَلٌ مِنْ اسْتِدْرَاكِ فَارِطٍ وَاعْتِنَامٍ بِرِ وَقُرْبَةٍ ، وَفِكْرٌ يَجُولُ فِيهَا
 لَا يَنْفَعُ وَخِدْمَةٌ مَنْ لَا يُقَرِّبُكَ خِدْمَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَعُودُ عَلَيْكَ بِصَلَاحِ دُنْيَاكَ
 وَخَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ مِمَّنْ نَاصِيَتُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَهُوَ أَسِيرٌ فِي قَبْضَتِهِ وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ
 نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا .

وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْإِضَاعَاتِ إِضَاعَةُ الْقَلْبِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ فِإِضَاعَةُ
 الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ مِنْ إِثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ مِنْ طُولِ
 الْأَمَلِ فَاجْتَمَعَ الْفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى وَطُولِ الْأَمَلِ وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ فِي
 اتِّبَاعِ الْهُدَى وَالْإِسْتِعْدَادِ لِلْقَاءِ اللَّهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ لِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ أَمْرٌ أَمْرُهُ بِهِ وَقَضَاءٌ يَقْضِيهِ عَلَيْهِ وَنِعْمٌ
 يُنْعَمُ بِهَا عَلَيْهِ فَلَا يَنْفَكُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَالْقَضَاءُ نَوْعَانِ إِمَّا مَصَائِبٌ وَإِمَّا
 مَعَائِبٌ وَلَهُ عَلَيْهِ عُبُودِيَّةٌ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنْ عَرَفَ
 عُبُودِيَّتَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا وَوَفَّاهَا حَقَّهَا فَهَذَا أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَبْعَدُهُمْ
 مِنْهُ مَنْ جَهَلَ عُبُودِيَّتَهُ فَعَطَّلَهَا عِلْمًا وَعَمَلًا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٥ - ما وَرَدَ فِي عِظَمِ فَضْلِ بَعْضِ السُّورِ :

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ :
« أَيْعَجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالُوا وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ
قال ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعَدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » رواه مسلم .

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « لِمَ
يَقْفَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ » رواه الترمذي وأبو داود والدرامي .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : « أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ » قَالُوا وَمَنْ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « أَمَّا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ
الْهَآكِمَ التَّكَاثُرَ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ
فِي لَيْلَةٍ . . . » الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ « لَا تَشْرُوهُ نَشْرَ الرَّمْلِ
وَلَا تَهْدُوهُ هَذَا الشَّعْرَ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُنْ هُمْ
أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ » رَوَاهُ الْبَغْوِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « لِأَنَّ أَقْرَأَ سُورَةَ أُرْتِلَهَا
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ » وَقَدْ نَهَى عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي الْإِسْرَاعِ وَيُسَمَّى

« الْهُدْرَمَةَ » ، فَثَبَّتَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ :
 أَقْرَأُ الْمَفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : كَهَذَا الشُّعْرُ ، إِنَّ قَوْمًا
 يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ نَفَعٌ « رَوَاهُ
 الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ
 عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَالْقَى سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ حُضُورًا مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ يَتَكَلَّمُ
 بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنْ تَمَامَ
 التَّأثيرَ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضِيٍّ وَمَحَلِّ قَابِلٍ وَشَرَطَ لِحُصُولِ الأثرِ انْتِفَاءُ
 المانعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ : تَضَمَّنَتِ الآيَةُ بَيَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجِزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ عَلَى
 المَرَادِ .

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ : وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَفْضَلَ القِرَاءَةِ وَالدُّكْرِ
 وَالدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الرَّجُلِ فَالقِرَاءَةُ بِتَدْبِيرٍ
 أَفْضَلُ مِنَ القِرَاءَةِ بِلا تَدْبِيرٍ وَالصَّلَاةُ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ أَفْضَلُ مِنَ
 الصَّلَاةِ بِدُونِ ذَلِكَ .

٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التَّلَاوَةِ :

يُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ ، لِأَنَّ تَحْسِينَ
 الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ مُعِينٌ عَلَى حُضُورِ الْقَلْبِ وَخُشُوعِهِ وَبَاعِثٌ عَلَى حُسْنِ
 الاسْتِمَاعِ وَالاَضْغَاءِ إِلَى الْقُرْآنِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 « لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَمَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ
 وَيَجْهَرُ بِهِ » متفق عليه .

قال جمهور العلماء : معني (لم يتغن) ، أي لم يحسن صوته . وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدرامي .

وعنه أيضا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » رواه الدرامي .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري - رضي الله تعالى عنه - قال رسول الله ﷺ لأبي موسى : « لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » ، قال العلماء المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن .

اللهم قابل سيئاتنا بأحسانك ، واستر خطيئتنا بغفرانك وأذهب ظلمة ظلمنا بنور رضوانك ، واقهر عدونا بعز سلطانك ، فما تعودنا منك إلا الجميل ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

٧ - ينبغي الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كتاب الله تعالى :

ويستحب البكاء عند تلاوة القرآن ، وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين ، قال الله تعالى في وصف الخاشعين من عباده عند تلاوة كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ سورة الإسراء .

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ الْمُكَرَّمِينَ وَخَوَاصَّ الْمُرْسَلِينَ ، وَذَكَرَ فَضَائِلَهُمْ وَمَرَاتِبَهُمْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ (خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَثَارٌ لِلْسَّلَفِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا » وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِقْرَأْ عَلَيَّ » قُلْتُ : أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟! قَالَ : « فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » فَقَرَأْتُ مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قَالَ : « حَسْبُكَ الْآنَ » ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَاذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمُرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ ، أَخْرَجَهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَةَ وَصَحَّحَهُ ابْنُ جِبَانَ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ الصَّلَاةُ ، فَقَالَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ، قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَفِيقٌ إِذَا قَرَأَ غَلِبَهُ الْبُكَاءُ ، قَالَ « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عُمَرَ - رضي الله عنه - أَنَّهُ صَلَّى بِالْجَمَاعَةِ الصُّبْحَ ، فَقَرَأَ
سُورَةَ يُوسُفَ فَبَكَى حَتَّى سَأَلَتْ دُمُوعُهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ كَانَ فِي صَلَاةِ
العِشَاءِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ بَكَى حَتَّى سَمِعُوا بُكَاءَهُ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ .
وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالنَّاسِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى فَلَمَّا
بَلَغَ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظِي حَنَقَتُهُ الْعَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَرَجَعَ حَتَّى
إِذَا بَلَغَهَا حَنَقَتُهُ الْعَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَقَرَأَ سُورَةَ غَيْرَهَا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَالُ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ
الْمُنْدَرِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى التَّمِيمِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنْ مَنْ أُوْتِيَ مِنَ
العِلْمِ مَا لَا يُبَكِّئُهُ لِخَلْقٍ أَنْ قَدْ أُوْتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
نَعَتَ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالَ : « وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ
الحديث رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ
عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرِسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رواه
الترمذي .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ
عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ ، أَوْ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ أَنِّي
أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ » أَوْ يَقُولُ : « أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ » أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ .

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهِ نَزَّهَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » أَوْ « تَبَارَكَ
وَتَعَالَى » أَوْ « جَلَّتْ عَظَمَةُ رَبِّنَا » ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رضي
الله عنه - أَنَّهُ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ

فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مر فيها بتسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع . رواه مسلم . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا تَعْظِيمَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَذَلِكَ مِنْ أَسْوَءِ الْأَعْمَالِ فَمَنْ اسْتَحْفَظَ بَكِتَابِ اللَّهِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَحْفَظَ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخُسْرَانِ عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ نَجِدُ الْكُتُبَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ مُلَقَاتٍ مَعَ الْقَمَائِمِ وَفِي الْحَفْرِ الْقَدِيرَةِ تُدَاسُ بِالنُّعَالِ وَتُلَوَّثُ بِالْأَقْدَارِ تُلَوَّثُ تَلَوِثًا تَسْتَعْيِثُ مِنْهُ الْعَوَاطِفُ الْإِيمَانِيَّةُ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِمَاذَا لَا تُصَانُ وَتُرْفَعُ أَوْ تُقْبَرُ فِي مَحَلِّ طَاهِرٍ .

قُولُوا لِمَنْ يُلْقِيهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهِمْ مِنَ الْقَائِلِهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ حَالَةُ وَاللَّهِ تَوَلَّمُ النَّفُوسَ وَتُشْمِتُ بِنَا الْأَعْدَاءِ قُولُوا لَهُمْ كَيْفَ تَسْمَحُ نَفُوسُكُمْ تَلْقُونَهَا هَذَا الْأَلْقَاءِ الْحَقِيرَ وَكَذَلِكَ كُتُبُ فِقْهِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا آيَاتٌ وَلَا أَحَادِيثٌ يَنْبَغِي احْتِرَامُهَا وَرَفْعُهَا .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي جُمِعَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ بِهَا مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ صُورَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَ الْآيَةِ خُصُوصًا إِذَا أَطْبِقَ الْكِتَابُ وَهَذَا وَاللَّهُ اسْتِهَانَةٌ عَظِيمَةٌ وَاسْتِحْفَافٌ بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ لَا يَجُوزُ السَّكُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُزْرِيَّةِ .

وَمَا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدَمُ وَضْعِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي
الْجَرَائِدِ بَلْ يَشَارُ إِلَى مَحَلَّاتِهَا وَأَرْقَامِهَا لِأَنَّ الْجَرَائِدَ صَارَتْ قِسْمَ كَبِيرٍ مِنْ
قُمَّامَةِ الْمَحَلَّاتِ وَفِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَذِهِ حَالَةٌ مُخِيفَةٌ إِنْ دَامَتْ مَعَ
مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِيِ الَّتِي مَلَأَتِ الْبُرُ وَالْبَحْرَ يُخْشَى أَنْ
تُحِيطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّينَا مِنْ عُقُوبَتِهَا وَأَنْ يُوقِضَ وَلَا تَنَا وَيُنَبِّهَهُمْ لِإِزَالَتِهَا
وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهَا إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَرَى مَخْلِصًا لِلنَّاسِ الَّذِي
قَدْ ابْتُلِيَ بِشِرَاءِ الْجَرِيدَةِ حَمَالَةً الْكَذِبِ قِتَالَةَ الْوَقْتِ إِلَّا أَنَّهُ يُحْرِقُهَا مِنْ
جِوْنٍ يَخْلُصُ مِنْ قِرَاءَتِهَا لِيَسْلَمَ مِنْ بَاقِي سُورِهَا وَأَوْزَارِهَا .

وَسَوْفَ يُنَاقِشُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي ضَيَعَهُ فِيهَا وَالْمَالُ
الَّذِي أَنْفَقَهُ فِيهَا وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا مَنْ
الاسْتِهَانَةَ وَالْإِمْتِهَانَ وَخَرَجَ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمَحَلِّ الَّتِي وَضَعَهَا فِيهِ إِذَا كَانَ
فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا :

أَلَا إِرْعَوَاءَ لِمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ
عِنْدَ الْمَذَائِبِ وَالتَّلْفَازِ وَالطَّرِبِ
مُضِيْعًا فِيهَا عُمْرًا مَا لَهُ عِوَضُ
إِذَا تَصَرَّمَ وَقْتُ مِنْهُ لَمْ يَوْبِ

أَيَحْسِبُ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصَرَّمَهُ
 هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحَقْبِ
 أَمْ يَحْسِبُ الْعُمَرَ مَا وَلَّتْ أَوَائِلُهُ
 يُنَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعُمْرِ بِالذَّهَبِ
 فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفَوْتِ مُغْتَنِمًا
 مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ
 وَأَحْرِضْ وَبَادِرْ إِذَا مَا أُمَكَّنْتَ فُرْصُ
 فِي كَسْبِ مَا تُحَمَّدُنْ عُقْبَاهُ عَنْ رَغْبِ
 مِنْ نَفْعِ ذِي فَاقِهِ أَوْ غَوْتِ ذِي لَهْفِ
 أَوْ فِعْلِ بِرٍّ وَإِصْلَاحِ لِنَدِي شَغْبِ
 فَالْعُمُرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْوَقْتُ مُغْتَنَّمٌ
 وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فَاجْهَدْ بِهِ تُصَبِّ
 فَاعْمَلْ بِقَوْلِي وَلَا تَجْنَحْ إِلَى فِئَمِ
 مُخَادِعِ مُدَّعٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 يَرَى السَّعَادَةَ فِي كَسْبِ الْحُطَامِ وَلَوْ
 حَوَاهُ مَعَ نَصَبٍ مِنْ سُوءِ مُكْتَسَبِ
 فَالرَّأْيُ مَا قَلْتُهُ فَاعْمَلْ بِهِ عَجَلًا
 وَلَا تُصَيِّخْ نَحْوَ فِئَمٍ غَيْرِ ذِي حَدَبِ
 فَعَفْلَةُ الْمَرْءِ مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
 عَنْ وَاضِحٍ بَيْنٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ، وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ
 وَاجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال محمد بن الحسين ، يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ
مَنْ لَمْ يَحْمِلْهُ .

وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ .
وَمَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَاتِهِ ﴾ ، قِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ
الْعَمَلِ ﴿ .

وَمَنْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ
الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَانِ » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

وقال بشر بن الحارث الزاهد المعروف سمعت عيسى بن يونس يقول
إذا ختم العبد القرآن قبل الملك بين عينيه .

فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ الْمَوْفِقِ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ كَلَامَ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ رَبِّعًا
لِقَلْبِهِ ، يَعْمُرُهُ بِمَا خَرَّبَ مِنْ قَلْبِهِ ، يَجْرِصُ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى تِلَاوَتِهِ
وَتَفْهَمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ .

فَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِ ، وَيَتَحَلَّقُ بِأَخْلَاقِ شَرِيفَةٍ ، يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ
مَنْ لَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ .

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ
فِي مَطْعَمِهِ ، وَمَشْرَبِهِ ، وَمَلْبَسِهِ ، وَمَسْكِنِهِ ، وَمُعَامَلَتِهِ ، وَبَيْعِهِ ، وَشِرَائِهِ .

وَأَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ ، فَيَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ ، مُقْبِلًا عَلَى
شَأْنِهِ مُهْتَمًّا بِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ ، حَافِظًا لِللِّسَانِ ، مُمَيِّزًا لِكَلَامِهِ .

إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَى الْكَلَامَ صَوَابًا يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا
يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ قَالَ ﷺ « مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتِهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ

له الجنة » .

وقال ﷺ « مَنْ وَقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذَبِهِ وَلَقَلِقَهُ فَقَدْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ »
أخرجه الديلمي من حديث أنس رضي الله عنه .

القَبْقَبُ البطن ، والذَبَذَبُ الفرج ، واللَّقَلَقُ اللِّسَانُ .
وَأَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الضَّحِكِ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ النَّاسُ لِسُوءِ عَاقِبَةِ
الضَّحِكِ ، فَإِنْ سُرَّ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ .

وَيَتَجَنَّبُ كَثْرَةَ الْمِزَاحِ « لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ لِلْعِدَاوَةِ مِفْتَاحٌ » فَإِنَّ مَزَحَ قَالَ « حَقًّا ،
بِاسِطِ الْوَجْهِ طَيِّبِ الْكَلَامِ لَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِهَا فِيهِ فَكَيْفَ بِهَا لَيْسَ فِيهِ » .

وَمَا حَسَنٌ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ أَخْلَاقًا تَدُمُّ وَتَمْدَحُ
آخِرُ : « وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ تُطْفِئُ نُورَ بَهْجَتِهِ هَذَا بِحَقِّ فَكَيْفَ الْمُدَّعِي زَلَلًا »
وَأَنْ يَحْذَرَ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسَخِّطُ مَوْلَاهُ .

وَلَا يَغْتَابُ أَحَدًا ، وَلَا يَحْقِرُ أَحَدًا ، وَلَا يَسُبُّ أَحَدًا ، وَلَا يَشْمُتُ
بِمُصِيبَةٍ ، وَلَا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَحْسِدُ أَحَدًا ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ إِلَّا بِمَنْ
يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ .

وَيَجْعَلُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ فِيهِمَا دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ،
وَأَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحَوَارِجِهِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

إِنْ مَشَى بِعِلْمٍ وَإِنْ قَعَدَ بِعِلْمٍ حَافِظًا لِللِّسَانِ وَيَدُهُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ ، وَلَا
يَجْهَلُ فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلْمٌ .

وَلَا يَظْلِمُ وَإِنْ ظَلَمَ عَفَا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ وَلَا
يَبْغِي وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيَرْضَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَيَغِيظُ عَدُوَّهُ
الَّذِي لَا يَأْلُو جُهْدًا فِي السَّعْيِ فِي هَلَاكِهِ » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ
تَكْفِينَا مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ ، وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَانَنَا ، وَأَنْ تَغْفِرَ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال رحمه الله وأن يكون « أي من علمه الله القرآن وفضله على غيره
من لم يحمله » متواضعا في نفسه إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير
يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين .

ماقت للكبر خائف على نفسه منه ، لا يتأكل بالقرآن ولا يحب أن يقضي
به الحوائج .

ولا يسعى إلى أبناء الملوك ، ولا يجالس به الأغنياء ليكرموه .
إن كسب الناس من الدنيا الكثير بلا فقه ولا بصيرة كسب هو القليل
بفقه وعلم .

إن لبس الناس اللين الفاخر ليس هو من الحلال ما يستر به عورته ،
إن وسع عليه وسع ، وإن أمسك عليه أمسك .

يقنع بالقليل فيكفيه ، ويحذر على نفسه من الدنيا ما يطغيه ، يتبع
واجبات القرآن والسنة .

يأكل الطعام بعلم ، ويشرب بعلم ، ويلبس بعلم ، ويجمع أهله
بعلم ، ويضطجب الإخوان بعلم ، ويؤزرهم بعلم ، ويستأذن عليهم
بعلم ، ويسلم عليهم بعلم ، ويجاور جاره بعلم .

يلزم نفسه بر والديه فيخفف لهما جناحه ، ويخفف لصوتها صوته ،
ويبدل لهما ماله ، وينظر إليهما بعين الرحمة والوقار ، يدعو لهما بالرحمة والبقاء
ويشكر لهما عند الكبر ، ولا يضجر منها ، ولا يحقرهما .

إن استعانا به على معصية لم يطعها لقوله ﷺ « لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق » .

وإن استعانا به على طاعة الله أعانها ويرفق بهما في معصيته إياهما حيث
لم يعنهما على المعصية .

وَيَكُونُ ذَلِكَ بِحُسْنِ الْأَدَبِ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحٍ مَا أَرَادَ مِمَّا لَا يَحْسُنُ بِهِمَا
فِعْلُهُ .

وَيَصِلُ رَحْمَهُ ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ ، وَمَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ
فِيهِ أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ ، وَمَنْ
صَحِبَهُ نَفَعَهُ .

حَسَنُ الْمَجَالِسَةِ لِمَنْ جَالَسَ ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ ، وَلَا يُعْنَفُ مَنْ
أَخْطَأَ وَلَا يُجْجَلُهُ .

رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ ، وَيَفْرَحُ بِهِ
الْمَجَالِسُ ، مُجَالَسَتُهُ تَفِيدُ خَيْرًا .

مُؤَدَّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَابِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ ، فَالْقُرْآنُ
وَالسُّنَّةُ مُؤَدِّبَانِ لَهُ .

يُحْزَنُ بِعِلْمٍ وَيَبْكِي بِعِلْمٍ ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ ، وَيَحْجُ
بِعِلْمٍ ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ .

وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ ، وَيَبْسِطُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمٍ ، وَيَنْقَبِضُ
عنها بِعِلْمٍ .

قَدْ أَدَبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يَرْضَى مِنْ
نَفْسِهِ أَنْ يُوَدِّيَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِجَهْلٍ .

قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ
وَعَقْلِ .

هَمَّتْهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا الزَّمَهُ اللَّهُ مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى .
لَيْسَ هَمَّتْهُ مَتَى أُخْتِمَ السُّورَةُ ، هَمَّتْهُ مَتَى أَسْتَعْنِيَ بِاللَّهِ عَنْ غَيْرِهِ ، مَتَى
أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .

مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ
الْخَاشِعِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ .

مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ
 الرَّاجِينَ ، مَتَى أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، مَتَى أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ .
 مَتَى أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ ، مَتَى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةَ ، مَتَى أَشْكُرُ اللَّهَ
 عَلَيْهَا ، مَتَى أَحْفَظُ لِسَانِي .
 مَتَى أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، مَتَى أَسْتَعِزُّ بِعَيْبِي ، مَتَى أُصْلِحُ مَا
 فَسَدَ مِنْ أَمْرِي ، مَتَى أَحَاسِبُ نَفْسِي .
 مَتَى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي ، مَتَى أَكُونُ عَنِ اللَّهِ رَاضِيًا ، مَتَى أَكُونُ بِلِقَائِهِ
 وَاثِقًا ، مَتَى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَعِضًا ، مَتَى أَنْصَحُ لِلَّهِ .

مَتَى أَخْلِصُ لَهُ عَمَلِي ، مَتَى أَقْصِرُ أَمَلِي ، مَتَى أَتَاهَبُ لِيَوْمِ مَوْتِي وَقَدْ
 غُيِبَ عَنِّي أَجَلِي .
 مَتَى أَعْمُرُ قَبْرِي ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي خَلْقِي

مَعَ رَبِّي .
 مَتَى أَحْذَرُ مَا حَذَرَنِي مِنْهُ رَبِّي مِنْ نَارٍ حَرَّتْهَا شِدِيدٌ وَقَعَرَهَا بَعِيدٌ لَا يَمُوتُ
 أَهْلُهَا فَيَسْتَرْجِحُوا وَلَا تَقَالُ عَثْرَتُهُمْ ، وَلَا تُرْحَمُ عَثْرَتُهُمْ .

طَعَامُهُمُ الزَّقُومُ وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ
 الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَلِمًا نَضَجَتْ
 جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاكُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ الْآيَةَ .

نَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَعَضُّوا عَلَى الْأَيْدِي أَسْفًا عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي
 طَاعَةِ اللَّهِ وَرُكُوبِهِمْ لِمَعَاصِي اللَّهِ .

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » ، وَقَالَ قَائِلٌ « رَبِّ أَرْجِعُونِي
 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » .

وقال قائل « يا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ » .
 وقال قائل « يا وَبَلَّتْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
 أَحْصَاهَا » .

وقال قائل « يا وَبَلَّتِي لَيْتَنِي لَمْ أُتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا » .

شعرا :

أَمَّا سَمِعْتَ بِأَكْبَادِ هُمْ صَعَدَتْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَانْحَطَّتْ إِلَى النَّارِ
 أَمَّا سَمِعْتَ بِضَيْقِ فِي مَكَانِهِمْوَا وَلَا فِرَارَ لَهُمْ مِنْ صَالِي النَّارِ
 أَمَّا سَمِعْتَ بِحَيَاتٍ تَدْبُّ بِهَا إِلَيْهِمْوَا خُلِقَتْ مِنْ مَارِجِ النَّارِ
 فِيَا إلهِي بِأَحْكَامٍ وَمَا سَبَقَتْ بِهِ قَدِيمًا مِنَ الْجَنَاتِ وَالنَّارِ
 أَدْعُوكَ أَنْ تُحْمِيَ الْعَبْدَ الضَّعِيفَ فَمَا لِلْعَبْدِ مِنْ جَسَدٍ يَقْوَى عَلَى النَّارِ
 وَالشَّمْسُ مَا لِي عَلَيْهَا قَطُّ مِنْ جَلْدٍ فَكَيْفَ يَصْبِرُ ذُو ضَعْفٍ عَلَى النَّارِ

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعُنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَأَعْمَلِنَا
 وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال رحمه الله تعالى فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَلِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مِنْ
 أَخْلَاقِهِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ مَضِيعًا لِحُدُودِهِ ، مُتَعَطِّيًا فِي نَفْسِهِ
 مُتَكَبِّرًا عَلَى غَيْرِهِ .

قَدْ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بَضَاعَةً يَتَاكَلُ بِهِ الْأَغْنِيَاءُ ، وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ ،
 يُعْظِمُ أُنْبَاءَ الدُّنْيَا ، وَيُحَقِّرُ الْفُقَرَاءَ .

إِنَّ عِلْمَ الْغَنِيِّ رَفَقَ بِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاةِ ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ زَجَرَهُ وَعَنْفَهُ لِأَنَّهُ
 لَا دُنْيَا لَهُ يَطْمَعُ فِيهَا .

يَسْتَخْدِمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ ، وَيَتِيَهُ بِهِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ أَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمَلُوكِ وَيُصَلِّيَ بِهِمْ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ .
 وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصَّلَاةَ بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِقَلَّةِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ ،
 وَإِنَّمَا طَلَبُهُ الدُّنْيَا حَيْثُ كَانَتْ رِيضَ عِنْدَهَا .
 يَفْخَرُ عَلَى النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَمَحْتَجٌّ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا
 مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ .

فَقَرَأَهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا كَثِيرَ الْكَلَامِ يَعْيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ .
 وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ ، مُتَكَبِّرًا فِي جَلْسَتِهِ ، مُتَعَاظِمًا
 فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ ، كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالخَوْضِ
 فِيهَا لَا يَعْنِيهِ .

يَسْتَعْلِفُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثٍ مَنْ جَالَسَهُ .
 هُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَضْعَى مِنْهُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ
 أَنْ يَسْتَمَعَ لَهُ .

يُورِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ حَافِظًا فَهُوَ إِلَى كَلَامِ النَّاسِ أَشْهَى مِنْهُ إِلَى كَلَامِ
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَا يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ ، وَلَا يَبْكِي وَلَا يَحْزَنُ وَلَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ
 فِيهَا يُتَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ نَدَبَ إِلَى ذَلِكَ .

رَاغِبٌ فِي الدُّنْيَا وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَى إِنْ قَصَرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ
 قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ لَا يَقْصُرُ فِي حُقُوقِهِمْ وَأَهْلُ الْقُرْآنِ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ .

يَسْتَقْضِي مِنَ النَّاسِ حَقَّ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ مَا لِلَّهِ عَلَيْهَا .
 يَغْضَبُ عَلَى غَيْرِهِ وَلَا يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ لِلَّهِ .

لَا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ مِنْ حَلَالٍ قَدْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي
 قَلْبِهِ إِنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْهَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ حَزَنٌ عَلَى فَوْتِهِ .

لا يَتَادَّبُ بآدَابِ الْقُرْآنِ وَلَا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لِإِهْ غَافِلٌ عَمَّا
يَتْلُو أَوْ يَتْلَى عَلَيْهِ .

هَمَّتْهُ حِفْظُ الْحُرُوفِ إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَهُ ذَلِكَ لِثَلَا يَنْقُصُ جَاهُهُ عِنْدَ
الْمَخْلُوقِينَ فَتَنْقُصُ رُبَّتُهُ عِنْدَهُمْ .

فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَعْمُومًا بِذَلِكَ وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فِي الْقُرْآنِ أَوْ نَهَى عَنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ بِهِ .

أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَا يَأْخُذُ
نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أُوجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ إِذَا سَمِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَى عَنْهُ
النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْتَهَى عَنْهُ إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا الْعَاقِلُ إِذَا تَلَى الْقُرْآنَ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَرَى بِهَا مَا
حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ وَمَا قَبِحَ مِنْهُ .

فَمَا حَذَرَهُ مَوْلَاهُ حَذَرَهُ وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ وَمَا رَغِبَ فِيهِ مَوْلَاهُ
رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ .

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ فَقَدْ تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ
وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنْبَسًا وَحِرْزًا .

وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ نَفَعَ نَفْسَهُ وَنَفَعَ أَهْلَهُ وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ

كُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ انْتَهَى كَلَامُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

فَطُوبَى لِمَنْ أَرْضَى الْإِلَهَ مُسَارِعًا إِلَى سُبُلِ تَهْدِيهِ لِلرَّحَلَةِ الْآخِرَى
وَقَامَ وَصَلَّى فِي الدِّيَابِجِي وَدَمَعُهُ عَلَى خَدَيْهِ يَجْرِي بِمُقْلَتِهِ الْعَبْرَا
وَأَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ قِيَامَهُ وَرَاقِبَهُ سِرًّا وَرَاقِبَهُ جَهْرًا
وَأَحْيَا لِيَالِي عُمُرِهِ بِقِيَامِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي اللَّيْلِ وَامْتَثَلَ الْأَمْرَا
فَذَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي طَيْبِ عَيْشَةٍ يَفُورُ بِهَا صَوْمًا وَيُحْطَى بِهَا فِطْرًا

(فصل)

٨ مَا وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ نِسْيَانِهِ ، وَالْاِعْرَاضِ عَنْهُ :

يُسْنُ خْتَمُهُ فِي كُلِّ اُسْبُوعٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: « اِقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيْلٍ وَلَا تَزِدْ عَلَي ذَلِكَ » متفق عليه .

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ اَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ- رَجَمَهُمَا اللهُ- كَانَ اَبِي يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ اُسْبُوعٍ ، يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعًا لَا يَكَادُ يَتْرَكُهُ نَظْرًا لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : « اِقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ » ، وَانْ قَرَأَ فِي ثَلَاثٍ فَحَسَنٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، اِنْ لِي قُوَّةٌ ، قَالَ : « اِقْرَأْ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَلَا بَأْسَ فَيَمَّا دُونَهَا اَحْيَانًا ، وَفِي الْاَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ كَرَمَضَانَ ، خُصُوصًا اللَّيَالِيِ الَّتِي تُطَلَّبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَيَنْبَغِي لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ اَنْ يَتَعَهَّدَهُ بِالْحِفْظِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَي تَلَاوِيهِ ، وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ هِجْرَانِهِ وَتَرْكِ التَّعَهُّدِ لَهُ ، فَيَتَعَرَّضُ بِذَلِكَ لِنِسْيَانِهِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ اَعْظَمِ الذُّنُوبِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَجَمَهُ اللهُ : هَجْرُ الْقُرْآنِ اَنْوَاعٌ :

اَحَدُهُمَا : هَجْرُ سَمَاعِهِ ، وَالاِيْمَانِ بِهِ ، وَالِإِصْغَاءِ اِلَيْهِ .
وَالثَّانِي : هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَانْ قَرَأَهُ وَآمَنَ بِهِ .

والثالث : هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ
وَاعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ اليَقِينَ وَأَنَّ أَدْلَتَهُ لَفْظِيَّةٌ لَا تُحَصِّلُ العِلْمَ .

والرَّابِعُ : هَجْرُ الاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ امْرَاضِ القُلُوبِ
وَادْوَائِهَا ، فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَيَهْجُرُ التَّدَاوِي بِهِ .

والخَامِسُ : هَجْرُ تَدْبِيرِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْهُ .

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

وَرَوَى الامامُ أَحْمَدُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا مُسْتَلْقِيًا عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلًا قَائِمًا بِيَدَيْهِ
فَهَرُّ أَوْ صَخْرَةً فَيَشْدُخُ بِهَا رَأْسَهُ : فَيَتَذَهَّدُهُ ، فَأَذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسَهُ
كَمَا كَانَ فَيُصْنَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ
الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهَارِ ، فَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامِ .

وَفِي حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ مَرْفُوعًا : « يُمَثِّلُ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
رَجُلًا فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ فَيَتَمَثَّلُ لَهُ حَصْمًا ، فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ ، حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَبُئْسَ حَامِلٌ تَعَدَّى حُدُودِي ، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي ،
وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يَقَالَ
شَأْنُكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُكَبَّهُ عَلَى مَنْخِرِهِ فِي النَّارِ »
الحديث .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (« مَا مِنْ أَمْرٍ يَفْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمًا ») رواه أبو داود .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَلَّ : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ - فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَهَوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ الْإِبِلِ مِنْ عُقْلِيهَا » رواه البخاري ومسلم ، وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْأَبْلِ الْمُعَلَّقَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ ، متفق عليه .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا يَا تِئِنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ أ ه .

وَرَوَى أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورَ أُمَّتِي حَتَّى الْقِدَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبَ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْتِيهَا الرَّجُلُ ثُمَّ نَسِيهَا ، وَبِاللَّاسِفِ اسْتَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ أَكْبَرًا عَلَى الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَالْكُتُبِ الْخَلِيعَاتِ بَدَلَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ : وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستكون فتن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذکر الحکیم وهو الصراط المستقیم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضني عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به صدق ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : إذا فهمت ذلك فاعلم أن القرآن قد بين فيه ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه وأحكام الدارين حتى أنه تعالى يثنى الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت وإعادتها في كل ساعة بالفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب .

قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « وأنزلنا إليك الذکر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » وقال « وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » وقال تعالى ﴿ وكل شيء فوصلناه تفصيلاً ﴾ ففيه بيان الحلال والحرام والثواب والعقاب وهدى من الضلالة رحمة لمن صدق به وعمل فيه وحكمه في الدقيق والجليل والويل لمن رجع إلى القوانين وتركه فكل حكم سوى حكم الله فهو باطل مردود وكل حاكم بغير حكمه وحكم رسوله فهو طاغوت كافر بالله وما أكثر في هذا الزمن المحكمين للقوانين الوضعية والأنظمة الحالية .

قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الكافرون ﴿ وَهَذَا عَامٌ شَامِلٌ فَمَا مِنْ قَضِيَّةٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا حُكْمٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، فَهَذِهِ الْآيَةُ الْجَلِيلَةُ الْقَدْرُ عَظِيمَةُ الْمَوْجِعِ كَبِيرَةُ الْفَائِدَةُ حَسَنَةُ الْمَغْزَى اخْتَارَهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيَخْتِمَ بِهَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ وَوَحْيَهُ الْمَعْجِزَ وَأَحْكَامَ شَرِيعَتِهِ السَّمْحَةَ وَدِينَهُ الْحَنِيفَ .

وَمِنْ مَزَايَا هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَا عَمَّا بَقِيَ مِنَ السُّورِ وَالآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ بِهَا الدِّينَ بِمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرَائِضِ وَأَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَدَايَتِهِمْ لِأَحْكَامِهِ وَتَوْفِيقِهِمْ لِمَعْرِفَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَانْجَاؤِهِ سُبْحَانَهُ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَإِلَّا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ .

فَكَانَ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخَلُوا مَكَّةَ آمِنِينَ وَحُجُّوا مُطْمَئِنِّينَ لَمْ يُخَالِطَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَبِئْسَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بَيَانًا لِشَرَفِ هَذَا الدِّينِ وَاعْتِنَاءً بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَسْبُنَا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وَهَذَا مَا دَعَا كَعْبُ الْأَحْبَارُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَكَانَ مَعَهُ نَفْرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَقُولَ لِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَاهَا عَيْدًا وَأَقْمْنَا لَهَا مُحْتَقَلًا فِي كُلِّ عَامٍ نُجَدِّدُ ذِكْرَهَا وَنَتَدَارَسُ فَضَائِلَهَا

الكثيرة وذكرياتها العطرة .

فَيَتَذَرُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا : أَيُّ آيَةٍ هِيَ قَالَ كَعْبٌ : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » فَيَجِيئُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ تَوَدَّةٍ وَسَكِينَةٍ قَائِلًا قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيصَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ جُمُعَةٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وَكِلَاهُمَا بِحَمْدِ اللَّهِ لَنَا عَيْدًا أ هـ .

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى وُجُوبِ الرُّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ التَّحَاكُمِ مَا يَلِي :

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

وقال فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله الآية .

وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية .

وقال تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ » وقال فيما صح عنه « مَا بُعِثَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ

شَرُّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا .

وَلَا شَكَّ أَنْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاعْتَصَصَ عَنْهُمَا بِالْقَوَائِمِ الْوَضْعِيَّةِ أَنَّهُ كَافِرٌ كُفْرًا نَاقِلٌ عَنِ الْجَمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَا مَنْ اسْتَهْزَأَ بِالْقُرْآنِ أَوْ طَلَبَ تَنَاقُضَهُ أَوْ دَعَوَى أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ أَوْ مُخْتَلِقٌ أَوْ اثْبَتَ شَيْئًا نَفَاهُ الْقُرْآنُ أَوْ نَفَاهُ مَا اثْبَتَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ كَفَرَ قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ . وَقَالَ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ . وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ .

وَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنِ شَرِيعَةِ مُوسَى . أَوْ زَعَمَ أَنَّ هَدْيِي غَيْرِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَحْسَنُ ؛ أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَسَعُ النَّاسَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعُصُورِ إِلَّا الْخُرُوجُ عَنِ الشَّرِيعَةِ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ كَافِيَةً فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ فَقَطْ وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ فَالشَّرِيعَةُ لَا تُسَايِرُ الزَّمَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ تَنْظِيمِ قَوَائِمِهَا بِمَا يُنَاسِبُ الزَّمَانَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَعْتِقَادَ إِذَا صَدَرَ مِنْ إِنْسَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَنَقَّضَهُمَا ، وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَخُرُوجِهِ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُخْتَاجٌ لِلشَّرِيعَةِ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ ، أَوْ فِي عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَطْ أَوْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ دُونَ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ أَوْ أَنَّ

هَذِهِ الشَّرَائِعِ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ إِسْتِهَانٍ بِدِينِ الْأِسْلَامِ ، أَوْ تَنْقِصُهُ أَوْ هَزْلَ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ أَوْ بِمَنْ جَاءَ بِهِ وَكَذَلِكَ الْحَقُّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْأَسْتِهَانَةَ بِحَمَلَتِهِ لِأَجْلِ حَمَلِهِ فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا كُفْرٌ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَمَا لِلَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرِيحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ دُنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيهَا لَدَيْكَ ، وَلَا تُحْرِمْنَا بَدُونَنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُونِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ فِي تَحْذِيرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَنِ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ سِيَّاقِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الْآيَتِينَ : ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي الرَّجْرِ عَنِ اتِّبَاعِ الْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ غَيْرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَكَفَّتِ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ الَّذِي أُوتِيَ رُشْدَهُ وَأَهَمَّهُ صَلَاحُ قَلْبِهِ عَنْ تَطَلُّبِ غَيْرِهَا فَكَيْفَ وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ يَدْعُو إِلَى تَحْكِيمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَعَدَمِ تَحْكِيمِ مَا عَدَاهُ إِمَّا تَصْرِيحًا وَإِمَّا تَلْوِيحًا وَلَهُ جَاهِدٌ وَبِجَاهِدٍ مَنْ يُجَاهِدُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ لَدُنْ بُعِثَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ تَقُومُ السَّاعَةُ .

وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا خِلَافٌ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى
يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَّهُ قَالَ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ، فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ مِنْ
الْمُمْتَنِعِ بِالسَّمْعِ أَنْ يَتَمَالَ الْعَالَمُ كُلَّهُمْ شَرْقًا مِنْ أُمَّةٍ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اتِّبَاعِ الْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ وَعَدَمِ الْمُبَالَغَةِ بِالْحُكْمِ
الشَّرْعِيِّ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ وَلَوْ وَاحِدٌ يُنْكِرُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُلِّ إِمَّا
بِلِسَانِهِ أَنْ أَمَكْنَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْتِكُوا بِهِ وَإِمَّا بِقَلْبِهِ وَظَنَّ الْفِتْكَ بِهِ كَمَا قَدْ كَانَ
أَيَّامَ الْأُسْتَبْدَادِ .

وَالْغَرَضُ بَيَانُ أَنَّ طَائِفَةً عَلَى الْحَقِّ لَا تَزَالُ تُقَاتِلُ وَتُجَاهِدُ عَلَى
تَحْكِيمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِاللِّسَانِ وَالْبَيَانِ وَالْبَدَنِ وَالسَّنَنِ وَالْمَالِ وَكُلِّ مُمَكِّنٍ
لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّ بِهِ يَتِمُّ نِظَامُ الْعَدْلِ وَالْمُلْكِ وَالِدِينِ وَالْدُنْيَا وَبِهِ يَسْتَقِيمُ
أَمْرُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ وَتُكْمَلُ لَهُمُ الرَّاحَةُ وَالْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ التَّامَةُ وَالسِّيَاسَةُ
الْعَامَّةُ لِجَمِيعِ الْمَلَلِ وَالرَّعَايَا الْمُخْتَلِفَةِ الْأَصْنَافِ وَاللِّسِنَةِ وَالْأَمْرِحَةِ .

وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَلْيَنْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ حَالِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْقُرُونِ
الْمُتَأَخِّرَةِ الَّتِي عَطَلَتْ فِيهَا حُدُودُ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامُهَا وَحَالِهِ فِي الْقُرُونِ
الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي مَا كَانَتْ عَلَى شَيْءٍ أَحْفَظُ مِنْهَا عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَرْعَى
لَهَا يَجِدُ الْفَرْقَ كَمَا بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيًّا وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ :

نَزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ هَاشِمٍ
وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ

أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم فَتَحُوا مَا فَتَحُوا مِنْ أَقَالِيمِ الْبُلْدَانِ وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ
 وَالْقُرْآنَ فِي مَدَّةٍ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ مَعَ قَلِيلَةٍ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَدِهِمْ وَضَيْقِ ذَاتِ
 يَدِهِمْ وَنَحْنُ مَعَ كَثْرَةِ عُدَدِنَا وَوَفْرَةِ عَدَدِنَا وَهَائِلِ ثُرُونِنَا وَطَائِلِ قَوْتِنَا لَا
 نَزْدَادُ إِلَّا ضَعْفًا وَتَفْهُقْرًا إِلَى الْوَرَى وَذُلًّا وَحَقَارَةً فِي عُيُونِ الْأَعْدَاءِ ذَلِكَ
 لِأَنَّ مَنْ لَا يَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ لَا يَنْصُرُهُ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فَزَيَّبَ نَصْرَهُمْ عَلَى نَصْرِهِ
 بِإِقَامَةِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَجِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا
 يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
 مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَقْسَمَ
 سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا . وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِكُنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أُمَّتَالِهِ مِنَ الْعَصَاةِ فَمَنْ لَمْ
 يَلْتَزِمْ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَا
 تَنَازَعَتْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْأَعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ .

فَالْأُمُورُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَا يُحَكَّمُ فِيهَا إِلَّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ
 لِأَحَدٍ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِقَوْلِ عَالِمٍ وَلَا أَمِيرٍ وَلَا شَيْخٍ وَلَا مَلِكٍ وَحُكْمًا
 الْمُسْلِمِينَ فِي الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ لَا يَحْكُمُونَ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ وَإِذَا حَكَمُوا فِي
 الْمُعَيَّنَاتِ فَعَلَيْهِمْ إِنْ يَحْكُمُوا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ فِيهَا فِي سُنَّةِ
 رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ لَمْ يَجِدُوا اجْتِهَادَ الْحَاكِمِ بِرَأْيِهِ انْتَهَى .

لأنه صلى الله عليه وسلم لما بعث مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ بِمَ تَحْكُمُ
 قَالَ بِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ أَجْتَهُدُ رَأْيِي قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ
 رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا يَرْضَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُرْوَةَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلِنِي عَنْ
 الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنَّ رَأْسَ الْقَضَاءِ اتِّبَاعُ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ الْقَضَاءُ
 بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بِحُكْمِ أئِمَّةِ الْهُدَى ثُمَّ اسْتِشَارَةَ
 ذَوِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ وَذُكِرَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ كَانَ ابْنُ شُبْرَمَةَ يَقُولُ :

مَا فِي الْقَضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخَاصِمٍ
 عِنْدَ اللَّيِّبِ وَلَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ
 هَوْنٌ عَلَيَّ إِذَا قَضَيْتُ بِسُنَّةٍ
 أَوْ بِالْكِتَابِ بِرَغْمِ أَنْفِ الرَّاعِمِ
 وَقَضَيْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْ أَثْرًا بِهِ
 بِنَظَائِرٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعَالِمِ

وَعَنْ بَنِي وَهَبٍ قَالَ : قَالَ مَالِكُ الْحَكْمُ حُكْمَانِ حُكْمٌ جَاءَ بِهِ كِتَابُ
 اللَّهِ وَحُكْمٌ أَحْكَمْتُهُ السُّنَّةُ قَالَ وَمُجْتَهَدٌ رَأْيُهُ فَلَعَلَّهُ يُوفَّقُ .

وقال ابن القسيم رحمه الله : على قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
 الآية .

فانقسم سبحانه بأجل مُقسَمٍ بِهِ وَهُوَ نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغُ

لَهُمْ إِيمَانٌ وَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى يُحَكِّمُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِ النَّزَاعِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ فَإِنَّ لَفْظَةَ (مَا) مِنْ صِيغِ الْعَمُومِ تَقْتَضِي نَفْيَ الْإِيمَانِ أَوْ يُوجَدُ تَحَكُّمُهُ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ انْشِرَاحُ صُدُورِهِمْ بِحُكْمِهِ حَيْثُ لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا وَهُوَ الضِّيقُ وَالْحَضْرُ مِنْ حُكْمِهِ بَلْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ بِالْإِنْشِرَاحِ وَيُقَابِلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ لَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ عَلَى إِغْمَاضٍ وَيَشْرَبُونَ عَلَى قَدَى فَإِنَّ هَذَا مُنَافٍ لِلْإِيمَانِ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَخْذُهُ يَقْبُولِ وَرِضًا وَانْشِرَاحِ صُدُورِ .

وَمَتَى أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي حَالِهِ وَيَطَالِعْهُ فِي قَلْبِهِ عِنْدَ وُرُودِ حُكْمِهِ عَلَى خِلَافِ هَوَاهُ وَغَرَضِهِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ كَمْ مِنْ حَزَازَةٍ فِي نَفُوسٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ وَبُودِهِمْ أَنْ لَوْ لَمْ تَرُدُّوْكُمْ مِنْ حَرَارَةٍ فِي أَكْبَادِهِمْ مِنْهَا وَكَمْ مِنْ شَجَى فِي حُلُوقِهِمْ مِنْهَا وَمِنْ مُورِدِهَا سَتَبَدُّ لَهُمْ تِلْكَ السَّرَائِرُ بِالذِّي يَسُوءُ وَيَخْزِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرِ .

ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرْ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَتَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا فَذَكَرَ الْفِعْلَ مُؤَكَّدًا بِمُضَدِّهِ الْقَائِمِ مَقَامَ ذِكْرِهِ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ الْخُضُوعُ لَهُ وَالْإِنْقِيَادُ لِمَا حَكَمَ بِهِ طَوْعًا وَرِضًا وَتَسْلِيمًا لَا قَهْرًا وَمُضَابَرَةً كَمَا يُسَلِّمُ الْمُقَهَّرُ لِمَنْ قَهَرَهُ كُرْهًا بَلْ تَسْلِيمَ عَبْدٍ مُطِيعٍ لِمَوْلَاهُ وَسَيِّدِهِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ يَعْلَمُ أَنَّ سَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ فِي تَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ وَيَعْلَمُ بَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبْرَ بِهِ مِنْهَا وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهَا وَأَنْصَحَ لَهُ مِنْهَا وَأَعْلَمَ بِمَصَالِحِهِ مِنْهَا وَأَقْدَرَ عَلَى تَخْلِيصِهَا .

وتأمل لهذا المعنى المذكور في الآية بوجوه عديدة من التأكيد أولها تصديرها بالقسم يتضمن المقسم عليه وهو قوله لا يؤمنون وثانيها : تأكيده بنفس القسم وثالثها تأكيده بالمقسم به وهو إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته ورابعاً تأكيده بانتفاء الحرج وهو وجود التسليم وخامساً تأكيد الفعل بالمصدر وما هذا إلا لشدّة الحاجة إلى هذا الأمر العظيم وأنه مما يعتنى به ويُقرّر في نفوس العباد . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

وقال رحمه الله :

لما أعرّض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال أهل الآراء عرض لهم من ذلك فساد في فطرتهم وظلمة في قلوبهم وكدر في أفهامهم ومحق في عقولهم فعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير وهرم عليها الكبير فلم يروها منكراً .

فجاءتهم دولة أخرى أقامت فيها البدع مقام السنن والهوى مقام الرشد والضلال مقام الهداية والمنكر مقام المعروف والجهل مقام العلم والرياء مقام النصيحة والظلم مقام العدل فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور وأهلها هم المشار إليهم .

فإذا رأيت هذه الأمور قد أقبلت وراياتها قد نصبت وجيوشها قد ركبت فبطن الأرض والله خير من ظهرها وقلل الجبال خير من السهول ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس .

اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحش وتكدرت

الْحَيَاةِ مِنْ فِسْقِ الظُّلْمَةِ وَبَكَى ضَوْءَ النَّهَارِ وَظُلَّةَ اللَّيْلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَبِيثَةِ
وَالْأَفْعَالِ الْفِظْيِعَةِ وَشَكَا الْكِرَامُ الْكِتَاتِبُونَ وَالْمُعَقَّبَاتُ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ كَثْرَةِ
الْفَوَاحِشِ وَغَلَبَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْقَبَائِحِ .

وَهَذَا وَاللَّهِ مُنْذِرٌ بِسَبِيلِ عَذَابٍ قَدْ أَنْعَقَدَ غَمَامُهُ وَمُؤَذِّنٌ بَلِيْلٌ قَدْ أَدْلَهَمَ
ظِلَامُهُ فَأَعَزَّلُوا عَنْ طَرِيقِ هَذَا السَّبِيلِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ مَا دَامَتِ التَّوْبَةُ مُمَكِّنَةً
وَبَابُهَا مَفْتُوحًا وَكَانَتْكُمْ بِالْبَابِ وَقَدْ أُغْلِقَ وَبِالرَّهْنِ وَقَدْ غَلِقَ وَبِالْجَنَاحِ وَقَدْ
عَلِقَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

وَقَالَ :

وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَانَهَا
لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْعُقْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى أَنْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ
تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرِصَهَا
لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ
فَبَأَيِّ وَجْهِ أَلْتَقِي رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِلَا كِتْمَانِ
اللَّهُمَّ مَكَّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَاهْمُنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِامْتِنَالِ
طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فصل في ذكر طرق مما حدث في] بعض السنين من الأوبية والأمراض

أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ فَكَانَتْ الرِّيحُ تَسْفِي تُرَاباً كَالرَّمَادِ
فَسُمِّيَ عَامَ الرَّمَادَةِ وَجَعَلَتِ الْوَحُوشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ فَآلَى عُمَرُ أَلَا يَذُوقُ
سَمْنًا وَلَا لَبْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَجِيى النَّاسُ وَاسْتَسْقَى بِالْعَبَاسِ فَسُقُوا .

وَفِيهَا كَانَ طَاعُونَ عَمَوَاسٍ مَاتَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَمُعَاذُ وَأَنْسُ وَفِي سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَقَعَ طَاعُونَ بِالْبَصْرَةِ وَمَاتَتْ أُمُّ أَمِيرِهِمْ فَمَا وَجَدُوا مَنْ يَحْمِلُهَا .

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ كَانَ طَاعُونَ الْجَارِفِ هَلَكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
سَبُونَ أَلْفًا وَمَاتَ فِيهِ لِأَنْسٍ ثَمَانُونَ وَلَدَا وَكَانَ يَمُوتُ أَهْلُ الدَّارِ فَيُطِينُ الْبَابَ
عَلَيْهِمْ .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَةِ مَاتَ أَوَّلُ يَوْمٍ فِي الطَّاعُونَ سَبْعُونَ أَلْفًا
وَفِي الثَّانِي نَيِّفٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ خَمَدَ النَّاسُ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةِ ذُبِحَ الْأَطْفَالُ وَأَكَلَتِ الْجَيْفُ وَبِيعَ
الْعَقَّارُ بِرُغْفَانٍ وَاشْتَرِيَ الْمُعْزِ الدَّوْلَةَ كَرُّ دَقِيقٍ بَعَشْرِينَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ أَصَابَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ حَرٌّ فَكَانُوا
يَتَسَاقَطُونَ مَوْتَى فِي الطَّرِيقَاتِ .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةِ عَمَّ الْقُحْطُ فَأَكَلَتِ الْمَيْتَةَ وَبَلَغَ الْمَكُوكُ
مِنْ بَزْرِ الْبَقْلَةِ سَبْعَ دَنَانِيرٍ وَالسَّفَرَجَلَةُ وَالرَّمَانَةُ دِينَارًا وَالْخِيَارَةُ وَاللَّيْنُوفَةُ دِينَارًا
وَوَرَدَ الْخَبْرُ مِنْ مِصْرٍ بِأَنَّ ثَلَاثَةَ مِنْ اللَّصُوصِ نَقَبُوا دَارًا فَوُجِدُوا عِنْدَ
الصَّبَاحِ مَوْتَى أَحَدُهُمْ عَلَى بَابِ النَّقْبِ وَالثَّانِي عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ وَالثَّلَاثُ
عَلَى الثِّيَابِ الْمَكْوَرَةِ .

وفي السنة التي تليها وقع وباء فكان تحفُّرُ زبِيَّةٍ لِعَشْرِينَ وَثَلَاثِينَ فَيُلْقُونَ فِيهَا وَتَابَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَأَرَأَقُوا الْخَمُورَ وَلَزِمُوا الْمَسَاجِدَ .

وفي سنة ستٍ وخمسينَ وأربعمائةٍ وَقَعَ الْوَبَاءُ وَبَلَغَ الرَّطْلُ مِنَ التَّمْرِ الْهِنْدِيِّ أَرْبَعَةَ دَنَائِرٍ وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِشْتَدَّ الْجُوعُ وَالْوَبَاءُ بِمِصْرَ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَبِيعَ اللَّوْزُ وَالسُّكَّرُ بِوَزْنِ الدَّرَاهِمِ وَالْبَيْضَةُ بِعَشْرَةِ قَرَارِيطَ وَخَرَجَ وَزِيرُ صَاحِبِ مِصْرَ إِلَيْهِ فَنَزَلَ عَنْ بَعْلَتِهِ فَأَخَذَهَا ثَلَاثَةَ أَكْلُوهَا فَصَلَبُوا فَأَصْبَحَ النَّاسُ لَا يَرُونَ إِلَّا عِظَامَهُمْ تَحْتَ خَشْبِهِمْ وَقَدْ أَكَلُوا وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَعَ الْمَوْتُ فِي الدَّوَابِّ حَتَّى إِنَّ رَاعِيًا قَامَ إِلَى الْغَنَمِ وَقَتَ الصَّبَاحِ لِيَسُوقَهَا فَوَجَدَهَا كُلُّهَا مَوْتَى . ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وفي سنة أربعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَقَعَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِبَغْدَادٍ حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالسَّنَانِيرَ وَالْكِلَابَ وَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِقُ الْأَوْلَادَ فَيَشْوِيهِمْ وَيَأْكُلُهُمْ .

وَكَثُرَ الْوَبَاءُ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَ لَا يَدْفَنُ أَحَدٌ أَحَدًا بَلْ يُتْرَكُونَ عَلَى الطَّرِيقِ فَيَأْكُلُ كَثِيرًا مِنْهُمْ الْكِلَابُ .

وَبِيعَةُ الدُّورِ بِالْخُبْزِ وَانْتَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ .

وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي جُمَادِ الْأُولَى غَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادٍ جَدًّا وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ حَتَّى تَهْدَمُ الْبِنَاءَ وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ الْهَدْمِ وَتَعَطَّلَتْ أَكْثَرُ الْمَسَاجِدِ مِنْ قَلَةِ النَّاسِ .

وَنَقَصَتْ قِيَمَةُ الْعَقَارِ حَتَّى بَاعَ مِنْهُ بِالدَّرْهَمِ مَا يُسَاوِي الدِّينَارَ وَخَلَّتِ الدُّورَ وَكَانَ الدَّلَالُونَ يُعْطُونَ مَنْ يَسْكُنُهَا أَجْرَةً لِيَحْفَظَهَا مِنَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا لِيُخْرِبُوهَا .

وَكَثُرَتِ الْكَبَسَاتُ مِنَ اللُّصُوصِ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَتَحَارَسُونَ وَكَثُرَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أَهـ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ جَبْرَتَ فَمَاتَ بِسَبَبِهَا مِائَتَا أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَصَارَ مَكَانَهَا مَاءً أَسْوَدَ عَشْرَةَ فَرَاسِخٍ فِي مِثْلِهَا .

وَزُلْزَلَ أَهْلُ حَلَبَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمَانِينَ مَرَّةً فَوَضَعَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ مَكُوسًا كَثِيرَةً عَنِ النَّاسِ وَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لَهُ .

قَالَ وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالشَّامِ هَلَكَ بِسَبَبِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ .

وَتَهَدَّمَتْ أَكْثَرُ حَلَبَ وَحَمَاةَ وَشِيرِزَ وَحِمَصَ وَكَفَرطَابَ وَحِصْنَ الْأَكَرَادِ وَالْمَعْرَةَ وَقَامِيَةَ وَاللَّادِقِيَّةَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَطَرَابُلُسَ .

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ : وَأَمَّا قَامِيَةُ فَسَاحَتْ قَلْعَتُهَا وَتَلَّ حِرَانَ انْقَسَمَ قَسَمِينَ فَأَبْدَى نَوَاطِيسَ وَبُيُوتَ كَثِيرَةً فِي وَسْطِهِ .

وَتَهَدَّمَتْ أَسْوَارُ أَكْثَرِ مُدُنِ الشَّامِ حَتَّى أَنَّ مَكْتَبًا مِنْ مَدِينَةِ حَمَاةَ انْهَدَمَ عَلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الصَّنَاغَارِ فَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ زَلْزَلَةُ فَرَاغَانَةَ فَمَاتَ فِيهَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا .

وَفِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا رَجَفَتِ الْأَهْوَاؤُ وَتَصَدَّعَتِ الْجِبَالُ وَهَرَبَ أَهْلُ الْبَلَدِ إِلَى الْبَحْرِ وَالسُّفُنِ وَدَامَتْ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وفي السنة التي تليها مطر أهل تيبا مطراً وبرداً كالبيض فقتل به ٣٧٠ إنساناً .

وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك ، اعف عن عبادك . ونظروا إلى أثر قَدَمِ طولها ذراعٌ بلا أصابع وعَرَضُهَا شِبْرٌ وبين الخطوتين خمسة أذرع أو ستة .

فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً . وفي سنة ٢٣٣ رجفت دمشق رجفة انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها فمات خلق كثير .

وأنكفات قرية في الغوطة على أهلها فلم ينج منهم إلا رجل واحد . وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفاً . وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً .

وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز . ثم ذهبت إلى همدان فأحرقت الزرع . ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من السعي وتعطلت الأسواق . وزلزلت هراة فوَقعت الدور .

وذكروا أشياء كثيرة غريبة عجيبة يطول ذكرها اقتصرنا منها على هذا الطرف اليسير الذي ربما يكون سَبَباً للاعتبار والתיقظ والرجوع إلى الله .

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

أن يوقظ قلوبنا ويستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع قريب على كل شيء قدير .

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلَى الصَّمَدِ الرَّبِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
مُقِيلِي إِذَا زَلَّتْ بِي الثُّغْلُ عَائِثِرًا
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلْطُفًا
وَيَرْزُقُنِي طِفْلًا وَكَهْلًا وَقَبْلَهَا
إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاقُ دُونِي قُصُورَهُمْ
فِرْعَتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيْمِنِ طَارِقًا
فَلَمْ أَلْفِ حُجَابًا وَلَمْ أَحْشُ مِنْعَةً
كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
سَأَلْتُهُ مَا شِئْتُ إِنْ يَمِينُهُ
فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْمَرَاهِزِ مَلْجَأً

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَقَّفْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بَعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصُ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنْنَا ،
فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في رده على محكمي القوانين : ان من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الايمان عن من لم يحكم النبي ﷺ فيما شجر بينهم نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

قال وتأمل . ما في الآية الأولى وهي قوله تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ الآية كيف ذكر النكرة وهي قوله شيء في سياق الشرط وهو قوله جل شأنه ﴿ فإن تنازعتم ﴾ المفيد العموم فيما يتصور التنازع فيه جنساً وقدراً .

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطاً في حصول الايمان بالله واليوم الآخر بقوله ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ ثم قال جل شأنه ذلك خير فشيء يطلق الله عليه أنه خير لا يتطرق إليه شر أبداً بل هو خير محض عاجلاً وأجلاً .

ثم قال ﴿ وأحسن تأويلاً ﴾ أي عاقبة في الدنيا والآخرة فيفيد أن الرد إلى غير الرسول ﷺ عند التنازع شر محض وأساء عاقبة في الدنيا

وَالْآخِرَةُ عَكْسَ مَا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ ﴿ إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ وَقَوْلِهِمْ
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .

وَلِهَذَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا ﴿ أَلَا أَنهْم هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴾ وَعَكْسُ مَا يَقُولُهُ الْقَانُونِيُّونَ مِنْ حُكْمِهِمْ عَلَى الْقَانُونِ بِحَاجَةِ
الْعَالَمِ بَلْ ضَرُورَتِهِمْ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ وَهَذَا سُوءٌ ظَنَّ صِرْفٌ بِمَا جَاءَ بِهِ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَحْضٌ اسْتِنْقَاصٌ لِبَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْحُكْمِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْكِفَايَةِ لِلنَّاسِ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِنْ هَذَا لِازِمٌ لَهُمْ .

قَالَ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الْإِيمَانَ عَنِ مَنْ أَرَادَ التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى
الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ
يَتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضَلِّلَهُمْ
ظَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

فَأَنَّ قَوْلَهُ « يَزْعُمُونَ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيمَا أَدْعَوْهُ مِنَ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ لَا
يَجْتَمِعُ التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ
الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَضَلًّا بَلْ أَحَدُهُمَا يُنَافِي الْآخَرَ وَالطَّاغُوتُ مُشْتَقٌّ مِنَ
الطُّغْيَانِ وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فَكُلُّ مَنْ حَاكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ حَاكَمَ بِالطَّاغُوتِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ
حَاكِمًا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ حَاكَمَ بِخِلَافِهِ أَوْ حَاكَمَ

إلى خلافه فقد طغى وجاوز حده حُكماً أو تحكيمياً فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه حده .

قال وتأمل قوله عز وجل ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ تعرف منه معاندة القانونيين وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد فالمراد منهم شرعاً والذي تَعَبَدُوا بِهِ هُوَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ لَا تَحْكِيمُهُ « فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ » .

ثم تأمل قوله ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كيف دل على أن ذلك ضلال وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى كما دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان ومراد الرحمن وما بعث به سيد ولد عدنان معزولاً من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن .

وقد قال تعالى منكراً على هذا الضرب من الناس ومقرراً إبتغاءهم أحكام الجاهلية وموضحاً أنه لا حكم أحسن من حكمه « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية شأوا أم أبوا بل هم أسوأ حالاً منهم وأكذب منهم مقالاً ذلك أن أهل الجاهلية لا تنافس لديهم حول هذا الصدد .

وأما القانونيون فمتناقضون حيث يزعمون الايمان بما جاء به

الرسول صلى الله عليه وسلم وَيُنَاقِضُونَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي امْتِحَانِ هَؤُلَاءِ (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) .

ثُمَّ انظُرْ كَيْفَ رَدَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْقَانُونِيِّينَ مَا زَعَمُوهُ مِنْ حُسْنِ زُبَالَةٍ أَذْهَانِهِمْ وَنَحَاتَةِ أَفْكَارِهِمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمَحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ فِي الْأَرَائِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا الرُّجَالُ بِإِلا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنْ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ مِمَّا يَضَعُونَهُ بِأَرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّارُ مِنْ السِّيَاسَاتِ الْمَلِكِيَّةِ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا يُحْكَمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ وَعَنْ حُكْمِ اللَّهِ يَعْذِلُونَ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أَيَّ وَمَنْ أَعَدَلَ مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ مِنَ اللَّهِ شَرْعَهُ وَأَمَنَ بِهِ وَاتَّقَنَ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . ﴾

وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

فَانظُرْ كَيْفَ سَجَّلَ تَعَالَى عَلَى الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْكَفْرِ
وَالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَمِنَ الْمُتَمَتِّعِ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ كَافِرًا وَلَا يَكُونُ كَافِرًا بَلْ هُوَ كَافِرٌ مُطْلَقًا إِمَّا كُفِرَ عَمَلٍ وَإِمَّا كُفِرَ
اعْتِقَاد .

وَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ كَافِرٌ إِمَّا كُفِرَ اعْتِقَادٍ نَاقِلٍ عَنِ الْمِلَّةِ وَإِمَّا كُفِرَ عَمَلٍ لَا يَنْقُلُ عَنِ
الْمِلَّةِ .

قَالَ وَهَذِهِ الْمَحَاكِمُ الْآنَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ مُهَيَّأَةٌ مَفْتُوحَةٌ
الْأَبْوَابِ وَالنَّاسُ إِلَيْهَا أُسْرَابٌ إِثْرُ أُسْرَابٍ يَحْكُمُ حُكَّامُهَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخَالِفُ
حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَحْكَامِ ذَلِكَ الْقَانُونِ وَتُلْزِمُهُمْ بِهِ وَتَحْتَمُّهُ عَلَيْهِمْ
فَأَيُّ كُفْرٍ فَوْقَ هَذَا الْكُفْرِ وَأَيُّ مُنَاقَضَةٍ لِلشَّهَادَةِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ
هَذِهِ الْمُنَاقَضَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِزْمَةَ عَنِ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى قَوْلِهِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِهـ .

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا قَالَهُ
الصُّنْعَانِيُّ :

وَلَيْسَ إِغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْإِغْتِرَابِ إِيَابُ
وَلَمْ يَبْقَ لِلرَّاجِي سَلَامَةٌ دَيْنِهِ
سِوَى عَزْلَةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ
كِتَابُ حَوَى كُلِّ الْعُلُومِ وَكُلَّمَا
حَوَاهُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ

فَإِنْ رُمْتَ تَارِيخًا رَأَيْتَ عَجَائِبًا
تَرَى آدَمًا إِذْ كَانَ وَهُوَ تُرَابٌ
وَلَا قِيَّتَ هَابِيلاً قَتِيلَ شَقِيْقِهِ
يُوَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابٌ
وَتَنْظُرُ نَوْحًا وَهُوَ فِي الْفُلْكِ قَدْ طَغَى
عَلَى الْأَرْضِ مِرْ، مَاءِ السَّمَاءِ عُبَابٌ
وَإِنْ شِئْتَ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ
وَمَا قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا
وَجَنَّاتٍ عَدْنٍ حُورَهَا وَنَعِيمُهَا
وَنَارًا بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابٌ
فَتَيْلِكَ لِأَرْبَابِ التُّقَاءِ وَهَذِهِ
لِكُلِّ شَقِيْقٍ قَدْ حَوَاهُ عِقَابٌ
وَإِنْ تُرِيدِ الْوَعْظَ الَّذِي إِنْ عَقَلْتَهُ
فَأَنْ دُمُوعَ الْعَيْنِ عَنْهُ جَوَابٌ
تَجِدُهُ وَمَا تَهَوَّاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
وَلِلرُّوحِ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابٌ
وَإِنْ رُمْتَ إِبْرَازَ الْأَدِلَّةِ فِي الَّذِي
تُرِيدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ تُجَابٌ
تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعُ
بِهَا قُطِعَتْ لِلْمُلْجِدِينَ رِقَابٌ
وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيْلُهُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِالَّذِي جِجَابٌ

وَفِيهِ الدَّوَاءُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَيَقُ بِه
 فَوَاللَّهِ مَا عَنْهُ يَنْوُبُ كِتَابُ
 يُرِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَغَيْرُهُ
 مَفَاوِزُ جَهْلِ كُلِّهَا وَشِعَابُ
 يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِينَ جِدَّةً
 فَأَلْفَظُهُ مَهْمَا تَلَوْتَ عَذَابُ
 وَأَيَاتُهُ فِي كُلِّ حِينٍ طَرِيَّةُ
 وَتَبْلُغُ أَقْصَى العُمُرِ وَهِيَ كِعَابُ
 وَفِيهِ هُدًى لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةٌ
 وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَفْتَ
 فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُتَتَفِعِينَ ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَلِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
 خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي فَضَائِلِ ذِكْرِ اللَّهِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَلَا سِيَّمَا فِي
 رَمَضَانَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾
 وَقَالَ : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
 كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَادْكُرْ

رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضْرَعًا وَخَفِيَّةً ﴿ . الآية ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي
 الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ
 الْعَظِيمِ » متفق عليه .

وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ
 أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » رواه مسلم .

وَعَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ
 حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ جِزْأٌ مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ
 حَتَّى يُمَسِّي ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ
 مِنْهُ » ، وَقَالَ « مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ
 عَنْهُ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ
 الْمَلِكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ، كَانَ كَمَنْ
 اعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
أُخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ » رواه مسلم .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ مِائَةَ بِالْغَدَاةِ وَمِائَةَ بِالْعِشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائَةَ
حَجَّةٍ وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ مِائَةَ بِالْغَدَاةِ وَمِائَةَ بِالْعِشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ
فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَالَ غَزَا مِائَةَ غَزْوَةٍ وَمَنْ هَلَّلَ اللَّهَ مِائَةَ بِالْغَدَاةِ
وَمِائَةَ بِالْعِشِيِّ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ مِائَةَ
بِالْغَدَاةِ وَمِائَةَ بِالْعِشِيِّ لَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ بِأَكْثَرَ مِمَّا أَتَى بِهِ إِلَّا مَنْ
قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَى مَا قَالَ رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن
غريب .

وفي الصحيحين عن علي أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم
وتشكو إليه ما تلقى في يدها من الرُحَى ، وبلغها أنه جاء رقيق فلم
تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فذهبتا نقوم فقال علي مكانكما فجاء وقعد
بيننا وبينها حتى وجدت برد قدميه علي بطني فقال ألا أدلكما علي خير
مما سألتما ، إذا أخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً
وثلاثين وكبيرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكمما من خادم .

وجاء عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف
ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن

قَالَهَا حِينَ يُنْمِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنُهُ التَّرْمِذِيُّ وَغَرَّبَهُ .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورِ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله . صلى
الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ)
فَقَالَ : « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ » قَالُوا : وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » رواه مسلم .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ
ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ » متفق
عليه .

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ، أَلَا أُدْلِكَ عَلَى كَثْرٍ مِنْ
كُنُوزِ الْجَنَّةِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي إذا ذكرني ، وتحركت بي شفّته » رواه البخاري .

وعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبّث به ، قال : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » . رواه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم . ورَوَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَسَائِلُ اللَّهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ » رواه الطبراني في (الاوسط) والبيهقي ، والاصبهاني .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » أخرجه النسائي ، وصححه ابن حبان والحاكم .

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ » .

وعن عبد الله بن بسر قال : « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : أيُّ الناس خيرٌ ؟ فقال : طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ، قال : يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضلُ ؟ قال : أن تفرق الدنيا ولسانك رطباً من ذكر الله » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : قال ابن القيم رحمه الله قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما بل منهي عنها منهي تحريم أو كراهة .

لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : (يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له إلا واني نهيئت أن أقرأ القرآن راجعاً أو ساجداً ، أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم) رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود .

وكذا التسبيح والتحميد في محلها أفضل من القراءة وكذا التشهد وكذلك رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدين أفضل من القراءة وكذلك الذكر عقب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة .

وكذلك إجابة المؤذنين والقول كما يقول أفضل من القراءة وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه لكن لكل مقام مقال متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة منه .

وهكذا الأذكار المقيّدة بمحالٍ مخصوصةٍ أفضل من القراءة المطلقة والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المقيّدة بمحالٍ مخصوصةٍ ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من القرآن مثاله أن يتفكر في ذنوبه فيحدث له توبة من استغفار أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه .

وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة وذكر لم يحضر قلبه فيها وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يَلْتَمِسُونَ أهلَ الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تَنَادَوْا هَلِمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ .

قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي قال يقولون : يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبِرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول

كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي .

قال فيقولون لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قال فيقولُ فَمَا يَسْأَلُونَ قَالُوا يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قال فيقولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا فيقولون لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ مَا رَأَوْهَا قال يَقُولُ فكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا .

قال يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قال فَمِمُّ يَتَعَوَّذُونَ قال يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قال فَهَلْ رَوَّهَا قال يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ مَا رَأَوْهَا قال يَقُولُ فكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قال يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً .

قال فيقولُ فأنشهدُكم أُنِي غَفَرْتُ لَهُمْ قال يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانُ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قال هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ ﴿وَلِذَلِكَ حَتَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَشَبَّهَهُ بِرَوْضَةِ الْجَنَّةِ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قال جِلْقُ الذِّكْرِ وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُ اللهُ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ جِمَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ .

وروى مسلم عن حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ قال لَقِيتُني أَبُو بَكْرٍ فقال كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قلتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ قال سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ قلتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنِ

فإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ
وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

قال أَبُو بَكْرٍ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ نَافِقَ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
نَكُونُ عِنْدَكَ وَتَذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ
عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تدومون
على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي
طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات .

قال أحدُ العلماءِ إذا حصل الأُتسُ بِذكرِ اللهِ انقطعَ عن ذِكْرِ اللهِ وما سِوى
اللهِ عزَّ وجلَّ هو الذي يُفارقُ عند الموتِ فلا يَبقى معه في القبرِ أهْلٌ ولا مالٌ
ولا وُلْدٌ ولا وِلايَةٌ ولا يَبقى إلا عَمَلُهُ الصالحُ ذكُرُ اللهِ وما وِلاه .

فإن كان قد أُتسَ بِهِ تَمَتَّعَ بِهِ وَتَلَذَّذَ بِانْقِطَاعِ الْعَوَائِقِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ إِذْ
ضُرُورَاتُ الْحَاجَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَصُدُّ عَنِ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَلَا يَبقى بَعْدَ الْمَوْتِ عَائِقٌ فَكَأَنَّهُ خُلِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحَبُّوبِهِ فَعَظُمَتْ
عِبْطَتُهُ وَتَخَلَّصَ مِنَ السَّجَنِ الَّذِي كَانَ مَمْنُوعًا بِهِ عَمَّا بِهِ أَنْسَهُ .

ولذلك قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم إن رُوحَ القُدُسِ نَفَسَ
فِي رَوْعِي « أَحِبَّ مَا أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ أَرَادَ بِهِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا فَإِنَّ
ذَلِكَ يَفْنَى بِالْمَوْتِ فِي حَقِّهِ فَكُلُّ مَنْ عَلِيهَا فَإِنَّ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ دُونَ
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَه .

اللَّهُمَّ الْهَمْمَنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ ، وَأَيَّقَظْنَا مِنْ رَقَدَةِ الْعَافِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ
مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيْتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« نصيحة »

اسْمَعْ يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُصُ الْإِيْمَانَ ، مُعْرَضاً عَنِ الْأَرْبَاحِ
وَمُتَعَرِّضٌ لِلْخُسْرَانِ ، لَقَدْ سُرَّ بِفِعْلِكَ الشَّامِتُ .

يَا مَنْ يَفْرَحُ بِالْعَيْدِ لِتَحْسِينِ لِبَاسِهِ ، وَيُوقِنُ بِالْمَوْتِ وَمَا اسْتَعَدَّ لِبَاسِهِ
وَيَغْتَبِرُ بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ وَجُلَّاسِهِ ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلَاسِهِ .

يَا غَافِلاً قَدْ طُلِبَ ، وَيَا مُحَاصِماً قَدْ غُلِبَ ، وَيَا واثِقاً قَدْ سُلِبَ ، إِيَّاكَ
وَالدُّنْيَا فَمَا الدُّنْيَا بَدَائِمَةٌ ، لَقَدْ أَبَانَتِ لِلنَّوَاطِرِ عُيُوبَهَا ، وَكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ
عُيُوبَهَا ، وَعَدَدَتْ عَلَى الْمَسَامِعِ ذُنُوبَهَا ، وَمَا مَرَّتْ حَتَّى أَمَرَتْ مَشْرُوبَهَا .

فَلذَاتُهَا مِثْلُ لَمَعَانِ الْبَرْقِ وَمُصِيبَتُهَا وَاسِعَةُ الْخَرْقِ ، سَوَتْ عَوَاقِبُهَا بَيْنَ
سُلْطَانِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، فَمَا نَجَا مِنْهَا ذُو عَدَدٍ ، وَلَا سَلِمَ فِيهَا صَاحِبُ
عَدَدٍ ، مَزَقَتْ الْكُلَّ بِكَفِّ الْبُدْدِ ثُمَّ وَلَّتْ فَمَا الْوَتُّ عَلَى أَحَدٍ .

قال ﷺ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنْ أَحَافُ اللَّهُ » .

اسْمَعْ يَا مَنْ أَجَابَ عَجُوزاً هَتْمًا عَمِيًّا صَبًّا جَرَبًا سَوْدَاءَ شَوْهَاءَ مُقَعَّدَةً
عَلَى مَزْبَلَةٍ وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْكَ مَحَبَّتُهَا عُرْضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِطَحَاءِ مَكَّةَ
ذَهَبًا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا .

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارُ مَسْرَةٍ	فَتَخَوِّفِي مَكْرَأَ لَهَا وَخِدَاعَا
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسَرُّ بِنَفْسِهِ	وَبِمَالِهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعَا
حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمُنْيَةِ شَرْبَةً	وَحَمْتَهُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ رَضَاعَا
فَعَدَا بِهَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً	لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَّتَهُ دِفَاعَا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مَنْ تَحْتَ الشَّرَى	فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْطَاعَا

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا
 لِلْحَسَنَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واجعلنا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
 فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
 على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فصل في فوائدِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى »

قال ابن القيم - رحمه الله - : وفي ذِكْرِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ فَائِدَةٍ
 يَرْضِي الرَّحْمَنَ وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيُزِيلُ الْهَمَّ وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَيَكْسِبُ
 الْمَهَابَةَ وَالْحَلَاوَةَ وَيُورِثُ مَحَبَّةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ رُوحُ الْأَسْلَامِ .

وَيُورِثُ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِنَابَةَ وَالقُرْبَ وَحَيَاةَ الْقَلْبِ وَذِكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ هُوَ
 قُوَّةُ الْقَلْبِ وَرُوحُهُ وَيَجْلِي صَدَاهُ وَيَحُطُّ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَيُحْدِثُ
 الْأُنْسَ وَيُزِيلُ الْوَحْشَةَ .

وَيُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ وَيُنَجِّي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ وَيُوجِبُ تَنْزَلَ السَّكِينَةِ
 وَعَشْيَانَ الرَّحْمَةِ وَحُفُوفَ الْمَلَائِكَةِ بِالذِّكْرِ وَيَشْغَلُ عَنِ الْكَلَامِ الضَّارِّ
 وَيُسْعِدُ الذَّاكِرَ وَيُسْعِدُ بِهِ جَلِيسَهُ وَيُؤْمِنُ مِنَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مَعَ
 الْبُكَاءِ سَبَبٌ لِإِظْلَالِ اللَّهِ الْعَبْدَ يَوْمَ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ .

وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِعَطَاءِ اللَّهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَأَنَّهُ أَيْسَرُ
 الْعِبَادَاتِ وَهُوَ مِنْ أَجْلِهَا ، وَأَفْضَلُهَا ؛ وَأَنَّهُ غِرَاسُ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ الْعَطَاءَ
 وَالْفَضْلَ الَّذِي رُتِّبَ عَلَيْهِ لَمْ يُرْتَّبْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ دَوَامَ الذِّكْرِ لِلرَّبِّ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُوجِبُ الأَمَانَ مِنْ نِسْيَانِهِ الذِّي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ العَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُسَيِّرُ العَبْدَ وَهُوَ فِي فِرَاشِهِ وَفِي سُوقِهِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ نُورُ الذَّاكِرِ فِي الدُّنْيَا وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ وَأَنَّ فِي القَلْبِ خَلَّةٌ وَفَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ البَتَّةَ إِلا ذِكْرُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى العَبْدِ مِنَ القَلْبِ وَإِرَادَتِهِ وَهُمُومِهِ وَعَزْمِهِ وَالذِّكْرَ يُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الهُمُومِ وَالعُغُومِ وَالأَحْزَانِ وَالحَسْرَاتِ عَلَى مَوْتِ حُظُوظِهِ وَمَطَالِبِهِ وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُنَبِّئُ القَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ وَيُوقِظُهُ ، وَالقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الأَرْبَاحُ وَالمَتَاجِرُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ المَعَارِفَ وَالأَحْوََالَ الَّتِي شَمَّرَ إِليهَا السَّالِكُونَ ، فَلَا سَبِيلَ إِلى نَيْلِ ثَمَارِهَا إِلا مِنْ شَجَرَةِ الذِّكْرِ .

وَأَنَّ الذَّاكِرَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ وَمَذْكُورُهُ مَعَهُ وَهَذِهِ المَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ يَعدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَنَفَقَةَ الأَمْوَالِ وَالحَمْلَ عَلَى الخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الشُّكْرِ ، وَأَنَّ أَكْرَمَ الخَلْقِ عَلَى اللّهِ مِنَ المُتَّقِينَ مَنْ لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللّهِ .

وَأَنَّ فِي القَلْبِ قَسْوَةٌ لَا يُدْبِيهَا إِلا ذِكْرُ اللّهِ تَعَالَى وَإِنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ القَلْبِ وَدَوَاؤُهُ وَالعَفْلَةُ مَرَضُهُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مَوَالِيَةِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ يَعمُ اللّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللّهِ .
عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِمُهَيِّمٍ يَذْكُرُ

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُوجِبُ صَلَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِينَ وَأَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا فَلْيَسْتَوِطِنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ .

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِالذَّاكِرِينَ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَنَّ مُدْمِنَ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ إِقَامَةً لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يُسَهِّلُ الصُّعْبَ وَيُسِّرُ الْعَسِيرَ وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ ، وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يُذْهِبُ عَنِ الْقَلْبِ مَخَافَتَهُ كُلَّهَا ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ ، وَأَنَّ فِي الْأَشْتِغَالِ بِالذِّكْرِ اشْتِغَالًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَاللُّغْوِ ، وَأَنَّ عُمَالَ الْآخِرَةِ كُلَّهُمْ فِي مِضْمَارِ السَّبَاقِ وَالذَّاكِرُونَ أَسْبَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ وَلَكِنَّ الْقَتْرَةَ وَالْغُبَارَ يَمْنَعَانِ مِنْ رُؤْيَا سَبْقِهِمْ .

فَإِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ وَانْكَشَفَ ، رَأَاهُم النَّاسُ ، وَقَدْ حَازُوا قَصَبَ السُّبْقِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ لِتَصْدِيقِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ . فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ فَإِذَا أَخْبَرَ بِهَا الْعَبْدُ صِدْقَهُ رَبُّهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ اللَّهُ لَمْ يُحْشَرَ مَعَ الْكَاذِبِينَ وَرَجِي لَهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِينَ .

وَدَاوِمٌ وَلَازِمٌ قَرَعَ بَابَ مُؤْمَلًا فَمَا خَيْبَ الْمَوْلَى رَجَاءَ مُؤْمَلٍ
وَصَابِرٌ فَمَا نَالَ الْعُلَا غَيْرَ صَابِرٍ وَقُلْ وَأَعْظَا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلُّمِ
مَعَ الصَّبْرِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ مِنْكَ أَوْ مَنَايَا كِرَامِ فَاصْبِرْ بِي وَتَحَمَّلْ
وَدَاوِ لِسُقْمِ الْقَلْبِ وَأَعْمُرْ خَرَابَهُ بِذِكْرِ الَّذِي نَعْمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمِلُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقِّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَدِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ ، فَإِذَا أَمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكَتِ
المَلَائِكَةُ عَنِ الْبِنَاءِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ فَإِذَا كَانَتْ لَهُ
إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقٌ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ، كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ ،
وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ ، وَأَنَّ الْجِبَالَ وَالْقِفَارَ
تَتَبَاهَى وَتَسْتَبَشِّرُ بِمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَمَانٌ مِنَ الْبِفَاقِ ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ قَلِيلُوا الذِّكْرَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ : ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وَأَنَّ
لِلذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ لَذَّةٌ لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إِلَّا
اللذَّةُ الْحَاصِلَةُ لِلذَّاكِرِ ، وَأَنَّهُ يَكْسُو الْوَجْهَ نَضْرَةً فِي الدُّنْيَا وَنُورًا فِي
الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ وَالْبَيْتِ وَالْحَضْرِ وَالسَّفَرِ وَالْبِقَاعِ
تَكْثِيرًا لِشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ الْبُقْعَةَ وَالذَّارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ
لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً حَتَّى أَنَّهُ لِيَفْعَلَ مَعَ الذِّكْرِ
مَا لَمْ يَظُنْ فِعْلَهُ بِدُونِهِ ، قَالَ وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قُوَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ
فِي سُنَّتِهِ وَكَلَامِهِ وَأَقْدَامِهِ وَكِتَابَتِهِ أَمْرًا عَجِيبًا ، فَكَانَ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ مِنَ
التَّصْنِيفِ مَا يَكْتُبُهُ النَّاسِخُ فِي جُمُعَةٍ وَأَكْثَرَ .

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يُسَبِّحَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَخَذَ مَضَاجِعُهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُكَبِّرَا ، أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، لَمَّا سَأَلَتْهُ الْخَادِمُ ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا تُقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّعْيِ وَالخِدْمَةِ ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمَْا مِنْ خَادِمٍ .

فَقِيلَ إِنَّ مَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ قُوَّةً فِي عَمَلِهِ مُغْنِيَةً عَنِ خَادِمٍ ، قَالَ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَذْكُرُ أَثْرًا فِي هَذَا الْبَابِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا أُمِّرُوا بِحَمْلِ الْعَرْشِ ، قَالُوا يَا رَبَّنَا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ ، فَقَالَ : قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فَلَمَّا قَالُوا حَمَلُوهُ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي الدُّنْيَا قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثَرَ بِعَيْنِهِ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَشِيخَتُنَا أَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَرْزَ وَجَلِ حِينَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ قَالُوا : رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا ؟ قَالَ : خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي . قَالُوا : رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَى عَلَى حَمْلِ عَرْشِكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ وَوَقَارُكَ ، قَالَ : لَذَلِكَ خَلَقْتُكُمْ ، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا ، فَقَالَ : قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَحَمَلُوهُ .

قَالَ : وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَانَاةِ الْأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ ، وَتَحْمَلِ الْمَشَاقِّ وَالذُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يُخَافُ ، وَرُكُوبِ الْأَهْوَالِ ، وَلَهَا أَيْضًا تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الْفَقْرِ قَالَ : وَمَبْنَى الدِّينِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ إِذَا رُمْتَ أَنْ تُحْطَى بِعِزٍّ وَرِفْعَةٍ بِدُنْيَاكَ وَالْأُخْرَى لِتَيْلِ السَّعَادَةِ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ وَلَوْ قَدَّرَ لِحُظَّةٍ

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني ،
وذلك يستلزم معرفته والايمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء
عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذكر
نعمه وآلئه وإحسانه إلى خلقه .

وأما الشكر فهو القيام بطاعته ، فذكره مستلزم لمعرفته وشكره
متضمن لطاعته وهما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس .

(فائدة) قال الشيخ تقي الدين : من أتى بيلاً قلب أزعجه
فأعظم دواء له قوة الأتجاء إلى الله ودوام التضرع والدعاء بأن يتعلم
الأدعية الماثورة ويتوخى الدعاء في مظان الإجابة مثل آخر الليل وأوقات
الأذان والإقامة وفي السجود وادبار الصلوات ، ويضم إلى ذلك
الاستغفار .

وليتخذ ورداً من الإذكار طرفي النهار وعند النوم ، وليصبر على ما
يعرض له من الموانع والصورف ، فانه لا بد أن يؤيده الله بروح منه
ويكتب الايمان في قلبه وليحرص على عمود الدين ، وليكن هجيراً لا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فانه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال ، وينال رفيع الأحوال ولا
يسأم من الدعاء والطلب ، فان العبد يستجاب له ما لم يعجل وليعلم أن
النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا . ولم ينل
أحد شيئاً من عظيم الخير إلا بالصبر والله الموفق .

شِعْرًا :

يَذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ
وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ
فَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَتَعْلَمُ
إِلَهِي تَحْمِلُنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً
أَسَانَا وَقَصَّرْنَا وَجُودَكَ أَعْظَمُ
سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلَةً
وَأَنْتَ تَرَانَا ثُمَّ تَعْفُو وَتَرْحَمُ
وَحَقِّكَ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسْرُهُ
صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ وَيَنْدَمُ
سَكَتْنَا عَنِ الشُّكُوى حَيَاءً وَهَيْبَةً
وَحَاجَاتُنَا بِالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافِقُوا
وَوَفَّقْتَهُمْ حَتَّى أَنْابُوا وَسَلَّمُوا
وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنِّي وَتَكْرَمًا
فَأَنْتَ الَّذِي قَوْمَتَهُمْ فَتَقَوْمُوا

لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
فَهُمْ فِي اللَّيَالِي سَاجِدُونَ وَقَوْمٌ
نَظَرَتْ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بَتَّعُطْفِ
فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكْرَى وَنَوْمٌ
لَكَ الْحَمْدُ عَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَسَامِحٌ وَسَلَّمْنَا فَأَنْتَ الْمُسَلَّمُ
اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ
خَلْقِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ وَلَمَّا عَلِمَ الْمَوْفِقُونَ مَا خَلَقُوا لَهُ وَمَا إِيجَادُهُمْ
لَهُ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا عَلِمَ الْجَنَّةَ قَدْ رَفَعَ لَهُمْ شَمْرُوا إِلَيْهِ وَإِذَا صِرَاطُهَا
الْمُسْتَقِيمَ قَدْ وَضَحَ لَهُمْ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ وَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْعَبَنِ بَيْعَ مَا لَا عَيْنٌ
رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

فِي أَيْدٍ لَا يَزُولُ وَلَا يَنْفَدُ بِصُبَابَةِ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ أَوْ
كَطِيفٍ زَارَ فِي الْمَنَامِ مَشُوبٌ بِالنَّعْصِ مَمْزُوجٌ بِالنَّعْصِ إِنْ أَضْحَكَ
قَلِيلًا أَبْكَى كَثِيرًا وَإِنْ سَرَّ يَوْمًا أَحْزَنَ شَهْرًا أَلَامُهُ تَزِيدُ عَلَى لَذَاتِهِ وَأَحْزَانُهُ
أَضْعَافُ مَسْرَاتِهِ أَوْلُهُ مَخَافٌ وَآخِرُهُ مِتَالِفٌ .

فَيَا عَجَبًا مِنْ سَفِيهِ فِي صُورَةِ حَكِيمٍ وَمَعْتُوهِ فِي مِسْلَاحِ عَاقِلٍ آثَرِ
الْحَضِّ الْفَانِي الْخَسِيسَ عَلَى الْحَضِّ الْبَاقِي النَّفِيسِ بَاعَ جَنَّةَ عَرْضُهَا .

الأرضُ والسَّمَوَاتُ بِسَجْنٍ ضَيِّقٍ بَيْنَ أَرْبَابِ الْعَاهَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ وَمَسَاكِينِ طَيْبَةٍ
فِي جَنَاتٍ عَذْبٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِأَعْطَانٍ ضَيِّقَةٍ آخِرُهَا الْخِرَابُ
وَالْبَوَارُ .

وأبكاراً عُرْباً أتراباً كأنهنَّ الياقوتُ والمرجانُ بقدراتٍ دنساتٍ سيئاتٍ
الأخلاقِ مسافحاتٍ أو متخذاتٍ أخذانٍ وحوراً مقصوراتاً في الخيامِ
بخبيئاتٍ مسيئاتٍ بينَ الأنامِ وأنهاراً من خمِرٍ لذّةٍ للشاربينَ بِشِرابٍ نجسٍ
مُذَهَبٍ لِلْعَقْلِ مِفْسِدٍ لِلدُّنْيَا وَالِدِينِ ، وَلذّةٍ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
بِالْتَمَتِجِ بِرُؤْيَاةِ الْوَجْهِ الْقَيْحِ الدَّمِيمِ .

وَسَمَاعِ الْخِطَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِسَمَاعِ الْمَعَارِفِ وَالْغِنَاءِ وَالْأَلْحَانِ
وَالجُلُوسِ عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمُرْجَانِ وَالزَّبَرْجَدِ وَيَوْمَ الْمَزِيدِ
بِالْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الْفُسُوقِ مَعَ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ .

وإنما يَظْهَرُ الْغَبْنُ الْفَاحِشُ فِي هَذَا الْبَيْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَتَبَيَّنُ سَفَهُ
بَائِعِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ إِذَا حُسِرَ الْمُتَقُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَأَ وَسِيقَ
الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدَأَ وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ لِيَعْلَمَنَّ
أَهْلُ الْمَوْقِفِ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ .

فَلَوْ تَوَهَّمِ الْمُتَخَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرَّفْقَةِ وَمَا أُعِدُّ لَهُمْ مِنَ الْإِكْرَامِ وَأُدْخِرَ
لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ وَمَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَمْ يَقْعُ عَلَى مِثْلِهَا
بَصْرٌ وَلَا سَمِعَتْهُ أذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ عَلِمَ أَيُّ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ وَأَنَّهُ لَا
خَيْرَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ .

وَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مُلْكاً كَبِيراً لَا تَعْتَرِيهِ الْأَفَاتُ وَلَا يَلْحَقُهُ الزُّوَالُ

وَفَارُوا بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ فِي جَوَارِ الرَّبِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، فَهَمَّ فِي رُوضَاتِ
الْجَنَاتِ يَتَقَلَّبُونَ وَعَلَى أَسْرَتِهَا تَحْتَ الْحِجَالِ يَجْلِسُونَ وَعَلَى الْفُرُشِ
الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ يَتَكَيَّفُونَ وَبِالْحُورِ الْعَيْنِ يَتَمَتُّعُونَ .

وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَّفُونَ وَفَاكِهَةً مِمَّا
يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٍ عِينٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَكُونِ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا
مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ تَا اللَّهُ لَقَدْ نُوِّدِي عَلَيْهَا
فِي سُوقِ الْكَسَادِ فَمَا قَلْبٌ وَلَا اسْتِمَامٌ إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ الْعِبَادِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ
فِي النونية :

بِاللَّهِ مَا عُدْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَاذَا اسْتَفَا
قَ فَلَيْسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسَلَانِ
تَا اللَّهُ لَوْ شِئْتُمْ لَوَجَدْتُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ
مِ طَلَبْتُمْهَا بِنَفَائِسِ الْأَثْمَانِ
وَسَعَيْتُمْ جُهْدَكُمْ فِي وِصَالِ نَوَاعِمِ
وَكَوَاعِبِ بَيْضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
جُلَيْتُمْ عَلَيْكُمْ عَرَائِسُ وَاللَّهُ لَوْ
تُجَلَّى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصُّوَانِ
رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لِوَقْتِهِ
يَنْهَالُ مِثْلَ نَقْيٍ مِنَ الْكُتُبَانِ

لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَازَ حَدَّ
دَ الصُّخْرِ وَالْحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمَقِيمُ وَكُنْتَ ذَا
جِسٍّ لَمَا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَدْوَانِ
أَوْ صَادَقْتَ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَلِّ
بِ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ بِهَذَا الشَّانِ
حُورٌ تَزْفُ إِلَى ضَرِيرٍ مُقْعَدٍ
يَا مِحْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
شَمْسٌ لِعَيْنَيْنِ تَزْفُ إِلَيْهِ مَا
ذَا حِيلَةُ الْعَيْنِ فِي الْعَشَيَّانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً
بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسَلَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنْأَلُهَا
بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كَفُّوْهَا
إِلَّا أَوْلُوا التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقِكَ كَاسِدٌ
بَيْنَ الْأَرَادِلِ سَفَلَةَ الْحَيَوَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمَشْتَرِي
فَلَقَدْ عُرِضَتْ بِأَيْسْرِ الْأَثْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ

يَا سَلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبِرُ أَلْ
 خُطَابُ عَنْكَ وَهُمْ ذُوؤُ إِيمَانِ
 يَا سَلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهَا
 حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
 مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
 وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
 لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
 لِيُضَدَّ عَنْهَا الْمُبِطِلُ الْمَبْتَوَانِي
 وَتَنَالَهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى
 رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ،
 اللَّهُمَّ وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي
 طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ
 لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِتَعْمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فِي فَضَائِلِ الْاسْتِغْفَارِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتِنَارُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَيَتَأَكَّدُ فِي الزَّمَانِ
 الْفَاضِلِ ، وَالْمَكَانِ الْفَاضِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾
 وَقَالَ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ

تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ؛ وَقَالَ تَعَالَى ، مُخْبِرًا
 عَنْ نوح : ﴿ . . . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَالَ
 تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الْآلَةَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ
 سُوءًا وَيَظَلِّمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ ، اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وَعَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، قَالَ : « سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ،
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي ،
 فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : إِنَّا كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَتَبَّ عَلَيَّ ،
 إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ » مِائَةَ مَرَّةٍ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ : اسْتَغْفَارُ
 كَثِيرًا » (٢) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ
 فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنِّي لِي هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَيْكَ لَكَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »

وَعَنْ الْأَعْرَبِ الْمُرَبِّيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ : كُنْتُ ذَرَبَ اللِّسَانِ عَلَى أَهْلِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِلسَّانِي النَّارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ زَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَاتَّوْبُ إِلَيْهِ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْبِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ جِئِنِّي يَاوِي إِلَى فِرَاشِيَةِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَاتَّوْبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي »

غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ
السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ
الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً « رواه
الترمذي . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وضحبه وسلم .

فصل : وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ : « قَالَ ابْلِيسُ : وَعِزَّتِكَ لَا أَبْرُحُ أَعْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي
أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي » .

وَعَنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيَكْتُرْ فِيهَا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ » (٤) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ
وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَتْ ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) » .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ النُّحَاسِ ، وَجَلَاؤُهَا
الْاسْتِغْفَارُ » (٢) .

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرَةٍ ، فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ، فَاسْتَغْفِرْنَا ،
فَقَالَ : « أَيْمُوهَا سَبْعِينَ مَرَّةً » فَاتَّمَنَّاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أُمَّةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي يَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِمِائَةَ ذَنْبٍ ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أُمَّةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنْبٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواه مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ : « فَاسْتَكَثَرُوا فِيهِ مَنْ خَصَلْتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ وَخَصَلْتَيْنِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا ، فَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ فَشَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالِاسْتِغْفَارُ وَأَمَّا الَّتِي لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَهُ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ » .

فَهَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، فَأَمَّا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوهَا مَحْوًا ، وَلَا تَبْقَى ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَهِيَ تَعْدِلُ عِتْقُ الرِّقَابِ الَّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَا حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ .

وَأَمَّا كَلِمَةُ الْاسْتِغْفَارِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ . فَإِنَّ الْاسْتِغْفَارَ دُعَاءٌ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشَّرُوطُ وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ مُسْتَجَابٌ حَالَ صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَيَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا لِمَنْ آبَى ، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَا بِي؟ قَالَ : يَا بِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ » .

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ الِاسْتِغْفَارَ ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ
لَا يَرُدُّ فِيهِ سَائِلًا ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، فِي قَوْلِهِ :
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ : أَنَّ ابْلِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ
وَأَهْلَكُونِي بِالِاسْتِغْفَارِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَالِاسْتِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ
وَالْقِيَامُ فِي اللَّيْلِ وَيُخْتَمُ بِهِ الْمَجَالِسُ ، فَإِنْ كَانَتْ ذِكْرًا كَانَ كَالطَّابَعِ
عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ لَعْوًا كَانَ كَفَارَةً لَهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامُ
رَمَضَانَ بِالِاسْتِغْفَارِ يُرْقِعُ مَا تَخَرَّقَ مِنَ الصِّيَامِ بِاللَّغْوِ وَالرَّفَثِ « وَيَجْتَهِدُ فِي
الْكَثَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالتَّقَلُّلِ مِنْ شَوَاعِلِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ مَا
دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ » .

وَمِنْ عِظَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا
دَارُ ظَنَنْ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ تُذَلُّ مَنْ أَعْرَهَا وَتُنْفَقُ مَنْ
جَمَعَهَا هِيَ كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَفِيهِ حَتْفُهُ فَكُنْ فِيهَا كَالْمُدَاوِي جِرَاحُهُ
يُخْتَمِي قَلِيلًا مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا وَيَصْبِرُ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ مَخَافَةَ طَوْلِ
الدَّاءِ ، فَأَحْذَرْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْخَدَاعَةَ الْغَدَارَةَ الْخِتَالَةَ الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ
بِخَدَعِهَا وَقَتَلَتْ بِغُرُورِهَا وَتَحَلَّتْ بِأَمَالِهَا وَسَوِّفَتْ بِخَطَايَاهَا .

فَأَصْبَحَتْ كَالْعُرُوسِ الْمَجْلِيَّةِ الْعِيُونُ إِلَيْهَا نَاطِرَةٌ وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا
وَالْهَةُ وَهِيَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهْمُ قَالِيَةٌ ، فَلَا الْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرٌ وَلَا الْآخِرُ
بِالْأَوَّلِ مُزْدَجَّرٌ ، فَعَاشِقٌ لَهَا قَدْ ظَلَمَ مِنْهَا بِحَاجَتِهِ فَاغْتَرَّ وَطَغَى وَنَسِيَ

الْمَعَادَ فَشَغَلَ فِيهَا لُبُّهُ حَتَّى زَلَّتْ بِهِ قَدَمُهُ فَعَظُمَتْ نَدَامَتُهُ وَكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ
وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَتَأَلَّمَهُ وَحَسْرَاتُ الْقَوْتِ بِغُصْبَتِهِ وَرَاغِبُ
فِيهَا لَمْ يُدْرِكْ مِنْهَا مَا طَلَبَ وَلَمْ يُرِحْ نَفْسَهُ مِنَ التَّعَبِ فَخَرَجَ بِغَيْرِ زَادٍ وَقَدَّمَ
عَلَى غَيْرِ مِهَادٍ .

فاحذَرَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُنْ أَسْرًا مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرُ لَهَا فَإِنْ
صَاحِبَ الدُّنْيَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصْتَهُ إِلَى مَكْرُوهٍ وَضَارٍ وَقَدْ
وَصَلَ الرَّخَاءُ مِنْهَا بِالْبَلَاءِ وَجُعِلَ الْبَقَاءُ إِلَى فَنَاءٍ فَسُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْأَحْزَانِ
أَمَانِيَّتُهَا كَاذِبَةٌ وَأَمَالُهَا بَاطِلَةٌ وَصَفْوَاهَا كَذْرٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ وَابْنُ آدَمَ فِيهَا عَلَى
خَطَرٍ إ ه .

شِعْرًا :

فَيَا أَيُّهَا النَّاسِي لِيَوْمِ رَحِيلِهِ
أَرَاكَ عَنِ الْمَوْتِ الْمَفِرِّقَ لَأَهِيَا
أَلَا تَعْتَبِرُ بِالرَّاحِلِينَ إِلَى الْبَلَى
وَتَرْكُهُمُ الدُّنْيَا جَمِيعًا كَمَا هِيَا
وَلَمْ يَخْرُجُوا إِلَّا بِقُطْنٍ وَخِرْقَةٍ
وَمَا عَمَّرُوا مِنْ مَنْزِلٍ ظَلَّ خَالِيَا
وَأَنْتَ غَدًا أَوْ بَعْدَهُ فِي جَوَارِهِمْ
وَحَيْدًا فَرِيدًا فِي الْمَقَابِرِ ثَاوِيَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ
الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ

الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي أَحْكَامِ الْأَعْتِكَافِ فِي الْمَسْجِدِ

الإِعْتِكَافُ لُغَةً : لُزُومُ الشَّيْءِ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَيْهِ بِرَأً كَانَ أَوْ
غَيْرِهِ ، وَفِي الشَّرْعِ : لُزُومُ مُسْلِمٍ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ ، عَاقِلٍ وَلَوْ مُمَيِّزاً ،
مَسْجِداً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ .

وَهُوَ سُنَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَفِي رَمَضَانَ آكِدُهُ ، وَأَكِدُهُ عَشْرَةُ الْآخِرِ ،
لَمَّا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يَعْتَكِفْ عَاماً فَلَمَّا كَانَ فِي
الْعَامِ الْمُقْبِلِ إِعْتَكَفَ عِشْرِينَ » .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ ، فَلِأَنَّهُ مِنْ فُرُوعِ الْإِيمَانِ ، وَلَا يَصِحُّ مِنْهُ
كَالصُّومِ ، وَأَمَّا مَنْ زَالَ عَقْلُهُ كَالْمَجْنُونِ فَلِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ
فَلَمْ يَصِحَّ مِنْهُ .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ ، فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ
عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : « إِنِّي لَا أَجِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا
جُنُبٍ » .

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِي مَسْجِدٍ ، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ ، لِأَنَّ الْإِعْتِكَافَ فِي غَيْرِهِ يُفْضِي إِمَّا إِلَى تَرْكِ الْجَمَاعَةِ ، أَوْ تَكَرُّرِ الْخُرُوجِ إِلَيْهَا كَثِيرًا مَعَ إِمْكَانِ التَّحَرُّرِ مِنْهُ ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلْإِعْتِكَافِ .

وَالْإِعْتِكَافُ فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ أَفْضَلُ ، لِئَلَّا يَخْتَاجَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهَا ، وَلِأَنَّ ثَوَابَ الْجَمَاعَةِ فِي الْجَامِعِ أَكْثَرُ ، وَلِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ .

وَيَجِبُ الْأَعْتِكَافُ بِالنَّذْرِ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْأَعْتِكَافَ لَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ فَرَضًا إِلَّا أَنْ يُوجِبَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ الْإِعْتِكَافَ نَذْرًا ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ » .

وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَعْتَكِفَ بِصَوْمٍ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَإِنْ اعْتَكَفَ بِغَيْرِ صَوْمٍ جَازٌ ، لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَ : « فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ » .

وَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ شَرْطًا فِيهِ لَمَا صَحَّ اعْتِكَافُ اللَّيْلِ ، وَكَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ .

وَلَا يَصِحُّ اعْتِكَافُ الْأُبَيْنَةِ ، لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ ، وَلِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

وَمَنْ نَذَرَ الْأَعْتِكَافَ أَوْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدٍ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ ، وَهِيَ . الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، وَمَسْجِدُ الْمَدِينَةِ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : جَازَ لَهُ أَنْ

يَعْتَكِفُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا مَزِيَّةَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ .

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَزِمَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِيهِ لِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ » .

وَلِإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْقِطَ فَرَضَهُ بِمَا دُونَهُ .

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، لِأَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْهُ .

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي أَيِّ الْمَسْجِدَيْنِ أَحَبَّ لَأَنَّهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ . بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » .

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِغَيْرِ عُدْرٍ ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَرْجُلُهُ ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا » .

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « السُّنَّةُ عَلَى الْمُعْتَكِفِ أَنْ لَا يَعُودَ مَرِيضًا ، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً ، وَلَا يَمَسُّ امْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا ، وَلَا يَخْرُجَ

لِحَاجَةِ إِنْسَانٍ إِلَّا بِدُّ مِنْهُ ، وَلَا اعْتِكَافٍ إِلَّا بِصُومٍ ، وَلَا اعْتِكَافٍ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ .

فَإِنْ خَرَجَ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ بَطَلَ اعْتِكَافُهُ ، لِإِنَّ الْإِعْتِكَافَ : اللَّبْثُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا خَرَجَ فَقَدْ فَعَلَ مَا يُنَافِيهِ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ كَمَا لَوْ أَكَلَ فِي الصُّومِ ذَاكِرًا .

وَيَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَبْطُلُ اعْتِكَافُهُ ، وَكَذَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ نَاسِيًا لَمْ يَبْطُلْ اعْتِكَافُهُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُعْتَكِفِ التَّشَاغُلُ بِفِعْلِ الْقُرْبِ كَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَذِكْرِ اللَّهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَسُنُّ لَهُ اجْتِنَابُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ جَدَلٍ وَمِرَاءٍ وَكَثْرَةِ كَلَامٍ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .

فَائِدَةٌ : قِيلَ لِلْقَهْمَانِ مَا بَلَغَ مَا نَرَى يُرِيدُونَ الْفَضْلَ قَالَ صَدَقَ الْحَدِيثُ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِي .
شِعْرًا :

عَلَى فَيْكَ بِمَا لَيْسَ يَعْنِيكَ شَأْنُهُ بِقَفْلِ وَثِيقٍ مَا اسْتَطَعْتَ فَاقْفَلِ

اللَّهُمَّ يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا قَيُّومُ نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى أَنْ تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُعَلِّيَ بِفَضْلِكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالِدِينَ وَأَنْ تَشْمَلَ بِعِنَايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةٍ مَنْ يُحِبُّكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا إِلَى مَا تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَانَا وَأَنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَأَدَابِهَا

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ .
 - ٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ عَنِ الْأَقْدَارِ وَتَنْظِيفِهَا .
 - ٣ - مَا وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ آكْلِ الْبَصْلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَإِبْعَادِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ .
 - ٤ - يَنْبَغِي تَجَنُّبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشُّرَاءِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ وَنُشْدَانِ الضَّلَاةِ فِيهَا .
 - ٥ - حُرْمَةُ الْمَبَالِغَةِ فِي زُخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ .
 - ٦ - كَرَاهَةُ الْإِتِّزَامِ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيْرِ الْإِمَامِ .
- ١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ ، وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ :
- بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَحَالِّ وَنَحْوِهَا حَسَبِ الْحَاجَةِ فَرُضَ كِفَايَةً وَيُسْتَحَبُّ إِتْخَاذُ الْمَسَاجِدِ فِي الدَّوْرِ ، وَتَنْظِيفُهَا وَتَطْيِيبُهَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فِي بُيُوتِ أذنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ . . ﴾ الآية ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدَّوْرِ ، وَأَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ .
- وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ

صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةِ بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا يُذَكَّرُ فِيهِ اللَّهُ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ، مِنْ مَالٍ حَلَالٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مَصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ؛ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ ، تَلَحُّقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » .

وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا » .

٢ - ما وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ وَتَنْظِيفِهَا :

وَيُسْنُ صِيَانَةَ الْمَسَاجِدِ عَنْ كُلِّ وَسَخٍ ، وَقَدَرٍ ، وَقَذَاةٍ ، وَمُخَاطٍ ،
وَبُصَاقٍ ، وَتَقْلِيمِ أَظْفَارٍ ، وَقَصِّ شَارِبٍ ، وَحَلْقِ رَأْسٍ ، وَنَتْفِ إِبْطٍ ، لِمَا
وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورُ أَعْمَالِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنْ
الْمَسْجِدِ » .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُ
الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ : « فَهَلَا أَذْتُمُونِي » ؟ فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى
عَلَيْهَا .

وَعَنْ سَمْرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِي دِيَارِنَا ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُنْظِفَهَا .
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمًا ، إِذْ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَعَيَّظَ عَلَى
النَّاسِ ، ثُمَّ حَكَّهَا ، - قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ - : فَدَعَا بَزْعُفْرَانَ فَلَطَّخَهُ بِهِ ،
وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبِلَ وَجْهَ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى ، فَلَا يُصَوِّقُ بَيْنَ
يَدَيْهِ » .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَقَلَّ تِجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَقَلُّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ السَّائِبِ بْنِ خَلَادٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ يَنْظُرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِئِنَ فَرَعٌ : « لَا يُصَلِّيَ لَكُمْ هَذَا ، فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : « أَنْكَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

٣ - ما وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَابْعَادِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ عَنْهُمَا :

يُسْنُ صِيَانَةَ الْمَسَاجِدِ عَنْ رَائِحَةِ كَرِيهَةٍ مِنْ بَصَلٍ وَثُومٍ وَكُرَاثٍ وَنَحْوِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ أَكَلٍ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبُنَا وَلَا يُصَلِّينَ مَعَنَا » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبُنْ مَسْجِدَنَا » .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ ، فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَاثَ ، فَلَا يَقْرَبُنْ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا تَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،

فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ ، ثُمَّ أَنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْبَتَيْنِ ، الْبَصَلُ وَالثُّومُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَجَدَ رَيْحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ نَفِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيَمِيتْهُمَا طَبْخًا .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ أَهْلَ السَّعَادَةِ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

يُسَنُّ أَنْ يُصَانَ الْمَسْجِدُ عَنْ صَغِيرٍ لَا يُمَيِّزُ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ مَجْنُونٍ حَالَ جُنُونِهِ ، وَعَنْ لَغَطٍ ، وَخُصُومَةٍ وَكَثْرَةِ حَدِيثٍ لِأَعْيُنٍ ، وَرَفْعِ صَوْتٍ بِمَكْرُوهٍ ، وَعَنْ رَفْعِ الصَّيْبَانِ أَصْوَاتِهِمْ بِاللَّعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَيُمنَعُ فِيهِ اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَإِيْدَاءُ الْمُصَلِّينَ وَغَيْرِهِمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَيُمنَعُ السُّكْرَانُ مِنْ دُخُولِهِ ، وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صَبِيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَسَلِّ سُيُوفِكُمْ ، وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَّرُوهَا فِي الْجَمْعِ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ » .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : « لا تقام الحدود في المساجد ، ولا يستفاد فيها » .

وعن الحسن - رحمه الله - مُرسلاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة » .

وعن السائب بن يزيد قال : « كنت نائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقال : اذهب فأني بهذين ، فجئت بهما ، فقال : ممن أنتما - أو من أين أنتما ؟ قالاً ، من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل المدينة لا وجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وعن مالك قال : بني عمر - رضي الله عنه - رحية في ناحية تسمى « البطحاء » ، وقال من كان يريد أن يلغظ أو ينشد شعراً ، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحية .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا اتخذ الفيء دُولاً والأمانة مُغنماً والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأذنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أزدلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فازتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً ، وقدفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلته فتتابع » .

٤ - يَنْبَغِي تَجْنِيبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ وَنَشْدَانِ الضَّالَّةِ فِيهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .
 فَضْلٌ : وَيَحْرَمُ فِي الْمَسْجِدِ الْبَيْعُ وَالشَّرَاءُ ، فَإِنْ فَعَلَ فَالْبَيْعُ بَاطِلٌ
 لِحَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ
 الْبَيْعِ وَالِابْتِياعِ وَعَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسَاجِدِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ ،
 وَالنَّسَائِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ .

وَيُسْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ بَاعَ أَوْ اشْتَرَى فِي الْمَسْجِدِ : لَا أَرْبَحَ اللَّهُ
 تِجَارَتَكَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَتَّاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا :
 لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا :
 لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدِّرَامِيُّ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ ، وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ وَابِعَادُهُ عَنِ الْمَسَاجِدِ الْكُتُبِ
 الَّتِي فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، كَالْهَجَاءِ لِلْسَّنَةِ الْأُولَى الْإِبْتِدَائِيَّةِ ،
 وَكَالْمَطَالَعَةِ لِسَائِرِ السَّنَوَاتِ ، وَكَالْعُلُومِ ، فَإِنَّ بَعْضَ التَّلَامِيذِ يَأْتُونَ بِهَا
 إِلَى الْمَسَاجِدِ لِيُطَالِعُوا فِيهَا وَإِذَا تَخَلَّقَتْ وَضَعَهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ وَرَدَ
 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : وَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ جِبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ
 فَرَأَتْ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ
 فَلَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا
 صُورَةٌ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَيُسْنُ صَوْنُ الْمَسْجِدِ عَنْ انْشَادِ شِعْرِ قَبِيحٍ ، وَإِنْشَادِ ضَالَّةٍ
 وَنَشْدَانِهَا ، وَيُسْنُ لِسَامِعِ نَشْدَانِ الضَّالَّةِ أَنْ يَقُولَ : لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ ،
 لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلّم : « مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشِدُ فِي الْمَسْجِدِ ضَالَّةً فَلْيَقُلْ : لَا آدَاها
الله إِلَيْكَ . فَإِنَّ الْمَسْجِدَ لَمْ تُبْنَ لَهُذَا » رواه أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ : أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : مَنْ دَعَا إِلَى
الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا وَجَدتْ ، إِنَّمَا
بُنِيَتِ الْمَسْجِدُ لِمَا بُنِيَتَ لَهُ » رواه أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

٥ - حُرْمَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي زَخْرَفَةِ الْمَسْجِدِ :

وَتَحْرِمُ زَخْرَفَتُهَا بِنُقْشٍ وَصَبْغٍ وَكِتَابَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِي الْمُصَلِّي
عَنْ صَلَاتِهِ غَالِبًا ، وَإِنْ فُعِلَ ذَلِكَ مِنْ مَالِ الْوَقْفِ حَرَمَ فِعْلُهُ ، وَوَجِبَ
ضَمَانُ مَالِ الْوَقْفِ الَّذِي صُرِفَ فِيهِ لَا لِمَصْلَحَةٍ فِيهِ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسْجِدِ » قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ
عَنْهُمَا - لَتُزَخِرَ فُنْهَا كَمَا زَخِرَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى » رواه أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ » رواه الْخَمْسَةُ إِلَّا
الْتَرْمِذِي .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ
مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : أَكْبَنُ النَّاسِ مِنَ
الْمَطَرِ وَأَيَّاكَ أَنْ تُحَمَّرَ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ . وَيُنْبَغِي أَنْ لَا يَسْتَعْمَلَ
النَّاسُ حُصْرَ الْمَسْجِدِ وَقَنَادِيلَهُ وَسَجَاجِيدَهُ وَيُسْطَهَ وَسَائِرَ مَا وُفِّقَ لِمَصَالِحِهِ
فِي مَصَالِحِهِمْ ، كَالْأَعْرَاسِ وَيَجِبُ صَرْفُ الْوَقْفِ لِلْجَهَةِ الَّتِي عِيْنَهَا

الواقف .

٦ - كراهة التّزام مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ ، لِغَيْرِ الْإِمَامِ :
وَتَكْرَهُ لِغَيْرِ الْإِمَامِ مَدَاوِمَةٌ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يُصَلِّي إِلَّا
فِيهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَبَلٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ وَأَنْ يُوْطِنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ
فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوْطِنُ الْبَغِيرُ . رواه أبو داود ، والنسائي والدرامي . فَإِنْ
دَاوَمَ عَلَى الصَّلَاةِ بِمَوْضِعٍ فَلَيْسَ هُوَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ فَإِذَا قَامَ مِنْهُ
فَلغیره الْجُلُوسُ فِيهِ ، لِحَدِيثِ (مَنْ سَبَقَ إِلَى مَبَاحٍ فَهُوَ لَهُ) قَالَ فِي
الِاخْتِيَارَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَإِذَا فَرَشَ مُصَلِّيٌ وَلَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ وَلغیره
رَفَعَهُ فِي أَظْهَرِ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ قُلْتُ وَمِثْلُهُ وَضَعُ خِرْقَةٍ أَوْ عَصَا أَوْ نَعْلٍ أَوْ
تَقْدِيمِ خَادِمٍ أَوْ وُلْدٍ ثُمَّ إِذَا حَضَرَ قَامَ عَنْهُ وَجَلَسَ فِيهِ فَهَذَا لَا يَجُوزُ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

وَقَالَ فِي إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ وَلَمْ يُصَلِّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى سُجَادَةٍ قَطُّ وَلَا كَانَتْ السُّجَادَةُ تُفْرَشُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَلْ كَانَ يُصَلِّي عَلَى
الْأَرْضِ وَرُبَّمَا سَجَدَ عَلَى الطِّينِ وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْحَصِيرِ فَيُصَلِّي عَلَى مَا
اتَّفَقَ بَسْطُهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ صَلَّى عَلَى الْأَرْضِ .

قال الناظم لاختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

وَوَضِعُ الْمُصَلِّي فِي الْمَسَاجِدِ بِدَعَا
وَلَيْسَ مِنَ الْهَدْيِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِ
وَتَقْدِيمُهُ فِي الصَّفِّ حَجْرٌ لِرَوْضَةٍ
وَعَضْبٌ لَهَا عَنْ دَاخِلٍ مُتَعَبِّدِ

وَيُشْبِهُهُ وَضَعُ الْعَصَا وَحُكْمُهَا
كَحُكْمِ الْمُصَلِّي فِي ابْتِدَاعِ التَّعْبُدِ
بَلَى مُسْتَحَبُّ أَنْ يُمَاطَا وَيُرْفَعَا
عَنِ الدَّاخِلِينَ الرَّاكِعِينَ بِمَسْجِدِ
لَيْتَن لَمْ يَكُنْ هَذَا بِنَصِّ مُقَرَّرٍ
وَلَا فِعْلٍ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهُدَى
وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ فَبَعْدِ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يُسَنَّ أَوْ يُكْرَهُ صِيَامُهَا

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ .
- ٢ - بَيَانُ الْأَيَّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يَحْرَمُ صِيَامُهَا ، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ
بِالْغَيْرِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ :
يُسَنَّ صِيَامُ أَيَّامِ الْبَيْضِ ، وَهِيَ الثَّلَاثُ عَشْرَ وَالرَّابِعُ عَشْرَ وَالْخَامِسُ

عشر ، لما ورد عن أبي ذرٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا ، فَصُمْ : ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ » رواه الترمذي .

وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ - رضي الله عنه - قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ، رواه أبو داود .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال : أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكَعَتَا الضُّحَى ، وَأَنْ أَوْتَرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ ، متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قال أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ ، لَنْ أَدْعُهُنَّ مَا عِشْتُ : بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلَاةِ الضُّحَى وَيَأْنُ لَا أَنَامَ حَتَّى أَوْتَرَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَيُسَنُّ صِيَامُ أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، وَسَبْتٍ مِنْ سُؤَالٍ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ : « ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ أُوْلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ ، وَأُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » رواه الترمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِغَيْرِ صَوْمٍ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْاِنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » رواه مُسْلِمٌ .

وَاسْتَحَبَّ صِيَامَ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَاوُوسٍ وَالشَّعْبِيِّ ، وَمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَأَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ : عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ صِيَامُهَا مُتَتَابِعَةً أَوَّلَ الشَّهْرِ ثَانِيهِ الْفِطْرِ ، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ : « مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ مُتَتَابِعَةً فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ » أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَفِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ : « إِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ » وَإِنَّمَا كَانَ صِيَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَاعَهُ بِسِتِّ مِنْ شَوَّالٍ يَغْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا .

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : « صِيَامُ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ ، فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ ، يَعْنِي صِيَامَ رَمَضَانَ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ » أَخْرَجَهُ : الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ . وَهَذَا لَفْظُهُ . وَخَرَجَهُ : ابْنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ . وَصَحَّحَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ .

وَيُسَنُّ صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ حَاجٍ بِهَا ، وَشَهْرُ الْمُحَرَّمِ وَآكِدُهُ الْعَاشِرُ ، ثُمَّ التَّاسِعُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ » . رواه مُسْلِمٌ .

وفي حديث أبي قتادة قال : قال عمر - رضي الله عنه - يا رسول الله ، كيف من يصوم الدهر كله ؟ قال : « لا صام ولا أفطر » وقال : « لم يصم ولم يفطر » قال : كيف من يصوم يومين ويفطر يوماً ؟ قال : « ويطبق أحد » قال : « كيف من يصوم يوماً ويفطر يوماً » ذلك صوم داود » ، قال : كيف من يصوم يوماً ويفطر يومين ؟ قال وددت أني طوقت ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله ، صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده ، وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » رواه مسلم .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه . متفق عليه .

وعنه - رضي الله عنهما - : لئن بقيت إلى قابل ، لأصومن التاسع » متفق عليه .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه .

ويسنن صيام تسع ذي الحجة ، لما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام » يعني أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ، قال : « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء » رواه

البخاري .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ ، وَإِنْ صِيَامَ يَوْمٍ فِيهَا لَيَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ ، وَلَيْلَةٌ فِيهَا بَلِيْلَةٌ الْقَدْرِ » رواه ابن ماجه والتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

اللَّهُمَّ اِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا ، اللَّهُمَّ أَفْضِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأُفْ بِنَا رَأْفَةً الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِهَا ، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ : مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في بيانِ الأَيَّامِ التي يُكْرَهُ أَوْ يُحْرَمُ صِيَامُهَا
وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْغَيْرِ

وَيُكْرَهُ أَفْرَادُ رَجَبٍ بِالصَّوْمِ ، وَالْجُمُعَةُ وَالسَّبْتُ ، أَمَا رَجَبٌ : فَلَمَّا رَوَى أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ خُرْشَةَ بِنِ الْحَرِّ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ يُضْرِبُ أَكْفَ الْمُتَرَجِّجِينَ حَتَّى يَضَعُوهَا فِي الطَّعَامِ ، وَيَقُولُ كُلُّوا ! فَإِنَّمَا هُوَ شَهْرٌ كَانَتْ تُعَظَّمُهُ الْجَاهِلِيَّةُ .

وِبِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى النَّاسَ
وَمَا يُعِدُّونَهُ لِرَجَبٍ كَرِهَهُ وَقَالَ : « صُومُوا مِنْهُ وَأَفْطِرُوا » .

وَأَمَّا الْجُمُعَةُ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَخْضُوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْتِ
الْيَالِي ، وَلَا تَخْضُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي
صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا
بَعْدَهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا السَّبْتُ فَلَمَّا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ عَنْ أُخْتِهِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَصُومُوا يَوْمَ
السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِحَاءَ عِنَبَةٍ ، أَوْ
عُودَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضِغْهُ » رواه الخُمَيْسِيُّ إِلَّا النَّسَائِيُّ .

وَيُكْرَهُ تَقْدِيمُ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَا تَقْدِمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا
فَلْيَصُمْهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُكْرَهُ صَوْمُ الدَّهْرِ ، لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِلَفْظِ « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ » .

وَيُكْرَهُ صَوْمُ النَّيْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ وَكُلُّ عِيدٍ لِلْكَفَّارِ ، أَوْ يَوْمٍ يُفْرِدُونَهُ بِالْتَعْظِيمِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ مُوَافَقَةِ الْكُفَّارِ فِي تَعْظِيمِهَا ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : مَنْ تَأَسَّى بِبِلَادِ الْأَعَاجِمِ نَيْرُوزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ حُشِرَ مَعَهُمْ .

قَالَ الشَّيْخُ وَغَيْرُهُ : مَا لَمْ يُوَافِقْ عَادَةً أَوْ يَصْنَعُهُ عَنْ نَذْرٍ وَنَحْوِهِ ، قَالَ : وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ صَوْمِهِمْ كَيَوْمِ (عِيدِ الْمَائِدَةِ) وَيَوْمِ الْأَحَدِ الَّذِي يُسَمَّوْنَهُ (عِيدِ الْفُضْحِ) وَ(عِيدِ النَّوْرِ) وَ(العِيدِ الْكَبِيرِ) وَنَحْوَ ذَلِكَ ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُشَابِهَهُمْ فِي أَصْلِهِ وَلَا فِي وَصْفِهِ .

وَقَالَ : لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا يُخْتَصُّ بِأَعْيَادِهِمْ ، لَا مِنْ طَعَامٍ ، وَلَا مِنْ لِيَاسٍ ، وَلَا اغْتِسَالٍ ، وَلَا إِيقَادِ نِيرَانٍ ، وَلَا تَبْطِيلِ عَادَةٍ مِنْ مَعِيشَةٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَا تُمْكُنُ الصَّبِيَّانِ وَنَحْوَهُمْ مِنَ اللَّعِبِ الَّتِي فِي الْأَعْيَادِ ، وَلَا إِظْهَارِ زِينَةٍ .

وَبِالْجُمْلَةِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَخُصُّوا أَعْيَادَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِهِمْ بَلْ يَكُونُ يَوْمَ عِيدِهِمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ ، لَا يَخُصُّهُ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِمْ .

وَتَخْصِيصُهُ بِمَا تَقَدَّمَ فَلَا يَزَاعُ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، بَلْ قَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى كُفْرٍ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأُمُورَ : لِمَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ .

وَقَدْ اشْتَرَطَ عُمَرُ وَالصَّحَابَةُ وَسَائِرُ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُظْهِرُوا
 أَعْيَادَهُمْ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ إِذَا أَظْهَرَهَا الْمُسْلِمُونَ ؟ حَتَّى قَالَ عُمَرُ
 بَنُ الْخَطَّابِ : لَا تَتَعَلَّمُوا رِطَانَةَ الْأَعَاجِمِ ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمَشْرِكِينَ
 فِي كِنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ ، فَإِنَّ السُّخْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ،
 فَكَيْفَ بِمَنْ يَفْعَلُ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُوَ مِنْ شَعَائِرِهِمْ ؟ وَقَالَ
 عُمَرُ : مَا تَعَلَّمَ رَجُلٌ الْفَارِسِيَّةَ إِلَّا حَبٌّ وَلَا حَبٌّ إِلَّا نَقَصَتْ مَرْوَةٌ .

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا
 يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قَالَ : أَعْيَادُ الْكُفَّارِ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي شُهُودِهَا مِنْ غَيْرِ
 فِعْلٍ ، فَكَيْفَ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِهَا ؟!

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ أَنَّهُ
 قَالَ : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » ، وَفِي لَفْظٍ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَهَ
 بِغَيْرِنَا » وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّشْبِهِ - وَإِنْ كَانَ مِنَ
 الْعَادَاتِ - فَكَيْفَ التَّشْبَهُ بِهِمْ فِيمَا هُوَ أْبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ ؟ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ اعْتِيَادُ اللَّغَةِ يُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ
 وَالذِّينِ تَأْثِيرًا قَوِيًّا بَيِّنًا بِحَسَبِ تِلْكَ اللَّغَةِ وَقَالَ فِي اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ
 الْمُسْتَقِيمِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا يَتَكَلَّمَ بِالْعُجْمَةِ فَإِنَّهُ يُورَثُ
 الْيَفَاقَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى حَدِيثِ : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ » أَيُّ بِالْأَنْدِمَاجِ وَتَلَاثَتْ شَخْصِيَّتَهُ فِيهِمْ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنِ

تَعْظِيمِ وَإِكْبَارِ لَهُمْ ، فَهَوَ لِذَلِكَ يُلْغِي شَخْصِيَّتَهُ وَيَتَلَأَشَى فِي شَخْصِيَّةِ
الْآخَرِينَ ، فَمَنْ تَشَبَهَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ بِالْغَاءِ
شَخْصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ السُّفِيَّةِ ، وَأَنْدَمَجَ فِي مَعْنَوِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا وَأَدَبًا ، فَهُوَ بِإِلَّا شَكِّ مِنْهُمْ .

وَمَنْ تَشَبَهَ بِالْإِفْرَنْجِ فِي لِبَاسِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَنُظْمِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَهُوَ
بِإِلَّا شَكِّ إِفْرَنْجِيٌّ غَيْرُ مُسْلِمٍ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، فَلِهَذَا
التَّشْبِيهِ وَنَتَائِجِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ نَرَى الْمُعْظَمِينَ لِلنُّصَارَى وَالرُّومِيِّينَ
الْحَرِيصِينَ عَلَى التَّشْبِيهِ بِهِمْ وَالْأَنْدِمَاجِ فِيهِمْ يُعَاوَنُونَهُمْ عَلَى الضَّرْرِ بِدِينِهِمْ
وَبِلَادِهِمْ وَأُمَمِهِمْ عَنِ قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ أ هـ .

وَيُكْرَهُ وَصَالٌ إِلَّا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ
الْوِصَالِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ :
« وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنْ أُبِيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ
الْوِصَالِ وَاصَلَّ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَيْلَالَ فَقَالَ : « لَوْ تَأَخَّرَ الْهَيْلَالُ
لَرِذْتُكُمْ ، كَالْمَنْكَلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلَا يَجُوزُ صَوْمُ الْعِيْدَيْنِ عَنِ فَرَضٍ أَوْ تَطَوُّعٍ ، وَإِنْ قَصَدَ صِيَامَهَا
كَانَ عَاصِيًا ، وَلَا يُجْزئُ عَنِ الْفَرَضِ .

وَلَا يَجُوزُ صِيَامُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِلَّا عَنِ دَمٍ مُتَّعَةٍ وَقِرَانٍ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ
أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « أَنَّهُ نَهَى عَنِ صَوْمِ يَوْمَيْنِ : يَوْمِ الْفِطْرِ ، وَيَوْمِ النُّحْرِ ، مُتَّفَقٌ

عَلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى أَزْهَرَ ، قَالَ : شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ ابْنِ
الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : « هَذَا بِنِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِهِمَا : يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرُ
تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا أَيَّامُ التُّشْرِيقِ ، فَلَمَّا رُوِيَ عَنْ نُبَيْشَةَ الْهَذَلِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيَّامُ التُّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلِ
وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « نَهَى عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ : يَوْمِ الْفِطْرِ ، وَيَوْمِ
النَّحْرِ ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ التُّشْرِيقِ » رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ .

فوائد عظيمة المنفعة

مُجَاسَّةُ الْعَارِفِ الزَّاهِدِ تَدْعُو مِنْ سِتِّ إِلَى سِتِّ .

مِنْ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ .

وَمِنْ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ .

وَمِنْ الْغَفْلَةِ إِلَى الْبُذْرِ .

وَمِنْ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الرِّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ .

وَمِنْ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَاضُعِ .

وَمِنْ سُوءِ الطَّبَوِيَّةِ إِلَى النُّصِيحَةِ .

الْأَفْضَلُ فِي أَوْقَاتِ السَّحْرِ الْإِشْتَغَالُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ

والاستغفار .

وفي وقت الأذان إجابة المؤذن والدعاء لأنه وقت إجابة .
وفي وقت الصلوات الخمس الاستعداد لها والجد والاجتهاد والحرص
على طرد الأفكار الصادة عن تأمل معاني الآيات والتسبيح والتكبير .

والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه ، والمبادرة إلى تأديتها في أول
وقتها والخروج إلى الجامع وإن بَعَدَ كان أفضل لكثرة الخُطَا .
والأفضلُ في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالمال أو الجاه أو
البدن ، الاشتغال بمساعدته وإغائته .

والأفضلُ في وقتِ قراءة القرآن الحرص على تدبره وتفهمه حتى كأنَّ
اللَّهَ تعالى يخاطبه به ، ويعزُّمُ على تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

والأفضلُ في عشر ذو الحجة الاجتهاد والحرص على الاكثار من الأعمال
الصالحة والدعاء والتضرع والاكثار من قراءة القرآن وذكر الله .

والأفضلُ في الوقوف بعرفة الاجتهاد في الدعاء والتضرع والاكثار من
قول لا إله إلا الله .

والأفضلُ في العشر الأخير من رمضان لزوم المساجد والخلوة
والاعتكاف وتلاوة القرآن .

والاكثار من الباقيات الصالحات والحرص على إخراج الزكاة في هذا
الشهر المبارك وإفطار الصوام .

والأفضلُ في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحُضُورُ جنازته
وتشييعه وتقديم ذلك على خلواتك وجمعيَّتك .

والأفضل في وقت نُزول النوازل وأداة الناس لك أداء واجب الصبر مع
خلطتك بهم دون الهرب منهم .

فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا
يخالطهم ولا يؤذونه .

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه واعتزالهم في
الشر أفضل فإن علم إنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل
من اعتزالهم .

شِعْرًا :

وَقُلْتُ لِلدَّمْعِ : أَسْعِدْنِي ، فَاسْعَدَنِي
وَمَنْ يَمُوتُ ، فَمَا أَوْلَاهُ بِالْحَزَنِ
وَإِنَّمَا أَنْتَ وَالْعِلَاتُ فِي قَرَنِ
بَيْنَ النَّهَارِ ، وَبَيْنَ اللَّيْلِ ، مُرْتَمِنِ
حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
وَلَمْ تَطِبْ لِذَوِي الْأَنْقَالِ وَالْمُؤْنِ
كَأَنَّ مَنْ قَدْ قَضَى ، بِالْأَمْسِ ، لَمْ يَكُنْ
سَائِلٌ بِذَلِكَ أَهْلَ الْعِلْمِ ، وَالزَّمَنِ
بَيْنَ التَّفَكُّرِ ، وَالتَّجْرِبِ ، وَالْفِطَنِ
فَمَا يَغْرُكَ فِيهَا مِنْ هُنَ ، وَهَنِ
النَّاسِ فِي غَفَلَةٍ ، وَالْمَوْتِ فِي سَنَنِ
مُطِيبٍ لِلْمِنَايَا ، غَيْرِ مُدْهِنِ
فِي قُرْبِ دَارٍ ، وَفِي بُعْدِ عَنِ الْوَطَنِ
مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا يَزْدَادُ فِي الْحَسَنِ
يَلْوِي ، بِبُحْبُوحَةِ الْمَوْتَى ، عَلَى سَكَنِ

إِنِّي ارْقُتُ ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ أَرْقِنِي
يَا مَنْ يَمُوتُ ، فَلَمْ يَحْزَنْ لِمَيْتَتِهِ
تَبَغَى النِّجَاةَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مُحْتَرِسًا
يَا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الْأَنْفَاسِ فِي الْبَدَنِ
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ اخْتِلَافُهُمَا
طَيْبُ الْحَيَاةِ لِمَنْ خَفَّتْ مَوْوِنَتُهُ
لَمْ يَبْقَ يَمِّنَ مَضَى ، إِلَّا تَوْهُمُهُ
وَإِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا بِسَاعَتِهِ
مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ لِلْمُلْقِي بَعْبِرَتِهِ
أَلَسْتَ ، يَا ذَا ، تَرَى الدُّنْيَا مُؤَلِّيَةً
لِأَعْجَبِينَ ، وَأَنْتِي يَنْقُضِي عَجْبِي
وِظَاعِينَ ، مِنْ بَيَاضِ الرِّيطِ كُسُوتِهِ
غَادِرْتُهُ ، بَعْدَ تَشْيِيعِهِ ، مُنْجَدِلًا
لَا يَسْتَطِيعُ انْتِقَاصًا فِي مَحَلَّتِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا ، مَا أَرَى سَكَنًا

ما بال قوم ، وقد صححت عقولهم
 لتجذبي يد الدنيا ، بقوتها
 وأي يوم لمن وافى منيته
 لله دنيا أناس دائبين لها
 كسائم رواع تبغي سمناً
 فيما ادعوا يشترون الغي بالثمن
 إلى المنايا ، وإن نازعتها رسي
 يوم تبين فيه صورة الغبن
 قد ارتعوا في رياض الغي ، والفتن
 وحتفها لودرت في ذلك السمن

اللهم اسلك بنا مسلك الصادقين الأبرار ، والحقنا بعبادك
 المصطفين الأخيار ، وأتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا
 عذاب النار .

اللهم أحي قلوباً أمانتها البعد عن بابك ، ولا تعذبنا بإليم عقابك يا
 أكرم من سمح بالنوال وجاد بالإفضال ، اللهم أيقضنا من غفلتنا بلطفك
 وأحسانك ، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك ، واغفر لنا ولوالدينا
 ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
 وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

في الحديث على تقوى الله عز وجل
 عباد الله عليكم يتقوى الله فإنها وصية الله للأولين والآخرين ،
 قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
 اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فما من خير عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله
 سبيل موصل إليه ، ووسيلة مبلغة له ، وما من شر عاجل ولا آجل
 ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله عز وجل جزأ متين وجنن حصين
 للسلامة منه والنجاة من ضرره .

وَكَمْ عَلَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى التَّقْوَى مِنَ خَيْرَاتٍ
عَظِيمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيمَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْمُقْتَضِيَّةِ لِلْحِفْظِ
وَالْعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَبَّةِ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَا
اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمْ
اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَنِ الْمُتَّقِي الْمُصْلِحِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ
ذَلِكَ الْفِرْقَانُ عِنْدَ الْإِشْتِيَاهِ وَوُقُوعِ الْأَشْكَالِ وَالْكَفَّارَةِ لِلْسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ
لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا
كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ
يُسْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظْمُ الْأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى :
﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ مَنْ
كَانَ تَقِيًّا .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

ومن ذَلِكَ الْكِرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الْأَوْامِرِ
وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَلَا
يُقَدِّمُونَ عَلَى مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ
وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا
تُخْفِي عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيَحْرِمُونَ مَا حَرَّمَهُ
وَيُجِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالْإِهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا
يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ إِخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ
قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَّمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمُ الْخَيْرَ عِنْدَهُمْ
مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يَنَافِقُونَ .

وَلَا يَنْمُونُ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُونَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْدِفُونَ وَلَا
يَأْمُرُونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ مَعْرُوفٍ ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .

اخواني ، لَوْ تَحَلَّى كُلٌّ مِنَّا بِالتَّقْوَى لِحُسْنِ عَمَلِهِ ، وَخَلَصَتْ نِيَّتُهُ ،
وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهُدَى ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّدَى ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مِنَ النَّاجِينَ .

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَجِدُ نَفْعَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُطْوَلِ
 أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الطَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ
 وَلَا خَيْرَ فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَا إِذَا أَنْتَ مِنْهَا بِالتَّقَى لَمْ تَزُودِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

وَصْفُ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي لِلْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ
 وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ
 عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي
 الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ .

عَظَمَ الْخَالِقَ فِي أَنفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ
 كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعِمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذِّبُونَ
 قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَسُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَجِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ
 وَأَنفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً وَتِجَارَةً مُرِيحَةً
 يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدُوا أَنفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَا اللَّيْلُ
 فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنفُسَهُمْ

وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَيْبَرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مَفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفِيهِمْ وَرَكَبِيهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارُ أَتْقِيَاءُ .

قَدْ بَرَّاهِمُ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرَضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ؟ لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زَكِيٌّ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي اللَّهُ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْمًا فِي لَيْنٍ وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ ، وَجِرْصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي جِلْمٍ وَقَصْدًا فِي غِنَى وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَتَحَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدًى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ .

وَإِذَا بَحِثْتَ عَنِ التَّقَى وَجَدْتَهُ رَجُلًا يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعَالِهِ
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهُ أَمْرًا وَأَطَاعَهُ فَيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالِي
وَعَلَى التَّقَى إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقَى تَاجَانِ تَاجِ سَكِينَةٍ وَجَمَالِ
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَى نَسَبًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

التَّقِيَّ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُمَسِّي وَهْمُهُ الشُّكْرُ ،
وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ يَبِيْتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا ، حَذِرًا لِمَا حَذِرَ مِنْ
الْعَفْلَةِ ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ، إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّهُ ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الْجِلْمَ
بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيْبًا أَمْلُهُ ، قَلِيْلًا زَلُّهُ ، خَاشِعًا قَلْبُهُ ،
قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنزُورًا أَكْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ ، حَرِيْرًا دِيْنُهُ ، مِيْتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا
عَيْظُهُ ، الْحَخِيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِيْنَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِيْنَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِيْنَ لَمْ
يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِيْنَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ،
بَعِيْدًا فُحْشُهُ ، لِيْنَا قَوْلُهُ غَائِبًا مُنْكَرُهُ ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ ،
مُدْبِرًا شَرُّهُ ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُوْرٍ ، وَفِي الْمَكَارِمِ صَبُوْرٍ وَفِي الرِّخَاءِ شُكُوْرٍ .

لَا يَحِيْفُ عَلَى مَنْ يُبَغِضُ ، وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ
قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ ، وَلَا يُنَابِزُ
بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْتُمُ بِالْمُصَاصِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي
الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ .

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ
عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ
مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرِيْتِهِ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .

(فصل)

قال الله تبارك وتعالى وتقدس ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

قال بعض أهل العلم في هذه الآية فوائد منها أن أصل أمر المتقين السلامة منه وإن عرض طيف بعض الأحيان .

ومنها إذا مسهم والمس ملامسة من غير تمكن كالكفار فإن الشيطان يتجرد عليهم ويختلس من قلوب المتقين المؤمنين حين تنام العقول الحارسة للقلوب .

فإذا استيقظوا انبعث من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة إلى الله تعالى والإفتقار فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما أفرسه .

ومنها أنه أشار بالطيف إلى أنه لا يمكنه أن يأتي القلوب الدائمة المستيقظة إنما يأتي القلوب في حين منامها يرجو غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه .

ومنها أن الطيف الذي في منامك فإذا استيقظت فلا وجود له .

ومنها أنه قال تذكروا ولم يقل ذكروا إشارة إلى أن الغفلة لا يطردّها الذكر من غفلة القلب إنما يطردّها التذكر والاعتبار لأن الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب .

ومنها أنه قال تذكروا فحذف متعلّقة ولم يقل تذكروا الجنة والنار والعقوبة لأن التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب المتقين .

ومرتبة التقوى يدخل فيها الرسل والأنبياء والصدّيقون والأولياء والصالحون والمسلمون فتقوى كل أحد على حسب مقامه .

لذلك يُذكر كل واحد على حسب مقامه فلو ذكر قسماً من أقسام التذكر لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم .

ومنها قوله سُبْحَانَهُ إِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ كَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَعْلَى ذَلِكَ مَنَامُهُ
سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَيْقَظُوا ذَهَبَتْ سَحَابَةُ الْغَفْلَةِ فَأَشْرَقَتْ شَمْسُ
الْبَصِيرَةِ .

ومنها التَّوَسُّعُ عَلَى الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَا يَمَسُّهُمْ طَيْفٌ
مِنَ الشَّيْطَانِ خَرَجَ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَ الْعِصْمَةِ فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوسِّعَ دَائِرَةَ
رَحْمَتِهِ . انتهى

ثم أعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أَنَّ التَّقْوَى
الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ لِأَهْلِهَا قِيلَ إِنَّهَا امْتِثَالُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي .
وقيل هي اتقاء الشرك فما دُونُهُ مِنْ ذَنْبٍ مِنْ كُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَاتِقَاءُ
تَضْيِيعِ وَاجِبٍ مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ .

وهي وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .
وقال جل وَعَلَا ﴿ أَلَا أَنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

وقد روى في الحديث إن المُنَادِي يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ فَتَرْفَعُ الْخَلَائِقُ رُؤُوسَهُمْ يَقُولُونَ نَحْنُ عِبَادُ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم يُنَادِي الثَّانِيَةَ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ فَيُنَكِّسُ الْكُفَّارَ
رُؤُوسَهُمْ ، وَيَبْقَى الْمُؤْمِنُونَ رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ .
ويبقى أهل التَّقْوَى رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ قَدْ أزال عَنْهُمْ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الْخَوْفَ
وَالْحَزْنَ كَمَا وَعَدَهُمْ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ
لَا يَخْذُلُ وَلِيَّهُ وَلَا يُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْهَلَكَةِ .

لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ نَحَالِقَهُمْ
فَأْمَنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أَمَرُوا
وَالْوَجْدُ وَالشُّوقُ وَالْأَفْكَارُ قُوَّتُهُمْ
وَالزُّمُومُ وَالْإِدْلَاجُ فِي الْبُكْرِ
وَبَادِرُوا لِرِضَا مَوْلَاهُمْ وَسَعَوْا
قَصَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ سَعَى مُؤْتَمِرٍ
وَشَمَرُوا وَاسْتَعَدُّوا وَفَقَّ مَا طَلَبُوا
وَاسْتَعْرَفُوا وَقَتُّهُمْ فِي الصَّوْمِ وَالسَّهْرِ
وَجَاهَدُوا وَانْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ
عَنْ بَابِهِ وَاسْتَلَانُوا كُلَّ ذِي وَعَرٍ
جَنَّتْ عَدْنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا
فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ بَيْنَ الرُّوضِ وَالزَّهْرِ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ
سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ وَالْفَوْزُ بِالنَّظَرِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرَشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ ،
وَأَجْرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ بِمَنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ،
لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ فَصِيقَ هَمَامُ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ
الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بِأَلْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَيْحَكَ ، إِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبِيًّا لَا يَتَجَاوَزُهُ أَهـ .

عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَشْرُكُونَهَا
فَإِنَّ التُّقَى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ
لِبَاسِ التُّقَى خَيْرُ الْمَلَاسِ كُلِّهَا
وَأَبْهَى لِبَاسًا فِي السُّجُودِ وَأَجْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التُّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا
بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَعْْمَلُ
فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَادِرْ إِلَى التُّقَى
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُمَهَّلُ
وَأَكْثِرْ مِنَ التُّقْوَى لِتَحْمِيدِ غَيْبِهَا
بِدَارِ الْجَزَاءِ دَارٍ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ
وَقَبْلَ مَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
عَدَا سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي سَوْفَ تَفْعَلُ
وَأَحْسِنْ وَلَا تُهْمِلْ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
فَأَنْتَ عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا سَتَرَحَّلُ

وَأِدِّ فُرُوضَ الدِّينِ وَاتَّقِنِ أَدَاءَهَا
 كَوَامِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْفِلَ
 وَسَارِعِ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تَهْمِلْنَهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمِلٌ
 وَلَكِنْ سَتُجْزَى بِالذِّي أَنْتَ عَامِلٌ
 وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
 وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا فَرِيكَ ظَامِنٌ
 لِرِزْقِ الْبَرَايَا ظَامِنٌ مُتَكْفِلٌ
 وَدُنْيَاكَ فَاعْبُرْهَا وَأَخْرَاكَ زِدْ لَهَا
 عَمَاراً وَإِشَاراً إِذَا كُنْتَ تَعْقِلُ
 فَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبِغْ
 لِأَخْرَاهُ بِالدُّنْيَا أَضَلُّ وَأَجْهَلُ
 وَلَذَاتُهَا وَالْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْغِنَى
 بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ
 فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ
 فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِماً سَوْفَ يُنْقَلُ
 وَيَنْزِلُ دَاراً لَا أَنْيْسَ لَهُ بِهَا
 لِكُلِّ الْوَرَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْئِلُ
 وَيَبْقَى رَهِيناً بِالتَّرَابِ بِمَا جَنَى
 إِلَى بَعْثِهِ مِنْ أَرْضِهِ حِينَ يَنْسِلُ
 يُهَالُ بِأَمْوَالٍ يَشِيبُ بِبَعْضِهَا
 وَلَا هَوْلَ إِلَّا بَعْدَهُ الْهَوْلُ أَهْوَلُ

وفي البعث بعد الموت نشر صحائف
 وميزان قسط طائشٍ أو مثقل
 وحشر يشيب الطفل منه لهوله
 ومنه الجبال الراسيات تزلزل
 ونار تلظى في لضاها سلاسل
 يغل بها الفجار ثم يسلسل
 شراب ذوي الإجرام فيها حميمها
 وزقومها مطعموهم حين يؤكل
 حميم وغساق وآخر مثله
 من المهل يغلي في البطون ويشعل
 يزيد هواناً من هوانها ولا يزل
 إلى قعرها يهوي دواماً وينزل
 وفي ناره يبقى دواماً معذباً
 يصيح ثبوراً ونحه يتولول
 عليها صراط مذحض ومزلة
 عليه البرايا في القيامة تحمل
 وفيه كالليب تعلق بالورى
 فهذا نجا منها وهذا مخردل
 فلا مذنب يفديه ما يفتدي به
 وإن يعتذر يوماً فلا العذر يقبل
 فهذا جزاء المجرمين على الردى
 وهذا الذي يوم القيامة يحصل

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ لَظَى وَعَذَابِهَا
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوِي بِهَا يَتَجَلَّجَلُ
وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمْهِرٍ مُعَذَّبٍ
وَمَنْ كَانَ فِي الْأَغْلَالِ فِيهَا مُكْبَلُ
وَجَاتُ عَذْبٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ
لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَاماً تَبْتَلُ
بِهَا كُلِّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحَلُ
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَغْتَرِبُهُ التَّحَلُّلُ
وَمَا كُوِّلُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ
وَمِنْ سَلْسِيلٍ شُرْبُهُمْ يَخْسَلُ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ جِسَانٌ كَوَاعِبُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعاً بَاخِرَ بُدِّلُوا
فَوَاكِهَهَا تَدْنُوا إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا
وَسُكَّانَهَا مَهْمَا تَمَنَّوْهُ يَحْضَلُ
وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَعْسَلُ
تَنَاوُلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهُلُ
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا
وَخَمْرٌ وَمَاءٌ سَلْسِيلٌ مُعَسَّلُ

يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَأَدْخُلُوا
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي
يُجِبُّ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ تَوْصَلُونَ
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْجَزَاءُ
فَحَقُّ عَلَى الْعَيْنَيْنِ بِالذَّمْعِ تَهْمِلُ
وَحَقُّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا مِنَ التَّقَى
وَلَا يَسَامُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّمُ
وَإِنَّ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرٌ وَمَوْقِفٌ
وَيَوْمٌ طَوِيلٌ أَلْفُ عَامٍ وَأَطْوَلُ
فَيَأْتِيكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مَبْطَلٍ
فَضِيحٌ وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تُغْضِلُ
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنْ
كَثِيْبًا مَهِيْلًا أَهْيَلًا يَتَهَلَّلُ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَخَدَهَا
وَلَا غَيْرَهَا مِنْ أَيِّ دِينٍ فَيَبْطُلُ
بِهِ يُسَالُّونَ النَّاسَ مَاذَا عَبَدْتُمُو
وَمَاذَا أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَاؤُهُ وَرُسُلُ
حِسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرَضٌ مُخَفَّفٌ
وَمَنْ لَيْسَ مُنْقَادًا حِسَابٌ مُثْقَلٌ

وَمِنْ قَبْلِ ذَاكَ الْمَوْتُ يَا تُبَيْكَ بَعْتَهُ
 وَهَيْهَاتَ لَا تَذِرِي مَتَى الْمَوْتُ يَنْزِلُ
 كُؤُسُ الْمَنَايَا سَوْفَ يَشْرَبُهَا الْوَرَى
 عَلَى الرَّغْمِ شُبَّانٌ وَشَيْبٌ وَأَكْهَلُ
 حَنَاتِيكَ بَادِرَهَا بِخَيْرٍ فَإِنَّمَا
 عَلَى الْآلَةِ الْحَدْبَا سَرِيعاً سَتُحْمَلُ
 إِذَا كُنْتَ قَدْ أَيقَنْتَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَّا
 وَبِالْبَعْثِ عَمَّا بَعْدَهُ كَيْفَ تَغْفُلُ
 أَيُضْلِحُ إِيمَانُ الْمَعَادِ لِمُنْصِيفِ
 وَيُنْسَى مَقَامَ الْحَشْرِ مَنْ كَانَ يَفْعَلُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلِ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
 ابْنُ لِي أَبْنُ يَوْمَ الْجَزَا كَيْفَ تَفْعَلُ
 أَتَرْضَى بَأَنَّ تَأْتِي الْقِيَامَةَ مُفْلِساً
 عَلَى ظَهْرِكَ الْأَوْزَارُ بِالْحَشْرِ تَحْمِلُ
 إِلَهِي لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي عَمَّمَ الْوَرَى
 وَجُودٌ عَلَى كُلِّ الْخَلِيقَةِ مُسْبَلُ
 وَغَيْرُكَ لَوْ يَمْلِكُ حَزَائِنُكَ الَّتِي
 تَزِيدُ مَعَ الْأَنْفَاقِ لَا بُدَّ يَتَخَلُّ
 وَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي لَوَائِقُ
 وَمَا لِي بِبَابٍ غَيْرِ بَابِكَ مَدْخَلُ
 وَإِنِّي لَكَ اللَّهُمَّ بِالْإِيمَانِ مُخْلِصاً
 وَهَمِّي وَحَاجَاتِي بِجُودِكَ أَنْزَلُ

أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
وَأَسْأَلُكَ التَّشْبِيهَ الْآخَرَ وَأَوَّلُ
إِلَهِي فَتَشْبِيهِ عَلَي دِينِكَ الَّذِي
رَضِيتَ بِهِ دِينَنَا وَإِيَّاهُ تَقَبَّلُ
وَهَبْ لِي مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْرًا مُشِيدًا
وَمَنْ بِخَيْرَاتِ بِهَا أَتَعَجَّلُ
وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْنَى وَلَا الْحَمْدُ يَكْمُلُ
يَزِيدُ عَلَي وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
وَأَرْجُو مِنْ وَزْنِ الْجَمِيعِ وَأَثْقُلُ
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْتَدِي
وَأُنْهِئُ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلِي وَأَبْتَدِي
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأُزَكِّي تَجِيئةً
نَعْمُ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ وَتَشْمَلُ
وَأُزَكِّي صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى الْمُصْطَفَى أُزَكِّي الْبَرِيئةَ تَنْزِلُ

اللهم وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ
وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُم وَعَامِلْنَا
بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُم ارْحَمْ ذُلْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيَمَا
لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الكتاب الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
٣	أحاديث في الحث على الأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان حياً وميتاً
٥	خطبة الكتاب
٧	الإركان الستة وكيفية الإيمان بها
١١/١٠/٩/٨	الإيمان بالله ، الإيمان بالملائكة ، الإيمان بالكتب
١٢-١١	الإيمان برسول الله وموضوع الرسالة
١٤-١٣	ما يجوز على الرسل وما يجب لهم
١٥	الأدلة على صدقهم
١٧-١٦	من أعلام نبوة النبي ﷺ
١٨	الإيمان بالبعث
١٩	الإيمان بالقدر
٢١	تعريف التوبة وبيان شروطها وحكمها
٢٣-٢١	النصح في التوبة وما يتضمنه والحث عليها
٢٤	والإجماع على وجوبها والأدلة على ذلك
٢٨-٢٧-٢٦	ما ذكره ابن القيم من آثار المعاصي وذكر أضرارها
٣٢	أمثلة لأضرار الذنوب والمعاصي في الأمم الماضية
٣٤	قصيدة زهدية ، الصغيرة من الذنوب تعظم بأسباب
٣٧	نصيحة والد والده
٣٨	قصيدة زهدية
٣٩	وقت قبول التوبة ، وأمثلة للتسوية بها
٤١	قصيدة زهدية والحث على حفظ الوقت
٤٢	خوف السلف من الذنوب
٤٣	أسباب فساد الناس
٤٥	علامات العالم الحقيقي العامل بعلمه
٤٩-٤٨-٤٧	من لطائف البلايا وفوائدها

٥٢-٥٠	صاحب البصيرة إذا صدرت من
٥٨	علامات التوبة المقبولة وموجباتها وحققها
٦٣-٦١	فوائد ونصائح ومواعظ
٦٤	فائدة عظيمة النفع
٦٧-٦٥	موعظة من نصيحة والد لولده
٧٩-٦٨	حث على مبادرة الأوقات وذكر طبقات المغترين
١٠٥-٧٩	فصل في العلم وفضله ويليهِ موعظة
١٢٥-١٠٦	فصل في العلم والحث على تعلمه والأدلة على ذلك
١٣٠-١٢٦	من كلام ابن القيم وغيره في العلم وفضله وشرفه وعموم الحاجة إليه
١٣٠-١٢٦	كلام ابن رجب حول العلم والعلماء وبعده قصيدة زهدية
١٤١-١٣١	فوائد نافعة حول الافتاء والاستفتاء
١٤٤-١٤٣	قصيدة زهدية وعظيمة
١٥٦١٤٤	مما قاله العلماء والأدباء في العلم
١٦٢-١٥٧	قصيدة لابن مشرف في مدح العلم ويليها موعظة
١٦٩-١٦٣	فصل الاخلاص والنية في العلم والأدلة على ذلك
١٧٠	الآفات التي تعرض للعامل في عمله
١٧٢	التحذير مما يخل بالعمل كالرياء وطلب المال والجاه
١٧٦-١٧٣	ذكر بعض فوائد الاخلاص وبعده ذلك موعظة
١٧٧	قصيدة حث على التمسك بالكتاب والسنة
١٧٨	فصل في محاسبة النفس والطريق إليها وبماذا تحصل
١٨٠	حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات
١٨١	محاسبة النفس لها ثلاثة أشياء
	النفس منبع كل شر وأساس كل نقص ولا بد من سوء الظن بها
١٨٣-١٨٢	ومشارطتها على حفظ الجوارح
١٨٤	موعظة بليغة في الحث على التفتيش على النفس
١٨٥	محاسبة النفس نوعان وبيان ما تفرغ عن ذلك

الموضوع	الصفحة
حق الله في الطاعات بمراعات سنة أمور	١٨٥
النعم المسؤول عنه نوعان ، وذكر بعض مصالح محاسبة	١٨٦
النفس والقيام عليها قومة صادقة	١٨٧
ما ينبغي لمن حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية	١٨٨
ما ينبغي لمن فاتته بعض الفضائل نسياناً أو توانياً	١٨٨-١٨٩
موعظة لأمر المؤمنين على بن أبي طالب	١٨٩
موعظة بليغة لبعض العلماء على قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا ﴾	١٩١
كالذين نسوا الله ﴿ الآية	١٩٢
كتاب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز في ذم الدنيا	١٩٤
نصيحة للشيخ الواسطي	١٩٤
تقسيم القلوب إلى ثلاثة لابن القيم ويليهما كتاب الصلاة	١٩٦
مكانة الصلاة وأهميتها والأدلة على ذلك	١٩٧
الصلاة تعين على مصالح الدنيا والآخرة وهي أحب إلى الله	١٩٩
الحث على الخشوع في الصلاة وما ينبغي أن يستحضره ويقوله	٢٠١
ما ينتظره من جواب ربه عند قراءته لآيات الفاتحة	٢٠٢
ما يشهده عند ذكر اسمه تعالى الرحمن الرحيم .. إلخ	٢٠٢
ما اشتملت عليه كلمة إياك نعبد وإياك نستعين	٢٠٤-٢٠٥
ما اشتمل عليه طلب الهداية من الأمور وبيان شدة فاقة العبد إلى الهداية	٢٠٥-٢٠٩
الحث على المحافظة على الصلاة وبيان معنى إقامتها	٢١٠
اسهم الإسلام ومنزلة من أدى الشهادتين والصلوات الخمس	٢١١
والزكاة وصيام رمضان والحث على قيامه وبيان حكم تأخير الصلاة	٢١٢
والأدلة على تحريم تأخيرها عن وقتها لغير عذر	٢١١
أركان الإسلام الخمس	٢١١
حكم تأخير الصلاة وحكم ترك الصلاة تلوناً وكسلاً	
وماذا يعمل مع من تركها	٢١٣
الأدلة على كفر تارك الصلاة ويليهما موعظة وقصيدة زهدية	٢١٤-٢١٨

٢٢٠-٢١٩	الناس في الصلاة على مراتب خمس موضحة لابن القيم رحمه الله.....
٢٢١	الالتفات في الصلاة منهي عنه وهو قسمان
٢٢٣	غضب الشيطان عند قيام العبد إلى الصلاة
٢٢٣	وبيان من تكفر الصلاة سيآته وهو من جعلت قره عينه ونعيم قلبه
٢٢٦-٢٢٥	لكل مطلوب مفتاح وذكر بعض المفاتيح
٢٢٧	خسارة من فاتته الصلاة مع الجماعة وبيان الصلاة الكاملة
٢٢٩	والناقصة ويليها قصيدة زهدية وعظية
	موعظة بليغة عبارة عن خطبة وكل موعظة تصلح خطبة مما ذكر
٢٣١	إذا كملت الشروط والأركان
٢٣٢	ذكر بعض فوائد الصلاة وذكر طرف من بعض فوائد صلاة النوافل
٢٣٣	والأدلة على وجوب صلاة الجماعة
٢٣٧-٢٣٦	فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة
٢٣٨	أدلة على فضل الصلاة في جماعة والحث على تسوية الصفوف
٢٣٩	وبيان ما يعتبر في ذلك وهو الرقبة والأكعب
٢٣٩	وبيان ما يقال بعدما يكبر للصلاة
٢٤٠	مقدار القراءة في الركعتين الأوليين في الظهر والآخرتين
٢٤١	والأوليين في العصر والآخريين في العصر ومقدار قيامه فيهما
٢٤٢	وما يقرأ في صلاة المغرب
٢٤٢	مقدار التسييح في الركوع والسجود وما يقال بعد الرفع من الركوع
٢٤٣	أسوة الناس سرق الذي يسرق من صلاته
٢٤٤	مقدار القراءة في صلاة الصبح
٢٤٦	الحث على الخشوع في الصلاة والتحذير من السرعة فيها
٢٤٧-٢٤٦	وبيان معنى أقامتها وأن المصلين كثيرون والمقيمون لها قليلون
٢٤٩-٢٤٨	الذكر بعد الصلاة والاستغفار والدعاء وسياق بعض الوارد من السور
٢٥٢-٢٥٠	والآيات والكلمات والأحاديث
٢٥٣	الحث على المحافظة على الرواتب والنوافل وذكر فوائدها

الموضوع

الصفحة

- من فوائد الصلاة وما ذكر ابن القيم ٢٥٥
- قصيدة زهدية وتظية تحتوي على توبيخ النفس ٢٥٧
- الزكاة أحد أركان الإسلام ٢٦٠
- بيان ما تجب فيه ، نصاب الزكاة ، وصفة الزكاة الفضة ٢٦١-٢٦٣
- أو الذهب من الأوراق وما يتعلق بذلك وزكاة الصبي والمجنون ٢٦٤
- زكاة الحبوب والثمار وما يشترط في ذلك وأنها لا تكرر ٢٦٥
- متى تجب في الحبوب والثمار ومتى تستقر ٢٦٦
- وما الذي ينبغي للإمام نحوها وبلي ذلك موعظة وجيزة ٢٦٧
- شروط الخارص وما يجب أن يتركه لرب المال ٢٦٧
- حث على البحث عن المستحق بذقة وبيان مصاريف الزكاة ٢٦٩-٢٧١
- موعظة بليغة في الحث على الاستعداد للموت ٢٧٢
- لا يدفع بالزكاة مذمة ولا يبقى بها ماله ولا يستخدم بها
بيان ما يأخذ كل صنف من أصناف الزكاة
موعظة بليغة في الحث على التأهب للموت
ما ورد من الوعيد الشديد في ترك الزكاة ٢٧٥-٢٨٣
- ذكر بعض آداب الزكاة وما يلاحظ في ذلك ٢٨٤
- موعظة بليغة في الحث على إخراجها ٢٨٨
- فيمن تحل له الصدقة والتحذير لمن لا تحل له ٢٨٩
- أحاديث في التحذير من المسألة لمن لم تسقه ضرورة إليها ٢٩٠-٢٩١
- موعظة في الحث على القناعة يليها قصيدة في الحث عليها أيضاً ٢٩٢
- أحاديث وآثار في الحث على الورع والزهد في الدنيا ٢٩٦
- موعظة بليغة في تعداد بعض نعم الله في الحث على التزود لدار القرار ٢٩٩
- قصيدة في مدح رب العزة تبارك وتعالى والتحذير عن الدنيا ٣٠٠-٣٠٢
- فصل في صدقة التطوع وما ورد من الآثار الشرعية في فضلها ٣٠٢
- أحاديث في الحث على الصدقة وبيان آثارها ٣٠٣

الموضوع	الصفحة
حديث سعيد بن المسيب في حماية الله للإنسان بسبب ما وفقه له	٣٠٥
من صالح الأعمال وكلام شيخ الإسلام على هذا الحديث	٣٠٦-٣٠٧
الحث على الصدقة ما دام الإنسان صحيح وبيان المسكين حقه	٣٠٨-٣٠٩
أفضل الصدقة جهد المقل والأدلة على أن الأعمال الصالحة	٣١٠
تضاعف من الأمكنة الفاضلة	٣١١
الأولى في الزكاة والصدقة الأقرباء الفقراء وطلاب العلم والجيران الفقراء	٣١٢-٣١٣
موعظة بليغة في التهنئة للارتحال إلى المقابر ويليها قصيدة زهدية	٣١٤
في الحث على التزود لدار القرار	٣١٥
الفوائد المترتبة على أداء الزكاة وبذل صدقة التطوع	٣١٦-٣٢٣
موعظة بليغة في التحذير عن المعاصي	٣٢٤
فصل في البشارة في دخول شهر رمضان	٣٢٦
حول فضل شهر رمضان والأحاديث الواردة في فضله	٣٢٧-٣٣١
موعظة بليغة عن كلام رسول الله ﷺ أكثرها	٣٣٢
حكم صوم شهر رمضان ومن يجب عليه	٣٣٥
ما يثبت به شهر رمضان وما يترتب على ثبوت رؤية الهلال	٣٣٨
لا بد للصوم من النية وحكم صوم التطوع	٣٤٠-٣٤١
من يسن له الفطر ومن يباح له الفطر ومن عرض له جنون أو اغماء	٣٤٢-٣٤٣
موعظة في الحث على عدم الغفلة عن ذكر الله والتزود للآخرة	٣٤٥
قصيدة زهدية	٣٤٦
ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها وحكم ما إذا أكل أو شرب	٤٣٨
ناسياً أو فاء أو استقاء	٣٤٩
موعظة بليغة في مسائل متعددة	٣٥١
قصيدة زهدية وعظية	٣٥٢-٣٥٣
بعض فوائد الصيام	٣٥٤-٣٥٥
ذكر أشياء تخفى على بعض الناس في الصيام	٣٥٨-٣٥٩
ذكر أشياء تحرم ويتأكد تحريمها في حق الصائم	٣٦٠

الموضوع

الصفحة	
٣٦٢-٣٦١	التحذير من الكذب وتأكده في حق الصائم
٣٦٤	أنواع الكذب وقول الزور ومضار شهادة الزور
٣٦٩-٣٦٦	في التحذير من الغيبة
٣٧٠	الدواوين الثلاثة أثقلها ديوان ظلم العباد
٣٧٤	قصيدة في التحذير من الغيبة ويلها الحث على اجتناب ما لا يحل
٣٨٠-٣٧٦	من النظر كأنظر إلى الاجتناب
٣٨١	تحريم الخلوة بالمرأة بدون محرم والتحذير من اتخاذ صبي
٣٨١	يجلو بهن أو اتخاذ خادمة تخلو بالرجال
٣٨٣	موعظة في الحث على صون النساء عن الخروج إلا لحاجة ماسة أو ضرورة
٣٨٨-٣٨٦	فضل فيما يستحب للصائم أن يقوله أو يفعله وبيان من يسن عليه الفطر
٣٨٩	ما يقول الصائم إذا أفطر والحث على الفطر على حلال
٣٩٠	الدعاء عند الفطر وآداب الدعاء
٣٩٥-٣٩٢	حكم قضاء رمضان ويله موعظة
٣٩٩-٣٩٧	صلاة التراويح وبيان كيفية صلاة التراويح
٣٩٩-٣٩٨	التراويح سنها رسول الله ﷺ
٤٠٠	الذي عليه جمهور المسلمين عشرون ركعة بدون الوتر
٤٠٥-٤٠٤	قصيدة زهدية أصولية ويلها موعظة
٤١١-٤٠٧	مشروعية صلاة الوتر وبيان وقته وبيان عدد الوتر أقله وأكثره
٤١٢	دعاء القنوت ويله قصيدة لابن عبد القوي
٤١٥	كتاب الفضائل
٤٢٠-٤١٦	ما ينبغي أن يفعل في ليالي عشر رمضان الأخيرة
٤٢٠	موعظة بليغة يليها قصيدة زهدية وعظيمة
٤٢٣	فضائل ليلة القدر وعلاماتها والأحاديث الواردة في ذلك
٤٢٤	الحث على قيام ليلة القدر والاجتهاد فيها بالعبادة
٤٢٧	وبعد قصيدة زهدية يليها موعظة وحث على حفظ الوقت
٤٤٤-٤٣٢	ذكر بعض الأدعية الواردة وأدلتها

- ٤٤٥ زكاة الفطر وما ورد فيها والآثار ومقدارها وبيان من تجب عليه
- ٤٤٦ وبمن يبدأ من وجبت عليه فطر متعددة وحكمها عن الجنين
- ٤٤٧ وعن الزوجة الناشز
- ٤٤٧ وقت وجوب صدقة الفطر ووقت استحباب إخراجها
- ٤٤٨ وحكم تأخيرها وماذا يعمل من فوت وقتها
- ٤٤٩ من وجبت عليه فطر متعددة محل إخراجها
- ٤٥٠ مقدار الواجب وحكم إخراج الدقيق والقيمة وشرائها
- ٤٥١-٤٥٠ والمعيب والمختلط بغيره
- ٤٥٢ فصل يحتوي على موعظة لتدارك بعض الفئات
- ٤٥٤ إذا أراد الله بعد خيراً فتح له باب الذل والانكسار
- ٤٥٥ قصيدة لتوديع شهر رمضان
- ٤٥٨-٤٥٧ فصل في تلاوة القرآن الكريم وذكر ما ورد في فضل حمل القرآن
- ٤٦٨-٤٥٩ في الحث على قراءة القرآن الكريم وحفظه وأن فيه فضل عظيم
- ٤٦٩ مما روي في فضل القرآن وتفهمه واستحباب ترتيله
- ٤٧١-٤٧٠ قال ابن القيم عشرة أشياء ضائعة وبعدها ذكر ما ورد في فضل
- ٧٤٢ بعض صور القرآن وآياته
- ٤٧٣ استحباب تحسين الصوت في التلاوة
- ٤٧٦-٤٧٤ الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كلام الله تعالى
- ٤٧٧ موعظة بليغة في الحث على توفير كتاب وسنة رسول الله ﷺ
- ٤٨٧-٤٧٨ والكتب التي تستمد منها وما ينبغي لمن علمه الله القرآن
- ٤٨٨ الحث على تعاهد القرآن والترهيب من نسيانه
- ٤٨٨ هجران القرآن أنواع متعددة
- ٤٩٠ التمسك بالقرآن والحذر من الاعراض عنه
- ٤٩٥-٤٩٣ يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة في الدقيق والجليل
- ٤٩٩-٤٩٥ في الحذر من الحكم بغير ما أنزل الله والرد على القانونيين
- ٥١٢-٥٠٠ مؤيدة بالأدلة والبراهين

الموضوع	الصفحة
فصل في فضل ذكر الله وما ورد في ذلك من الأحاديث	
الحث على ذكر الله وذكر فوائده	٥٢٩-٥١٣
قال في حادي الأرواح كلاماً في الحث على العمل الصالح والتشويق	٥٣٠
إلى الجنة وما أعد الله فيها وبعده أبيات من التونية	٥٣٣
فصل في فضل الاستغفار والأدلة على ذلك	٥٣٤
فصيل في الاعتكاف وما يتعلق به	٥٤١
فضل في الحث على بناء المساجد وصيانتها وما يصبان عنه المسجد	٥٤٦-٥٤٥
وما يتعلق بذلك	٥٤٨-٥٤٧
حكم زخرفة المساجد وحكم التزام موضع معين من المسجد	٥٥٢
الأيام التي يسن صيامها والتي يكره صيامها والتي يحرم صيامها	٥٥٨-٥٥٤
النهي عن التشبه بالكفار والأدلة على ذلك ويلي ذلك فوائده عظيمة	٥٧١-٥٦١
الحث على التقوى وبيان فوائدها ويليها وصف المتقى	٥٧١-٥٥٦
كلام نفيس لبعض العلماء على قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾	٥٧٢

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

ومن أراد طباعته ابتغاء وجه الله لا يُريد به عرضاً من الدنيا فقد أُذِنَ له وجَزَى اللهُ تحيراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفَاً أو أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ أو تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَيْزِيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ دَلَّ عَلَى تَخْيِيرِ قَلَمٍ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » رواه مسلم ، وورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللهُ يَدْخُلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةِ : صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ ، وَالرَّامِيُ بِهِ ، وَمُنْبِئُهُ » الحديث رواه أبو داود ، وورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أو عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ أو وَكَلِدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » الحديث رواه مسلم .

عبد العزيز بن محمد السلماني

